وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله



كلية العلوم الانسانية

قسم التاريخ

بوادر الفكر السياسي في الجزائر خلال الربع الأول من القرن العشرين (1900-1925)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ المعاصر

إعداد الطالب:

غـــانم بـــودن

إشراف الأستاذ الدكتور:

مصطفى نويصـــر

السنة الجامعية: 2018-2019

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله



كلية العلوم الانسانية قسم التاريخ

بوادر الفكر السياسي في الجزائر خلال الربع الأول من القرن العشرين (1900-1925)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ المعاصر

لجنة المناقشة:

أ.د. أولاد سيدي الشيخ عبد الرحمان	رئيسا	جامعة الجزائر- 2
أ.د. مصطفى نويصر	مشرفا ومقررا	جامعة الجزائر- 2
د. نفيسة دويدة	عضوا	المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة
د. محمد بلقاسم	عضوا	جامعة الجزائر- 2
د. محمد دراوي	عضوا	جامعة خميس مليانة
د. ياسمينة سعودي	عضوا	جامعة الجزائر- 2

إعداد الطالب:
غـــانم بـــودن

إشراف الأستاذ الدكتور:
مصطفى نويصـــر

السنة الجامعية: 2018-2019


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى الوالدين العزيزين برّا وعرفانا.

إلى إخوتي الأعزاء، إلى زوجتي وعائلتها، وأبنائي طه، سيرين، إسراء.

إلى كل زملائي وأصدقائي وخاصة طاقم ثانوية الونشريسي.

إلى رجال القلم والفكر في الجزائر، وكل من سعى في سبيل تحريرها.

أهدي هذا العمل المتواضع.

شكر وعرفان

أتوجه بجزيل الشكر وخالص العرفان للأستاذ الدكتور مصطفى نويصر المشرف على هذه الأطروحة، والذي لم يبخل علي بتوجيهاته وإرشاداته منذ أن كانت فكرة إلى أن أصبحت عملا منجزا، وأشكره على حسن مرافقته لي طيلة مرحلة الدراسات العليا أستاذا ومشرفا وموجّها.

كما لا يفوتني أن أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث

فهرس المحتويات

II- عوامل ظهور الفكر السياسي في الجزائر (1900-1925)

1- العوامل الداخلية

2- العوامل الخارجية

الفصل الثاني: الفكر الليبرالي

الفصل الثالث: فكر المحافظين الإصلاحي

الفصل الرابع: الفكر الوطني الاستقلالي وإرهاصاته

قائمة المختصرات

- م. د. و. ع: مركز دراسات الوحدة العربية.

A.F : l’Afrique Française

A.A : Annales Africaines

R.A : revue africaine

R.H.M.C : revue d’histoire moderne et contemporaine

B.S.G.A.A.N : Bulletin de la société de géographie d’Alger et de l’Afrique du nord

R.P :revue de Paris

R.R : revue références

Q.D.C : questions diplomatiques et coloniales

R.M.M : revue du monde musulman

R.O.M.M : revue de l'occident musulman et de la Méditerranée

M.F : Mercure de France

R.D.M : revue des deux mondes,

مقدمة

تعرضت الجزائر في بداية القرن التاسع عشر لأخطر هجمة عسكرية استعمارية فرنسية أرادت محو الكيان الجزائري بكل وسائل الهدم السياسي والعسكري والثقافي والاقتصادي لكن الشعب الجزائري بادر بمقاومتها مستخدما كل قواه المادية والأدبية الفكرية مع التركيز على العمل العسكري طيلة القرن التاسع عشر، والذي يعتبر عملا سياسيا رغم اعتماده على السلاح في مختلف مراحل المجابهة ضد الغزاة، ذلك أن الحرب لأجل تحرير الوطن تحتوي المعنى السياسي للمقاومة، وهذا ما تميزت به مرحلة الاحتلال الفرنسي للجزائر، فطيلة القرن التاسع عشر عمل الجزائريون للدفاع على الوطن مجسّدين بذلك بدايات الحركة الوطنية أي خلق فكر سياسي وطني استجاب لمؤثر الاستعمار في شكل مقاومات عسكرية موازية لشكل الغزو الاستعماري الفرنسي الذي اعتمد على الجيش في حملته على الجزائر.

غير أن توسع الاستعمار ونجاح فرنسا في بسط السيطرة العسكرية على الجزائر، وتراجع المقاومة الوطنية العسكرية في نهاية القرن التاسع عشر أدى لقناعة الجزائريين بقبول الاستعمار كأمر واقع مع محاولة الحفاظ على الخصوصيات الحضارية والدينية، وتخفيف التعسف الاستعماري بواسطة نشاط أعيان الجزائر ونخبتها المثقفة فانتقل الصراع من الريف إلى المدينة بحدوث تغيّر في مفهوم وآليات الفكر الوطني من العمل العسكري إلى العمل السياسي عن طريق الحوار مع النظام الاستعماري، وذلك من خلال بروز الفكر المطلبي للنخبة الجزائرية، ونشاطها الصحفي، وتقديمها للعرائض احتجاجا على سلبيات السياسة الاستعمارية في مختلف المجالات، وقد تجلّت إرهاصات هذا التغيّر في الفكر السياسي الجزائري مع بداية القرن العشرين مستجيبة لواقع الجزائر الجديد المتمثل في اليقظة، ومتحدّية للإدارة الاستعمارية وقراراتها الجائرة.

إن بداية القرن العشرين في الجزائر حملت تصورات جديدة على الأصعدة السياسية والفكرية والثقافية والاجتماعية بظهور نخبة من الشبان الجزائريين المثقفين بالثقافة العربية الإسلامية وبالثقافة الفرنسية اتخذت من الصحافة والعرائض وسائل للتعبير عن انشغالاتها، ونقل تظلماتها إلى الإدارة الاستعمارية سواءً في الجزائر أو باريس، فهذه النخبة من الشباب الجزائري هي التي ستؤسس من خلال نشاطاتها لبدايات الفكر السياسي الجزائري المعاصر، والذي ستتّضح معالمه وبرامجه في وقت لاحق، ومن خلال هذا تتضح أهمية الموضوع من حيث أنه يجسّد بداية لحركة اليقظة الفكرية والسياسية في الجزائر التي لم تتوقف عن التعبير عن أشكال الرفض للوجود

الاستعماري مبرزة قدرتها على التكيف مع المستجدات والظروف، كما أنه يقدّم صورة واضحة للعمل السياسي الجزائري في خطواته الأولى خلال الفترة (1900-1925) والذي تُرجعه بعض الدراسات إلى سنة 1926 محاولة بذلك إلغاء حقبة مهمة من تاريخ الجزائر أسست للفكر السياسي الجزائري. ذلك أن معظم الدراسات الخاصة بتاريخ الجزائر المعاصر تربط ظهور الفكر السياسي في الجزائر بالأحزاب والتنظيمات السياسة التي تشكلت منذ العقد الثالث من 20م كنجم شمال إفريقيا 1926 وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931، وهذا لا يعكس حقيقة تطور العمل السياسي الجزائري، فالتنظيم الحزبي ببرامجه وهياكله على اختلاف تياراته لا يظهر على شكله النهائي إلا بعد مروره بمراحل مخاض طويلة تبدأ على مستوى الأفراد والفئات في شكل فكرة أو مطلب أو عريضة ثم تتطور مع الظروف وتتوسع دائرته من المطالب الفردية إلى الجهوية ثم الوطنية.

أسباب اختيار الموضوع:

يمكن إيجاز أسباب اختيار موضوع بوادر الفكر السياسي في الجزائر خلال الربع الأول من القرن العشرين في النقاط التالية:

- التأصيل لظهور الفكر السياسي الوطني والأحزاب والتنظيمات السياسية في الجزائر خلال العهد الاستعماري ذلك أن معظم الدراسات تربط ظهور الفكر السياسي بنهاية عشرينيات القرن العشرين.
- تثمين جهود المثقفين الجزائريين رواد النهضة الفكرية والسياسية لمطلع القرن العشرين في التأسيس لفكر سياسي رفع مطالب الجزائريين السياسية والثقافية والاجتماعية في لوائح وعرائض ووفود للمطالبة بالحقوق والإنصاف بعد توقف العمل الوطني العسكري.
- البحث عن أسباب الاختلاف في تيارات الحركة الوطنية من خلال البحث في مكونات الرواد المؤسسين لها ومشاربهم الفكرية، ومطالبهم، وأثر ذلك على التعددية في الفكر السياسي الجزائري.
- تتبع الحراك السياسي في الجزائر مطلع القرن العشرين، وإبراز مواقفه السياسية من استمرار الاستعمار وسياسته المفروضة على الجزائريين في مختلف المجالات.

– المقارنة بين مواقف النخبة الجزائرية من السياسة الاستعمارية، ومعرفة تصنيف الاستعمار لهذه النخبة فكريا وسياسيا، وموقفه منها.

– رغبتي في دراسة التاريخ الفكري والسياسي للجزائر المعاصرة من حيث النشأة والتطور لإنصاف رجال الفكر والثقافة، وإبراز دورهم في ترميم الهوية الجزائرية، والدفاع عن مقوماتها، وإظهار مساهمتهم في عملية التغيير الاجتماعي والثقافي للفرد الجزائري.

الإطار الزماني والمكاني للبحث:

تنحصر الفترة التي سأتناولها بالدراسة ما بين (1900– 1925) أي الربع الأول من القرن العشرين وهي تمثل بداية لمرحلة جديدة في تاريخ الجزائر المعاصر تميزت بتوقف حركة المقاومة العسكرية بعد نجاح الاستعمار في بسط سيطرته على معظم البلاد نظرا لاختلال التوازن في الإمكانيات، مما جعل حركة المقاومة المسلحة تُصاب بالإعياء فانتقل دور المقاومة من الريف إلى المدينة حيث تغيّرت أشكال النضال بظهور ملامح حركة سياسية وفكرية مثلتها النخبة الجزائرية بتياريها المتمثلين في حركة الشبان الجزائريين المتكونة من النواب والمستشارين الماليين والأطباء، وتيار المصلحين الذين كان أغلبهم من الوعاظ والمدرسين والصحفيين من خلال.

كما تميزت بداية هذه الفترة باستخدام الجزائريين للصحافة كوسيلة للتعبير ونشر الوعي، وهي تعتبر نافذة للعمل السياسي، بالإضافة إلى ميلاد النوادي والجمعيات الثقافية التي كانت ملتقى للفكر والتشاور وتبادل الأفكار حول القضايا التي تهم الأمة. كما كان مطلع هذه الفترة بداية لمحاورة بارزة للنظام الاستعماري بشأن قضايا الجزائريين والتي تميزت بصبغتها الوطنية من خلال العرائض والمطالب المقدمة بواسطة الوفود كوفادة سنة 1908 و1912 للمطالبة ببعض الحقوق السياسية بعد مشروع التجنيد الإجباري الذي أثار جدلا واسعا بين النخبة الجزائرية وأدخلها في عالم السياسة، وهي كلها مؤشرات دلّت على جزائر جديدة في وسائلها لمجابهة السياس الاستعمارية. وتنتهي الدراسة سنة 1925 بعد نفي الأمير خالد من الجزائر سنة 1923 نظرا لاشتداد نشاطه الوطني الذي بدأه منذ 1919، وقبيل ظهور أول تشكيل سياسي جزائري رسمي وهو نجم شمال إفريقيا سنة 1926.

أما الإطار المكاني فهو يتعلق بالجزائر.

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية البحث في دراسة بوادر الفكر السياسي في الجزائر من حيث مظاهر بداية تشكله خلال القرن العشرين، فمعظم الدراسات تربط الفكر السياسي الجزائري بظهور التنظيمات السياسية بداية بنجم شمال إفريقيا سنة 1926 أي الربع الثاني من القرن العشرين متجاوزة بذلك مرحلة التشكّل لهذه التنظيمات التي ما كانت لتوجد على أرض الواقع لولا ظهور إرهاصاتها في أفكار ونشاطات النخبة الجزائرية منذ مطلع القرن العشرين في صورة مطالب فئوية وردود أفعال نخبوية تجاه السياسة الاستعمارية. وعلى هذا الأساس أردت أن أتتبع مظاهر اليقظة الفكرية والسياسية في الجزائر، ودورها في خلق الإرهاصات الأولى للفكر السياسي خلال الربع الأول من القرن العشرين (1900-1925) بما مثّلته هذه الفترة من تحول في أشكال النضال الوطني من الأسلوب العسكري إلى الأسلوب السياسي السلمي من خلال النشاطات المختلفة للنخبة الجزائرية على اختلاف مشاربها الفكرية في مجابهة السياسة الاستعمارية بعد التراجع العسكري للمقاومة الوطنية مع نهاية القرن التاسع عشر، باعتماد أساليب جديدة في النضال أهمها المطالب والصحافة والوفود كوسائل لعرض القضايا الوطنية، ومحاورة النظام الاستعماري، وجسّدت هذه الأساليب النضالية مظهرا لاستمرارية ردود الأفعال الوطنية على الممارسات الاستعمارية، ومظهرا لليقظة الفكرية، وبوادر للفكر السياسي الجزائري.

ولتوضيح الإشكالية أكثر طرحت جملة من التساؤلات أهمها:

- ما هو مفهوم العمل السياسي وما هي العوامل المساعدة على تبلوره؟

- كيف واجه الجزائريون مظاهر التسلط الاستعماري بعد توقف المقاومة المسلحة في مطلع القرن العشرين؟ وما هي الوسائل المستعملة في المجابهة السياسية والفكرية؟

- كيف ساهم الواقع الجزائري لمطلع القرن العشرين في ظهور النخب الجزائرية وأخْذها زمام المبادرة في تمثيل الجماهير الجزائرية، ومحاورة النظام الاستعماري؟ وما هي الإرهاصات الأولى

للعمل السياسي الجزائري في هذه الفترة التي تعتبر فترة انتقالية بين نهاية مرحلة العمل العسكري نهاية القرن التاسع عشر، وبين مرحلة العمل الحزبي المنظم مع بداية الربع الثاني من القرن العشرين؟

– ما هي أبرز تيارات رواد هذا العمل السياسي، وانتماءاتها الفكرية التي على أساسها ستتحدّد أرضيات مطالبها، وتتباين في مواقفها، وفي درجة حدّتها من النظام الاستعماري؟ وكيف أسست هذه التيارات لفكر سياسي جزائري منظم؟

– ما هو تأثير هذا الحراك السياسي على المجتمع الجزائري والسلطات الاستعمارية، وما هي مواقفها منه في مطلع القرن العشرين؟

الصعوبات:

لا يخل أي بحث علمي من الصعوبات، ولعل أبرزها هو صعوبة الحصول على المادة المصدرية المتمثلة في الصحف في المكتبات ودور الأرشيف سواءً فيما يتعلق بالإجراءات الإدارية البيروقراطية كأرشيف ولاية قسنطينة، أو الحالة المادية للصحف التي لا تسمح باستغلالها والاطلاع عليها كجريدة الحق الوهراني التي توجد في حالة جد مهترئة تنتظر عملية صيانتها، ولكن وجدت ضالتي في الموقع الإلكتروني للمكتبة الوطنية الفرنسية، فحمّلت منه جريدة (l'islam)، و(L'ikdam)، ومجلة (l'Afrique Française) وغيرها من المجلات والكتب بما أفادني كثيرا في الموضوع.

منهج البحث:

تتطلب مني البحث وذلك استخدام المنهج التاريخي الوصفي لرصد واستقصاء المادة التاريخية الموجودة في صحافة تلك الفترة، وتصنيفها حسب أطياف النخبة المشكلة للحراك السياسي، بالإضافة إلى رصد مختلف العرائض والرسائل المطلبية لمعرفة مواقف الجزائريين من القضايا المعاصرة لهم، كما استخدمت المنهج التحليلي وذلك لتحليل مضمون الخطاب السياسي لتلك الكتابات في إطاره التاريخي في مختلف المصادر لاستنباط مظاهر الفكر السياسي، والمقارنة بين مضمونه من حيث الخلفية الإيديولوجية والأهداف.

مصادر البحث:

يعتمد هذا البحث على عدة مصادر أهمها الصحافة الصادرة في مطلع القرن العشرين والتي حملت انشغالات كتّابها في تلك الفترة، وعبّرت عن قضاياهم المختلفة على اختلاف مشاربهم الإيديولوجية حيث سجّلت كل الأحداث المستجدّة على الساحة الجزائرية كقانون التجنيد الإجباري وقضية التجنّس والحقوق السياسية، فهي شاهد عيان على الحراك السياسي الجزائري، ومنها جريدة الحق الوهراني لسان حال الوطنيين المسلمين الصادرة بين (1911-1912)، وجريدة (l'islam) التي أسسها صادق دندان بالعاصمة 1912 لسان حال حركة الشبان الجزائريين والتي أبانت بوضوح عن مواقفهم الليبيرالية لصالح الاندماج والتجنيد الإجباري، وجريدة لافوا ديزامبل لسعيد فاسي(la voix des humbles)، وجريدة الإقدام (L'ikdam) لسان حال حركة الأمير خالد، وجريدة الفاروق لعمر بن قدور الجزائري.

بالإضافة إلى المجلات الفرنسية الصادرة في تلك الفترة التي ناقشت القضايا المطروحة من زاوية استعمارية مثل مجلة (l'Afrique Française) الصادرة عن لجنة إفريقيا الفرنسية والمغرب (Bulletin mensuel du comité de l'Afrique Française et du comité du Maroc)، ومجلة العالم الإسلامي (revue du monde musulman)، ومجلة حوليات إفريقية (Annales Africaines)، ومجلة باريس (la revue de Paris) التي احتوت على دراسة لفيليب ميللي حول الشبان الجزائريين سنة 1913.

وفيما يخص الكتب اعتمدت على كتاب الجزائر كما يراها أحد الأهالي للشريف بن حبيلس (L'Algérie française vue par un indigène) الذي يعتبر مصدرا يعبّر عن الشباب الليبرالي الاندماجي كون أن صاحبه أحد أبرز عناصر النخبة الاندماجية، وكتاب الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر(1920-1936) لعبد الرحمان بن العقون، وكتاب اسماعيل حامد المسلمون الفرنسيون لإفريقيا الشمالية (Les Musulmans Français du nord de l'Afrique)، الذي عبّر فيه عن محاسن الاحتلال الفرنسي، وأفكار الاستغراب، وكتيب الأمير خالد انطباعات حول التقارب العربي الفرنسي (Réflexions sur le rapprochement Franco-Arabe en Algérie) الذي عبّر فيه عن أفكاره خاصة المساوة بين الجزائريين والفرنسيين.

كما استعنت ببعض المراجع مثل كتاب الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930) لأبي القاسم سعد الله، وكتاب الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية لعبد الحميد زوزو، وكتاب المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها من (1903-1931) لمحمد ناصر، وكتاب يوسف مناصرية الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين 1919-1939، وكتاب محمد الطيب العلوي مظاهر المقامة الجزائرية 1830-1954، وكتاب غي برفيلي الطلبة الجزائريون في الجامعة الفرنسية 1880-1962.

بالإضافة إلى كتاب المسلمون الجزائريون وفرنسا (Les Algériens musulmans et la France 1871-1919)T2 لشارل روبير أجيرون (Charles Robert Ageron)، وكتاب جيلبير مينيي (Gilbert Meynier) الجزائر المكتشفة

(l'Algérie révélée. la guerre de 1914-1918 et le premier quart du xx siècle)

وكتاب أوندري نوشي (André Nouschi) ميلاد الوطنية الجزائرية (La naissance du nationalisme Algérien 1914-1954)

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، وفصل تمهيدي، وأربعة فصول، وخاتمة بالإضافة إلى الملاحق التي تخدم الموضوع، أما المقدمة فتناولت ما يتعلق بمنهجية البحث المتمثلة في التعريف بالموضوع، وإبراز أهميته وأسباب اختياره، وكذا المناهج المتبعة فيه، وتقديم مصادره ومراجعه، أما الفصل التمهيدي فجاء بعنوان المقاومة المدينية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر، والتي سأتطرق فيها إلى ظهور الرسائل والعرائض التي قدمها الجزائريون بشكل فردي كعريضة أعيان قسنطينة، ورسالة حمدان خوجة في بداية الاحتلال، ومطالب أمحمد بن رحال ومحمد بن العربي أمام لجنة التحقيق الفرنسية تحت رئاسة جول فيري 1891.

أما الفصل الأول فعنوانه ظهور الفكر السياسي في الجزائر مطلع القرن العشرين عوامله ووسائله، وتناولت فيه تحديد مفهوم الفكر السياسي والعمل السياسي، والعوامل التي ساعدت على ظهوره التي منها الداخلية المتمثلة في تشكل النخبة الجزائرية، وبروز النشاط الصحفي، وحركة

التأليف، وسلبيات السياسة الاستعمارية بقوانينها الجائرة التي كان في مقدمتها قانون التجنيد الإجباري الذي حرك النخبة بشقيها، وجعلها ترسل الوفود إلى باريس، وعوامل خارجية تمثلت في دور الهجرة الجزائرية إلى المشرق وأثرها في دفع النهضة في الجزائر، وتأثير أفكار المصلحين والجامعة الإسلامية، وكذا تأثير زيارة محمد عبده إلى الجزائر، كما أدرس وسائل العمل السياسي.

أما الفصل الثاني فهو بعنوان الفكر الليبرالي الذي مثّله رجال النخبة المثقفين بالثقافة الفرنسية عندما بدأوا يتحركون ويتحالفون ضد إدارة الاحتلال ودسائسها، وتبلور نشاهم في إطار حركة الجزائر الفتاة من خلال تشكيل الوفود مثل وفد سنة 1908 ووفد سنة 1912 للمطالبة بحقوق الجزائريين مقابل آدائهم الأعباء المفروض عليهم وفي مقدمتها التجنيد الإجباري.

أما الفصل الثالث فعنوانه فكر المحافظين الإصلاحي الذي جسّده رجال الإصلاح المثقفون بالثقافة العربية الإسلامية، وأتناول فيه موقفهم من القضايا المطروحة وكيف نظروا إليها، وأبرز دورهم في الحفاظ على الشخصية الجزائرية بمقوماتها الأساسية.

أما الفصل الرابع فعنونته بالفكر الوطني الاستقلالي وإرهاصاته، ويتناول الحراك السياسي الجزائري الجديد الذي طرحه الأمير خالد الجزائري، والذي تميّز بالطابع الشعبوي الجماهيري لتمكنه من اكتساب شرعية التمثيل الشعبي، واكتساحه الانتخابات في مختلف جولاتها مع الإشارة إلى فكرة الانفصال الموجودة في عريضته إلى الرئيس ولسن والتي تصنفه كأول جزائري طرح فكرة الاستقلال في القرن العشرين.

أما الخاتمة فتناولت فيها النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث، وأهمها أن المرحلة المدروسة شكّلت بحراك روادها المثقفين بالثقافتين العربية والفرنسية أرضية الفكر السياسي الجزائري بمختلف تشكيلاته ومشاربه الفكرية والتي ستميز الساحة السياسية الجزائرية منذ الربع الثاني من القرن العشرين.

وفي الأخير يبقى البحث مجهودا متواضعا يكتنفه النقص، وبحاجة إلى المزيد من الوقت والجهد لاستجلاء كل خصائص المرحلة المدروسة التي لا تزال تختزنها صفحات الجرائد المغمورة والضائعة.

الفصل التمهيدي

1- المقاومة المدينية ورموزها

أ- حمدان بن عثمان خوجة

ب- أحمد بوضربة

ج- محمد ابن العنابي

2- المقاومة الثقافية: أعلامها وبعض مظاهرها

أ- مصطفى ابن الكبابطي

ب- الأدب الشعبي

3- الوفود والعرائض

أ- الوفود

ب- العرائض

4- الهجـــرة

خلاصة

إذا كانت القومية ولدتها ظروف عرفها كل شعب على حدة فإن الاعتداء على ما يراه الشعب المضطهد مقدسات يولد فكرة القومية، وعلى هذا الأساس فإن القومية الجزائرية ولدت من تأثير الاستعمار الفرنسي وممارساته العنيفة ضد القيم والمؤسسات الوطنية مما أثر على نمو الوعي الثقافي والوحدة السياسية، فتولدت الحركة الوطنية مبكرا تبعا لشراسة الاستعمار بظهور الضمير الوطني الجزائري في السنوات الأولى للاحتلال متخذا أشكالا عديدة مدنية وعسكرية[1] للدفاع عن الكيان الجزائري باعتباره كيانا قائما على أساس صحيح ومحدد عند الاعتداء الفرنسي بحدود جغرافية، وحكومة برئيسها وجيشها وعملتها ولغتها، ولها قبل كل شيء شعور وطني مشترك أيقظه الاعتداء الأجنبي الذي كان عاملا حاسما في الحركة الوطنية الجزائرية لا لكونه قد خلقها، ولكن لأنه أيقظها، فخطر الاحتلال هو الذي صقلها، ووضعها في محتواها التاريخي كقوة سياسية تصارع من أجل البقاء.[2]

ويفيد الدكتور أبو القاسم سعد الله أنه إذا اعتبرنا أن الحركة الوطنية جملة ردود الفعل الوطنية تجاه الواقع الاستعماري الذي ألقى بأعبائه على المجتمع الجزائري، فإن الجزائريين جسّدوا هذه الحركة في مختلف أشكال الرفض للاستعمار كالمقاومة الشعبية المسلحة، والمقاومة السياسية التي قادتها النخبة الحضرية في بداية الاحتلال،[3] والتي حاولت اللجوء إلى عدة طرق للتعبير عن عدم رضاها عن الوضع الاستعماري من خلال الشكوى، والتذمر، وكتابة العرائض، والرسائل، ومخاطبة الرأي العام باسم الإنسانية، والكشف عن سوءات الحكم الفرنسي في الجزائر[4] فدخلت في خصومة مع الاستعمار بسبب عدم احترامه للحياة الاجتماعية الجزائرية، وسوء معاملته للوطنيين، واستيلائه على أراضيهم وتحصيله أملاك الأوقاف.[5]

ويدخل نشاط الجزائريين في هذه الفترة (1830-1900) في إطار الكفاح السياسي الذي يعتبر عملية طبيعية في المجتمع، وظاهرة تاريخية مبعثها الحوافز الإنسانية القائمة في أي مجتمع والدافعة إلى الصراع

1- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900)**، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 101-102.

2- **نفسه**، ص 67-68.

3- عبد النور خيثر وآخرون: **منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954)**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007، ص 13.

4- أبو القاسم سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال**، ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 67.

5- نبيل أحمد بلاسي: **الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، ص 13.

ضد الآخرين من أجل البقاء، والحفاظ على الذات، والسعي للتأثير على مشاريع الاحتلال[1] بأسلوب محتشم جسّده الحضر خاصة في مدينة الجزائر لم يرق إلى العمل المنظم في مطالبه نظرا لغلبة الجيش الاستعماري الفرنسي، وسياسة الإبادة المنتهجة ضد الجزائريين.

1- المقاومة المدينية ورموزها:

يقصد بالحضر الشريحة الجزائرية التي كانت تمتلك الثروة والجاه من أعيان الجزائر العاصمة، وتتمثل في كبار التجار والزراع في سهول منطقة متيجة، بالإضافة إلى بعض العائلات كعائلة حمدان بن عثمان خوجة[2] التي كانت قريبة من حكومة الداي حسين،[3] وكانت مدينة الجزائر قد شهدت أولى ردود الفعل على الاستعمار فهي عرفت أول اتصال مع العدو، واختلطت به، واطلعت على إجراءاته التعسفية، وتضرّرت مباشرة باستهتاره وجوره.[4] وبدأ نشاط حضر مدينة الجزائر قبل سقوط المدينة حيث قاموا بالضغط على حسين باشا لقبول الصلح، وفاوضوا على الاتفاق الذي حصل بينه وبين بورمون (Bourmont)[5] ثم أخذوا يسعون للاستفادة من الوضع الجديد بعد وعود الفرنسيين بالانسحاب بالقضاء على الخصم المشترك.[6] وبدأت المقاومة الجزائرية بعد إبرام اتفاق الاستسلام في جويلية 1830 بظهور أول

1- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ص 102.

2- حمدان بن عثمان خوجة تاجر ومالك غني من أثرياء مدينة الجزائر، ولد بمدينة الجزائر سنة 1773 من شريحة الكراغلة من عائلة جمعت بين الجاه والمال والنفوذ الإداري والمناصب السامية في الدولة، حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية والحساب وأصول الفقه والحديث، قضى (17) سنة في السفر متجولا في البلقان، فرنسا، انجلترا وإسبانيا مما مكنه من الاطلاع على آثار النهضة الأوربية، عضو المجلس البلدي بالعاصمة، من آثاره: إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء- حكمة العارف بوجه ينفع المسألة ليس في الإمكان أبدع- المرآة. للمزيد أنظر: محمد الطيب عقاب: **حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص ص 19-26. وسعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ص 79.

3- الداي حسين من أصل تركي، ولد سنة 1768، في سن الرابعة والعشرين توجه لاسطانبول ودخل فرقة المدفعية والقنبلة ثم توجه إلى الجزائر وتدرج في مليشيتها حتى أصبح خوجة امام، سماه عمر باشا كاتب الإيالة، في سنة 1818 أصبح داي الجزائر حتى سقوطها ليغادرها في 10 جويلية 1830 إلى نابولي ثم ليفورنيا ثم الاسكندرية التي توفي بها سنة 1838. للمزيد أنظر: أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 3، ط خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 243 وما بعدها. و**الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، هامش ص 19.

4- **نفسه**، ص 102.

5- (Louis Auguste Victor de Bourmont) ولد سنة 1773 وتوفي سنة 1846، وزير الحربية في عهد شارل العاشر، قائد الحملة العسكرية العسكرية على الجزائر، وقع معاهدة الاستسلام سنة 1830 وأول من نكث عقده مع الجزائريين باسم الأمة الفرنسية، عُزل بعد أقل من شهر من احتلال مدينة الجزائر بسبب الانقلاب ضد شارل العاشر. للمزيد أنظر: حمدان بن عثمان خوجة: **المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، منشورات anep، الجزائر، 2005، ص 64. وأبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 4، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص 23.

6- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ص 102- 103.

أول حزب وطني سياسي عُرف بلجنة المغاربة التي تكونت من الأعيان والبرجوازيين الذين كانوا على وعي بدورهم السياسي والوطني مؤيَّدين من الشعب وأناشيد المدّاحين الذين يطوفون الأسواق والمقاهي منشدين الأغاني الوطنية، ومنادين بطرد الفرنسين،[1] ومبشّرين بالانتصار، وأن الخلاص آتٍ لا محالة.

والملاحظ أن فكرة تسليم الجزائر لم تكن مستساغة في نظر شرائح المجتمع الجزائري، وقد تجلى ذلك في مساعي بعض أعيان العاصمة (المتعددة الأوجه) لإيجاد مخرج سليم للقضية الجزائرية من قبضة الاحتلال الفرنسي،[2] فهؤلاء الأعيان حاولوا خدمة شعبهم الذي لم يبق من يمثله سواهم بعد سقوط الحكومة الجزائرية[3] الممثل الرسمي للدولة والجماهير الشعبية التي وضعت مطامحها في هؤلاء الأعيان باعتبارهم نخبة البلاد آنذاك فلم يلتزموا الحياد على الرغم من توليهم المناصب في ظل الاحتلال، ولم يعلنوا الثورة ضد الفرنسيين لعدم توفر الإمكانيات للجهاد[4] فوضعوا ثقتهم في فرنسا معتقدين أن الفرنسيين يمثلون أمة شريفة لا يمكن أن تنكث عقودها لكن ذلك لم يحصل.[5]

وبدأ حزب المقاومة نشاطه في الخفاء أولا تحت قيادة حمدان خوجة، ولكي يحمي أعضاء الحزب أنفسهم لجأوا إلى المشاركة في بعض النشاطات مع الفرنسيين كبلدية الجزائر، وفي أواخر سنة 1830 بعث الحزب أحمد بوضربة[6] إلى باريس لشرح قضية بلاده لدى الحكومة الفرنسية. فقد كان زعماء الحزب يراقبون بعناية حركات الجيش الفرنسي، وحين أصبح واضحا لديهم خرق الفرنسيين لمواد الاتفاق ووعود

1- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ص 29.

2- أحمد مريوش: «**ثقافة المقاومة ونماذج من عرائض الأهالي الجزائريين إلى فرنسا خلال القرن 19 م**»، حوليات التاريخ والجغرافيا، ع 6، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، (ديسمبر 2012)، ص 107.

3- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 1، ط خ، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 72.

4- احميدة عميراوي: **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2005، ص 108.

5- مزيان سعيدي: «**من مظالم السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر 1830-1870**»، حوليات التاريخ والجغرافيا، ع 3، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، (ماي 2011)، ص 56.

6- من التجار الميسورين، كاتب الداي حسين للتفاوض من أجل تسليم المدينة، ولاه دي بورمون رئاسة أول مجلس بلدي بمدينة الجزائر، وولّاه كلوزيل إدارة أملاك مكة والمدينة، نفاه روفيقو إلى باريس، كان يؤمن بالتعاون مع فرنسا. للمزيد أنظر: سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ص 76-77.

البيان، وأنهم كانوا قادمين ليبقوا أعلن حزب المقاومة معارضته المفتوحة للاحتلال مشجعا بشكاوى الشعب الجزائري،[1] وقرّر أعضاءه النضال من أجل تحرير وطنهم مهما كلفهم ذلك من تضحيات.[2]

وكان برنامج[3] أعيان الحضر لا يخرج عن الأمور التي نص عليها اتفاق الجزائر، ويقبل بالوجود الفرنسي كحقيقة واقعة لكنه يريد أن يستفيد منه لصالح فئة.[4] وإزاء نشاط هذا النمط السياسي للمقاومة نفت السلطات الاستعمارية العناصر الخطرة منهم للخارج فنقل الحزب نشاطه إلى باريس، وصعّد جهوده إلى حد عقد المؤتمرات الصحفية، والرسائل الشخصية، والعرائض[5] محاولين التأثير على الحكومة والمجلس الوطني الفرنسيين بهدف الحصول على جلاء الجيش الفرنسي من الجزائر، وكانت وسائله تتمثل في استنكار تصرفات الجيش الفرنسي، واتهام السلطات الفرنسية بخرق الاتفاق، وتذكير فرنسا بأنها كانت على خطأ حين لم تعترف بمبدأ القوميات في الجزائر.[6] وكان حزب المقاومة يدعم نضاله بشكايات السكان من تعسف القادة العسكريين، وخدمة مصالحهم الذاتية، وإبادة أبناء الجزائر، وإصرارهم على عزل المدنيين الفرنسيين، وعدم السماح لهم بالتدخل في شؤون الإدارة الجزائرية،[7] وقد أسفرت جهود حزب المقاومة السياسية في صيف سنة 1833 عن تحرك البرلمان الفرنسي، وظهور لجنة التحقيق[8] الإفريقية.[9]

أ– حمدان خوجة:

1- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية (1900–1930)**، ج 2، ط 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 31.

2- سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 1، ص 13.

3- احترام الدين الإسلامي ومؤسساته وإنشاء لجنة من المسلمين لإدارة شؤونه – إعادة الأملاك الخاصة التي استولى عليها الجيش الفرنسي – تسيير شؤون المدينة من قبل الحضر وتقديمهم على غيرهم – تخفيض نشاط اليهود في الجزائر – فتح مجالات العمل والتعلم والصحافة أمام الجزائريين. أنظر: سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ص 106.

4- **نفسه**، ص 106-107.

5- بلاسي: **المرجع السابق**، ص 14.

6- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 32.

7- عمار بوحوش: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 121.

8- تشكلت لتعاين الوضع في الجزائر بعد حملة الجزائريين المنفيين في فرنسا كحمدان خوجة وغيره ضد تصرفات الإدارة الاستعمارية، وضغط الرأي العام الأوربي على فرنسا للإعلان عن موقفها الرسمي من الاحتفاظ أو التخلي عن الجزائر، عينها الملك لويس فيليب في 1833/07/07 ووصلت الجزائر في 1833/09/02 برئاسة الجنرال بوني (Bonnet)، وعقدت حوالي (30) جلسة في مختلف مناطق الجزائر واستقبلت ممثلي المستوطنين وأعيان الحضر واليهود. للمزيد أنظر: سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ص ص 97–99.

9- بلاسي: **المرجع السابق**، ص 14.

يعتبر حمدان خوجة أول جزائري قاد أول مقاومة قلمية ضد الاستعمار،[1] وأول من دافع عن الكيان الجزائري، وعرّفه تعريفا حديثا فهو عنده عاطفة شهامة لدى الجماعة الجزائرية تحركت عندما أصبحت تشعر بالاستبداد من أمة أجنبية، وأقام فكرة الكيان الجزائري في علاقته مع الكيان الفرنسي على الاختلاف في اللغة والدين والعادات والتقاليد مما يعطيه الحق في الوجود حرا مستقلا، وهذا ما جعل أبا القاسم سعد الله يعتبره أباً للحركة الوطنية الجزائرية بمعناها الحديث،[2] واعتبره مصطفى الأشرف الأب الروحي للحركة القومية الحضرية المعاصرة في صورتها المعتدلة.[3]

وبحكم دفاعه عن الكيان الجزائري بناء على التمايز الموجود بينه وبين الكيان الفرنسي فإنه يعتبر أول جزائري عربي مسلم آمن بالمفهوم الحديث للقومية، ونادى بإقامة فكرة قومية للأمة العربية الإسلامية،[4] وهو بهذا شكّل تيارا خاصا به أراد أن يمنح للجزائر شخصيتها وحريتها وكرامتها، ولم يألُ جهدا ولا تراخٍ في مطلبه من أجل مصلحة الجزائر[5] حيث كان لا يؤمن بالتعاون المفروض بين الفرنسيين والجزائريين.[6] لذلك مثّل فكره مظهرا مبكّرا من مظاهر التطور السياسي ليس في الجزائر فقط، وإنما في الأمة العربية والإسلامية إذ كان أول من استعمل عبارة (الجزائر للجزائريين)[7] وفق المفهوم الوطني الذي كان سائدا في النصف الأول للقرن التاسع عشر، فقد طالب باستقلال الجزائر،[8] واقترح على فرنسا الخروج من البلاد، والتخلي عن فكرة الاحتلال، وذلك بإقامة حكومة أهلية حرة مستقلة كما وقع في مصر، على أن تبرم معها معاهدات تكون في صالح الشعبين.[9]

1- أحمد توفيق المدني: **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، د ت، ص 158.

2- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 69.

3- مصطفى الأشرف: **الجزائر الأمة والمجتمع**، تر: حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 208.

4- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 75.

5- عقاب: **المرجع السابق**، ص 5.

6- سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ص 78.

7 - Georges Yver: **«Si Hamdan Ben Othman khodja»**, R .A, n 288, (1er trimestre 1913), imprimeur-libraire de de l'université, Alger, p 119.

8- يسمينة زمولي: **«الفكر التنويري العربي في القرن 19م. حمدان بن عثمان خوجة ورافع رفاعة الطهطاوي نموذجا»**، مجلة العلوم الإنسانية، ع 41، مجلد ب، جامعة قسنطينة1، (جوان 2014)، ص 43.

9– Hamdan Ben Othman Khoja: **Aperçu historique et statistique sur la régence d'Alger**, t 1, imprimerie Geoetschy fils et compagnie, Paris, 1833, p 324.

بدأ حمدان خوجة نشاطه السياسي قبل الاحتلال حيث كان وراء الدعوة إلى اجتماع الحضر الذين طلبوا على إثره من الباشا الاستسلام للفرنسيين مبينا أنه: «كان من واجبنا أن نفضل حكومة الأتراك لأننا قد جمعنا وإياهم دين واحد، ولكن الظروف قد أجبرتنا أن نستبدل بها الحكومة الفرنسية التي وعدتنا باحترام ديننا وعوائدنا وأرزاقنا، وإذا لم نفعل ذلك أصبحت حياتنا في خطر ودماؤنا ودياننا وأرواحنا مسلوبة، ونساؤنا وأطفالنا مقتولين، كل هذه الاعتبارات جعلتنا نفضل إبرام معاهدة السلم».[1] وقد بدأت بدأت مقاومته سرية ثم أعلن المعارضة بعد إمعان الفرنسيين في نقض بنود معاهدة الخامس جويلية 1830، والسلب والنهب مُشجّعا بشكاوى المواطنين وعرائضهم التي طالبوا فيها بجلاء الجيش الفرنسي من الجزائر،[2] فأصبح ممثلا لمواطنيه وناطقا باسمهم أمام إدارة الاحتلال.

ورغم عضويته في المجلس البلدي لمدينة الجزائر، وإشرافه على لجنة تقدير تعويضات الأملاك المصادرة إلا أنه كان غير متسامح في احتلال المساجد مما جعل الفرنسيين يحقدون عليه،[3] فقد شجب أعمال الاحتلال الفرنسي الدنيئة من تهديم المساجد، وقصر الجنينة، وتحويل المؤسسات الدينية إلى مستشفيات عسكرية، وهو خرق للمعاهدات التي التزمت بها فرنسا، كما علّق على رغبة فرنسا في تنصير الجزائريين لترغيبهم في قبول الاحتلال حتى لا يبدون أي مقاومة ضد فرنسا.[4] حيث أدرك مبكرا خطورة السياسة الدينية الاستعمارية على تدجين المقاومة.

وخلال عمله في إدارة الاحتلال بين سنتي (1830-1833) رفض الموافقة على مشاريع رجال الاحتلال وأفعالهم، وامتنع أن يكون أداة في يد السياسة الفرنسية للتوسع على حساب الشعب الجزائري فواجه مشاكل تمثلت في الرقابة المشددة، ومصادرة الأملاك دون تعويض[5] فكان خصما لدودا للحكم

---

1 - **ibid**, p 193-194.

2- عبد المجيد بن عدة: **«رائد المقاومة السياسية الحديثة في الجزائر السيد حمدان خوجة (1773-1845)»**، حوليات التاريخ والجغرافيا، ع3، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، (ماي 2011)، ص 11.

3- سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ص 79-80.

4- عقاب: **المرجع السابق**، ص 37-38.

5- عميراوي: **المرجع السابق**، ص 106.

العسكري الظالم[1] يؤمن بالحل السياسي واحترام حقوق الشعب الجزائري في العيش تحت نظام ديمقراطي مما يضفي عليه الصفة النضالية المبكرة.

ودعا فرنسا إلى انتهاج سياسة حكيمة في الجزائر تعكس أفكارها الليبرالية كدولة متحضّرة، وتخدم مصالحها أفضل من أن تجعل من الجزائر مستعمرة تابعة لها،[2] إذ لم يكن يرى مانعا في استمرار الاحتلال الفرنسي في الجزائر مادام يعمل على تفويض الحكم لشخص من الجزائريين تتوفر فيه المواصفات المطلوبة معتقدا أن الجزائريين سيتمتعون بحرية، ويُعاملون بكل عدل بقطع النظر عن الذي يحكمهم، فالمهم هو أن يُحكموا وفقا لمبادئ الحكومة الفرنسية، وألاّ تُمس ديانتهم،[3] "فلا شيء يخيفنا من حكومة متمدنة،"[4] وقد عبّر في رسالة إلى كاتب مجلس الدولة في شهر ماي 1833 عن سعادته بوجود بلده تحت حماية الحكومة الفرنسية معتبرا نفسه من أخلص الأعيان لفرنسا[5] في محاولة منه الحصول على وعود بتخفيف الممارسات القمعية لجيش الاحتلال ضد الشعب الجزائري.

واعتمد في نشاطه السياسي على العرائض والشكاوى للمسؤولين الفرنسيين للاحتجاج ضد ممارسات إدارة الاحتلال التي استهدفت أملاك الوقف والزوايا، وتعطيل أحكام الشريعة الإسلامية منها احتجاجه لدى كلوزيل (Clauzel)[6] على خرق اتفاق 1830 فأجابه أن «فرنسا غير مجبرة على احترامه لأنه لم يكن سوى لعبة حرب»،[7] وكان يغتاظ كثيرا أشد الغيظ من الاتجاه إلى إبادة الشعب الجزائري،

1- الأشرف: **المرجع السابق**، ص 206.

2 -Khoja: **0p-cit**, p 325.

3- زمولي: **المرجع السابق**، ص 39.

4 -Khoja: **0p-cit**, p 193.

5 **- ibid**, p 373.

6- (Bertrand Clauzel) ولد سنة في 12 ديسمبر 1772 في ميريبوا (Mire poix) بفرنسا، ساهم في إنجاح ثورة جويلية 1830 التي منحته قيادة الجيش الفرنسي في الجزائر في 7 أوت 1830 حتى فيفري 1831 ثم عاد لقيادة الجيش في الجزائر في 1835/07/08 فارتكب أبشع الجرائم، وفي 12 فبراير 1837 عُزل بعد فشله في حملة قسنطينة واستبدل بدامريمون والتحق بمجلس النواب الفرنسي، توفي سنة 1843. أنظر: حمدان بن عثمان خوجة: المرجع السابق، ص 177. وسعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ص 36.

7- Yver: **Si Hamdan**, p 138.

وكانت مذبحة العوفية[1] 07/06 أفريل 1832 قد أثارت استنكاره وأيقظت في نفسه الغيرة القومية الشديدة[2] مستغربا عدم قيام الحكومة الفرنسية باتخاذ أدنى الإجراءات للتنديد بها.[3]

- نشاطه في فرنسا:

كانت مواقف حمدان خوجة المناهضة للاحتلال هي التي جلبت له العداء حيث أجبره الدوق روفيقو[4] (Duc de Rovigo) على الرحيل إلى فرنسا، وهناك اجتمع مع نخبة من الجزائريين المثقفين، ونظم ونظم المقاومة السياسية، وتولى الدفاع عن القضية الجزائرية بتنوير الرأي العام الفرنسي والعالمي حول ما يجري بالجزائر،[5] معتمدا على معارفه من الأوساط السياسية الفرنسية حيث استطاع أن يكسب بعض أحرار فرنسا، واستأنس بهم، ونال احترامهم فاستغل ذلك في عرض شكاوى سكان الجزائر.[6] محاولا استخدام ليبرالية معارفه في باريس للضغط على قادة جيش الاحتلال في الجزائر.

ففي سنة 1832 كان على رأس وفد يطالب حكومة فرنسا بالإقلاع عن مظالمها وآثامها، وإرجاع ممتلكات المسلمين إليهم، والاعتراف لهم بحق الحياة،[7] وفي شهر ماي 1833 قدّم طعنا لدى مجلس الدولة[8] بشأن الوضع المأساوي للجزائريين الخاضعين لتعسف ضباط الجيش الفرنسي. وفي 03 جوان 1833 أرسل عريضة إلى رئيس الوزراء، ووزير الحربية المارشال سولت[9] (Soult) ندد فيها بالاستيلاء

1- قبيلة تسكن ناحية الحراش باغتها روفيقو ليلة السابع أفريل 1832 فذبح جميع أفرادها العزل بحجة نهبها رسل فرحات بن سعيد إليه رغم ثبوت برائتهم. أنظر:. Pellissier de Reynaud**: Annales Algériennes**, t1, Librairie militaire, Paris, 1854, p 247.

2- الأشرف: **المرجع السابق**، ص 208-209.

3 -Khoja: **0p-cit**, p 42.

4-Savary duc de Rovigo ولد في سدان (Sedan) سنة 1764،دخل الجيش سنة 1783 ليتخرج ضابطا في القوات الملكية، رقي إلى رتبة مقدم، وزيرا للشرطة، في 1831/12/26 أرسل إلى الجزائر كقائد عام لجيش الاحتلال بتعزيزات عسكرية لفرض الأمن وقمع المقاومة، لكن فشله أدى لعزله في مارس 1833 ليعود لباريس التي توفي بها أواخر جوان 1833، قيل أنه أصيب بمرض عصبي ونفسي نتيجة إقدامه على مذبحة العوفية حتى أنه أصبح يتخيل أرواح الأبرياء أشباحا تطارده كلما حل الظلام.أنظر: سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ص 55.

5- عمار عمورة: **موجز تاريخ الجزائر**، ط 1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 145.

6- عقاب: **المرجع السابق**، ص 40.

7- المدني: **المرجع السابق**، ص 158.

8 - Yver: **Si Hamdan**, p 108.

9-Nicolas Jean de Dieu Soult (1769-1851) مارشال فرنسي، حارب مع نابليون بونبارت بين 1805 و1815، تولى وزارة الحربية عدة مرات. أنظر: منير البعلبكي: **معجم أعلام المورد**، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، ص 246.

على المساجد وتهديمها كجامع السيدة، وجامع كتشاوة الذي حولته إدارة الاحتلال إلى كنيسة مُلحاً في المطالبة بإعادته لحالته الأولى، وداعيا السلطات الفرنسية إلى بناء كنيسة إذا كانت ترغب في ذلك، مبيّنا أن معاهدة الاستسلام منحت فرنسا السيطرة على القصبة وأبراجها وليس الأملاك التي تعهدت بحفظها،(1) كما طالب بتعيين لجنة تحقيق تتكون من شخصيات محايدة ليست لديها الرغبة في تجريد الجزائريين.(2)

وفي 09 جويلية 1833 بعث رسالة ثانية إلى رئيس الوزراء يذكره بمطالبه السابقة، ويلتمس رفع المعاناة عن الجزائريين، وإصلاح أحوالهم التي ساءت منذ ثلاث سنوات، وحاول استعطاف الحكومة الفرنسية بقوله أنه بصدد نشر كتاب حول إيالة الجزائر، ويريد قبل إصداره أن يعرف بعض الإجراءات تُدخلها الحكومة الفرنسية لتحسين وضع الجزائريين لأجل تزيين كتابه بها.(3) وفي 10 جويلية 1833 بعث بعث رسالة شخصية إلى الملك لويس فيليب(4) (Louis Philippe) بيَّن فيها أن مجيئه إلى باريس لتمثيل مواطنيه، والتعبير عن شكاويهم، والتخفيف من معاناتهم،(5) محاولا استعطافه باسم المبادئ الإنسانية فهو في في نظر الجزائريين ملك مؤيد لهم، ومدافع عنهم، ومساعد على تحريرهم.(6)

وعند تشكيل لجنة التحقيق الإفريقية في السابع من شهر جويلية 1833 لدراسة الوضع في الجزائر، وتحديد أسس العمل في المستقبل كان حمدان خوجة من بين أعيان الحضر الذين استمعت لهم،(7) حيث لفت انتباه رئيسها إلى التجاوزات التي حدثت في حق الجزائريين،(8) وأوصى اللجنة بألا تعتمد على المعلومات التي تحصل عليها من الإدارة الفرنسية التي خرقت الاتفاق المبرم، ولا على المظهر وحده، وقال يجب على اللجنة أن تمتحن أحوال الشعب عن طريق الاتصال المباشر،(9) وناشدها باسم المحبة الإنسانية،

---

1 - Khoja: **Op-cit**, pp 330-334.

2 - Yver: **Si Hamdan**, p 108.

3 - Khoja: **Op-cit**, p 359.

4- Louis Philippe ولد في باريس يوم 6 أكتوبر 1773، بايعته ثورة جويلية ملكا يوم 9 أوت 1830 إلى غاية ثورة 1848 أين سقط حكمه وقامت وقامت الجمهورية الثانية ليفر إلى انجلترا ويبقى فيها حتى وفاته في 26 أوت 1850، اشتهر بالجبن والنفاق حتى مع أعز أصدقائه. أنظر: خوجة: **المرجع السابق**، ص 208.

5 - Khoja: **Op-cit**, p 361.

6– Yver: **Si Hamdan**, p 109.

7- عمورة: **المرجع السابق**، ص 145.

8- بن عدة: **المرجع السابق**، ص 11.

9 - Yver: **Si Hamdan**, p 124-125.

واستعطفها باسم العدالة أن تكون غير منحازة في أحكامها، عادلة في تقاريرها، ناظرة إلى الجزائريين بمنظار العاطفة نظرا لما يعانونه من ألم القهر والضغط، وأن ترِقّ لحالهم وتعاستهم.(1)

وأدى نشاطه وتنديده بالممارسات القمعية الفرنسية إلى نفيه من البلاد بتهمة التآمر على حكم الاحتلال، فسعى في باريس لأجل الحصول على جلاء الجيش الفرنسي، والاعتراف بالكيان الجزائري،(2) بالكتابة وتنشيط المؤتمرات الصحفية للتعريف بالقضية الجزائرية،(3) وكرّس جهوده في تأليف كتابه "المرآة"(4) الذي أراد أن يوجهه للرأي العام، والذي احتوى على اتّهامات مباشرة ضد الفرنسيين في الجزائر، كما احتوى على برنامج وآمال الجزائريين في ذلك الوقت.(5) فقد كان يدرك أن هناك تيارا في فرنسا يخشى من مغبة التورط في الجزائر، وما ينجم عن ذلك من خسائر في الأرواح ومصاريف لا قبل لفرنسا من تحملها،(6) وفي 16 سبتمبر 1833 أرسل عريضة إلى الملك لويس فيليب ألح فيها على الحرية والاستقلال(7) حيث طالب فيها بوقف ما يعانيه الجزائريون من مصائب، وتحريرهم وإحداث الانسجام بين بين الشعبين، ومذكرا له أن للجزائريين الحق أيضا في التمتع بالحرية، وكل الفرص التي تتمتع بها الأمم الأوربية،(8)

وعلّق حمدان خوجة آمالا كبيرة على اللجنة الإفريقية التي نادى بتشكيلها لتقصّي حقيقة معاناة الجزائريين، وظن أنها ستحقق انتصارا للعدل والإنسانية بالإضافة إلى استقلال الجزائر(9) فبعث إليها بنسخة من كتابه "المرآة" ومذكراته مع رسالة بتاريخ 26 أكتوبر 1833 عبّر فيها عن ثقته الكبيرة في الأمة

1- عبد الحميد زوزو: «**حمدان خوجة ومنهجه في كتابة التاريخ**»، الأصالة، ع4، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، (أكتوبر 1971)، ص 91. 91.

2- بن عدة: **المرجع السابق**، ص 12.

3- عمورة : **المرجع السابق**، ص 146.

4- عرّف فيه بتاريخ الجزائر، وسجل فيه أعمال النهب والتعسف التي ارتكبها الجيش الفرنسي في الجزائر، كان منجزا في جويلية 1833 لكنه انتظر الإجراءات الإجراءات لتحسين وضع الجزائريين، وأعلن عنه في أكتوبر 1833 بعنوان "لمحة تاريخية وإحصائية حول إيالة الجزائر". أنظر:

Yver: **Si Hamdan**, p 110.

5- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 32.

6- جمال قنان: **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994، ص 162.

7- سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ص 82.

8 – Khoja: **Op-cit**, p 426.

9- سعيدي: **المرجع السابق**، ص 58.

الفرنسية التي ستنظر بحب وعطف إلى مواطنيه المنكوبين،[1] مبرزا «أن الجزائريين لا يستحقون أن يُرمى بهم بهم خارج المجموعة العالمية، إنهم جزء من العائلة الإنسانية. وإن الدم الذي يجري في عروقهم له نفس الحرارة في دمكم»،[2] أي الفرنسيين.

لكن اللجنة الإفريقية خيبت آمال الجزائريين، و لم تقتنع لا بكتابات حمدان خوجة ولا بالشهادات التي قُدمت لها، ورغم أن الكل كان يعلم أن احتلال الجزائر أمر مكلف لكنها قضت بالاحتفاظ بها، وإلحاقها إداريا بأمر 22 جويلية 1834،[3] وازداد الضغط على حمدان خوجة نتيجة لمواقفه السياسية ودفاعه عن مصالح الشعب، وحبه لوطنه الجزائر حيث بدأت فرنسا تُضيق عليه الخناق فجردته من بعض أملاكه،[4] وحُوكم من أجل آرائه التي عبّر عنها في كتابه المرآة، حيث أثارت العناصر اليمينية في باريس والجزائر حملة ضده من خلال كُتيب بعنوان "رفض كتاب حمدان" سنة 1834، لكنه تمسك بآرائه، وردّ بكتاب بعنوان "الجواب على رفض كتاب حمدان خوجة".[5]

وبعد الاستنكار الشديد لكتابه اُعتبر حمدان خوجة المحرض الأول في الجزائر على الفتن، واعتبرت الحكومة الفرنسية كتابه وثيقة خطيرة تهدد الوجود الفرنسي في الجزائر، فصادرت أملاكه وحاكمته غيابيا في الجزائر، ورفضت شكاويه مما جعله يبحث عن سند دولي لصالح القضية الجزائرية فكاتب[6] السلطان العثماني محمود الثاني[7] يستحثه باسم الدين للذود عن البلدان الإسلامية، ويطلب منه العون مذكرا إياه أن

1- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 33.

2 -Yver: **Si Hamdan**, p 112.

3 - **ibid**, p 121.

4- عقاب: **المرجع السابق**، ص 36.

5- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 33.

6- كاتبه عن طريق صديقه محمود بن أمين السكة في اسطنبول، وفي رسالة من باريس بتاريخ 1 جوان 1834 بيّن أنه طلب المساعدة من مختلف أنحاء العالم وقال:" لو أن الكفار يعلمون شطر ما فعلت من كتابات وتآليف ومراسلات مع الأجناس وغير ذلك مما لا أقدر على ذكره، كل ذلك لأجل إنقاذ البلاد لأكلوا لحمي وأوقعوا بي والحمد لله ستربي الله". أنظر: محمد العربي الزبيري: «**المقاومة الجزائرية 1830–1848**»، الأصالة، ع (90–30)، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، (جانفي-فيفري 1976)، ص 16.

7- محمود الثاني (1785–1839) سلطان عثماني، أحدث إصلاحات في الإدارة والجيش، حاول القضاء على ثورة اليونان (1821–1829) دون نجاح حيث اضطر للاعتراف باستقلاله، دخل في صراع مع محمد علي والي مصر أدى إلى المواجهة العسكرية التي انهزمت فيها القوات العثمانية سنة 1839. أنظر: البعلبكي: **المرجع السابق**، ص 420.

ذلك يدخل ضمن الواجبات المفروضة عليه بصفته خليفة للمسلمين وظل الله في أرضه،[1] مما جعل الباب العالي يرسل إلى انجلترا طلبا بدعمه في تخليص الجزائر من الاحتلال الفرنسي، ويرسل من يفاوض الحكومة الفرنسية حول إعادة الجزائر لكن بدون فائدة حيث تبين بأن فرنسا لن تتخل عن الجزائر،[2] وبعد أن تأكد حمدان خوجة من عدم جدوى مساعيه لدى السلطات الفرنسية غادر باريس متوجها إلى القسطنطينية يوم 28 ماي 1836.[3] وإمعانا في الضغط عليه بسبب نشاطه الوطني قام كلوزيل بطرد ابنه حسن من الجزائر في السادس والعشرين سبتمبر من نفس السنة بدعوى أنه كان من المتآمرين على فرنسا.[4]

و لم يتوقف نضاله عند هذا الحد بل تعداه إلى الدعوة للتنسيق بين البلدان المغاربية (الجزائر، تونس، ليبيا) لتحشد قواها وتقف صفا واحدا في مواجهة القوة الخارجية المعادية التي تتربص الدوائر بالشعوب المغاربية، وهذا ما يجعله رائدا للدعوة للوحدة المغاربية قبل أن تتضح وتتبلور في القرن العشرين،[5] ورائدا أيضا لفكرة الحركة الإسلامية والقومية العربية، كما هو رائد في العالم العربي والإسلامي لعصر التنوير الذي نتج عن الاتصالات الثقافية بين الشرق والغرب.[6] كما حاول استخدام الضغط الدولي الأوربي لصالح قضية بلاده حيث أقنع عددا من أحرار الانجليز من أجل الدفاع عن قضية الجزائر على مستوى الرأي العام الأوربي[7] حيث كان له الفضل في قيام صديقه الانجليزي بانستير بتحرير كراسته المشهورة "نداء من أجل الجزائر" التي وزعها على مواطنيه.[8]

جسّد نضال حمدان خوجة صوت الشعب الجزائري الذي عانى من وطأة التعسف الاستعماري الفرنسي، وآماله في الحصول على وعود من الحكومة الفرنسية باحترام ما جاء في اتفاق سنة 1830، إذ كان من أوائل الداعين إلى القيام في وجه المستعمر الأجنبي، وبذلك يعد من الدعاة الأوائل إلى الحركة

1- عقاب: **المرجع السابق**، ص 41-42.

2- أرجمنت كوران: **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**، تر: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، 1970، ص ص 75-86.

3- الزبيري: **المرجع السابق**، ص 16.

4- سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ص 82.

5- بن عدة: **المرجع السابق**، ص 14.

6- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 36.

7- قنان: **قضايا ودراسات**، ص 163.

8- بن عدة: **المرجع السابق**، ص 14.

الوطنية، وإلى استقلال الشخصية الجزائرية،[1] وقد أدى نشاطه إلى خلق إيديولوجية جديدة، وهي فكرة الأمة والكيان عند الجزائريين الذي له الحق في الحياة حرا مستقلا،[2] ويعتبر واضع أسس مطالب النخبة السياسية الجزائرية في الربع الأول من القرن العشرين.[3]

يتمتع بشعور وطني عميق مكنه من التمييز بين مفهومي الوطنية بتعبير اليوم، وبين القومية بشكلها العام والمقصود بها القومية الإسلامية في ظل الحكم العثماني،[4] فقد دافع عن الجزائر، وحاول تقريب وجهات النظر بين أجنحة المقاومة خصوصا بين الشرق والغرب الجزائريين، كما كانت له مراسلات عديدة مع الباب العالي بغرض التوصل لسياسة التوافق والحفاظ على ربط الجزائر بالخلافة الإسلامية.[5]

ب- أحمد بوضربة:

كان أحمد بوضربة من أعيان الجزائر الذين تعاونوا مع فرنسا لفترة معينة فقد زار معسكر بورمون في الرابع من شهر جويلية 1830 وأعلن خضوع السكان، وتولى رئاسة المجلس البلدي للعاصمة، ووثق فيه كل من بورمون وكلوزيل وبيرتزين (Berthezène)،[6] غير أن روفيقو اتّهمه برئاسة لجنة المغاربة، والتآمر الخطير،[7] وأنه يشكل خطرا على الاحتلال الفرنسي، كما اُتهم بالعمل لصالح استعادة الحكم الإسلامي في الجزائر، وأنه يلعب دورا هاما بين الأهالي، ومثيرا للقلق،[8] فنفي إلى باريس.

ولكن هذه التطورات السياسية ونكبات الاحتلال، ومختلف أنواع الظلم، واستيقاظ شعوره الوطني بعد أن بايع الشعب الأمير عبد القادر، هذه العوامل جعلته يرفع صوته محتجا، ويقف موقفا بين تعاون مع

1- عقاب: **المرجع السابق**، ص 44.

2- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 34.

3- بن عدة: **المرجع السابق**، ص 21.

4- زمولي: **المرجع السابق**، ص 42.

5- مريوش: **المرجع السابق**، ص 107.

6- Berthezène ولد بفاناذارغ بفرنسا يوم 24 ماي 1778، شارك في معركة واترلو، جاء إلى الجزائر في 20 فبراير 1831 لتولي منصب حاكم عام الجزائر خلفا للجنرال كلوزيل، عزل في منتصف ديسمبر 1831 أنظر :بن يوسف تلمساني: **التوسع الفرنسي في الجزائر 1830-1870**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، (2004-2005)، ص 5.

7 - Yver: **«Mémoire de Bouderbah»**, R.A, n 288, (1er trimestre 1913), imprimeur-libraire de l'université, Alger, p 218.

8- سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ص 77.

السلطات لمطالبتها بالإصلاحات، وعمل وطني لتحرير البلاد،[1] حيث قام بنشاط مكثف لصالح أهل الحضر ومصالح العاصمة والعرب عموما، إذ توجد عدة عرائض موقعة من أعيان العاصمة تفوضه بالتفاوض لصالحهم مع الفرنسيين سنة 1831،[2] منها واحدة موجهة إلى الجنرال بيرتزين تطالبه باحترام الاتفاق المبرم المبرم بين حسين باشا وبورمون، ورد الأوقاف إلى المسلمين، وتحتج على بقاء المنازل محتلة من قبل الجنود والضباط دون الكراء، وعلى بيع إقليمي وهران وقسنطينة إلى باي تونس.[3]

وفي باريس بدأ بالاتصال مع بقية أعضاء لجنة المغاربة برجال الصحافة والصالونات والبرلمانيين،[4] كما دعته اللجنة الإفريقية للحضور لتسمع آراءه[5] فكتب إليها مذكرة[6] تختلف عن مذكرة حمدان خوجة خوجة روحا وعاطفة وهدفا، فبينما كان خوجة ثائرا على الأوضاع، غير مؤمن بالتعاون المفروض بين الفرنسيين والجزائريين، كان بوضربة ناقدا للأوضاع، مع اقتراح حلول عملية للتعاون الفرنسي الجزائري.[7]

الجزائري.[7]

وعلى خلاف حمدان خوجة الذي أعلن فشل فرنسا في افريقيا (الجزائر) وضرورة استعادة الحكم الإسلامي فإن بوضربة يرى ترك الأوهام، والقبول بإمكانية الوفاق بين الغالب والمغلوب، لذلك يراه الفرنسيون رجلا إيجابيا يقترح حلولا عملية لمشكل الاحتلال حيث أخذوا بعض أفكاره الواردة في مذكرته خاصة فيما يتعلق بالتنظيمات الإدارية والقضائية.[8] وكان قد وجّه نصائحه إلى فرنسا بأن تتبع في الجزائر سياسة العدل والحزم المقترن باللين والاعتدال، لأن ذلك هو الوسيلة الوحيدة التي تؤدي إلى نتائج طيبة مقترحا إدماج العرب في البيئة الفرنسية.[9] ورغم نشاطه إلا أنه لم يستطع أن يحقق أهدافه الشخصية

1- الأشرف: **المرجع السابق**، ص 206.

2- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ص 105.

3- خيثر: **المرجع السابق**، ص 201.

4- سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ص 77.

5 - Yver: **«Mémoire de Bouderbah»**, Op-cit, p 218.

6- تضمنت سبعة فصول تطرقت لإنشاء مجلس حكومة، ووضع التنظيمات البلدية والقضائية، والتنظيمات الداخلية والإدارة. أنظر: **ibid**, pp 220-224.

7- سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ص 78.

8 - Yver: **«Mémoire de Bouderbah»**, Op-cit, p 219.

9- بسام العسلي: **المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي (1830–1838)**، دار النفائس، بيروت، د ت، ص 140–141.

والوطنية من الوجود الفرنسي، فساند الأمير عبد القادر، ولكن لم يستطع أن يتحرر تماما من التبعية الفرنسية، و لم ينسق مع الأوجه الأخرى للمعارضة[1] مما ساهم في فشله وجعل الرأي العام الجزائري ينقسم ينقسم حوله فيراه البعض من الموالين للفرنسيين بينما يراه البعض الآخر من ضحايا الفرنسيين[2].

ج- محمد ابن العنابي[3]:

كان يمثل التيار الذي يهدف إلى البقاء على ولائه للخلافة العثمانية، وتحرير الجزائر من ربقة الفرنسيين، وعودة الحكم العثماني أو تكوين سلطة موالية للسلطان،[4] بدأ دور ابن العنابي بتوليته رئاسة الجيش من قبل الداي حسين عند دخول الفرنسيين، ومحاولته الاستفادة من مكانته العلمية وسمعته في المجتمع، وكان التعيين لرفع الروح المعنوية بالدعوة إلى الجهاد وليس لكفاءته العسكرية، فهو قبل كل شيء رجل دين وفكر لا حرب ومناورات عسكرية.[5]

حاول ابن العنابي القيام بمهمة التعبئة فنادى في الناس بالجهاد، وحاول جمع كلمة الجيش المتفرق بعد هزيمة جيش الآغا ابراهيم[6] أمام اسطاوالي لكن الأمور كانت قد خرجت من يديه،[7] فالظرف الحرج لم لم يكن ليسمح له أن يقودا جيشا ويصد عدوًّا،[8] لذلك بعد تمكُّن الفرسيين مكث في بيته يخاطب الناس

1- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ص 105.

2- خيثر: **المرجع السابق**، ص 200.

3- محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائري وشهرته ابن العنابي ولد سنة 1775م، نشأ وسط بيئة محافظة وعريقة في العلم والجاه، ويرجع أصل هذه هذه العائلة إلى اليونان وبالضبط من مدينة جنينة واستقرت بعنابة حيث اكتسبت لقبها، بعد إنهاء تعليمه تولى القضاء وهو ابن ثمانية عشر سنة، ثم تولى الفتوى على المذهب الحنفي لمدة (23) سنة، سافر إلى الحج سنة 1821 وبقي في مصر مدة تسع سنوات وخلالها ألف كتابه السعي المحمود في نظام الجنود سنة 1826، وفي سنة 1829 أرسل حسين باشا في طلبه فجاء وعند دخول الفرنسيين ولاه رئاسة العساكر، نفاه كلوزيل في خريف سنة 1830 فتوجه إلى مصر التي توفي بها سنة 1850، من مؤلفاته: السعي المحمود في نظام الجنود- صيانة الرياسة ببيان القضاء والسياسة- شرح كتاب الدر المختار في الفقه الحنفي- التحقيقات الإعجازية في نظم العلاقات المجازية. للمزيد أنظر: أبو القاسم سعد الله: **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي المتوفى 1850**، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 7 وما بعدها.

4- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ص 103.

5- سعد الله: **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي** ، هامش 19 ص 9.

6- صهر الداي حسين عينه قائدا للجيش خلفا للآغا يحي سنة 1829، لم يكن قائدا ممتازا، رفض كل خطط أحمد باي في كيفية مواجهة جيش الاحتلال وفي وفي توزيع الجيش، غادر جيشه بعد هزيمة اسطاوالي يائسا. أنظر: خوجة: **المرجع السابق**، ص 154 وما بعدها.

7- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ص 109.

8 –Khoja: **Op-cit**, p 188.

على إثارة الحرب من جديد فبلغ ذلك الفرنسيين فهجموا على داره وفتشوها و لم يجدوا شيئا،[1] وحاول الاتصال بأعيان مدينة الجزائر لتوحيد الجهود وتنظيم العمل والمقاومة فدعا حمدان خوجة كتابةً للتوجه إليه لكنه أجاب: "بأنه لم يبق أي أمل بالنسبة لهذه القضية. إن هلاكنا محقق، ولا أريد أن أشهد مثل هذه الكارثة المفجعة".[2] كما حاول ابن العنابي مواجهة السياسة الاستعمارية الرامية إلى السيطرة على أملاك الجزائريين وأوقافهم لكن بدون فائدة، فقد أوجب كلوزيل عليه أن يسلّمه المساجد ليجعل منها مستشفيات لجيوشه، وتعهّد له أنه لن يستعملها أكثر من شهرين، واضطر ابن العنابي إلى تنفيذ ذلك الأمر السامي،[3] وقد هاله ما كان يجري في البلاد، ورآه منافيا لشروط التسليم، وضد مبادئ الأمة الفرنسية، فكتب عدة الرسائل إلى كلوزيل يذكره فيها بنصوص الاتفاق الجزائري الفرنسي، وينبهه إلى العواقب التي قد تجر إليها السياسة المتبعة.[4]

إن معارضة ابن العنابي للجنرال كلوزيل جعلته موضع شبهة السلطات الفرنسية، كما جعلت العلاقات متوترة بينهما فحيكت مؤامرة ضده سجَنه خلالها كلوزيل ثم نفاه، حيث وشوش المخبرون في أذن كلوزيل أن المفتي الحنفي (ابن العنابي) رجل خطير على الوجود الفرنسي، وأن له تأثيرا قويا على أهل البلاد،[5] لذلك يُخشى منه أن يؤثر على السكان،[6] كما اُتّهم بالتآمر ضد الدولة بالاتصال بالعرب، والعمل لعودة الحكم الإسلامي إلى الجزائر،[7] فكان مصيره النفي في خريف أو شتاء 1830-1831 إلى الاسكندرية.[8] وبنفيه اختفى عنصر من عناصر المقاومة في مدينة الجزائر، وواصلت سلطات الاحتلال إبعاد جميع العناصر الخطرة ذات النفوذ أو التي يمكن أن تلعب دورا اجتماعيا وسياسيا بين المواطنين حتى

1- سعد الله: **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي** ، ص 10.

2 -Khoja: **Op-cit**, p 188.

3 -**ibid**, p 291-293.

4- سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ص 74.

5- سعد الله: **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي** ، ص 40.

6 -Pellissier**: 0p-cit,** p 156.

7- سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ص 74.

8- سعد الله: **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي** ، ص 42.

يخلو الجو للسلطات الجديدة.[1] وتبرز أهمية دوره في أن كلوزيل لم يُمهله لتدبير أموره مما جعل حمدان خوجة يتدخل لصالحه، فحصل له على مهلة عشرين يوما ليرحل بعدها إلى الاسكندرية.[2]

إن جرأة ابن العنابي أوائل الاحتلال الفرنسي لبلاده، واستعداده لتجنيد الجند، وتنظيم البلاد تنسجم مع آرائه في كتابه[3] السعي المحمود في نظام الجنود[4] الداعية إلى تحديث الجيش، وتوفير المال في إطار سياسة التجديد التي نادى بها في الشرق الإسلامي لمواجهة توسعات الغرب المسيحي.

2- المقاومة الثقافية: أعلامها وبعض مظاهرها

رغم سقوط السلطة الرسمية الجزائرية وسياسة التوسع الاستعماري إلا أن الجزائريين لم يفقدوا لأمل وظلوا يؤمنون بفكر المقاومة، ويحافظون على روح الرفض للتواجد الاستعماري بوسائل مختلفة مع استمرار العمل المسلح من خلال التعابير الشعبية، والأشعار، ومواقف رجال الدين الجزائريين الرافضة لسياسة الاستعمار في الجانب الديني واللغوي الرامية إلى استغلال مؤسسات الأوقاف الإسلامية، وفرض اللغة الفرنسية باعتبارها لغة الغالب.

- مصطفى ابن الكبابطي[5]:

بدأت المقاومة الثقافية منذ الاحتلال من خلال مواقف العلماء والأعيان في الدفاع عن المساجد وأملاك الأوقاف التي تعكس التمسك بالهوية والانتماء العربي الإسلامي، ويظهر ذلك في مواقفهم المطالبة بالتقيد بمعاهدة الاستسلام والتي تضمنت تعهد فرنسا باحترام شؤون العبادة الإسلامية فكان مصيرهم القمع

1- سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ص 75.

2- خيثر: **المرجع السابق**، ص 99.

3- تضمن كتابه السعي المحمود دعوة إلى تجديد الجيوش الإسلامية والاستعداد للجاد الق على غرار ما كان عليه الجهاد زمن الانتصارات الباهرة، فقد ربط الجيش بالحكم (السياسة) والسياسة بالجيش، وقسم كتابه إلى مقصدين: الأول للأمور الحربية في (16) فصلا، والثاني للأمور السياسية. أنظر: سعد الله: «**المفتي الجزائري المصري ابن العنابي وكتابه السعي المحمود في نظام الجنود**»، الأصالة، ع 31، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، (مارس 1976)، ص 59-60.

4- **نفسه**، ص 78.

5- من عائلة أندلسية، ولد بمدينة الجزائر سنة 1189هـ/1775 م، درس على يد علماء مدينة الجزائر، تولى التدريس في الجامع الأعظم سنة 1824، ثم تولى القضاء على المذهب المالكي بين سنتي 1827 و1831، عينته سلطات الاحتلال مفتيا بين (1832-1843)، نفي سنة 1843 إلى الاسكندرية وبقي بها حتى وفاته سنة 1277 هـ/1860 م. للمزيد أنظر: سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 2، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 14 وما بعدها.

والنفي مما يعكس تخوف سلطات الاحتلال من أبعاد تلك المقاومة الثقافية التي تقف أمام تنفيذ المشروع الاستعماري.

ومن هؤلاء المفتي المالكي مصطفى ابن الكبابطي الذي عارض منذ بداية الاحتلال السياسة الاستعمارية تجاه المؤسسات الإسلامية حيث انفض لنصرة الدين والوطن، وهزَّ بموقفه الإدارة الاستعمارية عند تصلبه في رفض ضم الأوقاف الإسلامية إلى أملاك الدولة الاستعمارية الفرنسية بمرسوم 8 ديسمبر 1830 على عهد كلوزيل،[1] كما كتب مذكرة سرية عن الأوقاف وجهها إلى القائد العام الفرنسي بالجزائر.[2] ولما تشكّلت اللجنة الافريقية سنة 1833 استمعت إليه عندما كان متوليا شؤون الإفتاء والقضاء على المذهب المالكي، وتناولت كلمته قضايا غير سياسية في ظاهرها كموقف التشريع الإسلامي من حقوق الرجل والمرأة، ونظام الملكية والزواج، والطلاق وإجراءات الأحكام القضائية،[3] لكنها تدافع عن مقومات الشخصية الإسلامية الجزائرية، وتحافظ على تميّزها، وترفض الخضوع للقوانين الفرنسية رغم وجود الاستعمار كحقيقة واقعة. ولما وقعت حادثة عائشة[4] سنة 1834 المرأة المسلمة التي اعتنقت المسيحية وطلبت حماية القانون الفرنسي بعد أن طلقها زوجها تدخل المفتي ابن الكبابطي، وعارض ما حدث، واتّهم الكنسية والسلطة الفرنسية بالتواطؤ، والتورط في القضية فاستقال من وظيفة الإفتاء ثم رجع عن استقالته.[5]

وأخد الاصطدام الثقافي (دينيا ولغويا) كما يسميه أبو القاسم سعد الله شكلا رسميا واضحا منذ سنة 1843 حيث وقف المفتي مصطفى ابن الكبابطي مؤيَّدا من أهل البلاد ضد قرارين رسميين فرنسيين

1- سعيدي: **المرجع السابق**، ص 58.

2- Marcel Emerit: «**L'état intellectuel et moral de l'Algérie en 1830**», A. H. M.C, t1, (juillet-septembre 1954), presse universitaire de France, Paris, marge 1, p199.

3- سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ص 102-103.

4- كانت عائشة بنت محمد متزوجة زواجا شرعيا، فطلقها زوجها طلاقا شرعيا أيضا لكنها لم تقض العدة عند أهلها بل بقيت عند صديق لها يهودي، وقد شكا أهلها إلى القاضي عبد العزيز والمفتي ابن الكبابطي وطالبوا بإرجاعها إليهم لقضاء العدة، وقد جاء بها القاضي إلى المحكمة وأثناء ذلك دخل المحكمة بيليسي (Pellissier) رئيس المكتب العربي فاحتج القاضي عبد العزيز على انتهاك حرمة المحكمة وغادرها برفقة المفتي ثم قدما استقالتهما للحاكم العام. أنظر: سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ص 81.

5- سعد الله: **أبحاث وآراء**، ج 2، هامش 7، ص 18.

أصدرهما بيجو[1] (Bugeaud) في 23 مارس 1843، الأول ضم الأوقاف الإسلامية إلى أملاك الدولة، والثاني إدخال اللغة الفرنسية في المدارس القرآنية،[2] معتمدا في رفض القرار الأول على أنه ضد مبادئ الدين الإسلامي، وأنه يشكل انتهاكا لاتفاقية الجزائر سنة 1830، وأما القرار الثاني فهو يمس بالمقدسات الدينية وبالشخصية الوطنية، فقد رأى في التعليم الفرنسي وسيلة لتحريف شخصية الأطفال، وتوجيه التعليم نحو حضارة الغالب التي يرفضونها.[3] ومن خلال هذه المعارضة الشديدة تتجلى شخصية المفتي كمتحدث باسم الجزائريين، ورمز من رموز المقاومة التي كانت على أسس دينية ووطنية،[4] الأمر الذي جعله يُتهم بالمقاومة المكشوفة لأوامر الحكومة الفرنسية، فاغتنمت الإدارة الاستعمارية هذه الفرصة وأخضعت الأوقاف بالجامع الكبير إلى التنظيمات العامة بأمر من الحكومة العامة بتاريخ 4 جوان 1843،[5] واستولت واستولت على أرشيف الجامع الكبير، وكل ما يتعلق بإدارة المفتي، وعزلته وأبعدته[6] نحو فرنسا[7] كغيره من أهل الرأي والتأثير. ورغم نفيه فإن موقفه بقي رمزا للتحدي الوطني، ورغبة شعبية لم تبرزها إلا نصوص الحركة الوطنية ومواثيق الثورة.[8]

- الأدب الشعبي:

لعب الأدب الشعبي دوره كوسيلة تعبير وتعبئة للحفاظ على روح المقاومة من خلال تمجيده للماضي، وإثارته للفخر الوطني فلم يبحث فقط عن الاعتذارات للهزيمة، ولكنه حوّل الهزيمة إلى انتصار للشعب المحتل، وكانت واسطة هذا الأدب الشعبي شخصية المداح الذي يقف في الأسواق العامة والمقاهي

1- Bugeaud de la Piconnerie Thomas Robert duc d'Isly ولد بمدينة ليمونج سنة 1784، ملازم في حرس نابليون سنة 1806، بعد هزيمة نابليون أحيل على التعاقد وبعد ثورة 1830 أُعيد إلى الجيش، وأُرسل إلى الجزائر سنة 1836 حتى سنة 1837 ثم عاد إليها كحاكم عام من سنة 1841 حتى سنة 1847 عُرف بسياسة الاحتلال الشامل والأرض المحروقة، توفي بمرض الكوليرا في 10 جوان 1849. للمزيد أنظر: بسام العسلي: **المارشال بيجو 1784-1849**، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982، ص 11-12.

2- سعد الله: **أبحاث وآراء** ، ج 2، ص 11.

3- **نفسه**، ص 13.

4- **نفسه**، ص 13.

5-Albert Devoulx: «**Les Edifices religieux de l'ancien Alger**», R.A, n 59, (septembre 1866), p 381.

6 -ibid, n 37-38, (janvier- mars 1863), p 104

7- نفي مع ابنه وابن أخيه إلى جزيرة سان مارغريت قرب طولون التي وصلها في 1 جوان 1843 ثم غادرها في 11 جوان إلى الاسكندرية التي نزل بها في 24 جوان ضيفا عند محمد ابن العنابي. أنظر: سعد الله: **أبحاث وآراء** ، ج 2، ص 30.

8- **نفسه**، ص 11.

منشدا أشعاره الحماسية أمام جمهور متعطش للسماع والهضم،[1] بقصد توعيته بواسطة ما يرويه من مغازٍ شعبية معبّرة، قام بتوظيفها أحسن توظيف، وذلك عن طريق المزج بين البطل المستل من أعماق التراث، وبين هموم هذا العصر،[2] فقد مثّلت شخصية المداح مظهرا من مظاهر مقاومة العروبة والإسلام للغزو الفرنسي للجزائر من خلال أشعاره التي أثارت حماسة الشعب الجزائري فهبّ لمقاومة الاحتلال الفرنسي بكل الوسائل التي تفتقت عنها أذهان الجماعات التي قادت حركات المقاومة الجزائرية ضد الفرنسيين،[3]

ويذكر ديسبارمي (Desparmet) المهتم بالحركة الثقافية في الجزائر في مقال له« أن ظهور شعراء الشعر الشعبي بالجزائر قد ابتدأ في منتصف القرن التاسع عشر، بعد هزيمة مواطنيهم، وأنهم ظلوا يمجّدون نضال أسلافهم الغابر، لإحياء للشعور الوطني، فكان شعرهم المهد الذي احتضن بذرة الوطنية الحالية»،[4] حيث بدأ هذا اللون الأدبي دعوته للمقاومة في أوساط السكان المحافظين على قليل من الأمل في بناء الأمة من جديد من خلال مدح النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الذي كان صرخة مزعجة في وجه الاستعمار، وإثارة للحماس الشعبي بتذكير الجماهير بماضيها وسطواتها على أعدائها، وقيّمها الكبرى التي تتمثل في الشجاعة والجهاد، وقد حفظ هذا الأدب عزة الأمة بوسائلها الثقافية البسيطة التي لا تتعدى السمع والإلقاء، والتي لم يبق لها من ذكريات التاريخ إلا بقايا يحيط بها الضباب، ويزحف عليها النسيان، فكان صرخة ثورية تبعث الأمل في الأمة،[5] بالانتصار الحتمي على الغازي المسيحي، فالكافر المحتل لابد من من الانتصار عليه وطرده مثلما فعل أوائل المسلمين بانتصارهم على أعدائهم، هذا ما كان يصبو المداح إلى إبلاغه لمتلقي رواياته من جمهور متشوق إلى النهاية السعيدة التي تنهي الصراع لصالح البطل المسلم.[6]

فكان الشعر الشعبي يساهم في شحذ الهمم، ورفع المعنويّات أمام قوّة العدو المادية، ويزرع الحماس

1- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 37.

2- عبد القادر خليفي: **دور الأدب الشعبي في المقاومة الوطنية**، سلسلة منشورات الجيب، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2005، ص 19.

3- بلاسي: **المرجع السابق**، ص 14.

4 - Desparmet: «**Les chansons de geste de 1830 à 1914 dans la Mitidja** », R.A, n 378, (1er trimestre 1939), p 192.

5- عبد المجيد مزيان: **«مظاهر المقاومة في الثقافة الجزائرية»**، الأصالة، ع 8، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، (ماي 1972)، ص 162.

6- خليفي: **المرجع السابق**، ص 21.

في نفوس الجماهير الشعبية بالتركيز على قيمة الجهاد والبطولة والشهادة، وهذا أنموذج يدعو للجهاد أثناء ثورة الزعاطشة[1] جاء فيه:[2]

بسم الله بديت نقـــــول   يا ناس صلوا على الرسول

الي مات للجنة والقصور   وسبعين من بنات الحـــور

يا ناس انصـــروا الديــــن   وموتوا بالماية والألفيـــــن

بركانا من موت الشّيـــن   على الشهوة والدنيا الاثنين

يا نجعـــي النفخــــــات   الأبطال أبـــداو الزدمـــات

والنار شعلت رقات

فالأدب الشعبي رغم الهزيمة العسكرية قد أبقى على روح المقاومة حيّة في نفوس الجزائريين آملين في الخلاص ذات يوم،[3] من خلال ترديده لعناصر الهوية والانتماء العربي الإسلامي لتعزيز التمسك بها، وغرس فكرة الإيمان والثقة باستعادتها مهما طال الزمن، وقد لاحظ الفرنسيون أن هناك كلمات تثير الجزائريين كالجنسية، الإسلام، وتطهير الأرض المقدسة من الكفار،[4] فغريزة البقاء استعملت الشعر الشعبي للتعبير عنها، فكانت مهمته التذكير والحفظ وإثارة الشعور الوطني،[5] وقال ديسبارمي:" أن أية أمة، حتى ولو احتلت عن طريق السلاح، لا يمكن أن تُهدد بالزوال إلا إذا فقدت الثقة بنفسها"[6] والأمة الجزائرية لم تفقد الثقة بالنفس بدليل استمرار المقاومة بمختلف أشكالها، كما نلمس استمرار هذه الثقة في التغني بانتصارات الدولة العثمانية التي سمحت بتوقع قرب الخلاص من الاستعمار، حيث عبّر الأدب الشعبي الجزائري عن فخره بالنصر العثماني في حرب القرم، وأنشد الجزائريون المدائح لله ولخليفة اسطنبول، مما يجعلهم يعبّرون عن أفكار الجامعة الإسلامية مبكرا، ويتأثرون بمصائب المسلمين كاحتلال فرنسا لتونس.[7]

1- واحة الزعاطشة تقع على بعد (35 كم)جنوب غرب بسكرة. أنظر: عبد الحميد زوزو: **الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي، التطورات السياسية الاقتصادية والاجتماعية 1837–1939**، ج 1، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 143.

2 - Charles Feraud: «**Les Ben-Djellab, sultans de Tougourt** », R.A, n 170, (1er trimestre 1885), p 129.

3- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 38.

4 –André Nouschi: **La naissance du nationalisme Algérien 1914-1954**, les éditions de minuit, Paris, 1962, p 15-16 .

5- Desparmet: «**Les réactions nationalitaires en Algérie**», B.S.G.A.A.N, n 132, 1932, p 446.

6- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 37. و Desparmet: Op-cit, p 445-446.

7- **نفسه**، ص 38.

3- الوفود والعرائض:

إن الهزيمة العسكرية للجزائريين لم تؤد بهم إلى الاستكانة والخضوع المطلق لقادة جيش الاحتلال، بل جعلتهم يلجأون إلى وسائل أخرى لمقاومة السياسة الاستعمارية، وتأثيراتها السلبية في جميع الميادين، ويعترضون على ما يمس مقدساتهم الدينية، وأحوالهم الشخصية فظهرت الوفود والعرائض.

أ- الوفود:

أمام ضغط التوسع العسكري الاستعماري، وما صاحبه من تعسف وانتهاك لحقوق الجزائريين تشكّلت الوفود كنداء سياسي يحاول إيصال شكوى فردية أو جماعية إلى السلطات الفرنسية.[1] فكانت الوفود جزءا من ردود الفعل الجزائرية تجاه الاحتلال بإيفاد الأعيان والوجهاء إلى باريس بغرض التفاوض لإيجاد الحلول الممكنة للمشكلة الجزائرية منها ما كان يبحث عن الحلول الوسطى، ومنها ما كان رافضا للوجود العسكري، ومن الأمثلة على ذلك رحلة لجنة الحضر في بداية الاحتلال كحمدان خوجة وأحمد بوضربة وغيرهما،[2] كما أرسل الأمير عبد القادر سنة 1838 وزير خارجيته المولود بن عراش[3] إلى فرنسا فرنسا لمقابلة الملك لويس فيليب أثناء هدنة التافنة، وذهب وفد من حكومة الأمير.[4]

وخلال الفترة الزمنية (1844-1850) سافرت وفود كثيرة إلى باريس من أصحاب السيف والقلم منهم المثقف الشاذلي القسنطيني، ومحمد الخروبي أحد قادة الأمير عبد القادر على الزيبان. ومنذ وصول نابليون الثالث[5] (Napoleon III) إلى الحكم توسعت زيارة الجزائريين إلى فرنسا واتصفت بالولاء والطاعة والطاعة أكثر ما عبّرت عن رفضها لسياسة الاحتلال، ومن بين الأعيان الذين سافروا إلى باريس سليمان

1- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 8، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 157.

2- مريوش: **المرجع السابق**، ص 115.

3- من الأثرياء، شغل منصب آغا الشرق قبل 1830 في خدمة الباي حسن ثم بقي في نفس المهمة في عهد الأمير عبد القادر وأضاف إليها العلاقات الدبلوماسية بين 1833-1840. أنظر: سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، هامش 22، ص 207.

4- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 6 ، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 201.

5- نابليون الثالث (1808-1873)، ابن لويس بونبارت عاش في المنفى بعد سنة 1815، رجع إلى فرنسا إثر ثورة 1848، رئيس الجمهورية الفرنسية الثانية (1848-1852)، امبراطور فرنسا (1852-1870)، بعد هزيمته في الحرب الفرنسية البروسية سنة 1870 خُلع عن العرش وقضى بقية حياته في انجلترا. أنظر: البعلبكي: **المرجع السابق**، ص 450.

بن صيام[1] عن منطقة مليانة، ومحمد السعيد بن علي الشريف[2] عن منطقة آقبو، وأحمد ولد قاضي[3]، ومحمد شعبان المدعو مصطفى، ومحمد بن الحسن بن الشيخ الفقون[4]، وكانت فرنسا في الكثير من الأحيان تختار أسماء هؤلاء الأعيان التي تزورها.[5]

وكان الهدف من رحلات الأعيان هو التعريف بما شاهد الزائر، وبث الدعاية الموالية للفرنسيين ومدنيتهم،[6] ويظهر ذلك من خلال التعبير عن الإعجاب بمظاهر العمران، وتنظيم الجيش، والثناء على الحكام الفرنسيين وعدلهم، فكتب ابن صيام في رحلته سنة 1852 "واعلم أن ملوك فرنسا لو اتصفوا بالظلم والجور، وعدم الرفق بالرعية لما قدروا على تحصيل بعض الغرض من عمارة البلدان وكثرة العساكر،[7] غير أن أحمد ولد قاضي إضافة إلى ثنائه على فرنسا في رحلته فقد قدم مع رفاقه عريضة مطالب إلى حكومة باريس يطلب منها حسن التفاتة نحو العرب الذين تربطهم بهم سلسلتين متينتين هما اختلاط الدماء في الحروب والعشرة من خلال رفع المضرة التي سببتها القوانين الفرنسية التي يجهلونها، ويوصي بعدم تركهم في زوايا الإهمال مقابل الطاعة.[8]

1- من الأعيان والمثقفين ولاه الفرنسيون آغا مليانة، لما وقعت ثورة اولاد سيدي الشيخ سنة 1864 أرسل سليمان بن صيام وغير من الرؤساء العرب بيانا إلى نابليون الثالث يستنكرونها ويعلنون الولاء لفرنسا، سافر إلى باريس في 25 أفريل 1852 بأمر من الوالي العام راندون، بعد عودته كتب رحلته معبرا عن إعجابه بفرنسا وحضارتها، وعن ثنائه على نابليون الثالث وكرمه وشجاعته وعدله، توفي سنة 1896. للمزيد أنظر: علي تابليت: **خمس رحلات جزائرية إلى باريز**، منشورات خمسينية جامعة الجزائر (1962-2012)، ثالة، الجزائر، 2012، ص 15-16.

2- محمد السعيد بن الشريف (1820-1896) من أشراف الأدارسة استوطن بلاد زواوة منذ قرون، بنى جده الشريف موسى وعلى زاوية شلاطة التي تربى فيها، تولى منصبا إداريا لفرنسا، تعلم الفرنسية وسافر مع ابن صيام إلى فرنسا سنة 1852، بعد عودته كتب رحلته ونشرها في جريدة المبشر تضمنت أفكاره حول التعليم والحضارة، وتحدث عن الأمن والهدوء الذي يسود الجزائر في العهد الفرنسي. أنظر: سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 7، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 476-477.

3- أحمد ولد قاضي أو قادي باشاغا فرندة، تولى القيادة سنة 1843، شارك مع بيجو في معرك إيسلي وقُلّد وسام الشرف سنة 1848، كرّمه بيجو بسرج مطرز بالذهب، شارك في الحملة على الأغواط سنة 1852 وقلده بيليسيي وساما على ذلك، كما شارك في حملات ضد سكان ورقلة والبيض، زار فرنسا سنة 1878 وكتب رحلته "الرحلة القادية في مدح فرنسا وتبصير البادية" وله كتاب "تاريخ قبائل الدوائر والزمالة" سنة 1883، توفي سنة 1885 عن عمر ناهز 78 سنة. أنظر: تابليت: **المرجع السابق**، ص ص 74-76.

4- محمد بن الحسن بن الشيخ من مواليد قسنطينة سنة 1867، عين نائب أهلي لبلدية قسنطينة سنة 1899، ثم مندوبا ماليا وعضوا في المجلس الأعلى للجزائر، ساند عملية التجنيد الإجباري لصالح فرنسا، سافر إلى فرنسا سنة 1901 رفقة وفد من رؤساء العرب بدعوة منها. أنظر: نفسه، ص 123-124.

5- مريوش: **المرجع السابق**، ص 115.

6- تابليت: **المرجع السابق**، ص 9.

7- **نفسه**، ص 28.

8- أحمد ولد قاضي: **الرحلة القادية في مدح فرنسا وتبصير أهل البادية**، 1878، ص 34-35.

ومن الشخصيات البارزة التي سافرت إل فرنسا للمطالبة بتخفيف وطأة القوانين الجائرة سي امحمد بن رحال الذي ناضل من أجل إعادة الاعتبار للعدالة الإسلامية، ودعا لتعميم التعليم وتسهيله للجزائريين، وذلك سنة 1891 حيث قصد باريس رفقة الحكيم محمد بن العربي[1] أين قدما عرضا أمام مجلس الشيوخ الفرنسي بشأن القضاء الإسلامي طالبا فيه بالعودة إلى العدالة الميسرة، وحذّرا من جعل التعليم إجباريا لما في ذلك من تكدير لخواطر أولياء التلامذة لخوفهم على أخلاق أبنائهم من التعليم الفرنسي.[2]

ب_ العرائض:

تشكّلت العرائض كوسيلة للتعبير عن الرفض والغيظ من خلال الشكاوى التي حررها الأهالي، وأوصلوها إلى حكام الإدارة الاستعمارية سواء في الجزائر أو في باريس،[3] وكانت كتابة العرائض وإرسالها وإرسالها إلى المسؤولين على مختلف المستويات تمثل سجلا ينبض بالحياة لموقف الشعب وردود فعله أمام القضايا التي واجهته، فاعتماد العريضة كأسلوب للعمل السياسي ظهر منذ السنة الأولى للاحتلال ثم اختفت لتعود في العقد الثامن من القرن التاسع عشر.[4] وكان ظهور العرائض بسبب اختلال التوازن في ميزان القوى بين الجزائر وفرنسا مما اضطر الجزائريين إلى اتخاذ موقف الدفاع السلمي في الصراع المحتدم،[5] وكانت أولى العرائض عريضة أهالي الجزائر إلى قوات الاحتلال بعد سقوط القصبة، واستيلاء الجيش الفرنسي على الأوقاف والممتلكات، وتنصله عما جاء في معاهدة الاستسلام، وكانت مطالب العريضة

1- محمد بن العربي ولد سنة 1850 بشرشال من أسرة أندلسية الأصل، مزدوج الثقافة حيث تلقى مبادئ الدين والقرآن الكريم ودرس في المدرسة العربية الفرنسية بمدينة الجزائر ثم مدرسة الطب ونال شهادة الدكتوراه من باريس، اشتغل طبيبا بالعاصمة وتولى النيابة في المجلس البلدي بالعاصمة منذ سنة 1888، أفشل محاولة هدم الجامع الكبير والجامع الجديد، وحضر أمام لجنة جول فيري سنة 1891 وطالب بإلغاء قانون الأهالي واحترام القضاء الإسلامي، كما سافر مع ابن رحال إلى فرنسا لنفس الغرض. أنظر: سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 6، ص 226-227.

2- عبد الحميد حاجيات: «**قراءة لوثيقة محمد بن رحال حول المطالبة بالاصطلاحات 1891**»، آفاق وأفكار، جامعة الجزائر 2، ع 3، (جانفي-جوان 2012)، ص 53.

3- مريوش: **المرجع السابق**، ص 117.

4- قنان: **قضايا ودراسات**، ص 174.

5- **نفسه**، ص 176.

ضرورة استرجاع الممتلكات الجزائرية، ووقف المظالم الاستعمارية، وكان منطلق العرائض من مدينة الجزائر التي استقر بها العدو قبل توسعه في مناطق أخرى،[1] منها عرائض حمدان خوجة وأحمد بوضربة.

وعرفت العرائض تزايدا مستمرا بسبب التوسع الاستعماري، وكثرة الاعتداءات الفرنسية على الجزائريين والتي مست مختلف الجوانب الاقتصادية والدينية والثقافية مما جعل نخبة المدن تأخذ على عاتقها مهمة الدفاع عما تبقى للجزائريين بعد سقوط السلطة السياسية، ودلّت العرائض على تتبع الجزائريين لسياسة الاحتلال، ومحاولاتهم في مواجهته من خلال تشاورهم وتداولهم للقضايا المطروحة للحسم فيها لذلك ظهرت عرائض فردية وجماعية في مختلف مناطق الوطن.[2] ففي سنة 1833 بعث أعيان قسنطينة[3] عريضة إلى البرلمان الانجليزي حملت توقيع حوالي ألفين ومائتين وخمسين شخصا (2250)،[4] يطلبون منه التدخل للسهر على تطبيق حقوق الإنسان في الجزائر،[5] في محاولة منهم استخدام نوع من الضغط الدولي على السلطات الاستعمارية الفرنسية، واستعطاف انجلترا بتذكيرها أنها أرسلت مساعدات مالية إلى الهند لأجل تحرير العبيد بها احتراما لحقوق الإنسان، وبأن قنصلها كان وسيطا في اتفاق سنة 1830 الذي لم تحترم فرنسا بنوده،[6] وكانت لهجتها شديدة بتعديدها جرائم الاستعمار، وإعلان أصحابها بخضوعهم للسلطان العثماني وعدم استعدادهم «للخضوع للعدو الذي غدر بهم، وبدّل دينهم وافتكّ مساجدهم واستولى على صدقات فقرائهم، فالواجب يُحتّم عليهم محاربته».[7]

1- مريوش: **المرجع السابق**، ص 117.

2- **نفسه**، ص 117.

3- أرباب الأسر الكبيرة والفقهاء والأساتذة والعلماء ورؤساء سكان البادية. أنظر:

جمال قنان: **نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914**، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 77.

4- قنان: **قضايا ودراسات**، ص 163.

5- مريوش: **المرجع السابق**، ص 118.

6- نقلا عن قنان: **نصوص سياسية**، ص 77.

7- **نفسه**، ص 78.

وفي سنة 1834 كتب أعيان مدينة الجزائر عريضة موقعة من تسعة وعشرين (29) شخصا بتاريخ 13 سبتمبر 1834 تحتج على إهانة القضاء الإسلامي من قبل فرنسا وانتهاك ضباطها لحرمته،[1] وحينما سألت الإدارة الفرنسية القاضي عبد العزيز عن سبب كتابة العريضة رد عليهم بقوله:" إننا صبرنا على كل ضرر حتى على بيع عظام أمواتنا، ولكن لا نصبر على هتك حرمة الشرع"[2] مما يعطي العريضة الطابع النضالي للدفاع عن المقدسات الدينية.

وفي سنة 1860 قدّم بعض الجزائريين عريضة أخرى إلى الحكومة الفرنسية محتجين فيها ضد مشروع إنشاء حكم مدني في الجزائر، وتلتها عرائض أخرى تذكّر الإدارة الفرنسية بالتزاماها في اتفاق سنة 1830، وتطالب بوضع حد لسلطة الكولون،[3] منها عريضة أحمد ولد قاضي التي قدّمها سنة 1878 خلال زيارته لباريس حيث تضمنت الشروح الكافية عن سياسة فرنسا غير العادلة تجاه الأهالي في أموالهم ودينهم ومعتقداهم،[4] وعبّرت عن عدم ملاءمة القوانين الفرنسية للجزائريين لما فيها ضياع الحقوق لتوسط لتوسط اليهود السماسرة، وطول آجالها، وكثرة مصاريفها، وجهلهم بها،[5] وطالبت بالاهتمام بمصالح العرب أكثر من الأوربيين بحكم أغلبيتهم فهم يشكلون ثلاثة ملايين مقابل مائتين وعشرين ألف أوربي.[6]

وفي 10 جويلية 1887 كتب أهالي قسنطينة عريضة إلى أعضاء مجلس الشيوخ وأعضاء البرلمان الفرنسي، موقعة بألف وسبعمائة (1700) توقيع لمختلف الفئات السكانية كالمنتخبين، المدرسين، التجار، والمزارعين تتحدث باسم الجزائر ضد التجنس، مبرزين أن الجنسية تلغي قوانينهم ونظمهم وشريعتهم الإسلامية، وضد انتهاك حقوق القضاء الإسلامي، وطالبوا بتنظيم التعليم، وتعيين لجنة للتحري عن الوضع

1- تعود أسباب العريضة إلى قضية طلاق حكم خلالها قاضي المالكية عبد العزيز بتربص المرأة ثلاثة أشهر حسب الشرع، وفي اثناء المدة تنصرت وذهبت إلى صديق لها، فلما سمع القاضي طلبها لتكمل عدتها مع أولادها ولما دخلت المحكمة هجم بيليسيي (Pellissier) على المحكمة وأخذها بالقوة فاعتبرها القاضي هتكا لحرمة القضاء وإهانة للقاضي فاستقال من منصبه. للمزيد أنظر: **نفسه**، ص 75-76.

2- مريوش: **المرجع السابق**، ص 118.

3- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 173.

4- مريوش: **المرجع السابق**، ص 118.

5- قنان: **نصوص سياسية جزائرية**، ص 173.

6- **نفسه**، ص 176.

في العمالات الجزائرية.[1] وبهذه العريضة افتتح أعيان قسنطينة طريقة جديدة في النضال السياسي، وعبّروا عن وعي قومي عميق للرد على محاولات الاستعمار الإدماجية.[2]

وفي قسنطينة دائما جدّد السكان استياءهم من الإجحاف الذي يعانونه في عريضة إلى أعضاء مجلس الشيوخ والنواب سنة 1892 تحتج على كثرة الضرائب، وأعمال السخرة، مطالبةً ممثلين أهالي إلى باريس يعرفون جيّدا مطامح السكان، وناشدت فرنسا التي تحمل مبادئ الحرية والعدل والمدنية بألا ترفض مطالب الشعب الذي وضعه القدر تحت جناح وصايتها.[3] وفي جواب على مراسلة للجنة البرلمانية كتب القايد يحي شريف أحمد بن سليمان المستشار العام بعمالة قسنطينة في 28 جويلية 1891 عن الأضرار التي أصابت الجزائريين جرّاء قوانين التملك، وقانون الأسماء النسبية (الحالة المدنية 1882)، وأشغال السخرة، والمكوس مطالباً بتكثير المدارس، وتعليم اللغة العربية والفرنسية معا.[4]

وفي سنة 1891 كتب مجموعة من المستشارين البلديين الأهالي في عمالة قسنطينة عريضة إلى مجلس الشيوخ احتجت على وضع الأهالي الفقراء بسبب القوانين الفرنسية، وعلى حرمانهم من حق تملك أراضي الدومين، والسماح لغيرهم من المعمرين بذلك بموجب قانون 30 سبتمبر 1878،[5] كما تضمنت مطالب مطالب الدفاع عن اللغة العربية، وحق الجزائريين في تعلمها، ورفع القيود عن القضاء الإسلامي، وخُتمت العريضة بالتماس حول العدالة في دفع الضرائب، وحق التصويت في المجالس العامة ومجلس الشيوخ.[6]

و لم تشذ مناطق الجنوب والغرب عن ثقافة العرائض فحاول أهل الجنوب التعبير عما يعانونه من ضيم الاستعمار، وقوانينه التعسفية فكتبوا عريضة سنة 1882 إلى الحاكم العام لويس تيرمان (Louis Tirman) تضمنت المطالبة بتطوير أشجار النخيل، وحفر الآبار للمياه، وإحداث محطات لتسهيل التنقل

1- **نفسه**، ص ص 198-202.

2- الأشرف: **المرجع السابق**، ص 238.

3- قنان: **نصوص سياسية جزائرية**، ص 250-251.

4- يحي شريف أحمد: **جواب من القايد يحي شريف أحمد بن سليمان**، كونسيلي جنرال بعمالة قسنطينة الساكن بقصر الطير حكم سطيف، أجاب به رايس الكومسيون بباريس عن المسألة الجزائرية، مطبعة روكة، سطيف، 1891.

5- «**Pétition faite par un groupe de conseillers municipaux indigènes des communes de Oued-Seguin, Guettar el Aiech, Ain Smara**», Question Algérienne, imprimerie Georges Heim, Constantine, 1891, p 16-17.

6- ibid, p 47.

والسفر، وتسهيل التبادل التجاري، والعناية بأمور الديانة الإسلامية، ونشر التعليم، وتوفير الصحة.[1] وفي الغرب قدّم أعيان تلمسان عريضة إلى وزير الحربية في 7 أفريل 1891 ممضاة بـــ (11791) توقيع ترفض التجنس والخدمة العسكرية الإجبارية باعتبارهما ضد المبادئ الدينية الإسلامية، وتطالب برفع التعسف والظلم، وتحسين الوضع الاجتماعي، وتُذكّر بعريضة سنة 1887 لإعادة صلاحيات النظر في القضايا الشرعية إلى قضاة مسلمين.[2]

إن كثرة العرائض خلال القرن التاسع عشر تعكس حراكا سياسيا جزائريا مواكبا للتوسع الاستعماري حاول مواجهة السياسة التعسفية الاستعمارية، وتخفيف وطأها على المجتمع، فكانت هذه العرائض تمثل البداية الموفقة لتنظيم المجتمع الجزائري، والتأكيد على المطالب المشروعة الجامعة والموحدة للكثير من الأقاليم، وإذا كانت الإدارة الفرنسية لم تستجب لها مباشرة، فإنها وضعت المطالب حيّز الدراسة، بل وبدأت في الإمعان والبحث عن البدائل لها قبل فوات الأوان حيث أوفدت بعثة برلمانية إلى الجزائر سنة 1891 برئاسة جول فيري[3] (Jules Ferry) لدراسة الوضع في الجزائر، وتقصي الحقائق حول فحوى كثرة العرائض وكذا مرجعية اليقظة الجزائرية.[4] ويتضح مما سبق دور سكان المدن في مقاومة السياسة الاستعمارية برفض الإجراءات التي من شأنها أن تمس بأحوالهم الشخصية، وممتلكاتهم التي أقرها اتفاق سنة 1830، وتوثيق ذلك الرفض بعرائض ممضاة من مختلف فئات المجتمع تكس معاناته ورغباتهم.

4- الهجرة:

تعتبر الهجرة من جملة ردود الأفعال الجزائرية على السيطرة الفرنسية، وازدادت مع عمليات التوسع الاستعماري وما صاحبها من إبادة ومصادرة لأملاك الجزائريين، وبدأت حركة الهجرة منذ بداية الاحتلال،

1- مريوش: **المرجع السابق**، ص 120.

2- قنان: **نصوص سياسية جزائرية**، ص ص 211-214.

3- جول فيري ولد في 1832/04/05 بـــ سانت دي (Saint-die) سياسي فرنسي من أنصار الحركة التوسعية، تقلد عدة مناصب حكومية كوزير للتربية ورئيس للوزراء (1880-1881) و(1883-1885)، خدم سياسة فرنسا الاستعمارية فاحتل الفرنسيون في عهده تونس 1881، ومدغشقر 1885، وضع مشاريع لخدمة الاستيطان الثقافي الفرنسي بإصلاح التعليم في الجزائر وفق التوجه اللائكي، ترأس لجنة التحقيق التي أرسلها مجلس الشيوخ الفرنسي إلى الجزائر، توفي في 1893/03/17. أنظر: البعلبكي: **المرجع السابق**، ص 338. ومريوش: **المرجع السابق**، هامش 58، ص 135.

4- مريوش: **المرجع السابق**، ص 126.

وتمثلت في رحيل الداي حسين وحاشيته والانكشارية سنة 1830 وأعيان مدينة الجزائر وتلمسان وقسنطينة، وعرفت اشتدادا منذ سنة 1832 نحو المشرق العربي وغيره بعد التعسف الفرنسي والمجازر في عهد روفيقو كمذبحة العوفية مما دفع الجزائريين إلى ترك ديارهم بحثا عن ملاذ آمن.[1]

كما حمل عليها الاضطهاد الشخصي، والفقر، والاعتداء على الدين والحرمات كهدم المساجد، وضم الأوقاف، وعدم تعويض الأملاك المصادرة والتجهيل، وازدادت مع الاحتلال العنيف، وبعثرة السكان، وفرض الضرائب الثقيلة مما جعل الحياة مع العدو غير ممكنة، فكانت نحو المشرق والمغرب، بالإضافة إلى عمليات الطرد التي كانت سياسية كالمفتي مصطفى ابن الكبابطي سنة 1843، كما طُرد حمودة ابن الفكون[2] وأخيه سنة 1841 من قسنطينة إلى الاسكندرية[3] بتهمة التآمر على فرنسا.

فكانت الهجرة نتيجة حتمية للمواجهات العسكرية، وحرب الإبادة التي اعتمدتها القوات الاستعمارية، وللعقوبات والضرائب المفروضة على الأهالي، والتشريعات الاستعمارية بقصد إدماج الجزائر كلية في المنظومة التشريعية الفرنسية،[4] كما ساهمت الرسوم القضائية، والبطء الشديد في معالجة قضايا المسلمين من طرف قاضي السلام، والاحتجاج ضد مصادرة الأراضي والأسلحة النارية، وتعسف القياد والأعوان الإداريين[5] في مغادرة الجزائريين لبلادهم إلى البلاد الإسلامية.

ورغم تعدد أسباب الهجرة الدينية والسياسية والاقتصادية إلا أن العامل الديني[6] كان رئيسيا في التأثير على كل حركات الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي، لأن مبادئ الدين الإسلامي ترد مطلقا

1- عمار هلال: **الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847-1918**، دار هومه، الجزائر، 2007، ص 12.

2- حمودة بن الفكون ابن شيخ الإسلام محمد بن الفكون من عائلة توارثت العلم في قسنطينة، عُيّن شيخا للإسلام خلفا لوالدة بعد سقوط قسنطينة، وفي سنة 1841 اتهمه بيجو بالتآمر على الوجود الفرنسي ونفاه رفقة أخيه إلى الاسكندرية. أنظر: سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ص 301-302.

3- **نفسه**، ص 301-302.

4- نادية طرشون: «**هجرة أهالي تلمسان 1911 من خلال الصحافة ولجان التحقيق الفرنسية**»، مجلة الدراسات التاريخية، ع 13، جامعة الجزائر2، (2011)، ص 175.

5- نور الدين ثنيو: «**هجرة الجزائريين إلى المشرق العربي بين السياسة والدين 1848-1912**»، من محاضرة ألقيت في الملتقى العلمي الأول سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر، جامعة منتوري، قسنطينة، (ماي 2011)، ص 101.

6- ذكر تقرير لوسياني (Luciani) الذي شغل منصب مدير شؤون الأهالي بعد الحرب العالمية الأولى أنه رغم وجود دوافع شتى للهجرة إلا أنه في نهاية المطاف يبقى العامل الديني هو السبب الرئيسي، ويقول أن الجزائريين يطلقون على هذه الحركة اسم الهجرة كما هي ماثلة في مخيلتهم التاريخية هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة. أنظر: **نفسه**، هامش 1، ص 102.

إخضاع المسلمين كرها إلى أية قوة كانت أجنبية أو غيرها بصفة مؤقتة أو دائمة، وبناءً على ذلك عندما تأكد الجزائريون من عدم هزم فرنسا التي احتلتهم بالقوة استقر رأيهم على ترك البلاد "اللعينة" التي داسها المستعمرون الفرنسيون، ودنسوا مقدساتها، وانتهكوا حرماتها.[1] فكانت القطيعة مع البلاد وهي تحت المستعمِر غَذّتها العقيدة والإحساس بالحرية بعكس الهجرة إلى فرنسا التي كانت لدواعي اقتصادية معيشية قام بها شباب وأرباب عائلات بنيّة العودة إلى بلادهم،[2] فظاهرة الهجرة التي قام بها كثير من الجزائريين في عهد الاحتلال هي دليل أكيد على أن الأساس الديني هو الدافع الأساسي لرفض البقاء تحت حكم الكافر الفرنسي، فأغلب الذين هاجروا من المناطق التي سقطت تحت حكم الفرنسيين برّروا ذلك بقولهم حتى لا تجري علينا أحكام الكفار، ولا تكون لهم علينا سيادة وسلطة.[3]

ولذلك ظهرت فكرة الهجرة الجماعية عند العلماء ورجال الدين، وحتى عند الأمير عبد القادر، وهي دعوة الناس إلى الخروج من الجزائر كلية مادام الكافر قد تغلب عليها قياسا على هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ورغم أن هذه الدعوة لم يؤيدها كل العلماء[4] فقد أثرت على بعض الناس وتسببت في هجرات عديدة،[5] وكان الأمير عبد القادر حصل على فتاوى بالهجرة من رجال الدين الجزائريين، وفي طليعتهم الشيخ محمد المهدي السكلاوي شيخ الطريقة الرحمانية الذي هاجر إلى دمشق، واستطاع أن يبعث بمفرده عشرات العائلات الجزائرية إلى سوريا عندما أبدت فرنسا نواياها واضحة في احتلال بلاد القبائل.[6]

القبائل.[6]

1- هلال: **المرجع السابق**، ص 13-14.

2- طرشون: **المرجع السابق**، ص 175-176.

3- خيثر: **المرجع السابق**، ص 27.

4- رأى البعض وجوب الهجرة من الجزائر بعد سيطرة الكفار عليها فهي دار حرب منهم الأمير عبد القادر وبعض شيوخ الصوفية كمحمد المهدي السكلاوي بينما رأى البعض الآخر ضرورة البقاء للدفاع عن الدين كمصطفى ابن الكبابطي، وأشار بلهاشمي بن بكار مفتي معسكر إلى أن حكم الهجرة من بلد تُقام فيه شعائر الإسلام إلى بلد آخر أفضل منه الندب والاستحباب، وأورد فتوى توجب البقاء للدفاع عن الدين وتقوية سواعد المسلمين. أنظر: بلهاشمي بن بكار: **كتاب مجموع النسب والحسب الفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب**، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1961، ص 135-136.

5- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ص 242.

6- سهيل الخالدي: **الإشعاع المغربي في المشرق، دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام**، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 40.

وعلى هذا الأساس تجسّد الهجرة أسلوبا من أساليب المقاومة السياسية بعد الاعتداءات الفرنسية على حرمات المساجد والمؤسسات الخيرية والقضاء الإسلامي وغيرها،[1] وتجلّت كمظاهرات بعد إخفاق الثورات الكبرى باتجاه البلاد الإسلامية الحرة، فما كانت جموع الجزائريين تعتقد أنه قد حكم عليها بالحياة الشقية الذليلة تحت نير الاستعمار الفرنسي الفظيع حتى أخذت تغادر البلاد جماعات فسار بعضها إلى تونس، الاسكندرية، وبلاد الشام،[2] متوجهة إلى دار الإسلام كنوع من الطهارة بعد الخروج من الجزائر التي غلب عليها المستعمِر.[3] ففي سنة 1861 هاجرت قبائل كاملة في القطاع القسنطيني إلى دار الإسلام (تونس وسوريا) لكي لا تتعرض للضغوطات الناجمة عن التوسع الاستعماري، وهذا النوع من التظاهر (الانتفاضة) يندرج ضمن مقاومة الشعب الجزائري للتوغل الفرنسي.[4]

ومنذ عهد بيجو أصبحت الهجرة همًا سياسيا يدخل في أدبيات الرفض المطلق للسيطرة الاستعمارية، ويعبّر عن استحالة التعايش معها، فالهجرة لم تكن غاية في حد ذاتها وإنما وسيلة للتعبير عن موقف سياسي لشعب مضطهد بعد العجز العسكري يهدف من ورائه إلى المحافظة على الدين والدنيا، وما لبث الشعور الديني عند الجزائريين الذين هاجروا أن امتزج بإحساس سياسي فتح أعينهم عل الأحداث التي تدور حولهم، وعلى الواقع المر الذي عاشوه في ديارهم وغربتهم، وكرد فعل ضد الاستعمار الفرنسي الذي تسبب في مآسيهم شكّل المهاجرون الجزائريون في سوريا، لبنان، وفلسطين تجمعات معادية للسياسة الاستعمارية الفرنسية، ونددّوا بها كلاما وكتابة.[5]

ويذكر عمار هلال أن شخصية الأمير عبد القادر أثّرت في حركة الهجرة إلى الشام، وأن أحد خلفائه وهو أحمد بن سالم الذي استقر بدمشق منذ سنة 1847 وجّه نداءً إلى سكان مدينة دلس وذراع الميزان وصور الغزلان ليلتحقوا به فاستجاب له (160) شخص، وعندما نزلوا في بيروت أعلنوا أنهم قد

1- قنان: **قضايا ودراسات**، ص 164.

2- المدني: **المرجع السابق**، ص 157-158.

3- Nouschi: **op-cit,** p 18 .

4- **ibid**, p 16 .

5- هلال: **المرجع السابق**، ص 15.

تنازلوا عن كل ما يربطهم بفرنسا عرفا وقانونا، ويرغبون في الدخول في حوزة الدولة العثمانية.[1] فالهجرة إلى المشرق العربي تعبر عن تواصل طبيعي بين الجزائر والبلاد العربية الإسلامية، فالجزائري لا يجد الأمن والاطمئنان النفسي والروحي إلا في بلاد تربطه بها رابطة الدين واللغة والتقاليد.[2]

أدى تفاقم أمر الهجرة الجزائرية إلى تخوف السلطات الفرنسية من الفضيحة الدولية، ومن اضطراب الجزائر وخلوها من السكان بسبب أعمال الإبادة المسلطة عليهم وعلى معتقداتهم الدينية وهويتهم اللغوية، فلجأت إلى توظيف رجال الدين في الجزائر والعالم الإسلامي لوقف الهجرة والجهاد، فدفعت بليون روش[3] (Léon Roches) إلى القيروان الأزهر ومكة، وجاء بفتوى أعدها مسبقا مصالح المخابرات الفرنسية تقول لا للهجرة، ولا لحمل السلاح في وجه الكفار ما داموا لم يتعرضوا للدين بالأذى، ومادام المسلمون عاجزون عن إخراجهم بالقوة،[4] فهي تبيح لمسلمي الجزائر العيش تحت الحكم الفرنسي المسيحي، وتدعو لترك الجهاد معتمدة على آراء علماء المراكز الدينية المسموعة، والتي لها تأثير في نفوس الجزائريين،[5] وهذا ما يدل على الدور الخطير للهجرة الجزائرية وتأثيره على السياسة الاستعمارية محليا ودوليا.

وبقيت الهجرة الجزائرية متواصلة طيلة القرن التاسع عشر تعبّر عن رفض الجزائريين التعايش مع النظام الاستعماري، وتحولت إلى مظهر للصراع بين الطرفين حيث صمّمت الإدارة الاستعمارية الفرنسية على إخمادها بكل الوسائل كمراقبة الحدود، ومنع منح جوازات السفر لطالبيها من الجزائريين لكنها أذكتها في نفوسهم،[6] ولما اشتدت الهجرة في أواخر القرن التاسع عشر طلب جول كامبون[7] (Jules Cambon)

1- **نفسه**، ص 20-21.

2- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ص 302.

3- Léon Roches ولد في 27 سبتمبر 1809 في غرونوبل بفرنسا، شارك والده في الحملة الفرنسية على الجزائر ولما استوطن فيها دعا ولده للالتحاق به فحل بالجزائر سنة 1832 وتعلم اللغة العربية، وتولى الترجمة، التحق سنة 1837 في خدمة الأمير عبد القادر متجسسا، وأعلن إسلامه وسمي بعمر وأصبح أحد كتابه الخاصين، وفي سنة 1839 هرب بعد أن عرف أسرار الأمير، أرسله بيجو في مهمة إلى مكة سنة 1841 للحصول على فتوى توقف الجهاد في الجزائر، تولى قنصلية فرنسا في تونس والمغرب واليابان، له كتاب اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام، توفي سنة 1901. أنظر: ليون روش: **اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام**، تر: محمد خير محمود البقاعي، ط1، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2011، ص ص 12-14.

4- الخالدي: المرجع السابق، ص 8. وأنظر أيضا: يوسف مناصرية: **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص 41.

5- روش: **المرجع السابق**، ص 21.

6- هلال: **المرجع السابق**، ص 58-59.

7- Jules Martin Cambon حاكم عام الجزائر بين 1891-1897، عين بعدها سفيرا في واشنطن، حاول إخماد الهجرة والتوسع في الصحراء.

Cambon) حاكم الجزائر العام من مفتي مكة سنة 1893 أن يبعث له بفتوى[1] تقضي بمنع هجرة المسلمين من الجزائر، وتسمح لهم بالعيش تحت سلطة المسيحيين.[2] كما لجأت الإدارة الاستعمارية لوقف هذا النوع من المقاومة السياسية (الهجرة) إلى أمر الأئمة الجزائريين أن يفتوا للناس أنه لا مانع أن يسكن المسلم أرضا محتلة من طرف الكفار، ولا مانع أن يتعامل ويبيع المسلم، ويشتري مع الكافر، ولا مانع أن يسكن بجواره.[3] كنوع من التهدئة لمواقف الجزائريين، ومحاولة للحد من تأثير أفكار النهضة التي كان يعيشها المشرق العربي خاصة بعد تدخل الدولة العثمانية وتشجيعها لهجرة الجزائريين إلى ممتلكاتها في الشام عن طريق تأسيس مكتب أُوكلت له مهمة تهجير الجزائريين أو إيفاد دعاة ومبعوثين إلى الجزائر لحث السكان على الهجرة.[4]

وتحولت الهجرة الجزائرية إلى نقطة خلاف بين الحكومة العثمانية التي تعمل على تشجيعها، وفرنسا التي تسعى لإخمادها في إطار الصراع الدولي القائم آنذاك، وهذا المناخ هو الذي جعل الهجرة نحو المشرق تأتي أكلها في شكل حركات سياسية، ونوادٍ ثقافية، وأدوار قيادية، صلات وتواصل مع الوطن.[5]

1- جاء طلب الفتوى بعد كثرة الهجرة إلى سوريا سنة 1893 خاصة من قسنطينة، وكانت خلاصتها أنه إذا سقط بلد في أيدي الكفار يبقى دار إسلام وليس دار حرب إذا سمح الكفار للمسلمين بتطبيق شعائرهم الدينية. للمزيد حول الفتوى أنظر:

Octave Depont, Xavier Coppolani: **Les confréries religieuses musulmanes**, typographie et Lithographie Adolphe Jourdan, imprimeur-libraire-éditeur, Alger, 1897, p 43-35 .

2- مناصرية: **المرجع السابق**، هامش 107، ص 77.

3- هلال: **المرجع السابق**، ص 64.

4- **نفسه**، ص 18.

5- الخالدي: **المرجع السابق**، ص 10.

الفصل الأول

I- مفهوم الفكر

II- عوامل ظهور الفكر السياسي في الجزائر (1900-1925)

1- العوامل الداخلية

1-1- بروز النخبة

أ- مفهوم النخبة

ب- أصناف النخبة

ج- أبرز أعلام النخبة

1-2- نمط التعليم

- نشر التعليم الفرنسي

- أهداف نشر التعليم الفرنسي

- استمرار التعليم العربي

1-3- توقف المقاومة المسلحة والتوسع الاستعماري

1-4- السياسة الاستعمارية

2- العوامل الخارجية

2-1- نهضة المشرق العربي وإفادة المهاجرين الجزائريين منها

2-2- حركة الجامعة الإسلامية

2-3- الصحافة العربية

2-4- زيارة محمد عبده وتأثيراتها

III- وسائل الفكر السياسي في الجزائر

1- الصحافة

2- الجمعيات والنوادي

3- العرائض

عرفت الجزائر طيلة القرن التاسع عشر فكر المقاومة ضد المحتل منذ الوهلة الأولى لدخوله متخذا الشكل السياسي والعسكري مع انتشار واسع للشكل الثاني في كامل أنحاء البلاد لمواجهة التوسع الاستعماري، فكل عمل لصالح الدفاع عن الوطن يأخذ الطبيعة السياسية، ويعبّر عن فكر سياسي بغض النظر عن أسلوبه، ومع بداية القرن العشرين شهدت الجزائر تحولا في أساليب المواجهة أمام ضغط القوة العسكرية الفرنسية، وأساليب قمعها التي شملت الجانب العسكري والاقتصادي والاجتماعي والثقافي من خلال حرب الإبادة ضد الجزائريين ومصادرة أراضيهم، ونقل ملكيتها للأوربيين، وإجبار الجزائريين إلى الهجرة إلى المناطق النائية أو الخارج هروبا من القوانين التعسفية وحفاظا على دينهم وهويتهم.

وهذا القمع أدى لإضعاف المقاومة الوطنية، وإفشال ثوراتها عسكريا وماديا مع بقاء روح الرفض للوجود الاستعماري، فانتقلت الجزائر إلى مرحلة جديدة في نضالها تحاول فيها مواجهة السياسة الاستعمارية، والتعبير عن صوت الجزائريين بطريقة سياسية قادتها النخبة الفكرية الجزائرية على اختلاف مشاربها الإيديولوجية، مما أنتج ملامح فكرٍ سياسي جزائري في الربع الأول من القرن العشرين شكّل مرحلة انتقالية بين المقاومة العسكرية خلال القرن التاسع عشر، وبين نشوء العمل السياسي الحزبي المنظم خلال الربع الثاني من القرن العشرين، وكانت ملامح هذا الفكر بدأت تلوح في الأفق منذ نهاية القرن التاسع عشر مستفيدة من مستجدات وتطورات هذه الفترة محليا وخارجيا.

I- مفهوم الفكر:

هو جملة الآراء والأفكار التي يعبّر بواسطتها شعب ما عن مشاكله واهتماماته، وعن مثله الأخلاقية، ومعتقداته المذهبية وطموحاته السياسية والاجتماعية، وأيضا عن رؤيته للإنسان والعالم، والفكر بهذا المعنى هو الإيديولوجيا بمعناها الواسع العام الذي يمثل الفكر السياسي والاجتماعي والفني والفلسفي والديني،[1] فهو يعكس عقيدة المجتمع أو فئة منه في نظرتها إلى مختلف مجالات الحياة. والإيديولوجيا مصطلح لاتيني الأصل ظهر في مطلع القرن التاسع عشر يعني علم الأفكار، أي مجموعة الأفكار والمعتقدات التي تسود مجتمعا بفعل الظروف الاقتصادية والسياسية القائمة، ويعرفها علماء

1- محمد عابد الجابري: **إشكاليات الفكر العربي المعاصر**، م. د. و. ع، ط 2، بيروت، لبنان، 1990، ص 51.

الاجتماع أنها أسلوب التفكير،[1] ويتكون هذا الأسلوب من تراكم جملة من المبادئ والمفاهيم والآليات تنتظم وتترسخ في ذهن الطفل الصغير منذ ابتداء تفتحه على الحياة لتشكل فيما بعد العقل الذي يفكر به، أي الجهاز الذي به يفهم ويُؤَوّل ويحاكم ويعترض.[2]

كما أن الإيديولوجيا هي ناتج عملية تكوين نسق فكري عام يحدد موقفا فكريا وعمليا معينا لمعتنق هذا النسق الذي يربط ويُكامل بين الأفكار في مختلف الميادين الفكرية والسياسية والأخلاقية والفلسفية.[3] كما تشير الإيديولوجيا إلى مجموعة متماسكة من الأفكار والمبادئ التي تقدم لنا دليلا للعمل وفق هذه الأفكار التي يعتنقها مجموعة من الأفراد، وتشكل إيديولوجية كل جماعة بيئتها الجغرافية والاجتماعية، ومعتقداتها السياسية، ونواحي نشاطها.[4] وعلى أساس هذا التجانس الفكري بين كل فئة من فئات المجتمع تتشكل التوجهات والتيارات الفكرية، وتتمايز عن بعضها البعض في الرؤى في مختلف القضايا.وفي الوطن العربي بدأت الإيديولوجيا مع اليقظة العربية الحديثة، وبالخصوص مع سلفية الأفغاني[5] ومحمد عبده،[6] وعلمانية بطرس البستاني،[7] وعروبة الكواكبي[8] وغيره مع أواخر القرن

1- عبد الوهاب الكيالي: **موسوعة السياسة**، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، بـــ تـــ، ص 421.

2- الجابري: **المرجع السابق**: ص 51.

3- الكيالي: **المرجع السابق**: ص 422.

4- اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: **الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية**، د تـــ، ص 66.

5- ولد في أسعد أباد في بلاد الأفغان سنة 1838، بدأ تعلمه في سن الثامنة واستكمله في الثامنة عشر فدرس العلوم العربية والشرعية والعقلية والفنية ثم سافر إلى الهند وتعلم شيئا من العلوم الأوربية، ثم قصد الحجاز وأدى فريضة الحج سنة 1857 وعاد إلى بلاد الأفغان ودخل في خدمة الأمير محمد خان، وبعد تنقل بين الهند ومصر قصد الأستانة سنة 1870 وسمي عضوا في مجلس المعارف لكنه غادرها تحت مضايقات خصومه فقصد مصر للمرة الثانية سنة 1871 أين التف حوله الناس وأخذوا عنه مختلف العلوم، وحث تلاميذه على الكتابة فأحدث نهضة فكرية تسببت في إخراجه من مصر سنة 1879 فانتقل إلى حيدر أباد ثم كلكوتا، وفي سنة 1873 قصد أوربا واستقر في باريس التي أصدر فيها مع تلميذه محمد عبده جريدة العروة الوثقى وبقي متنقلا بين بلاد فارس وروسيا وأوربا إلى أن استقر في الأستانة سنة 1892 حتى وافاه الأجل بها سنة 1897. للمزيد أنظر: عبد الرحمان الرافعي: **جمال الدين الأفغاني باعث نهضة الشرق 1838-1897**، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، بـــ تـــ.

6- محمد عبده (1849-1905) مصلح ديني مصري، من كبار الدعاة إلى التجديد في العالم الإسلامي، مفتي الديار المصرية سنة 1899، أصدر مع جمال الدين الأفغاني مجلة العروة الوثقى في باريس لمحاربة الاستعمار، أشهر آثاره: رسالة التوحيد، شرح نهج البلاغة. أنظر: البعلبكي: **المرجع السابق**، ص 420.

7- بطرس البستاني (1819-1883) لغوي وموسوعي وصحفي لبناني، أحد أبرز وجوه النهضة العربية الحديثة، من آثاره: "محيط المحيط"، "دائرة المعارف". أنظر: **نفسه**، ص 105.

8- عبد الرحمان الكواكبي (1849-1902) مفكر سوري ، أصدر جريدة الشهباء ثم الاعتدال، ارتحل إلى مصر واتصل بجمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده للعمل من أجل قضية التحرير والاصلاح، له كتابين شهيرين هما "أم القرى" و"طبائع الاستبداد". أنظر: **نفسه**، ص 380.

الماضي إذ ظهرت اتجاهات فكرية إيديولوجية جديدة لم يعهد الفكر العربي مثلها من قبل،[1] وبما أن الفكر العربي يتسع لكل ما ينتجه العرب من أفكار أو ما يستهلكونه منها في عملية التعبير عن أحوالهم وطموحاتهم،[2] فإن الفكر الجزائري يتسع لكل ما ينتجه الجزائريون من أفكار، أو ما يستهلكونه منها في عملية التعبير عن أحوالهم وطموحاتهم، فالفكر السياسي الجزائري في فترة الدراسة يعكس الرؤى السياسية للنخبة الجزائرية كلٌ حسب تكوينها الإيديولوجي لمختلف القضايا التي تهم المجتمع الجزائري.

II- عوامل ظهور الفكر السياسي في الجزائر (1900-1925):

ساهمت عدة عوامل في تغير أساليب النضال، وتشكل الفكر السياسي الجزائري منها ما هو مرتبط بالوضع الداخلي، منها ما له علاقة بالمحيط الخارجي الذي لم تكن الجزائر بعزل عنه.

1- العوامل الداخلية:

أثرت السياسة الاستعمارية الفرنسية بإجراءاتها في مختلف المجالات على المجتمع الجزائري، وشكّلت هذه التأثيرات عوامل لظهور فكر سياسي بديل للمقاومة المسلحة، حيث أخذ سكان المدن دورهم في مواجهة السياسة الاستعمارية.

1_1- بروز النخبة:

عرفت الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر ظهور فئة مميزة في المجتمع ذات مكانة معتبرة حققتها بفضل أصولها الاجتماعية والدينية وتعليمها، فبرزت كزعامات غير مفوضة باسم الشعب لكنها استطاعت محاورة النظام الاستعماري في القضايا التي تهم المجتمع الجزائري وفق رؤاها.

أ- مفهوم النخبة:

لقد تردد كثيرا مصطلح النخبة في الفكر السياسي المعاصر لما كان لها من تأثير على الأحداث السياسية والثقافية والاجتماعية التي عرفها العالم خاص قارة أوربا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وهي مرادفة لمعنى الصفوة في المجتمع، وتعني في معناها العام كل من يخاطبون الناس سواء في

1- الجابري: **المرجع السابق**، ص 176.

2- **نفسه**، ص 51.

أجهزة الإعلام المسموعة أو المرئية، أو في الصحف والمجلات، أو الكتّاب الذين يفضلون تقديم حججهم في كتب خاصة،[1] فالنخبة هي تلك الأقلية داخل المجتمع التي تمارس نفوذا متنوعا، على أن تكون هذه الأقلية تتميز بالتفوق،[2] فهي تتمتع بخصال تميزها عن باقي أفراد المجتمع أهمها المستوى الثقافي والعلمي والمكانة الاجتماعية مما يؤهلها لأن تمثل الجماهير وتتحدث باسمها.

و لم تشذ الجزائر عن تداول هذا المصطلح في مطلع القرن العشرين حيث بدأت تُسمع أصوات شيئا فشيئا تعبر عن وجود نخبة جديدة من المتطورين المسلمين المعاصرين، بدأوا يلفظون التذمر الذي يعيشه الرأي العام المسلم وهو في عمقه صدى التقاليد الإسلامية في الأوساط المثقفة الجزائرية والطبقات الشعبية[3]. لكن غالبية الدراسات تحصر النخبة في الجزائريين المثقفين بالثقافة الفرنسية وتمنحها أولوية تمثيل الجزائريين مع إقصاء المثقفين بالثقافة العربية الإسلامية كنوع من التمييز والحط من قيمة تكوين الفئة الثانية، فالصحافة الفرنسية بجميع أشكالها وألوانها هي التي أطلقت اسم "النخبة" على جماعة من الناس تمييزا لهم عن بقية أفراد المجتمع، وذلك تشجيعا لهم لمواصلة السير في طريق الإدماج والمطالبة بالجنسية الفرنسية، لأنهم الوحيدون القادرون على التأثير على زملائهم وإخوانهم كونهم يملكون قوة فكرية وثقافية تجعلهم في الصف الأول من المجتمع بل وفي طليعته.[4]

ويرى المستعرب الفرنسي جورج مارسي (George Marçais)[5] مدير المدرسة الجزائرية الإسلامية بتلمسان أن النخبة تتصف بصفات أوربية معينة، وهي مُكوَّنة من بعض المحامين والأطباء الأشراف والصحفيين والمدرسين الابتدائيين، وهي المتشبعة بالثقافة العربية دون أن تكون منغلقة دون

1- ادوارد سعيد: **المثقف والسلطة**، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، 2006، ص 13.

2- عميراوي: **المرجع السابق**، ص 99.

3-Charles robert Ageron :**Les Algériens musulmans et la France 1871-1919**, t 2, edif, Alger , 2000, p 1025.

4- ابراهيم مهديد: «**النخبة التلمسانية ودورها الثقافي والسياسي والاجتماعي من نهاية القرن التاسع عشر إلى نهاية الحرب العالمية الأولى**»، أفاق وأفكار، ع3، جامعة الجزائر-2، (جانفي-جوان 2012)، ص 186.

5- جورج مارسي (1876-1928) مستشرق فرنسي، معلم بمدرسة تلمسان.

التكوين الفرنسي، وهي على معرفة حميمية بما أنجزه كُتّاب عصرها الذهبي دون أن تجهل ما أنتجه مؤلفو فرنسا من الأعمال الممتازة.[1]

فالنخبة (Elite) أو المثقفين (Intellectuels) أو المتطورين (Evolués)[2] تعني كل الذين درسوا وتعلّموا في المدارس الفرنسية، وتأثروا بالثقافة الأوربية، وانبهروا بمظاهرها واقتنعوا بقوة فرنسا، واعتبروها صاحبة الحق الشرعي في الجزائر خلافا للنخبة التقليدية التي حافظت على انتمائها الحضاري، واستمرت في اتصالها بالمدارس العربية الإسلامية.[3] ويعرّفها أحد أعضائها بأنها ذلك الشباب الناشئ في الجامعات الفرنسية، والذين استطاعوا بفضل عملهم أن يرتفعوا فوق العامة، ويتموقعوا في الجزائر حاملين الحضارة عن جدارة،[4] ويتفق مع هذا التعريف محمد الأمين بلغيث الذي يرى بأنهم أولئك الذين تمتّعوا بحظ من التعليم في المدارس الفرنسية وشكّلوا ما يُعرف في أدبيات التاريخ الجزائري المعاصر بالشبان الجزائريين، وغالبيتهم العظمى من الطلبة الفرانكفونيين الاندماجيين، وهم فئة هجينة إذ لا يمكن اعتبارهم في آخر المطاف لا جزائريين بالمفهوم الشامل ولا فرنسيين.[5]

وقد ارتبط مفهوم النخبة بظهور حركة الشبان الجزائريين الذين حاولوا أن يلعبوا دورا مهما في المجتمع بفضل ثقافتهم الفرنسية، فهم خريجو المدارس الفرنسية، ومُشَكَّلين بعمق على الطريقة الفرنسية، يلبسون المظهر الأوربي، وكان همّهم رفع مستوى الشعب في التعليم الذي نهلوا منه،[6] يعود تاريخ ظهورهم إلى سنة 1892 عندما حضر بعضهم أمام جول فيري (Jules Ferry) أثناء زيارته للجزائر وتحادثوا معه حول مشاكلهم،[7] حيث تفاجأ برؤية جزائري بسترة طويلة يخاطبه بالفرنسية، وهو

1- شريف بن حبيلس: **الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي**، تر: عبد الله حمادي، وسيلة بوسيس، فيصل الأحمر، ط1، بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2009، ص 8.

2- ظهر تعبير المتطورين لأول مرة في جريدة El Hack العنابية الصادرة سنتي 1893 و1894.أنظر:

Gilbert Meynier: **l'Algérie révélée.la guerre de 1914-1918 et le premier quart du xx siècle**, édition EL Maarifa, 2010, p 217.

3- عبد القادر حلوش: **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، ط1، دار الأمة، الجزائر، 1999، ص 251.

4- بن حبيلس: **المرجع السابق**، ص 93.

5- محمد الأمين بلغيث: **تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق جديدة وصور نادرة تنشر لأول مرة**، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 141.

6- Meynier: **op-cit**, p 217.

7- Ageron: **Les Algériens musulmans**, t 2, p 1030.

الدكتور مرسلي من القطاع القسنطيني،[1] فسجّل جول فيري على دفتره عبارة «حزب الشبان»،[2] فكان هؤلاء الشبان يجسّدون النخبة التحديثية للجزائر بإلهام فرنسي، فالبصمة الثقافية والأخلاقية لفرنسا شكّلت الشبان الجزائريين، لائكيين يميلون إلى الاندماج، هذه الحركة دخلت المدرسة الجمهورية والعقلية الفرنسية، وعاشت ممزقة مُقتلعةً من وطنها الأصلي لأن ضغط الوسط أجبرها على نوع من الانقسام.[3]

ذلك أن الحضارة الفرنسية مارست جذبا لهذه الفئة عن طريق التعليم الذي كان يُقدم باللغة الفرنسية مما جعل سحر الثقافة الفرنسية يغزو بسهولة عقولاً شابةً ونشطةً، فنخبة الجيل المسلم الجديد شُيِّدت وكبرت تحت تأثير (إحسان) التعليم الفرنسي.[4] ويقول أحمد محساس[5] أنهم كانوا من أوائل ضحايا الاستلاب الاستعماري لأنهم لم يعودوا جزائريين أصلا، كما أنهم لم يصبحوا فرنسيين كاملي الحقوق، لذا مهما كان حسن نواياهم فقد ظلوا عاجزين عن التوفيق بين نقيضين الاستعمار والشعب الجزائري، ولو كانوا أنفسهم ثمرة هذا التناقض رغما عنهم.[6]

بينما يرى عبد الحميد زوزو أن عنوان النخبة ينضوي تحته كل الواعين من الجزائريين على اختلاف ثقافاتهم ومشاربهم، وتباين انتماءاتهم وتوجهاتهم، وتنوع مواقفهم وطموحاتهم، وتعدد وظائفهم ومهنهم، وهي تضم الفئة الممارسة للنيابات البلدية والمهن الحرة، والتي تسمي نفسها أو أُطلق عليها اسم الشبان الجزائريين،[7] فلا يجب حصر فئات الطبقة المثقفة واصطفاء دورها في نخبة كانت نتاج الثقافة

1- Meynier: **op-cit**, p 217.

2-Charles robert Ageron: «**Jules Ferry et la question Algérienne en 1892** R.H.M.C,t x,(avril-jui 1963),p 129-130.

3- Ageron: **Les Algériens musulmans**, t 2, p 1053.

4-Philippe Millet: «**Les Jeunes Algériens**», R.P, t 6, (novembre-décembre 1913), Paris,1913, p 164-165.

5- أحمد محساس ولد في 1923/11/17 في بودواو ببومرداس لأسرة فلاحية، لم يكمل دراسته فاشتغل كبائع لصحف الحركة الوطني كالأمة ثم اشتغل في معمل تعاونية التبغ سنة 1940 وشارك في إضراب العمال فسجن وانخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري، عُين بعد سنة 1945 عضوا في اللجنة المركزية لحزب الشعب ثم قائد لولاية قسنطينة، اعتقل سنة 1950 وحُكم عليه بخمس سنوات لكنه هرب بعد سنتين من سجن المدية، عارض نتائج مؤتمر الصومام وأُوقف في تونس لكنه فر إلى ألمانيا، بعد الاستقلال عين وزيرا للثقافة، له عدة مؤلفات منها "أفكار عن الوحدة العربية وآفاقها"، "التسيير الذاتي"، "الجزائر الديمقراطية والثورة"، "الحركة الثورية في الجزائر". أنظر: الطاهر جبلي: **شبكة الدعم اللوجيستيكي للثورة التحريرية 1954-1962**، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة تلمسان، (2009/2008)، ص 384-385.

6-أحمد مهساس: **الحركة الثورية في الجزائر 1914-1954**، ط خ، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص 43.

7- عبد الحميد زوزو: **الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية**، ج 1، دار هوما، الجزائر، 2012، ص 22.

الفرنسية المحضة، والتي مثّلت التيار الليبرالي لمطالب الجزائريين لاحقا، فرفقة ذلك هناك صنف مثقف ومتشبع بالثقافة العربية الإسلامية أو مزدوجي اللغة تتمثل في عناصر وأطر واعية قادت حركة النهضة في الغرب الجزائري منذ نهاية القرن التاسع عشر،[1] وكان لها دور بارز في تمثيل الجزائريين والتعبير عن انشغالاتهم خاصة المتعلقة بالتعليم والهوية.

فالنهضة من ناحية فكرية ارتكزت على نخبة (انتليجانسيا intelligentsia)[2] حضرية انحدرت من طبقة برجوازية من المدن، ومن علماء ومثقفين تقليديين انحدروا هم الآخرون من ارستقراطية ريفية تمثلت في الزوايا والمعاهد العلمية والمدارس القرآنية،[3] وكان لكل فئة مساهمتها في الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية، والفرق بينها كان في الأصول والرأي والجدارة بالاحترام.[4]

ب– أصناف النخبة:

إذا كانت النخبة هي الفئة المثقفة في المجتمع والقادرة على التحدث باسمه فإنها غير متجانسة في عملها تبعا لأصولها الاجتماعية والدينية وتكوينها الثقافي، ولذلك تصنّف إلى قسمين رئيسيين:

* **النخبة المحافظة**: موجودة قبل الاحتلال الفرنسي مرتبطة بمصادر إلهامها وتكوينها المتمثلة في الثقافة العربية والإسلامية وما تختزنه من تراث فكري وأدبي يربطها بالوطن العربي، وتضم المثقفين التقليديين أو العلماء، والمحاربين القدماء، وزعماء الدين، وبعض الإقطاعيين والمرابطين وقد كان بعض هؤلاء معلمين وممثلين نيابيين معينين تعيينا، ومصلحين يؤمنون بالجامعة الإسلامية[5] وصحفيين.[6] تكونوا في المدارس

1- مهديد: «**النخبة التلمسانية ودورها الثقافي والسياسي والاجتماعي...**»، ص 185.

2- مصطلح أُطلق على مثقفي روسيا خاصة، ظهر في نهاية القرن 19م ويعني المثقفين في المجتمع، (رجال الفكر والفن والأطباء والمعلمون والمحامون والنقاد والروائيون والثوريون الذين يتميزون بقوتهم الايديولوجية والسياسية، وفي بلدان العالم الثالث تقوم الانتليجانسيا بدور أساسي في حركة التحرر القومي ونشر الوعي. أنظر: عبد الكافي: المرجع السابق، ص 60. والكيالي: المرجع السابق، ص 348.

3- ابراهيم مهديد: «**الصراع حول الهوية والانتماء العربي الإسلامي من خلال الصحافة الجزائرية–جريدة الحق الوهراني أنموذجا(1911–1912)**»، عصور، ع6-7، جامعة وهران، (جوان–ديسمبر 2005)، ص 8.

4- Ageron: **Les Algériens musulmans**, t 2, p 824.

5- حركة تدعو إلى تضامن المسلمين من أجل تحقيق الوحدة والقوة بينهم في وجه التوسع الأوربي، وتقوم على الإصلاح الديني والاجتماعي بتمجيد العقل والعودة إلى مذهب السلفي العصر الذهبي للإسلام، بدأت من الربع الأخير للقرن 19م بنشاط جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، وتبناها رسميا السلطان عبد الحميد الثاني.أنظر: سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2 ، ص 100.

6- **نفسه**، ص 145.

القرآنية والمدارس الفرنسية الجزائرية، ثم في بعض جامعات الشرق الأدنى،[1] فمرجعياتهم محلية (الزوايا) ومشرقية غير مباشرة أو مباشرة،[2] وبالإضافة إلى اسم المحافظين أطلق عليها اسم "أصحاب العمائم" تمييزا لها عن الشبان الجزائريين، وكانت تمثل صدى التقاليد الإسلامية في الأوساط المثقفة الجزائرية، وفي الطبقات الشعبية التي تأثرت بها بحكم تعلقها الشديد بالإسلام.[3]

ظهرت هذه الفئة مع أواخر القرن التاسع عشر، وتولّت تمثيل الرأي العام الوطني والتعبير عنه لدى السلطات الفرنسية سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة،[4] وكانت ترى أن الإبقاء على الشخصية الجزائرية، ومقاومة كل خطط الفرنسيين لإذابة الجزائر، والتضامن بين جميع المسلمين هي ضمانات الانتصار،[5] نظرا لقوة فرنسا وفشل المجابهة العسكرية فأقل ما تقوم به هو حماية مقومات الشعب. وغالبية هذه الفئة نادت بالتغيير لكن داخل الإطار العربي الإسلامي للجزائر من خلال المطالبة بتنظيم التعليم العربي، واسترجاع العمل بالقضاء الإسلامي بالنسبة للجزائريين، بينما ذهب بعض أعضاء هذه الفئة إلى حد تشجيع التعليم بالفرنسية للجزائريين تحت شعار الإصلاح بكل الوسائل لأن المجتمع الجزائري في أحط الدرجات من التدهور،[6] فهم إصلاحيون بثقافة مزدوجة عربية وفرنسية، يؤكدون على الهوية الإسلامية ويدعون إلى الأخذ بالجوانب الإيجابية من الحضارة الغربية والثقافة الفرنسية.[7]

* **النخبة الجديدة:** هي نتاج النظام التعليمي الاستعماري، نهلت من فكره وثقافته لذلك تبنت أفكارا جديدة ميّزتها عن الفئة السابقة، وصنّفتها ضمن النخبة الجديدة أو المتفرنسة، وهي نخبة صغيرة من سكان المدن المسلمين الذين تعلموا وتفرنسوا عن طريق الصحافة الفرنسية وجمعياتها الفكرية وروابطها عبّرت عن مطالب المتطورين،[8] وتُرجعِ هذه الفئة الفضلَ في تحقيق مكانتها إلى فرنسا، فقد أعلن أفرادها أنهم

1- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2 ، ص 147.

2- زوزو: **الفكر السياسي**، هامش ص 69.

3- Ageron: **Les Algériens musulmans**, t 2, p 1026.

4- أبو القاسم سعد الله: **أفكار جامحة**، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1988، ص 78-79.

5- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 146.

6-نفسه: ص 147- 148.

7- زوزو: **الفكر السياسي**، هامش ص 69.

8-شارل روبير أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، تر: عيسى عصفور، ط 1، منشورات عويدات، بيروت، 1982، ص 115.

«على مقاعد مدارس فرنسا اكتسبوا الاحترام الذي جعلهم رجالا أحرارا، وجعلهم يخرجون من سباتهم وجهلهم لدفعهم إلى الحضارة».[1]

فهي تضم المثقفين بالثقافة الفرنسية الذين يسمون أنفسهم بالشبان الجزائريين تمييزا لهم عن بقية النخبة الجزائرية، فهم يتميزون بثقافتهم، وتفرنسهم سلوكا ولسانا ومظهرا وطريقة حياة، وبالتالي فهم أميل إلى المجتمع الفرنسي المتطور وأقربهم إليه من مجتمعهم الأصلي المتخلف،[2] حاولوا جلب إخوانهم من الجو التقليدي إلى الأزمنة الجديدة التي أصبحوا بشجاعتهم وإخلاصهم دعاةً لها، ونادوهم إلى النور عن طريق التعليم «الحليب الحلو لفرنسا الأم».[3]

فهم لم يتبنّوا أفكار الغرب ووسائل عيشه وطريقته في العمل وثقافته وتعليمه فقط، بل أيضا أرادوا أن يُحوّلوا المجتمع الجزائري إلى مجتمع أوربي، ونظراً لتعليمهم فقد شعروا بأنهم قُطعوا من بقية المجتمع الذي كان غريبا عنهم،[4] فأصولهم منه لكن فكرهم متعلق بمصادر ثقافتهم، فقد تنازعها الغرب الذي فرض نفسه ماديا، والفكر الإسلامي الذي لا يزال المحرك الوحيد للناس، وترياقا خارقا في مواجهة المحتل على حد السواء، فهي انتليجانسيا هشة، نخبة صغيرة من الأطباء والمحامين دون قاعدة اجتماعية مهمة، لذا تُوشك أن تنقطع عن المجتمع الجزائري وتسبح بشكل فردي في المجتمع الاستعماري.[5]

لقد عاش أفراد هذه الفئة حيرةً وتمزقاً نفسيا واجتماعيا بسبب وضعيتهم المتأرجحة، فقد كانوا مجرد أهالي وبسبب تعلّمهم الفرنسية وعلاقاتهم الشخصية مع الأوربيين امتعضوا من حالتهم الاجتماعية كرعايا، ومن الدرجة الثانية في المواطنة الفرنسية،[6] فكانوا يشعرون بعقدة الكمال بالنظر إلى المجتمع الجزائري، ولكن كانوا يشعرون بعقدة النقص بالنظر إلى المجتمع الفرنسي ونتيجة لذلك ضاعوا بين

1- Jean Mélia: **l'Algérie et la guerre (1914-1918)**, 4e édition, Paris, 1918, p 151.

2- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 150.

3- Mélia: **op-cit**, p 146.

4- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 161-162.

5- صالح عوض: **معركة الإسلام والصليبية في الجزائر**، الزيتونة للإعلام والنشر، بــ تــ، ص 216.

6- علي تابليت: **فرحات عباس رجل دولة**، ط 2، ثالة Thala édition، الجزائر، 2009، ص 19.

المجتمعين،[1] فإن اختاروا المجتمع الفرنسي قطعوا كل صلة بدينهم وبقيمهم وبماضيهم، وإذا بقوا مرتبطين بأصلهم حُرموا متعة الحياة الفرنسية التي أهَّلهم لها تطورهم الاجتماعي وتكوينهم الفرنسي.[2]

ج- أبرز أعلام النخبة:

شهدت مختلف مناطق الجزائر بروز شخصيات متميزة ثقافيا حاولت تعويض رجال السيف في مواجهة السياسة الاستعمارية، وتمثيل المجتمع الجزائري، ومحاولة الدفاع على مصالحه أمام ممارسات الإدارة الاستعمارية.

* أبرز أعلام النخبة المحافظة:

- عبد القادر المجّاوي: من أسرة عريقة بتلمسان ولد عام 1848، تلقى علومه في المغرب ثم استقر بقسنطينة عام 1869 مدرسا بمساجدها، وفي سنة 1877 تولى تدريس العلوم الشرعية واللغة العربية في المدرسة الكتانية، وفي سنة 1898 انتقل إلى مدينة الجزائر لتتنوع مهامه بين التربية والتعليم والصحافة والتأليف وغيرها،[3] من قادة الإصلاح في الكتلة المحافظة، أستاذ الشريعة الإسلامية في المدرسة الجزائرية الفرنسية بالعاصمة وقسنطينة، درس العربية والفرنسية مما جعله على معرفة عميقة بالمجتمع الجزائري والعالم الإسلامي بالإضافة إلى الثقافة الأوربية.[4]

صنّفه أبو القاسم سعد الله من زعماء مدرسة المستنيرين[5] التي جمعت بين الثقافتين العربية والفرنسية، وحاولت النهوض بالمجتمع، قد أصدر الشيخ المجاوي رسالة «إرشاد المتعلمين»[6] التي دعا فيها إلى الإصلاح الاجتماعي، ونبذ الركود وإلى الأخذ بأسباب الحضارة الحديثة،[7] دعا إلى تقليد

1- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 161-162.

2- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 150.

3- سليم أوفة: «**الشيخ عبد القادر المجاوي وإسهاماته في نهضة الجزائر الحديثة(1848-1914م)**»، قضايا تاريخية، ع 1، المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة، الجزائر، (أفريل 2016)، ص 69-70.

4- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 148.

5- المدرسة المستنيرة (1880-1914) مثلها موظفون مثقفون مستنيرون جمعوا بين الثقافة العربية والفرنسية. للمزيد أنظر: سعد الله: **أفكار جامحة**، ص 83.

6- كتيب من (30) صفحة أصدره سنة 1877، طُبع في مصر لم يدخل الجزائر منه إلاّ نسخاً قليلة.

7- سعد الله: **أفكار جامحة**، ص 83.

الغرب في العلوم الجديدة وليس في كل شيء، لم يكن مسلوب الفكر بل معتزا بماضيه وحضارته، لم يكن يتكلم الفرنسية ودعا قومه لأن يعرفوا مكانتهم بين الشعوب.[1]

كان نداؤه بالإصلاح موضع ترحيب من النخبة الجديدة التي كان أعضاؤها خصوما للمحافظين،[2] وكتب أحدهم: «يحظى المجّاوي بتقدير لدى المسلمين ولدى الأوربيين، محيطٌ جيّدا بشؤون الأهالي، له شعبية في البلاد التي أعطاها (40) سنة من حياته معلما، أستاذ فصيح في المدرسة العليا للجزائر العاصمة، معروف في الدوائر المثقفة بفضل أعماله السابقة المنبئة عن فهم سيكولوجي عميق وتفكير دقيق»[3] إن هذا الاعتراف له دلالاته التي تعكس عمق فكر الشيخ المجّاوي وقدرته على التأثير في الأوساط الجزائرية من خلال تشخيصه لمرض المجتمع كخطوة أولى نحو علاجه الذي ستكون بداياته في فترة النهضة الجزائرية.

حرص على إبراز قيمة العلوم الطبيعية في حياة المسلمين مما يؤكد عمق ثقافته وشموليتها، وانفتاحه على علوم العصر، ودعوته لتعلمها والاستفادة منها، وصفه مديره في الثعالبية بأنه «العقل الأكثر دقةً والأكثر أصالةً، وربما الأكثر تحرراً من بين مواطنيه المسلمين»،[4] كانت دروس المجّاوي وأمثاله تكوّن جيلا آخر سيقف بالمرصاد ضد موجة التفرنس التي انطلقت في فاتح القرن،[5] وجاءت تآليفه[6] -التي جسّدت مظهرا لحركة النهضة واليقظة الفكرية- في فترة حساسة كانت توصف فيها الجزائر بأنها مقبرة العلوم الإسلامية واللغة العربية، ومدينة الجزائر بالمدينة الأوربية الغربية.[7] سمّاه البعض

1- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 6، ص 221.

2- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 149.

3- بن حبيلس: **المرجع السابق**، ص 77.

4- أوفة: **المرجع السابق**، ص 71.

5- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 6، ص 223.

6- منها: القواعد الكلامية (1911)، تحفة الأخيار فيما يتعلق بالكسب والاختيار، المرصاد في ميادين الاقتصاد(1904)، منظومة التوحيد، للمزيد أنظر: أوفة: **المرجع السابق**، ص 74.

7- أوفة: **المرجع السابق**، ص 74.

بأبي النهضة، وسمّاه آخرون بشيخ الجماعة، تصدى له الخائفون من الفرنسيين والمحافظون من الجزائريين فحاربوه، ولكنه ثبت على موقفه حتى انتشرت دعوته، توفي بالجزائر العاصمة سنة 1914.[1]

– عبد الحليم ابن سماية: ولد في 1866/07/15 بالجزائر العاصمة لأسرة تركية عريقة ترجع إلى أتراك بلدة إزمير، وتنسب إلى حسن خوجة قاطع السكة بدار الإمارة الجزائرية على عهد الأتراك، حفظ عبد الحليم القرآن بجامع في حي القصبة على يد الشيخ المبارك الميمون حسن بوشاشية،[2] ثم درس بمدرسة الجزائر الشرعية الفرنسية، فهو يحسن الفرنسية ومتمكن من العربية والعلوم الإسلامية، زار الشام وتونس وأحرز إجازة منها على يد العالم محمد بن عيسى[3] الجزائري.[4] تولى التدريس بمدرسة الجزائر التي سميت بالثعالبية منذ 1896، ودرّس بالجامع الجديد، ، أشاد به وليام مارسي (William marçais)[5]كمدرس ناجح له لسان فصيح، وفكر حر، ولغة سليمة.[6] ويشير تقرير للتفتيش يعود تاريخه لسنة 1912 بأنه كان يدرس بمسجد صيد الأسماك وبالمدرسة، جد مثقف وله نفوذ بالجزائر.[7]

كانت آراؤه محترمة من المجتمع الجزائري نظرا لمكانته كأستاذ في مدرسة رسمية، ولثقافته العالية العربية والأوربية، أحد الدعاة البارزين للجامعة الإسلامية،[8] أكبر خصم للنخبة الجديدة معارضا لهم

1- سعد الله: **أفكار جامحة**، ص 84.

2- عبد الرحمان الجيلالي: «**جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية السياسي والثقافي (1866-1933م/1283-1353 هـ)**»، الأصالة، ع 13، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، (مارس-أفريل 1973)، ص 202.

3- من أكابر بلغاء الكتاب وعلماء اللغة، ولد بالجزائرسنة 1243هـ/1828م، هاجر إلى تونس سنة 1272هـ وتولى فيها رئاسة الكتابة العامة بالوزارة الكبرى سنة 1278هـ، وترقى إلى خطبة الإنشاء سنة 1302هـ، من تآليفه:"الثريا لمن كان بعجائب القرآن حفيا" و"الماس في احتباك يعجز الجنة والناس"، وله قصيدة "الوسيلة في مدح أهل الفضيلة"، توفي بالمهجر سنة 1310هـ. أنظر: **نفسه**، ص 203.

4- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 3، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **1998**، ص 93.

5- مستشرق فرنسي عين سنة 1898 ناظرا لمدرسة تلمسان، ثم مديرا للمدرسة العليا بالجزائر، ثم انتقل لباريس وعين في الكوليج دي فرانس 1927، عضو أكاديمية النقوش والآداب الجميلة، جمعت أعماله بعد وفاته بعنوان articles et conférences له: أصول النثر الأدبي العربي، الإسلام والحياة المدنية، قرن من الأبحاث في ماضي الجزائر الإسلامية. أنظر:عبد الرحمان البدوي: **موسوعة المستشرقين**، ط 3، دار العلم للملايين، بيروت، 1993، ص 547.

6- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 3، ص 95.

7- عبد الحميد زوزو: **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900**، موفم للنشر، الجزائر، 2009، ص 234.

8- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 149.

خاصة في قضية الدين والتجنيد مما جعل الأوساط الفرنسية تتهمه بأنه على علاقة بالقسطنطينية والقاهرة التين كان يتردد إليهما.[1]

تبنّى فكر محمد عبده في الإصلاح، واستقبله لما زار الجزائر سنة 1903، وكان مرافقا له، مواظب على الاطلاع على مجلة المنار،[2] حضر مؤتمرا للمستشرقين بالجزائر سنة 1905، وقدّم بحثا عن وضع الإسلام عندئذ،[3] وله مساهمات في الجمعيات الثقافية حيث كان عضوا مؤسسا للجمعية الجغرافية للجزائر العاصمة التي تأسست في فيفري 1896،[4] كان تكاثر أعماله الثقيلة في التدريس والإقراء شغله عن العمل في مجال التأليف فليس له إلا رسالة مطبوعة بالجزائر سنة 1911 في أحكام الربا كرد على من أباح القليل منها وهي "اهتزاز الأطواد والربى من مسألة تحليل الربا"،[5] واصل مهمة التدريس والوعظ حتى وافاه الأجل في 05 رمضان 1351هـ/ 02 جانفي 1933.[6]

أبو القاسم الحفناوي: هو محمد الحفناوي بن الشيخ أبي القاسم الديسي، ولد بقرية الديس قرب بوسعادة عام 1850م درس بزاوية طولقة مدة أربع سنوات، ثم زاوية تاسلنت بزواوة، ثم زاوية نفطة الرحمانية، في سنة 1883 ذهب لمدينة الجزائر وتولى وظيفة رسمية،[7] ومنذ 1897 تولى التدريس بالمسجد الكبير بمدينة الجزائر رغم أنه ليس من خريجي المدارس الشرعية الثلاث وإنما من الزوايا المرابطية، كما تولى الفتوى على المذهب المالكي سنة 1936.[8]

1- Millet: **op-cit**, p 175.

2- مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران أنشأها محمد رشيد رضا في القاهرة سنة 1315 هـ/ 1898م وظلت تصدر حتى عام 1354 هـ/ 1935م، غرضها الإصلاح الديني والاجتماعي للأمة الإسلامية وبيان اتفاق الاسلام مع العلم والعقل، وموافقته لصالح البشر في كل قطر وعصر، وإبطال ما يرد من الشبهات عليه، وتفنيد ما يعزى من الخرافات إليه، أحدثت تأثرا ملحوظا في عقلية المسلم، صدر منها 35 عددا. للمزيد أنظر: المنار: مج 1،(1315-1316 هـ/1898-1999 م)،ط 2، مطبعة المنار، مصر، 1327 هـ/1909 م. وعمر رياض: **«علاقة مجلة المنار الإصلاحية بمفكري الجزائر 1898-1935»**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة معسكر، ع 7، (ديسمبر 2012)، ص 81.

3- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 3، ص 94.

4-**Bulletin de la société de géographie d'Alger**, n1, juillet 1896, Alger p 512.

5- الجيلالي: **المرجع السابق**، ص 209-210.

6- **نفسه**، ص 212.

7- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 3، ص 88-89.

8- **نفسه**، ص 91-92.

وقد حظي بمكانة مهمة لدى الإدارة الفرنسية، حيث لاحظ عليه مدير جريدة المبشر[1] النباهة فأخذه عنده في العمل الصحفي فتعلم منه الفرنسية والعلوم العصرية، وبقي محررا في المبشر حتى سنة 1927 تاريخ توقفها، حيث كان يشيد بالآثار العلمية الفرنسية ترغيبا للجزائريين وإرضاءً للفرنسيين.[2] وفي مجال التعليم أشاد به المفتشون حيث ورد في تقرير عن التعليم بمساجد مدينة الجزائر لسنة 1907 بأن «السيد الحفناوي يدرس لمستمعيه في المسجد الكبير الشعائر في الفقه الإسلامي، وهو جد مثقف، يتمتع بفكر حر وواضح، سلس في لغته، يكيف دروسه حيث تكون في متناول تلامذته بشكل جيد، وهو يعرف عندما تحضره الفرصة كيف يعطيهم بعض مبادئ العلوم الأوربية».[3]

وقد جمع بين وظيفة الصحفي والمترجم والمفتي لمالكية الجزائر بالجامع الأعظم،[4] وصفه أبو القاسم سعد الله بأنه معلم وصحفي ومؤرخ أصدر موسوعة تراجم شخصية سنة 1907 في جزأين،[5] بيّن فيها مآثر علماء وأدباء الجزائر القدامى ودورهم الحضاري لاستنهاض الهمم بعد الضعف، وكانت الموسوعة بعنوان «تعريف الخلف برجال السلف»، كما له عدة رسائل تناول فيها حفظ الصحة، ومؤلفات في الجغرافيا والتاريخ والمعاني، وكانت صلته بالمستعربين وعمله في الصحافة قد جعلته يتجه إلى الحياة العلمية وليس الصوفية أو الدينية، فكانت مقالاته تدل على أنه مساير للحياة العصرية.[6]

– **المولود ابن الموهوب**:(1866-1930)مدرس وفقيه ومفتي وخطيب وشاعر وناثر، تعلم بالطريقة التقليدية،[7] أستاذ الفلسفة والعلوم الدينية والأدب العربي في المدرسة الجزائرية الفرنسية

1- جريدة نصف شهرية باللغة العربية، صدرت بالجزائر، ورد في عددها الأول في 15 سبتمبر 1847 بأنها موجهة لفائدة الجزائريين بتعريفهم بمختلف الأخبار المحلية والدولية، وبما يفيدهم في حكمهم، اهتمت بنشر أخبار المشورات العربية من كتب جديدة وقواميس منها كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك لخير الدين التونسي وغيرها من الكتب الإسلامية، استمرت في الصدور حتى سنة 1927.للمزيد أنظر: المبشر: ع1،(1847/09/15)، وسعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 5، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 221. وما بعدها.

2- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 3، ص 89-90.

3- زوزو: **نصوص ووثائق**، ص 232.

4- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 70.

5- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 137.

6- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 7، ص 431.

7- سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 2، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 193.

بقسنطينة، محاضر في نادي صالح باي، دعا للتخلص من التعصب والجهل، نصّبه أبو القاسم سعد الله زعيما لكتلة المحافظين بفضل نشاطه، تولى الإفتاء في قسنطينة سنة 1908.[1]

كان من أنصار التعليم العربي الفرنسي للوصول إلى عمل حضاري، يرى بأن الآفات بالجزائر لا تنتهي إلا بخلق المدارس،[2] ويعتقد أنه ما يزال لفرنسا فرصة لمعالجة الحالة، وإرضاء الجزائريين حتى لا ينشدوا الانفصال عنها،[3] لذلك دعا إلى التعليم والتسامح محتجا بأقوال الكتاب والأدباء «كل طفل نعلمه رجلٌ نكسبه»، و«ما تريد الحصول عليه بالقوة يمكنك تحصيله بابتسامة»،[4] نادى بالتضامن الإسلامي والوحدة والعودة إلى منابع الإسلام الصافية، كما دعا إلى التقدم بواسطة العلوم الحديثة معتبرا القدرية والتعصب والجهل أكبر خطر يهدد عقل المسلم، وتحت قيادته تحولت كتلة المحافظين من مجموعة مفككة وبدون فعالية إلى مجموعة نشيطة مؤثرة، تتمتع ببرنامج إصلاحي معين،[5] من آثاره "نظم مقدمة ابن آجروم"، "مختصر الكافي في العروض والقوافي"، "شرح منظومة التوحيد"، "آداب الطريق" في التصوف حمل فيه على البدع والطرقية الضالة وأصحابها.[6]

– **سي امحمد ابن رحال:** هو أمحمد بن حمزة بن رحال ولد بندرومة في 16 ماي 1858، سليل أسرة عريقة تتمتع بمكانة علمية وسياسية متميزة فقد كان والده حمزة بن رحال من أكبر علماء بلاده وهذا ما جعل الأمير عبد القادر يعيّنه سنة 1839 إماما وقاضيا على ندرومة.[7] درس بالمدرسة

1- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 150.

2- **نفسه**، ص 151.

3- **نفسه**، ص 151.

4- بن حبيلس: المرجع السابق، ص 123-125.

5- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 156.

6- عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط 2، بيروت ،لبنان، 1980، ص324.

7- خير الدين شترة: «**نشاط الحركة الإصلاحية والتعليمية بمدينة ندرومة وضواحيها خلال الفترة (1900-1956)**»، عصور الجديدة، جامعة وهران، ع 13، (أفريل 2014)، ص 162.

العربية الفرنسية بمسقط رأسه ثم تابع دروسه الثانوية بالعاصمة من 1870 حتى 1874، وكان أول من تحصل على شهادة البكالوريا سنة 1874[1].

في سنة 1876 عُيّن خليفة الآغا، ثم عُيّن في وظيفة قائد بندرومة إثر استقالة أبيه عنها سنة 1878[2]، وفي نفس السنة شارك في المعرض العالمي بباريس حيث كان قامةً ساميةً بثقافة مزدوجة[3] مما جعله يتعرف على مظاهر الحضارة الغربية، ومخالطة الأوساط السياسية والثقافية، مثقف عصري من أنصار تعليم البنات، متعلق بالزوايا، ومقدم في الزاوية السليمانية[4]، حصانته العربية الإسلامية وارتباطه بالجذور جعلته يدعو إلى التطور وليس الاندماج، ويواجه الفرنسيين بمطالب هي في صميم الانعتاق.[5]

في سنة 1884 استقال من منصب القائد لأنه وجد انزعاجا كونه يمثل الإدارة الفرنسية إزاء مواطنيه، وتفرغ لدور المتحدث باسم الجزائريين في عدة محطات كمحاور للسلطة الاستعمارية وممثل للجزائريين حيث دخل المسرح السياسي والعلمي بقوة وكانت المناسبة هي مجيء لجنة التحقيق برئاسة جول فيري إلى الجزائر سنة 1892 فجرد قلمه للدفاع عن حقوق الجزائريين في التعليم باللغة العربية، وفي التمثيل البرلماني، والمحافظة على تطبيق الشريعة الإسلامية،[6] بالإضافة إلى قيادته لوفد من القطاع الوهراني سنة 1912 إلى باريس للمطالبة بإلغاء المرسوم الخاص بتجنيد الجزائريين،[7] كاتب راق وسياسي حاذق، إصلاحي وسياسي متبصر[8].

في سنة 1897 شارك في باريس في مؤتمر المستشرقين وألقى خطابا مدويا أكد فيه إيمانه في نهضة حتمية للعالم الإسلامي مبينا أنه يستطيع متابعة دفع الحضارة في كل درجة إلا فيما يتعلق بالعقيدة

1- Messaouda Yahiaoui: «**Islam et identité nationale pendant l'entre deux guerres 1919-1936 en Algérie**, "**El-nahda et réactions coloniales**», El-mawaqif , université de Mascara, numéro spécial, avril 2008, p 53.

2- حاجيات: **المرجع السابق**، ص 52.

3- Djilali Sari:«**le patrimoine architectural et culturel de Nedroma**», R.F, n 1, (décembre 2013), p 29.

4- Abdelkader Djeghloul: **Eléments d'histoire culturelle Algérienne**, enal, Algér, 1984, p 53.

5- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 6، ص 223.

6- **نفسه**، ص 225.

7- Djeghloul: **op-cit**, p 53.

8- زوزو: **الفكر السياسي للحركة الوطنية**، ص 69.

والأخلاق والأسرة[1]، فقد كان شخصية عالمية ومحاورا بارعا صاحب حجة، مع مطلع القرن العشرين دخل التمثيل النيابي للدفاع عن قضايا الجزائريين فشغل في الفترة من سنة 1903 إلى سنة 1907 منصب معاون مسلم في المجلس العام لوهران، وفي سنة 1920 انتخب مستشارا عاما على دائرة de Montagnac (الرمشي)، ونائبا ماليا إلى غاية 1925[2] في مجلس النيابات المالية أين رافع لصالح تعليم الجزائريين، وضرورة إدخال اللغة العربية في كل مراحل التعليم، وإصلاح القضاء ونظام الضرائب.

قال عنه الشيخ البشير الإبراهيمي[3] الذي شاهده سنة 1921:" كانت تحفه في موقفه هالة من الجلال، يبدو كأنه قطعة من الثلج، وجه جميل ولحية بيضاء وألبسة صوفية وطنية بيضاء".[4] وهو ليّن هش يجمع الصفات التي وردت في المؤمن ما لم يصل الأمر إلى الدين، فإذا مس الدين استحال ذلك الهدوء إلى غضبة لا يقوم لها شيء[5]، ذو ثقافة عالية يتمتع بجلال البيت، وجلال السن، وجلال الدين، وجلال العلم، وقور الطلعة، نيّر الشيبة، محافظا على تقاليد البيوتات في اللباس العربي والعمامة وجميع طرز الحياة، وكان خطيبا مفوها باللغة الفرنسية، جهيرا بكلمة الحق مسدد الرأي[6].

وقال عنه مصالي الحاج[7]:"كان رئيس عائلة كبيرة ومشهورة في الجزائر والمغرب، كان كبير القامة، طلق المحيّا، له ثقافة عربية وفرنسية واسعة، وقد كانت له أناقة رئيس عربي حقيقي، وكان يُعتقد

1- Djeghloul: **op-cit**, p 54. للمزيد حول خطاب امحمد بن رحال أنظر:

M'hamed Ben Rahal: «**l'avenir de l'islam**», Q. D. C, n 113, t XII, 01/11/1901, pp (538-550).

2- Djeghloul: **op-cit**, p 53.

3- محمد البشير الإبراهيمي (1889-1965) من رواد الإصلاح في الجزائر، ولد بأولاد ابراهيم بسطيف، درس بزاوية شلاطة بجبال القبائل هاجر إلى المدينة المنورة سنة 1911 أين أتم دراسته، عمل أستاذا بالمدرسة السلطانية بدمشق، نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورئيسها سنة 1940، استقر في القاهرة سنة 1952 ليعود بعد الاستقلال، من آثاره: "عيون البصائر"، "أسرار الضمائر في العربية"، "الإطراد والشذوذ في اللغة". أنظر: نويهض: **المرجع السابق**، ص 13.

4- محمد البشير الإبراهيمي: **آثار محمد البشير الإبراهيمي**، ط 1، ج 5، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 130.

5- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 151.

6- الإبراهيمي: **المرجع السابق**، ص 129.

7- مصالي الحاج (1898-1974) من أبرز رجال السياسة بالجزائر ولد بتلمسان، جند في الحرب العالمية الأولى، من مؤسسي نجم شمال إفريقيا سنة 1926، بعد حل النجم أسس حزب الشعب الجزائري سنة 1937 وتعض للسجن لنشاطه السياسي، أعتقل أثناء الحرب العالمية الثانية ونقل إلى برازفيل، بعد الحرب أفرج عنه فأسس حركة الانتصار للحريات الديمقراطية سنة 1946، حددت إقامته بفرنسا سنة 1952 حتى وفاته. أنظر: نويهض: **المرجع السابق**، ص 305.

في كل الأوساط بأنه عالم، ووطني كبير"[1]. كان من انتليجانسيا القطاع الوهراني التي تتردد على النادي الوهراني المسلم الذي تأسس سنة 1911[2] في إطار حركة النهضة الفكرية التي شهدتها الجزائر مع مطلع القرن العشرين، صنّفه مالك بن نبي[3] من أوائل رجال الفكرة الوطنية غربي الجزائر[4]، كانت له مساهمات فكرية وعلمية محلية وخارجية من خلال مشاركته في حركة اليقظة التي عرفتها الجزائر حيث كتب في الصحافة الجزائرية الفتية مثل: el Hack و l'Ikdam وTakadoum وكذا الصحافة الاستعمارية مثل l'Echo d'Algér و l'Echo d'Oran بالإضافة إلى المحاضرات في النوادي الثقافية[5] التي أنشئت في مطلع القرن العشرين.

توفي في ندرومة يوم 1928/10/06 واتخذت جنازته شكل تظاهرة كبرى من أهالي ندرومة والمسؤولين الفرنسيين حيث حضرها نائب حاكم تلمسان Duthuzo وممثلي الإدارة في الرمشي وندرومة ومغنية، والقائد العسكري لوهران[6].

– **محمد السعيد ابن زكري:** (1851-1914) ولد في بني زكرى بمنطقة زواوة، حفظ القرآن الكريم بزوايا المنطقة، فهو عصامي التكوين خريج الزوايا، انتقل سنة 1890 إلى مدينة الجزائر وبقي فيها حتى صار إماما بمسجد سيدي عبد الرحمان سنة 1896،[7] ثم عُيّن أستاذا للفقه في المدرسة الشرعية الفرنسية بالجزائر، وصل إلى منصب الإفتاء المالكي في مدينة الجزائر سنة 1908،[8] وصفه تلميذه أبو

1- مصالي الحاج: **مذكرات (1898-1938)**، تر: محمد المعراجي، منشورات anep، الجزائر، 2007، ص104.

2- مهديد: **الصراع حول الهوية والانتماء العربي الإسلامي**، ص 9.

3- مالك بن نبي (1905-1973) كاتب ومفكر إسلامي، ولد بقسنطينة، درس القضاء ثم انتقل إلى فرنسا وتخرج مهندسا ميكانيكيا، أقام في القاهرة سبع سنوات أصدر فيها معظم آثاره، تولى إدارة التعليم العالي سنة 1964، عضو مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، من آثاره: "الظاهرة القرآنية"، "مشكلة الثقافة"، "شروط النهضة"، بين الرشاد والتيه" وغيرها. أنظر: نويهض: **المرجع السابق**، ص 282.

4- مالك بن نبي: **مذكرات شاهد للقرن**، ط 2، دار الفكر للطباعة والتوزيع، دمشق، 1984، ص 27.

5- Djeghloul: **op-cit**, p 54.

6- l'Echo de Tlemcen: n, 5576,09 octobre 1928.

7- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 3، ص 97.

8- **نفسه**، ص 98.

يعلى الزواوي[1] بالعلامة الأصولي النحوي الفقيه، وأنه ممن أحب إصلاح الزوايا[2]، وكتب في ذلك رسالة سمّاها "أوضح الدلائل في وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل" بيّن فيها سبل الإصلاح.

– **محمد بن مصطفى ابن الخوجة:** ولد بمدينة الجزائر سنة 1865 وتعلم بها،[3] من خريجي الزوايا، بدأ العمل في جريدة المبشر سنة 1896، ثم انتقل للتدريس في جامع سفير سنة 1901، وصفه عمر راسم بأبي النهضة الجزائرية لأفكاره الواعية المتسامحة حول الإسلام والمسلمين واللغة العربية، فهو داعية إصلاح وتقدم اجتماعي، دعا لنبذ البدع والخرافات وتحرير العقل،[4] متمسك بالتراث ومؤمن بالإصلاح على طريقة الشيخ محمد عبده، مؤمن بالتعليم والتحديث والابتعاد عن السياسة.[5]

يعتبر من أوائل من نادوا بإصلاح شؤون المرأة الجزائرية وتحريرها من الجهل في الحدود التي وضعها الشرع الإسلامي، له فضل كبير في الانبعاث الثقافي في مدينة الجزائر،[6] وفي تقرير لويليام مارسي مدير مدرسة الجزائر الشرعية الفرنسية إشادة به، وقال أنه أفضل من يعرف العربية ويتكلم بها بطلاقة، كما أشاد بلبيراليته، واعتبره من أفضل دعاة التحرر الفكري بين المسلمين.[7] ركز في تآليفه على الإصلاح الاجتماعي والديني ومحاربة البدع، وتمثلت في: "الاكتراث في حقوق الإناث سنة 1895"، "تنوير الأذهان في الحث على التحرّز وحفظ الأبدان سنة 1896"، "إقامة البراهين العظام على نفي التعصب عن الإسلام سنة 1902"، "نبذة وجيزة في معنى الدين والفقه سنة 1902"، "عقود

1- هو السعيد بن محمد الشريف بن العربي بن يحي بن الحاج من آيت سيدي محمد الحاج، ولد بقرية تعاروست بزواوة سنة 1862، حفظ القرآن وتعلم اللغة العربية والفقه، سنة 1912 حرر مشروع كتاب تاريخ زواوة في دمشق، تولى الخطابة في مسجد سيدي عبد الرحمان بمدينة الجزائر، من رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دعا للإصلاح الديني والاجتماعي إلى تربية المرأة وتعليمها، توفي في 1952/06/01 بمدينة الجزائر.أنظر: سعد الله: **أبحاث وآراء** ، ج 2، ص ص145-148.

2- البصائر: ع 130، (1938/09/09).

3- سليم أوفة: «**من أقطاب النهضة الثقافية في مدينة الجزائر مطلع القرن العشرين (1900-1914)، الشيخ مصطفى بن الخوجة أنموذجا**»، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع 3، (نوفمبر2015)، جامعة الوادي، ص 258.

4- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 3، ص 85.

5- **نفسه**، ص 84.

6- أوفة: «**من أقطاب النهضة الثقافية في مدينة الجزائر..**»، ص 262.

7- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 3، ص 86.

الجواهر في حلول الوفد المغربي بالجزائر سنة 1902"، و"اللباب في أحكام الزينة والاحتجاب سنة 1907".[1] توفي بمدينة لجزائر سنة 1915.[2]

*** أبرز أعلام النخبة الجديدة:**

– بلقاسم ابن التهامي (ابن ثامي): ولد في مستغانم سنة 1873، حصل على شهادة البكالوريا آداب وفلسفة ثم الدكتوراه في الطب سنة 1905 من جامعة مونبوليي (Montpellier)[3]، اندماجي متجنس منذ سنة 1906، عمل في مستشفى مصطفى باشا ثم فتح عيادة خاصة، شارك في الحياة السياسية بتوليه قيادة الاندماجيين المطالبين بالمساواة، انتخب مستشارا بلدياً بمدينة الجزائر سنة 1908، ثم سنة 1913، في سنة 1914 أنشأ تنظيما سمّاه "الاتحاد الفرنسي الأهلي" يمثل التيار الاندماجي، كان أول أهلي عُيّن للتدريس في مدرسة الطب بالجزائر، رئيس كتلة المنتخبين قبل أفول نجمه خلال سنة 1927 لحذوه في سلوكه حذو المعمرين والإدارة الفرنسية، أُبعد عن رئاسة الكتلة سنة 1930.[4]

– الطيب مرسلي: ولد سنة 1856 بوهران، ابن أحد الضباط الصبايحية، درس بثانوية مدينة الجزائر،[5] تخرج في مدرسة الطب بالجزائر، انتقل للعمل بقسنطينة، و عُيّن لإعطاء درس في الصحة العامة لتلاميذ المدرسة الشرعية، ألحّ على الاندماج وقال "علينا أن نكون فرنسيين بالمشاعر والقلوب، ونحن الذين تربينا على نفس المقاعد كالفرنسيين الصغار"، ألّف كتابا سمّاه "مساهمة في المسألة الأهلية الجزائرية" سنة 1894 طرح فيه ما يهم الجزائريين من تمثيل برلماني وحقوق وضرائب وقوانين استثنائية.[6] نائب بلدي يُعد مثالا في تشبّهه بالفرنسيين،[7]

1- «**أعمال محمد بن مصطفى بن الخوجة 1865-1915**»، منشورات خمسينية جامعة الجزائر، 2012، ص 10.

2- **نفسه**، ص 11.

3- Ismael Hamet: «**Les Musulmans Français du nord de l'Afrique**», librairie Armand colin, Paris, 1906, p 210.

4- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 65.

5- Hamet: **op-cit**, p208.

6- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 6، ص 231-232.

7- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 65.

– **اسماعيل حامد:** ولد بالعاصمة في 1857/08/04، درس بها العربية والفرنسية، مترجم رئيسي في الجيش الفرنسي،[1] أستاذ اللغة العربية والبربرية مكلف بمهمة ضمن البعثات العلمية الاستخباراتية في البلدان الإسلامية،[2] أيّد التفرنس والاستغراب، ودعا إلى الاندماج الحضاري وتذويب المجتمع الجزائري في الحضارة الفرنسية، كما دعا في كتابه "مسلمو شمال إفريقيا" الذي صدر سنة 1906 النخبة إلى أن تلعب دورا رئيسيا في الحياة السياسية، وأبرز التطورات التي حدثت في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي، ومنها تخلي الجزائريين تدريجيا عن تقاليدهم وأفكارهم القديمة والتعصب، وتطلعهم إلى التعلم وتقليد الفرنسيين، وابتعادهم عن الشرق، و لم يدعُ إلى النهضة العربية الإسلامية بالرجوع إلى الأصول والاستفادة من حضارة الغرب وإنما دعا إلى الانطلاق من الحاضر،[3]

– **محمد صوالح:** ولد بفرندة سنة 1873، درس بالمدرسة العليا لمدينة الجزائر، حصل على شهادة البكالوريا سنة 1894، خريج المدرسة العليا للآداب سنة 1898، اشتغل مترجما[4] ثم معلما بمدرسة المعلمين (النورمال) سنة 1907، عضو الجمعية التاريخية[5] والتي لا تقبل إلا المخلصين للقضية الفرنسية،[6] وله فيها مقال حول الصوم عند المالكية،[7] جُنّد سنة 1915 في مصلحة الترجمة، أستاذ مبرز ودكتور في الأدب بفرنسا، له كتاب "المجتمع الأهلي في شمال إفريقيا"[8] كما له "المنهجية التطبيقية للعربية الفصحى" سنة 1900، "العربية الدارجة التطبيقية والتجارية" سنة 1901، "دروس تحضيرية للعربية الدارجة" في جزأين أحدهما للتلاميذ والأخر للمعلمين سنة 1904 و 1905.[9]

1- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 6، ص 233.

2- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 65.

3- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 6، ص 238-239.

4- Hamet: **op-cit**, p 199.

5- Revue Africaine, n 236, (1er trimestre 1900), p 96.

6- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 6، ص 261.

7 -Mohamed Soualah: «**le jeûne chez les musulmans malékites**», R. A, n 250, (1er trimestre 1906), p 26.

8- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 6، ص 260-261.

9- Hamet: **op-cit**, p 200.

– **شريف ابن حبيلس:** من الشبان الجزائريين المتجنسين، ناطق فصيح باسمهم، قاض ودكتور في الحقوق الفرنسية، عضو في نادي صالح باي، هو الأكثر موهبة من بين الشبان الجزائريين، له كتاب "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي" سنة 1914(l'Algérie française vue par un indigène) عبارة عن مرافعة متوازنة وعاطفية موجهة للفرنسيين لمراعاة النخبة خاصة الذين أرادوا أخذ مكانة ضمن العائلة الفرنسية وهم مبعدون من العائلة المسلمة الجزائرية، عاش قلقا يائسا من وضعه السياسي، من بين أعضاء النخبة ذوي الحساسية المرهفة والشاعرين بالتمزق كمتجنسين.[1] له أيضا قصة غير منشورة بعنوان الأرواح التائهة (Les âmes frontières).[2]

1–2- نمط التعليم:

منذ بداية الاحتلال عملت السلطات الاستعمارية على هدم معالم الدولة الجزائرية في مختلف المجالات، ولم تسلم من ذلك الهدم المؤسسات الثقافية بكل أنواعها من مساجد وكتاتيب وزوايا ومدارس تجسيدا لمساعي الاستعمار في إبعاد الجزائريين عن تراثهم الفكري، ومن خلال تغيير لغتهم ودينهم. فالسلطات الاستعمارية لم تكتف بهزيمة المقاومة الوطنية بل ضمت الجزائر إلى فرنسا بقرار إداري سنة 1834، وما ينتج عنه من محوٍ تام للكيان الجزائري ومستلزماته من لغة وتاريخ وحكومة ورموز وطنية،[3] وخصصت سلطات الاحتلال جزءا من سياستها للسيطرة على قطاع التعليم في الجزائر لما له من دور بارز في تكوين الشخصية الوطنية، وإذكاء نار المقاومة المعتمدة على الجهاد ضد الغزاة، كون أن جميع المؤسسات التعليمية كانت عبارة عن نوادٍ لغرس المبادئ الإسلامية والوطنية.

– نشر التعليم الفرنسي:

كان التعليم العربي مرتبطا ارتباطا وثيقا بالدين الإسلامي وبفضله استمرت المقاومة ضد الأجانب، فالعلماء الجزائريون برروا بقاءهم تحت الحكم الأجنبي بأنهم يقومون بجهاد صامت ضد هذا الأجنبي، ويتجلى هذا الجهاد في تلك المواجهة الفكرية والاجتماعية وحتى الدينية بالحفاظ على عقيدة

1- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 66.

2- Ageron: **Les Algériens musulmans**, t 2, p 1049.

3- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 57.

المسلمين من الضياع، والحفاظ على روابطهم الاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم من الزوال بسبب الاندماج في المجتمع الغالب، فالإسلام كعقيدة متحكمة في الجزائريين كان الحصن الذي حماهم من الانهزام النفسي والفكري، والذوبان في المجتمع الأوربي الغازي بعد أن انهزموا عسكريا وسياسيا أمامه.[1]

وقد كان منظرو الاحتلال الأوائل يعتبرون أن التعليم هو أحسن وسيلة لضمان الوجود الفرنسي في الجزائر، وتذويب المجتمع الأهلي، والقضاء على روح المقاومة والرفض للآخر لديه،[2] ولأجل ذلك اعتبروا المدرسة هامة بل الوحيدة للسيطرة على عقول الجزائريين.[3]

وقد عبّر عن ذلك أحد منظريهم وهو أشيل دولاسيس (Achille Delassus) في كتابه عواصم ومستعمرات، الغزو الأخلاقي للأهالي (Métropoles et colonies, la conquête morale des indigène) حيث كتب: «الرعايا المتعلمون لا يوجد في قلبهم إلا حب فرنسا وإحسانها، وسيكونون مستعدين للموت غدا لأجلها إذا تطلّب الأمر، سيكونون مساعدين نشطين في العمل الحضاري، رسلا مجانيين للتأثير الفرنسي من بين مواطنيهم (المتوحشين)»،[4] فالفرنسيون يرون في استمرار التعليم العربي الديني عائقا أمام مشروعهم التوسعي الاستيطاني في الجزائر. ولإزالة هذا العائق ومواجهة خطر الأهالي «نقم بنشر التعليم في أقصى الدواوير عن طريق إشراكهم ودمجهم بالفرنسيين».[5]

ولهذا كانت فكرة اللجوء إلى تعليم موازٍ تفرض نفسها أكثر فأكثر على الإدارة الفرنسية كضرورة سياسية ثقافية، وباعتبار المدارس العربية الفرنسية مكانا مناسبا لنشر الروح العصرية الأوربية التي كانت حداثتها وفضولها كافيين لجعلها مغرية، صارت هذه المدارس تمثل تعليما تنافسيا، وكنّا لا نزال نأمل أن يكون التعليم الجديد بنوعيته يستطيع أن يخلي المدارس القرآنية من المترددين عليها.[6]

1- خيثر: **المرجع** السابق، ص 28.

2- **نفسه**، ص 42.

3- **نفسه**، ص 64.

4-Achille Delassus: **Metropoles et colonies**, **la conquête morale des indigènes**, Alger, 1913, p 44.

5- **ibidem**.

6- ايفون تيران: **المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، المدارس والممارسات الطبية والدين 1830-1880**، تر: محمد عبد الكريم أزوغلة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2005، ص 255.

يتّضح مما سبق أن السياسة الثقافية والتعليمية ارتبطت بالسياسة الاستعمارية منذ بداية الاحتلال خاصة مع حاجة فرنسا إلى موظفين إداريين لتسهيل تنفيذ سياستها كالعدول والمترجمين والمعلمين يكونون كوسطاء بينها وبين الجزائريين،[1] واقتصرت اللغة العربية على التعليم العالي لتكوين إداريين ومترجمين للتعجيل بالاندماج[2] فكان تعليمها يخدم المصالح الاستعمارية بعيدا عن غرض التثقيف.

وفي سنة 1833 فُتحت مدرستان سميت مدارس التعليم المتبادل (l'enseignement mutuel) أي إعطاء التعليم الفرنسي للجزائريين والتعليم العربي للفرنسيين، فُتحت الأولى بوهران والثانية بعنابة، أما أول مدرسة أُنشئت لتعليم الجزائريين اللغة الفرنسية فهي المدرسة الابتدائية التي سميت بالمدرسة العربية الفرنسية (l'école arabe française) سنة 1836 بمدينة الجزائر[3] وهي مدرسة عمومية خاصة بالأطفال الجزائريين تتوفر على قسم واحد،[4] وكان الغرض من هذه المدرسة تقريب الجزائريين من الأوربيين، وكسب ولائهم قصد تحضيرهم للاندماج.[5]

وفي ظل هذه السياسة الثقافية بدأت اللغة العربية تتراجع أمام لغة الغالب التي أصبحت مع الوقت الوسيلة الوحيدة للفكر، وادّعى الفرنسيون بأن الشبيبة المسلمة تفضل (اللغة الفرنسية) كأداة سهلة التداول تمنحها لها المدارس الفرنسية،[6] التي حُصر التعليم بها بعدما أصبحت هي اللغة الحاكمة لتسهيل تكوين فئة من الجزائريين يتكلمون بها، ويجعلونها لغة التواصل بينهم فتحل محل لغتهم الأصلية، وتساهم في تبني الثقافة الفرنسية باعتبار أن اللغة وعاء ثقافي وحضاري، وأن الفضاء اللغوي يُدخل صاحبه حتما في فضاء حضاري.

ولأجل هذا وسّعت الإدارة الاستعمارية استعمال الفرنسية في أوساط الجزائريين حيث أصدر وزير الحربية في 24 أكتوبر 1842 أمرا بتعليم اللغة الفرنسية للأطفال العرب في المدارس الأهلية، وكان

1- Hamet: **op-cit**, p 190.

2- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 61-62.

3- خيثر: **المرجع السابق**، ص 66.

4- جمال قنان: **التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار 1830-1944**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007، ص 18.

5- خيثر: **المرجع السابق**، ص 66.

6- Hamet: **op-cit**, p 189.

ذلك القرار وليد اقتراح تقدم به أرنو (Arnaud) المفتش العام للدراسات والمكلف بالتعليم العمومي بالجزائر، وكان الهدف من وراء ذلك هو استفادة فرنسا منهم واستفادتهم من معارفها.[1]

ومنذ سنة 1844 زاد اهتمام المسؤولين الفرنسيين في كل من الجزائر وفرنسا بمسألة تعليم الجزائريين[2] حيث تُوِّج ذلك الاهتمام بصدور مرسومين الأول في 14 جويلية 1850 نص على إنشاء المدارس الابتدائية العربية الفرنسية للذكور في كل من مدينة الجزائر، وهران، قسنطينة، البليدة، تلمسان، مستغانم وعنابة، والثاني في 30 سبتمبر 1850 لإنشاء مدارس عليا إسلامية (Medressa) في قسنطينة، المدية وتلمسان لإعداد موظفين في الشؤون الدينية والتعليم والعدالة.[3] ويصير المتخرجون منها همزة وصل بين المحتلين والمواطنين، ويتولّون إدارة شؤون المواطنين في المنازعات القضائية والدينية.[4]

وفي 14 مارس 1857 صدر مرسوم امبراطوري يقضي بإنشاء معهد ثانوي في مدينة الجزائر يتم التدريس فيه باللغة الفرنسية، وخصّصت الدولة (150) منحة لأطفال الأعوان المدنيين والعسكريين الأهالي،[5] وفي 04 مارس 1865 صدر مرسوم امبراطوري آخر لتأسيس مدرسة لتكوين المعلمين لحاجة الإدارة إلى معلمين يتقنون الدارجة لتسهيل الاتصال بالأجيال الصاعدة.[6] وتوسعت حركة تعليم الأهالي بصدور مرسوم 13 فيفري 1883 الذي طبق القوانين الفرنسية المتعلقة بالتعليم الابتدائي وتنظيمه لصالح الرعايا الجزائريين،[7] بجعله تعليما عموميا إجباريا،[8]

– أهداف نشر التعليم الفرنسي:

عملت الإدارة الاستعمارية في جميع المجالات لتحقيق الاحتلال الشامل مراهنة على دور التعليم في تكوين فئة موالية لها وتخدم مصالحها، حيث ارتبطت منذ البداية مسألة التعليم في أذهان المسؤولين

1- سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 2، ص 25.
2- قنان: **التعليم الأهلي في الجزائر**، ص 24.
3-Péllissier: **annales Algériennes**, t 3, Paris, 1854, p 354.
4- خيثر: **المرجع السابق**، ص 67.
5- قنان: **التعليم الأهلي في الجزائر**، ص 51.
6- **نفسه**، ص 59.
7- Delassus: **op-cit**, p 29.
8- قنان: **التعليم الأهلي في الجزائر**، ص 110.

الفرنسيين بهدف سياسي غايته توطيد أقدام الاحتلال في الجزائر وليس التعليم والرّقي، فقد كان هدفهم ليس احتلال الأرض فقط، وإنما إعادة تشكيل المجتمع المهزوم عقيدة وذهنا ليصبح منسجما مع مجتمع الدولة الغازية ليصبح وجودها في البلاد وجودا أبديا،[1] فالهدف من تعليم الجزائريين ليس هو التعليم بمعناه الحقيقي والكامل، بل من أجل التقليل من تعصبهم لدينهم وللغتهم ولثقافتهم.

وقد كان المحتلون[2] على قناعة بأن المدرسة هي المنفذ الذي عن طريقه يتسللون إلى عقول الجزائريين وقلوبهم،[3] فتقديم التعليم لأبناء الجزائريين -حسب تقرير لوزير الحربية المارشال فايان (Vaillant)- يُمكّنهم من اكتساب "معرفة واسعة عن مؤسساتنا الحضارية، وعلى آدابنا وتاريخنا ليكونوا رسل حضارة عندما يعودون إلى ذويهم في القبائل والدواوير".[4]

وفي هذا الإطار أكد معظم الساسة الفرنسيين وقادتهم العسكريين بأن الإسلام وعقيدته هو العدو الأكيد، وأن القرآن هو رمز هذا العداء المستحكم بين الأهالي والفرنسيين،[5] وإزالة هذا العداء تبدأ بالتعليم الفرنسي الذي يمثل أحسن طريق لتحقيق مشروع الادماج لإدخال الحضارة الفرنسية إلى أذهان الجزائريين، وإبعادهم عن نفوذ الإسلام وشيوخه.[6]

وينسب إلى دومال قوله "إن فتح مدرسة في وسط الأهالي يعد أفضل من فيلق عسكري لتهدئة البلاد" ذلك أنهم يرون في التعليم وسيلة للقضاء على ما يُسمونه بالتعصب الديني وغرس الوطنية في أذهان الناشئة، فالهدف من تعليم الفرنسية هو أن يتشبع أبناء الأهالي بالثقافة الفرنسية وتصبح هذه

1- قنان: **التعليم الأهلي في الجزائر**، ص 24

2- منهم دو روفيقو الذي صرح سنة 1832 قائلا:"أرى أن نشر لغتنا هي الوسيلة الأكثر فعالية لهيمنتنا في هذا البلد" وقال في مناسبة أخرى:" إن المعجزة الحقيقية التي علينا أن نصنعها هي أن تحل اللغة الفرنسية شيئا فشيئا محل اللغة العربية بحيث نتمكن عن طريق هذا الإجراء من نشر لغتنا بين الأهالي "، وفي تقرير للدوق دومال سنة 1885 ما خلاصته:" إننا في هذه المؤسسة(المدرسة) ستكون فرنسيي المستقبل (يقصد الجزائريين)".أنظر: سميرة بوضياف: «**ملمح تكوين المعلمين والأساتذة في الفترة الاستعمارية**»، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، ع 8، جامعة سكيكدة، (جويلية 2014)، ص 68.

3-**نفسه**، ص 67.

4- قنان: **التعليم الأهلي في الجزائر**، ص 50-51.

5- خيثر: **المرجع السابق**، ص 28.

6- خيثر: **المرجع السابق**، ص 42.

الأخيرة كمرجعية أساسية يقتدون بها بدل الثقافة واللغة العربيتين،[1] بما يؤدي إلى التعايش بين الجزائريين والفرنسيين، وتوقف أشكال الرفض والمقاومة للوجود الاستعماري، وصرّح الوزير الفرنسي دي سالفاندي (De Salvandy) سنة 1854 قائلا: "إذا كنا قد احتلينا الجزائر بالحرب فإننا بالحضارة سنحتفظ بها".[2]

ورغم عدم تحمس الجزائريين للتعليم الفرنسي ورفض إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية كنوع من المقاومة الثقافية خوفا على مقومات شخصيتهم اللغوية والدينية إلا أننا نجد فئة ضئيلة استفادت من هذا التعليم، وتبوأت مكانة مهمة في المجتمع بفضل ثقافتها الفرنسية مشكلة تيارا فكريا ساير الأفكار الاندماجية الاستعمارية مثّلته النخبة المتفرنسة التي ستظهر مع مطلع القرن العشرين في عدة محطات لمناقشة قضايا تهم المجتمع الجزائري لكن في إطار الولاء لفرنسا مصدر ثقافتها وإلهامها الفكري.

-استمرار التعليم العربي:

مارست سلطات الاحتلال تضييقا شديدا على التعليم العربي في مؤسساته وشيوخه وموارده المالية، لكنه استطاع الصمود والاستمرار في بناء الشخصية الوطنية المتميزة عن الغازي الأجنبي كنوع من المقاومة الثقافية التي تبطن فكرا سياسيا لم يجد وسيلة للتعبير عن رفض الاستعمار سوى الاعتصام بالكتاتيب والزوايا والمساجد لِتَعلُّم لغة الأجداد وثقافتها لتكون حصنا واقيا من الغزو الثقافي الفرنسي، ورغم محاولة نشر التعليم الفرنسي إلا أن الجزائريين رفضوا أخذ العلم من الفرنسيين في مدارسهم.

وكان هذا الرفض نابعا من فتاوى وآراء علماء وشيوخ الطرق الذين كانوا يتحكمون في الرأي العام الجزائري،[3] وفي هذا الإطار يندرج موقف المفتي ابن الكبابطي ومعه الجزائريين في رفض قرار بيجو (Bugeaud) بتعليم اللغة الفرنسية في المدارس القرآنية وعلى يد معلم فرنسي.[4] فاللغة العربية حافظت

1- بوضياف: **المرجع السابق**، ص 79.

2- نقلا عن بغداد خلوفي: «**التعليم العالي بالجزائر أثناء الحقبة الاستعمارية**»، المواقف، ع 10، جامعة معسكر، (ديسمبر 2015)، ص 170.

3- خيثر: **المرجع السابق**، ص 42.

4- سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 2، ص 22.

على وجودها من خلال ثلاث قنوات الأولى هي المدارس القرآنية، والثانية الوعظ والإرشاد في المساجد، أما الثالثة فهي خلق ثلاث مدارس ثانوية باللسانين سنة 1850 مع التركيز على اللسان الفرنسي.

ورغم تواضع المدارس القرآنية والمساجد وتخلّفها إلا أنها نجحت في الاحتفاظ بالعربية حيةً،[1] فالكتاتيب لم تكتف بوظيفة تحفيظ القرآن وإنما كانت وسيلة لمواجهة سياسة الفرنسة والتنصير وحماية الشخصية الإسلامية للجزائر، ولمقاومة سياسة التجهيل، وتواجدت في كل الحواضر الكبرى والقرى، ورغم مظهرها المزري، وفقر أصحابها وأساليبها العتيقة فإن دورها هام جدا في المحافظة على القرآن الكريم، وعلى الطابع الإسلامي للجزائر شكلاً ومحتوى، وفي إفشال الهجمة الفرنسية على الثقافة الوطنية، وهذا ما يفسر لنا انتشار حفظة القرآن الكريم منطلق الحركة التعليمية والتثقيفية الإسلامية الجزائرية.[2] فخلال التوسّع الاستعماري عملت هذه المؤسسات عملا جبّارا في صيانة رموز الهوية الوطنية الأساسية المتمثلة في الدين الإسلامي واللغة العربية، وحصّنت الشخصية الجزائرية من الذوبان والانسلاخ.

فالتعليم الصوفي الديني وبغض النظر عن مسؤوليته في تخلف المسلمين وإطالة عمر الاستعمار فهو خدمة للمجتمع الجزائري لأنه حافظ على تمايز الأهالي المسلمين عن غيرهم، وجعل من عملية الإدماج بين الأوربيين والأهالي عملية مستحيلة،[3] فقد منح هذا التعليم حصانة روحية للمجتمع الجزائري صدّت المحاولات الفرنسية في استلابه نحو الثقافة الفرنسية ومخططات السياسة الاستعمارية، فالزوايا لها دور بارز في الحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية من التفسخ والذوبان في بوتقة الحضارة الفرنسية المسيحية إذ أنها عملت على تعليم القرآن الكريم، وتحفيظه ونشره بين الأجيال الجزائرية، وتعليم بعض العلوم الدينية واللغوية ولو في صورة ثانوية في بعض الأحيان فتخرّج منها أجيال من المثقفين، وارتبط البعض منهم بحركة النهضة الفكرية والإصلاحية في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين.[4]

1- سعد الله: **نفسه**، ص 62.
2- خيثر: **المرجع السابق**، ص 81.
3- **نفسه**، ص 41.
4- خيثر: **المرجع السابق**، ص 78.

ورغم ما يقال عن التعليم القرآني في الكتاتيب والزوايا بأنه متأخر عن مسايرة العصر لكنه كان تعليما مقاوما، أي أنه أساس إيديولوجية وطنية تقوم على رفض الوجود الاستعماري،[1] ولولا هذا التعليم العربي الحر لانعدمت العربية وانعدم تعليم الإسلام في هذه الديار.[2] وإليه يعود الفضل في تشكيل نخبة من المثقفين الجزائريين بالثقافة العربية الإسلامية، هي نخبة المحافظين دعت إلى التمسك بالتقاليد والمقومات الوطنية، وحمت الجزائريين من تأثيرات المدرسة الفرنسية الداعية إلى الاندماج والتجنّس.

1-3- توقف المقاومة المسلحة والتوسع الاستعماري:

اعتقدت قوات الاحتلال أن سقوط مدينة الجزائر هو سقوط البلاد كلها، ونهاية لحركة المقاومة التي بدأتها قوات الداي حسين، لكنها فوجئت بمقاومة شرسة نظمها الشعب الجزائري للدفاع عن وطنه باسم الجهاد جعلتها لا تغادر مدينة الجزائر، وتعيش حالة حصار ضربه عليها سكان البليدة والمتيجة مما أربك قادة جيش الاحتلال، وأفشل خططهم في التوسع خارج العاصمة، وقد ركزت المقاومة في البداية على محاولة وقف عمليات الاحتلال وضمان بقاء الدولة، وقد استمرت عمليات الرفض الشعبي للوجود الاستعماري طيلة القرن التاسع عشر مجسَّدة في مقاومات شعبية متواصلة رغم عدم اتحادها أو التنسيق بينها عبر كامل التراب الوطني.

– **المتيجة:** فقد نظمت المقاومة الريفية التلقائية محاصرة العدو من كل الجهات إلا من جهة البحر وواجهت بوسائل بدائية قوة العدو الشرسة التي كانت متمركزة في العاصمة،[3] واستطاعت تعبئة سكان المناطق المحيطة بالعاصمة بواسطة الحماس الديني والوطني الذي كانت تغذيه الزعامات الدينية المحلية، وتمكنت من عرقلة تحركات الجيش الفرنسي الذي لم يتمكن من الضغط عليها إلا بالإرهاب وتخويف

1- **نفسه**، ص 82.

2- أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، المطبعة العربية، بـــ تـــ، ص 304.

3- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ص 118.

السكان مثل دلس والبليدة والقليعة،[1] ورغم هذا لم تتوقف المقاومة في المتيجة ولكنها أصبحت مفككة مبعثرة عاجزة عن القيام بأي جهد جاد في وجه اندفاع الفرنسيين.[2]

– **مقاومة الأمير عبد القادر:**[3] في الغرب الجزائري بدأت حركة الجهاد على يد الحاج محي الدين بن مصطفى شيخ الطريقة القادرية في نواحي معسكر منذ 1830، ثم خلفه ابنه الأمير عبد القادر سنة 1832 الذي تمكن من محاصرة التواجد الفرنسي في المنطقة الغربية من البلاد، وأجبر فرنسا على إبرام معاهدة دي ميشيل معه خلال ربيع 1834.[4] التي اعترفت بسلطة الأمير وبقيادته كقوة وحيدة في المنطقة، لكن مع مجيء بيجو وتطبيقه سياسة الحرب الشاملة تراجعت مقاومة الأمير عبد القادر، ووقعت الزمالة في أيدي العدو سنة 1843 ولجأ الأمير إلى المغرب،[5] محاولا إعادة تنظيم جهوده والحصول على دعم خارجي لكن بدون جدوى، فالضغط الفرنسي والمغربي دفعه للاستسلام في 21 ديسمبر 1847[6] مع استمرار حركة المقاومة الشعبية في مختلف مناطق الوطن.

– **مقاومة أحمد باي:**[7] وفي الشرق نظم أحمد باي المقاومة، وأفشل الحملة الفرنسية الأولى على قسنطينة التي انسحبت في 24 نوفمبر 1836،[8] وعمل على تنظيم إقليمه لكنه لم يتمكن من صد حملة قسنطينة الثانية في أكتوبر 1837 مما جعل الاستعمار يتوسع في مد نفوذه عل مناطق شاسعة.[9]

1- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ص 129.

2- جمال قنان: **قضايا ودراسات**، ص 108.

3- عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى الحسني (1807-1883) مجاهد وشاعر وعالم وصوفي، ولد في القيطنة بمعسكر، أدى فريضة الحج وزار بغداد ودمشق، بويع سنة 1832 لقيادة المقاومة الوطنية التي استمرت (15) عاما حتى سنة 1847 حيث نفي إلى فرنسا مدة خمس سنوات ثم انتقل إلى دمشق حتى وفاته سنة 1883، من آثاره: "ذكرى العاقل"، "المواقف"، "ديوان شعر". أنظر: نويهض: **المرجع السابق**، ص 104.

4- قنان: **قضايا ودراسات**، ص 110.

5- سعد الله: «**الحركة الوطنية الجزائرية** ، ج 1، ص 218.

6- **نفسه**، ص 267.

7- الحاج أحمد باي ولد سنة 1876، ابن محمد الشريف ابن الباي أحمد القلعي الذي حكم قسنطينة (15) عاما، أمه رقية ابنة الحاج بن قانة رأس إحدى العائلات الكبيرة في الصحراء، عين سنة 1818 خليفة للباي فأثبت جدارة جعلت الداي حسين يعينه بايا على قسنطينة سنة 1826، شارك في محاولة صد الحملة الفرنسية سنة 1830، ثم قاد المقاومة في الشرق الجزائري حتى سقوط قسنطينة سنة 1837، توفي بمدينة الجزائر في 1852/08/30 ودفن في زاوية عبد الرحمان الثعالبي. أنظر: سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، هامش 5، ص 139.

8- جمال قنان: **قضايا ودراسات**، ص 109.

9- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية** ، ج 1، ص 163.

– **مقاومة الزعاطشة:** واجهت القوات الفرنسية ثورة عنيفة في واحة الزعاطشة شملت الحضنة والزيبان وأجزاء من الأوراس والصحراء وبسكرة وأولاد جلال وبوسعادة بقيادة الشيخ بوزيان[1] الذي أعلن الجهاد منددا بتجاوزات الفرنسيين منذ ربيع سنة 1849، وتمكن الثوار من صد هجومات الجيش الفرنسي، وكبّدوه خسائر معتبرة مما جعله يفرض حصارا دام (52 يوما) إلى أن تمكن الجيش الفرنسي في 28 نوفمبر من الاستيلاء على الواحة.[2]

– **مقاومة منطقة القبائل:**

بدأت الثورة منذ سنة 1849 بقيادة الشريف بوبغلة[3] الذي أصبح علما للثورة، وتم استقباله من الجميع،[4] حقق انتصارات على العدو وأبدى مع سكان بلاد زواوة استماتة في الدفاع عن أراضيهم، قاوم خمس سنوات وأخرج المنطقة من عزلتها الجبلية، وأدخلها في مقاومة الاحتلال إلى أن قُتل في 26 ديسمبر 1854،[5] وبعده واصل أهل زواوة ثورتهم بين سنتي 1855 و1857 بقيادة جديدة هي لالا فاطمة نسومر[6] التي رفعت راية الجهاد في المنطقة وانضم إليها عدد كبير من الناس مما جعل راندون يقوم بهجوم كاسح على جرجرة سنة 1857 مستخدما الحرق والقتل الجماعي إلى أن تمكّن من أسر الزعيمة فاطمة في 11 جويلية 1857، وحملها إلى سجن تابلاط الذي بقيت فيه حتى وفاتها.[7]

– **انتفاضة 1871:** قادها الشيخ المقراني من الصدّوق مقر الزاوية الرحمانية مستغلا الظرف الدولي المتمثل في هزيمة فرنسا أمام بروسيا 1870، بالإضافة إلى اشتداد وطأة السياسة الاستعمارية من

1- من موظفي إدارة الأمير عبد القادر بلقب (شيخ) على واحة الزعاطشة، استطاع بنفوذه أن يجند الكثير من المرابطين والمجاهدين واستمات في الدفاع عن الواحة حتى سقطت في 28 نوفمبر 1849 واستشهد كل من فيها، وبعد وفاته قطعت رأسه ورأس كل من ابنه وموسى الدرقاوي وعلقت الرؤوس الثلاث على مقصلة في معسكر الفرنسيين.

2- زوزو: **الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي**، ص143.

3- اسمه محمد الأمجد بن عبد المالك، ولد حوالي 1810، عرف باسم سي محمد بن عبد الله بوسيف (الشريف بوبغلة)، شارك في حروب الأمير عبد القادر، حل ببلاد زواوة أواخر 1849 أو أوائل 1850 مع بعض الفرسان داعيا للجهاد الذي دام خمس سنوات واستمر بعد وفاته 1854.أنظر: سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ص 345.

4-Feraud: «**note sur Bougie**», R. A, n 48, aout 1859, p 451.

5- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ص 350-351.

6- فاطمة بنت الطيب شيخ زاوية ورجة، ولدت سنة 1830، أشرفت على زاوية ورجة وجعلتها منطلقا للجهاد، واصلت الثورة بعد الشريف بوبغلة إلى أن سقطت أسيرة في 1857، سُجنت في تابلاط حتى وفاتها في 1863.

7- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ص 352-353.

خلال مصادرة الأراضي وقانون كريميو 1870 القاضي بتجنيس اليهود، بدأت في 16 مارس 1871 بمحاصرة مدينة برج بوعريريج وفي 08 أفريل انضم إلى الشيخ المقراني الشيخ الحداد[1] واشتدت المعارك مع الفرنسيين إلى أن سقط المقراني في 05 ماي 1871، و لم يتمكن الشيخ الحداد من مواصلة الثورة أمام القمع الفرنسي إذ تشتت قواته في 25 جوان 1871.[2]

– **ثورة اولاد سيدي الشيخ وبوعمامة:** رغم إخماد فرنسا لانتفاضة 1871 فإن الروح الجزائرية التي تميل إلى الاستقلال عادت للظهور في شكل انتفاضات ضد الاستعمار كثورة أولاد سيدي الشيخ (1864-1881) والشيخ بوعمامة (1881-1904)،[3] وانطلقت ثورة أولاد سيدي الشيخ بقيادة مرابطين كسي سليمان وعمه سي الأعلى عندما شرعت فرنسا في التسلل إلى الصحراء، ثم ضعفت المقاومة لتتجدد بقيادة الشيخ بوعمامة خليفة سي الأعلى وامتدت إلى وهران والصحراء والهقار،[4] وقد وُصف بوعمامة بعبد القادر الثاني نظرا لقدرته على محاربة الفرنسيين مدة (23 سنة) إلى أن استطاع الفرنسيون محاصرته في الصحراء لمنع تتسرب أخباره إلى الشمال.[5]

لقد استمرت المقاومات الشعبية طيلة القرن التاسع عشر يجمع بينها قاسم مشترك هو الجهاد عبّرت من خلاله عن حالة رفض دائم للغزو والتوسع الاستعماري محاوِلة وقفه، لكنها لم تكن موحدة ولا منظمة إلا مقاومة الأمير عبد القادر، ومعظمها تفتقر إلى الوعي السياسي والتخطيط والعدة والمبادرة، فهي ردود أفعال محددة الزمان والمكان يحركها الحماس الديني والوطني دون رؤيا استراتيجية للصراع مع العدو فهي تكتفي بالنجاح المعنوي دون المادي، لذلك فمحاولاتها باءت بالفشل العسكري نظرا للتفاوت الكبير في موازين القوى، وتشتت الثورات جغرافيا أمام الجيوش الفرنسية المنظمة التي

1- محمد أمزيان بن علي الحداد (**1790-1873**) ولد في قرية صدوق الأعلى، شيخ الطريقة الرحمانية، له دور كبير في ثورة سنة **1871**، من آثاره: "رسالة في لتصوف"، "شرح لمنظومة ابن راشد". أنظر: أنظر: نويهض: المرجع السابق، ص 120.

2- بوحوش: **المرجع السابق**، ص 146-147.

3- بلاسي: **المرجع السابق**، ص22.

4- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 54-55.

5- عمار بوحوش: **المرجع السابق**، ص 150-151.

تتزايد وتتضاعف لديها الإمدادات، حيث انحصرت المقاومات في نهاية القرن التاسع عشر في مناطق صغيرة وتحالفات عشائرية غير مجدية قضت عليها قوات الاستعمار.[1]

لكن رغم هذا فإن المقاومات الشعبية حافظت على الضمير الوطني حيّا، ومثّلت استمرارا للكيان الجزائري الذي حاول الاحتلال القضاء عليه.[2] وبعد الاقتناع باستحالة النصر العسكري على العدو مع نهاية القرن التاسع عشر، واستكمال المشروع التوسعي الاستعماري حاول الجزائريون العمل على تخفيف وطأة السياسة الاستعمارية المسلّطة عليهم، والحصول على بعض الحقوق في ظل السلطة الفرنسية، بالتفكير في تغيير أساليب كفاحه وإيقاف أشكال العنف وتجريب الأساليب السلمية ليأخذ قسطا من الراحة ويدرس التجارب الماضية.[3]

ففِكر المقاومة استمر بوسائل جديدة معتمدا على أسلوب الشكوى والتذمر ومخاطبة الرأي العام والكشف عن مساوئ الحكم الفرنسي في الجزائر.[4] حيث انتهج الجزائريون سياسة جديدة ترتكز ليس على مقاومة الغزاة بالسلاح فقط ولكن ترتكز أيضا على الاتصال والقيام بضغوطات متوالية على حكومة باريس لإنصاف الجزائريين، وتميزت هذه السياسة الجديدة بعدم وجود خطة مشتركة لمحاربة الظلم وبالتالي عدم الاتفاق على انتهاج سياسة مشتركة أو تقديم فكر موحد،[5] مما أدى لظهور فكر سياسي بتوجهات ومطالب مختلفة.

$1-_4$ السياسة الاستعمارية:

تماشيا مع التوسع الاستعماري الفرنسي طبّقت سلطات الاحتلال سياسة استعمارية تعمل على تقويض أركان السيادة الوطنية بجميع مظاهرها، وإلحاقها بالدولة الفرنسية، وتوطين الأوربيين لقهر العنصر الجزائري وإخضاعه، وامتدت لجميع نواحي الحياة.

1- عمار بوحوش: **المرجع السابق**، ص 201.

2- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 57.

3- يحي بوعزيز: **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954**، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 73.

4- بلاسي: **المرجع السابق**، ص 13.

5- بوحوش: **المرجع السابق**، ص 202-203.

– **التعسف الإداري والسياسي**: اتّبع الفرنسيون سياسة الاحتلال الجزئي في الجزائر من خلال تحصين المدن الساحلية وإدارة الأرياف بالاعتماد على القوة العسكرية، ثم بدأت سياسة الاحتلال الكلي باستعمال كل ما يمكن من الوسائل الضرورية لتحقيق هذا الهدف[1] فبدأت سلسلة من التشريعات الفرنسية بشأن فرنسة الجزائر، حيث أُلغي الكيان الجزائري بصفة رسمية بمرسوم 22 جويلية 1834 الذي نص على إلحاق الجزائر بفرنسا، ونشطت سياسة الاستيطان الحر والرسمي.[2]

وفي عام 1850 ألغت الإدارة حق الأهالي في انتخاب نواب لهم في المجالس البلدية بدعوى عدم أهليتهم لذلك،[3] ومنذ 1870 سعى الأوربيون لمنع الجزائريين من الحصول على أي تمثيل سياسي سواءً في المجالس المحلية أو التمثيل في البرلمان الفرنسي، ولهذا حاول الأوربيون على الدوام إضعاف الحاكم العام في الجزائر حتى لا يتدخل في شؤونهم الداخلية، وعطّلوا صدور أي قوانين تكون منصفة للجزائريين، وتخدم مصالحهم.[4] كما عارض الكولون تجنيس الجزائريين دون التخلي عن الأحوال الإسلامية، وبناءً على قانون سيناتوس كونسيلت (Sénatus-consulte) لسنة 1865 فإن الجزائريين لم يكونوا لا مواطنين فرنسيين، ولا جزائريين وطنيين، فقد كانوا في نظر القانون الفرنسي رعايا، وكانوا في نظر الكولون عبيدا، ولكن في نظر أنفسهم لا شيء.[5]

وبقي الجزائريون يعانون من قهر السياسة الاستعمارية رغم تعاقب أنظمة الحكم في فرنسا وازدادت وطأتها عليهم بعد سقوط الامبراطورية الثانية التي أعطت للكولون حرية الحركة في الجزائر، فبعد قيام الجمهورية الفرنسية 1871 أصدرت باريس ثمانٍ وخمسين قرارا يخص الجزائر في ظرف خمسة شهور من بينها قرار ينشئ منصب حاكم مدني[6] حسب طلب المعمرين بعد ما رأوا أن ضباط الجيش والمكاتب العربية في ظل الحكم العسكري يحدون من نفوذهم.

1- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 21.

2- بوعزيز: **سياسة التسلط الاستعماري**، ص 8.

3- **نفسه**، ص 13.

4- بوحوش: **المرجع السابق**، ص 180-181.

5- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 28.

6- **نفسه**، ص 26.

وكان من ضمن الخطوط العريضة للنظام المدني إخضاع الأهالي للمحاكم الزجرية التي يرأسها المحلفون اليهود، وتجنيس اليهود الجماعي بقرار 24 أكتوبر 1870 فزاد نفوذ المستوطنين، وأحكموا قبضتهم على الأهالي، ووصلوا قمة سيطرتهم آخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين،[1] وفي 28 جوان 1881 صدر قانون الأنديجينا[2] (code de l'indigénat) لفرض الانضباط والنظام في صف السكان المسلمين بحيث يتعين عليهم أن يظهروا الطاعة العمياء للأوربيين، فقد تمكن الأوربيون من إجبار الجزائريين على دفع الضرائب العربية بدون نقاش ومنعهم من حمل السلاح وعدم الذهاب إلى الحج بدون رخصة مسبقة[3].

وأمعنت السلطات الاستعمارية في قهر العنصر الجزائري فلم تكتف بإذلاله وتجريده من ممتلكاته، بل استغلته في حروبها الخارجية للقضاء عل ما تبقى منه ففرضت عليه الخدمة العسكرية الإجبارية بمرسوم 03 فيفري 1912 التي أثارت استنكارا واسعا في أوساط الجزائريين الذي رفضوا أن يموت أبناؤهم في الجيش الفرنسي تحت العلم الأوربي، وقرّر الكثير منهم الهجرة،[4] كما أن هذا المرسوم أفرز نقاشا واسعا لدى مكونات النخبة الجزائرية التي رأى بعضها في التجنيد وسيلة للحصول على بعض الحقوق.

– **الاستغلال الاقتصادي**: اعتمدت سلطات الاحتلال على الجانب الاقتصادي للضغط على الجزائريين، وكبح حركة المقاومة مما أدى لتفكيك البنية الاقتصادية والاجتماعية، فقد صمم بيجو على استعمار الجزائر بالبندقية والمحراث فأخذ يحول الجنود والضباط إلى فلاحين، وأصدر قرارا في 1841 يقضي بالاستيلاء على أراضي الأهالي الثائرين ومنحها للمستوطنين، وفي 1845 أصدر أمرا بالاستيلاء على أراضي القبائل التي تعادي الفرنسيين، وعندما رحل بيجو من الجزائر سنة 1847 خلّف وراءه (109400) مستوطن أوربي.[5]

1- بوعزيز: **سياسة التسلط الاستعماري**، ص 24.

2- قانون الأهالي عبارة عن سلسلة من العقوبات الزجرية لا صلة لها بالقانون العام حُددت بـــ 41 مخالفة خاصة بالأهالي ثم خُففت إلى 21 مخالفة عام 1891، واستمرت الإدارة الاستعمارية في تطويرها وتجديدها حسب الظروف. أنظر: بوعزيز: **المرجع السابق**، ص 38.

3- بوحوش: **المرجع السابق**، ص 174.

4- بوعزيز: **سياسة التسلط الاستعماري**، ص 45.

5- **نفسه**، ص 9-10.

وصودرت معظم الأراضي باسم الثورة على السلطة العدوة ووزعت على الأوربيين وتوقف الإنتاج بسبب الخوف والحرب،(1) وقُنّنت عمليات نقل الأراضي من الجزائريين إلى الأوربيين حيث صدر في 15 سبتمبر 1871 قانونا قسّم (100000) هكتار في الجزائر على مهاجري الألزاس واللورين،(2) ونشط الاستيطان الحر بفضل قانون وارني (Warnier) الصادر في 1873 الذي استهدف القضاء على الملكية الجماعية للقبائل والأعراش،(3) وبواسطة هذه القوانين التعسفية سيطر الاستعمار في الفترة (1871-1875) على (247190) هكتار، وأسس (113) قرية موزعة على العاصمة (33)، وهران (31)، وقسنطينة (49).(4)

وفي الفترة ما بين (1887-1889) تمكنت الإدارة الاستعمارية من الاستيلاء على (957000) هكتار بصفة مجانية لأكثر من (224) قبيلة،(5) مما يعكس الوضع المأساوي للجزائريين الذين فقدوا أراضيهم مصدر ثرواتهم وتجمعاتهم فانتشر الفقر والبطالة، وشُرِّدت القبائل والأعراش إلى المناطق النائية حيث تنعدم شروط الحياة الأساسية مما حوّل الجزائريين إلى كادحين.

- **محاربة المقومات الدينية:** حارب الاستعمار سياسة مقومات الأمة الجزائرية من لغة عربية ودين إسلامي وما يتصل بهما من تعليم وقضاء، لأنه دور الدين الإسلامي في التعبئة الشعبية لمقاومة الغزاة، ودور اللغة العربية في خلق التمايز بين الثقافة الوطنية والثقافة الأجنبية.

* **القضاء الإسلامي:** يعتبر القضاء من مظاهر السيادة لذلك خضع هو الآخر للتدخل الاستعماري الفرنسي حيث تم إلحاقه بشكل تدريجي في منظومة القضاء الفرنسي منذ بداية الاحتلال وقطع صلته بالدين الإسلامي الذي يستمد أحكامه المبنية على العدل من تعاليمه، وهذا رغم تعهد سلطات الاحتلال سنة 1830 باحترام ديانة وقانون وعادات المسلمين الجزائريين(6).

1- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ص 241.

2-Ernest Mercier: **l'Algérie en 1880**, Paris, 1880, p 82.

3- بوعزيز: **سياسة التسلط الاستعماري**، ص 32.

4- J. Roy: **Histoire de l'Algérie**, Tours, s d, p 365.

5- بوعزيز: **سياسة التسلط الاستعماري**، ص 32.

6-**« pétition faite par un groupe de conseillers municipaux indigènes,** op-cit, p 35.

فقد أصدرت السلطات الاستعمارية في 1834 قرارا يقضي باستئناف الأحكام التي يصدرها القاضي المسلم أمام مجلس الاستئناف الفرنسي[1] مما يعرّض العدالة الإسلامية للتغير الكبير والانتقاص من قدرها والزوال التدريجي، حيث أصبح مجال عملها يضيق مع الوقت بصدور مرسوم 13 ديسمبر 1866 الذي حطم القضاء الإسلامي بفرضه على المسلمين التقاضي لدى قضاة الصلح الفرنسيين، وأصبحت مهمة القضاة المسلمين تنفيذ أحكام قضاة الصلح ليس أكثر.[2]

وعندما رفض الجزائريون التخلي عن قوانين الشريعة الإسلامية، والتقاضي لدى القضاة الفرنسيين تشددت الإدارة في التضييق على القضاء الإسلامي حيث صرح الحاكم العام دوقيدون (De gueydon)[3]:«إن العدالة تدخل في إطار السيادة، وعلى القاضي المسلم الانحناء أمام القاضي الفرنسي، وعلى كل واحد أن يفهم أننا الغالبون»،[4] فاستمر الفرنسيون في تقليص دور القضاء الإسلامي بحصره في النظر في قضايا الزواج والطلاق والمواريث ومنع المسلمين من النظر في قضايا الملكية والعقارات في 10 سبتمبر 1886[5] أي الأحوال الشخصية فقط مما يعد إجحافا في حق المسلمين الجزائريين الذين أخضعوا لقوانين وضعية وقضاة فرنسيين.

أما منطقة القبائل فقد حاولت فرنسا منذ سنة 1874 فصلها عن الإسلام بجعل القضاء فيها يعتمد على العرف والتقاليد القبلية، وفي عام 1896 أُخضعت المحاكم الشرعية الإسلامية للوالي العام،[6] مما أدى لظهور أصوات تنادي بصيانة الخصوصية الدينية للمسلمين الجزائريين التي انتهكتها القوانين الفرنسية مجسِّدة بذلك للفكر المطلبي الجزائري من خلال تدخل سي امحمد بن رحال أمام لجنة التحقيق التي أرسلها مجلس الشيوخ سنة 1892 للجزائر حيث رأى أنه «في تقديم عدول الفرنسويين على

1- صلاح عوض: **معركة الإسلام والصليبية في الجزائر**، الزيتونة للإعلام والنشر، 1989، ص 207.

2- **نفسه**، ص 207.

3- Louis Henri de gueydon شغل منصب حاكم عام الجزائر بين 1871 و 1873.

4- بوحوش: **المرجع السابق**، ص 175.

5- بوعزيز: **سياسة التسلط الاستعماري**، ص 40.

6- بوعزيز: **سياسة التسلط الاستعماري**، ص 41.

تركات المسلمين مصاريف تستغرق جل التركة، وأحيانا جميعها زيادة على ما في ذلك التداخل من هتك حرمة الأحكام الشرعية الدينية التي التزمت فرنسا باحترامها بمعاهدة عام 1830»[1]

*** التعليم العربي والأوقاف:**

أدركت فرنسا خطورة استمرار التعليم العربي على وجودها في الجزائر رغم طابعه التقليدي، وبساطة محلاته في الكتاتيب القروية والمساجد والزوايا المنتشرة في الجبال والصحارى، لذلك عمدت إلى تقويض أركانه، والسيطرة على مؤسساته لتسييرها تحت إشرافها بما يخدم مصالحها، متنكّرة لكل تعهداتها عشية الاحتلال باحترام ممتلكات الجزائريين ومعتقداتهم الدينية.

فقد اعتبرته تعليما غير مجدٍ، ومصدر إزعاجٍ لذلك وجب عدم انتظار زواله وإنما اقتراح تعليم آخر،[2] وقد بدأت هذه السياسة بمحاربة المدرسة الجزائرية بالغلق وإدخال اللغة الفرنسية إلى بعضها والاستيلاء على مصادر تمويلها المتمثلة في الأوقاف، حيث أن غالبية المدارس الإسلامية أو العالية أُغلقت لنقص الموارد،[3] التي صادرتها سلطات الاستعمار في إطار التدمير الحضاري الذي شمل الأوقاف الإسلامية والأملاك الدينية والمساجد والزوايا والمدارس حيث ضمّوا أملاك الوقف للدومين (أملاك الدولة)،[4] ففي 23 مارس 1843 أصدر بيجو قرارا بضم أوقاف مكة والمدينة إلى إدارة الدومين، وفرض اللغة الفرنسية على الصبيان المسلمين في الكتاتيب.[5] وكان هدفه من ذلك السيطرة على أموال الأوقاف وقطع رزق العلماء ومزاحمة اللغة العربية تمهيدا للقضاء عليها، كما استاء المستوطنون ورؤساء البلديات من تعليم الجزائريين ومن تخصيص ميزانية لهم، فلم يبلغ نصيب الجزائري من القروض الموجهة للتعليم سنة 1914 إلا (0.61) فرنك مقابل (13.97) فرنك للأوربي،[6] وإمعانا في التضييق على

1- عبد الحميد حاجيات: «**قراءة لوثيقة محمد بن رحال حول المطالبة بالاصطلاحات 1891**»، آفاق وأفكار، جامعة الجزائر 2، ع 3، (جانفي-جوان 2012)، ص55.

2- تيران: **المرجع السابق**، ص 256.

3- Delassus: **op-cit**, p 26.

4- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 1، ص 248.

5- سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 2، ص 12-13.

6- Meynier: **op-cit**, p 88.

التعليم العربي راحت السلطات الفرنسية تطارد رجال التعليم للقضاء المؤسسات التعليمية الموجودة، والتي كانت في نظرها تنشر إيديولوجية وطنية مناهضة لمصالح الاستعمار.[1]

وكان اختفاء المؤسسات التعليمية يعني اضطهاد اللغة الوطنية، وهي العربية التي اعتبرت أجنبية، والفرنسية لغة رسمية، فأُزيلت من المدارس الابتدائية والثانوية،[2] وتعرّضت لضعف كبير منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى في المدن التي كانت تتميز بالثقافة العربية[3] نظرا للعراقيل التي تيضعها الاستعمار أمام التعليم العربي كمعاول هدم للثقافة الوطنية بالموازاة مع الغزو العسكري.

وفي سنة 1892 لم يبلغ مجموع تلامذة المدارس الثلاث إلا ثمانمائة واثنان وأربعون تلميذا (842) تخرج منهم في نفس السنة أربعة عشر تلميذا (14)،[4] وهذا ما يعكس تدهور تعليم الجزائريين الذي لفت انتباه بعض أفراد النخبة المحافظة التي جعلته من أولويات مطالبها منذ نهاية القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين، وخاصة مع زيادة التعسف الاستعماري تجاه التعليم العربي حيث قررت الحكومة العامة في 24 ديسمبر 1904 عدم السماح لأي معلم جزائري أن يفتح مدرسة لتعليم العربية دون الحصول على رخصة من عامل العمالة أو الضباط العسكريين في مناطق الحكم العسكري، شرط أن يقتصر التعليم على تحفيظ القرآن فقط، ولا يشرح آيات الجهاد، ولا يدرس تاريخ الجزائر وجغرافيتها، وأن يكون مخلصا للإدارة الفرنسية.[5]

2- العوامل الخارجية:

لم تكن الجزائر بمعزل عن أحداث المشرق العربي رغم السياسة القمعية الاستعمارية ومحاولتها عزل الجزائر عن بقية الأقطار العربية، إذ بقي الاتصال قائما عبر قوافل الحج وبعثات الدراسة للمتعطشين للثقافة العربية الإسلامية، وحركة الهجرة التي مثّلت شكلا من أشكال المقاومة تحت وطأة السياسة

1- خيثر: **المرجع السابق**، ص 65.

2- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 61-62.

3- Meynier: **op-cit**, p212 .

4- دويب عبد الرحمان: **الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي**(1907-1992)،قسم التراجم، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 365.

5- بوعزيز: **سياسة التسلط الاستعماري**، ص 60.

الاستعمارية، حيث استقر الجزائريون في مختلف الأقطار العربية والإسلامية، وتأثروا بمختلف الأحداث والمؤثرات الفكرية والسياسية والثقافية التي شهدتها تلك الأقطار في نهاية القرن 19م ومطلع القرن 20م.

2-1- نهضة المشرق العربي وإفادة المهاجرين الجزائريين منها:

قد عرف المشرق العربي نهضة فكرية وسياسية قومية حاولت النهوض بواقع الدولة العربية والإسلامية من خلال نشاط الجمعيات الأدبية والسياسية لمواجهة الضعف والغزو الأوربي، وحاولت إحداث صحوة في الفكر الإسلامي من خلال البحث عن العوامل الكامنة خلف تقدم الغرب وتخلف المسلمين، ومحاولة إحداث نهضة إسلامية جديدة، واجتهد زعماء الإصلاح في محاولة التوفيق بين الإسلام والتقدم لتسهيل الانخراط في تحدّي الحداثة الغربية، فكان نتاج تلك الجهود ما يُعرف بالحداثة الإسلامية التي كان أهم ممثليها محمد عبده وتلميذه رشيد رضا[1] من خلال الاعتماد على الشريعة الإسلامية في التعامل مع القضايا المعاصرة،[2] عبر قنوات عمل جديدة تمثلت في النشاط التربوي والصحفي.

وقد عايش الجزائريون هذا الحراك الفكري، وتأثروا به، وبزعمائه خاصة في مصر التي كانت بالنسبة للجزائريين عاصمة الإسلام الكبرى وموطن النهضة العظمى،[3] ومقصدهم لطلب العلم أو الرزق بحكم وقوعها في طريق الحج، واحتضانها الجامع الأزهر ذي الشهرة الواسعة، فكان الجزائريون يتوقفون بها للدراسة أو للتدريس، ومنهم من يستقر بها حتى يجد ضالته ثم يرجع إلى وطنه[4] وقد تزوّد بالعلم والأفكار الجديدة المتعلقة بالتقدم والحرية والعمل الصحفي والجمعوي.

وبلغ الكثير من الجزائريين درجة عالية من العلم والمعرفة في المشرق، وبالأخص مصر وسوريا، ولعبوا دورا هاما في الميدان الثقافي والعلمي، وشاركوا في الحياة الثقافية، وهذا ما جعل للهجرة إيجابيات

1- رشيد رضا (1865-1935) مصلح ديني من مواليد القلمون شمال لبنان، تأثر بتعاليم جمال الدين الأفغاني ومبادئه، قضى شطرا كبيرا من حياته في مصر حيث تتلمذ عبى الشيخ محمد عبده وعمل على نشر أفكاره الإصلاحية، أصدر مجلة المنار، من آثاره تفسير القرآن الكريم وتاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده. أنظر: البعلبكي: **المرجع السابق**، ص 207.

2- تيرنس بول، ريتشارد بيللامي: **الفكر السياسي في القرن العشرين**، تر: مي مقلد، مراجعة وتحرير: طلعت الشايب، ط 1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص 343-344.

3- محمد علي دبوز: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج 2، ط 1، المطبعة العربية، الجزائر، 1971، ص 28.

4- هلال: **المرجع السابق**، ص 161.

تمثلت في توحيد الجزائريين إيديولوجيا ومذهبيا وهم في دار الغربة،[1] فكانوا يطلبون الحرية والاحترام والفرص التي لم يجدوها في وطنهم، ونظرا لاتصالاتهم الدائمة بعائلاتهم وأقاربهم فإنهم ساهموا مساهمة فعالة في تدعيم القضية الوطنية بمهاجمتهم للحكم الفرنسي، وتنوير مواطنيهم، والتعريف بالقضية الوطنية، كما تبنّوا القضايا المصيرية للأمة الإسلامية كالقومية العربية والجامعة الإسلامية.[2]

كما أدت الهجرة إلى تمكين الجزائريين في دار الغربة إلى أن يتعرفوا فيما بينهم، وأن يحتكوا بالآخرين، كما برزت من بينهم نخبة مثقفة هامة في المشرق استطاعت أن تجلب إليها الأنظار، وتساهم مساهمة فعلية في الحركة العلمية والثقافية والسياسية[3] التي عمّت بلدان المشرق أواخر القرن التاسع عشر، واستفادت الجزائر في مطلع القرن العشرين من عودة الكثير من المهاجرين وقد استوعبوا الأفكار التحررية والقومية وغيرها من الشعارات والمبادئ الي انطلقت منها الحركة الوطنية الجزائرية.[4]

2-$_2$- حركة الجامعة الإسلامية:

كان جمال الدين الأفغاني العامل الأكبر في يقظة العالم الإسلامي من سباته العميق وفي إثارة شعوبه ضد الاستعمار الأوربي، فكان ينتقل في كل موطن يدعو إلى النهوض، والأخذ بأسباب الحياة والكفاح المستمر ضد التدخل الأجنبي، وكانت آراؤه السياسية في جريدة العروة الوثقى[5] تدعو المسلمين إلى توحيد جهودهم لمكافحة الاعتداء الأوربي ومناهضة الاستعمار،[6] فكان يقيم في كل أرض ثورة، ويهدم ما تعفن من الآثار البالية، ويقيم على أنقاضه صروحا عالية من العزة والاستقلال، ففي

1- هلال: **المرجع السابق**، ص 69-70.

2- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 129.

3- ممن ساهم في الحياة السياسة نجد الأمير عبد القادر الذي لفت إليه الأنظار كمحارب وعالم ورجل للقومية العربية حيث دعاه القوميون العرب سنة 1877 ليقود حركتهم ويكون ملكا على البلاد الشامية بعد انفصالهم عن الدولة العثمانية، وفي الحياة الثقافية نجد الشيخ طاهر الجزائري الذي ساهم في النهضة العلمية وفتح الكثير من المدارس. للمزيد أنظر: الخالدي: **المرجع السابق**، ص 132 و310.

4- عمار هلال: **المرجع السابق**، ص 158-159.

5- مجلة أسبوعية عربية مديرها السياسي جمال الدين الأفغاني ومحررها محمد عبده لها فروع في مصر والهند وأقطار إسلامية أخرى، تعمل على إنهاض الدول الإسلامية من ضعفها، وتنبيهها للقيام على شؤونها ويدخل في هذا تنكيس دولة بريطانيا في الأقطار الشرقية، وتقليص ظلها عن رؤوس الطوائف الإسلامية، كانت ذات أثر على كل ما جد بعدُ من حركات الوطنية والحرية في بلاد الشرق، صدر منها ثمانية عشر عددا الأول في 1884/03/13 والأخير في 1884/10/16. للمزيد أنظر: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده: **العروة الوثقى**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ص 21.

6- «**جمال الدين الأفغاني**»، المنار، ع 19،(1953/03/14)، ص 2.

مصر سنة 1871 أخذ يفتح العيون على ما يجري في البلاد من أهوال، ويتصدر المجالس ليبلغ برامجه في الإصلاح، ودفع تلاميذه للكتابة في الصحف ليصوّروا الفساد الداخلي والطغيان الخارجي ثم يرسموا طريقة الخلاص بالاستقلال التام.[1]

عملت كتاباته على إيقاظ المسلمين لمواجهة الأخطار الأوربية وأحدثت ثورة في العقل المسلم إذ تطرقت لبيان أساليب الغرب في استغلال الشرق بإقصاء كل وطني وتفريق الشعب إلى طوائف، وحثّت على النهضة والتحرر من الاستعمار لاسترجاع الميراث الذي ضاع بالسيطرة الأوربية عليه من ممالك وأقطار.[2] وفي دعوته إلى الثورة نادى بالكف عن الافتخار بالماضي المجيد، وضرورة الاقتداء بالأجداد حيث كتب على لسانهم: «أيها الأحفاد تفتخرون بسيوف لمعت بالمشرق-نعم- وقد تركنا لكم تلك السيوف مشحوذة في أغمادها فهلا تقلّدتموها؟ وهلا سللتموها في وجه من اكتسح بلادكم، وضرب عليكم الذلة والمسكنة»،[3] فعُدَّ الرجل الوحيد الذي أيقظ الشرق من رقدته التي نامها سبعة قرون، وكان أول مسلم أيقن بخطر السيطرة الغربية المنتشرة في الشرق الإسلامي، وتمثّل عواقبها إذا طال عهدها وامتدت حياتها.[4]

كما دعا جمال الدين الأفغاني إلى وحدة الأمة الإسلامية في إطار ما عُرف بالجامعة الإسلامية واعتبرها من الضرورات لدورها في إصلاح الفرد والجماعة وتقوية شوكة المسلمين،[5] الذين لن يحققوا النصر، ولن ينالوا العزّة إلا بالاتحاد والتعاون فيما بينهم مبيّنا أن "قوة كل أمة كامنة في أفرادها-لا يُظهرها إلا الاتحاد- ولا يُخفيها إلا التفرق فمن رام من الأمم استعادة مجدها، والتخلص ممن أذلها فليس غير طريق الاتحاد ما يُوصل إلى الغاية، وينقذ من البلاء- ولا غير حب الموت ما يُنجي من الموت- ويُنيل المرء إحدى الراحتين فإما أن يعيش بحريته واستقلاله سعيدا، وإما أن يموت دونهما بطلا شهيدا".[6]

1- دويب: **المرجع السابق**، ص 247.

2- الرافعي: **المرجع السابق**، ص 171-172.

3- **نفسه**، ص 173.

4- دويب: **المرجع السابق**، ص ص 250-252.

5- حسين بن مشيش: «**موقف علماء الإصلاح في الجزائر من وحدة الأمة**»، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة باتنة، ع 30/31، (ماي 2013)، ص ص 321-324.

6- مولود عويمر: **أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر**، ط 1، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 87.

وكانت الجزائر على صلة بالجامعة الإسلامية بحكم أنها أول من نادى بالتضامن بين المسلمين، والإصلاح على ضوء التجربة الأوربية من خلال كتابات حمدان خوجة التي بينت أن الإسلام لا يتعارض مع المبادئ الأوربية،[1] فهي أول دولة تعرضت للغزو الأوربي في القرن 19م لذلك احتضنت أفكار الإصلاح، وتمّتع زعماء الجامعة الإسلامية فيها بسمعة عظيمة خاصة الأفغاني وعبده.[2]

ولما جعل السلطان عبد الحميد الثاني[3] فكرة الجامعة الإسلامية وسيلة للوحدة ومحاربة الاستعمار دعّم نشاط الجامعة الإسلامية في الجزائر، وشجع دُعاتُها حركة الهجرة الجزائرية إلى الشرق الأدنى أواخر تسعينات القرن 19م فأُتيح للمهاجرين الجزائريين أن ينضموا إلى لجانها،[4] ويساهموا في الدعاية لها في الصحافة ومواسم الحج وقوافل التجارة، وقد أفادت الجامعة الإسلامية الحركة الوطنية الجزائرية من خلال الكتب والصحافة والاحتكاك عن طريق الهجرة، كما عرّفت بالقضية الجزائرية من خلال مهاجمتها للحكم الفرنسي وتشجيع الجزائريين على رفض التجنيس، كما ضغطت على فرنسا لإدخال إصلاحات، وأخرجت المشكل الجزائري إلى مجال أوسع.[5]

2-3- الصحافة العربية:

تعتبر الصحافة وسيلة مهمة في التعبير عن قضايا الأمة، وعامل تواصل فكري وثقافي بين الشعوب لما تنقله من أخبار ومعلومات آنية عن المجتمع في جميع المجالات، وكان المشرق العربي أول من عرف الصحافة في إطار حركة النهضة الحديثة حيث أسس محمد علي[6] أول جريدة عربية بالقاهرة "الوقائع المصرية" سنة 1828، وهي جريدة نصف أسبوعية للسلطة المصرية،[7] ثم تلتها جريدة حديقة

1- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 110.

2- **نفسه**، ص 115.

3- (1842-1918) سلطان عثماني بين (1876-1909) ورث امبراطورية آيلة للسقوط واجه التدخلات الأوربية، وضع أول دستور عثماني سنة 1876، رعى حركة الجامعة الإسلامية، خلعه رجال تركيا الفتاة عن العرش سنة 1909.أنظر: البعلبكي: المرجع السابق، ص 271.

4- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 112-113.

5- **نفسه**، ص 119.

6- (1769-1849) ألباني الأصل جاء لمصر ضد حملة نابليون بونبارت وانتصر سنة 1799، والي مصر بين (1805-1848)، وضع أسس النهضة المصرية الحديثة، أباد المماليك في مذبحة القلعة سنة 1811، فتح السودان سنة 1821. للمزيد أنظر: البعلبكي: المرجع السابق، ص 320.

7 - Fevret : «**Le XIV congrès international des orientalistes**», R. M. M, t 3, (aout-septembre 1907), Pais, p 181.

الأخبار في بيروت سنة 1858،[1] وعبّرت هذه الجرائد على الأفكار الجديدة لليقظة العربية، والمنادية بمحاربة الاستبداد والتخلف فتأثر بها الجزائريون المتواجدون بالمشرق العربي.

ورغم عمليات الرقابة والمنع التي فرضتها سلطات الاستعمار الفرنسي على الصحافة العربية في الجزائر وخاصة المصرية منها بحجة أنها تشن حملات عدائية ضد الغرب وإيطاليا وفرنسا على الخصوص،[2] فإنها وجدت طريقها إلى الجزائريين المتعطشين للتواصل مع إخوانهم في الشرق عبر قوافل التجارة والبعثات العلمية بطريقة سرية وعلنية عن طريق تونس التي كانت تتمتع نسبيا بحرية أفضل والمغرب الأقصى الذي لم يكن خاضعا للاحتلال بعد، أو عن طريق أوربا أو بواسطة الحجاج الذين يعودون من البقاع المقدسة بعد أداء فريضة الحج.[3]

كانت جرائد المشرق العربي وسيلةً للجزائريين للاطلاع على مختلف التطورات السياسية والثقافية والفكرية والدينية الحاصلة فيه، ومنبراً لنشر الوعي السياسي والقومي لمواجهة أهداف السياسة الاستعمارية الرامية لسلخ الجزائريين عن هويتهم وفصلهم عن الوطن العربي حيث كانت تدعو الجزائريين إلى رفض التغريب والاحتفاظ بأحوالهم الشخصية الإسلامية في وجه التجنّس.[4] وأصبحت الجزائر في مطلع القرن العشرين ترقب وصول بريد المشرق في شوق بالغ،[5] لأنها ترى فيه زادها الفكري ولسانها الناطق بتطلعاتها ومن أهم الصحف نجد:

- **العروة الوثقى:**

أصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده بباريس سنة 1884، سميت باسم الجمعية التي أنشأتها، وهي جمعية تألفت لدعوة الأمم الإسلامية إلى الاتحاد والتضامن، والأخذ بأسباب الحياة والنهضة، ومجاهدة الاستعمار، وتحرير مصر والسودان من الاحتلال البريطاني، كانت مقالاتها أشبه ما تكون بالخطب النارية تستثير الشجاعة في نفوس قارئيها،[6] ودعت الأمم الإسلامية إلى عدم الخضوع

---

1 - Fevret : **op-cit**, p181.

2 - Charles-robert Ageron: «**une politique Algériene libérale sous la troisième république (1912-1919)**», R. H .M.C, société d'histoire moderne, Paris, t7, (avril-juin 1959), p 128.

3- شارل أوندري جوليان: **افريقيا الشمالية تسير**، تع: المنجي سليم، والطيب المهيري، والصادق المقدم، وفتحي زهير، والحبيب الشطي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، 1976، ص 70.

4- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 116.

5- دبوز: **المرجع السابق**، ص 28.

6- الرافعي: **المرجع السابق**، ص 48-49.

لمن يُباينها في الأخلاق والعادات والمشارب واستنكاره، وترى الاتحاد لدفع ما يعمها من الخطر ألزم من التحزب للجنس والمذهب.(1)

ورغم قصر عمرها (18 عددا) فقد عظُم تأثيرها في العالم الإسلامي أجمع، ووُفّقت في إيقاظ روح الوطنية في الأمم الإسلامية،(2) وحبّبت إلى المسلمين طلب الحرية، وبثّت فيهم روحها، وأحيت عندهم الشعور بمقاومة الغاصبين، وزكّت في نفوسهم أخلاق الرجال،(3) وكان لها صدى كبير في المغرب العربي، وانضمت عدة شخصيات مغاربية إلى جمعية العروة الوثقى السرية التي أسسها جمال الدين الأفغاني، ومن أبرز هؤلاء الرجال الأمير عبد القادر الجزائري(4) .

- **مجلة المنار:**

كانت مجلة المنار محط أنظار المثقفين المسلمين في كل أنحاء العالم لما تحتويه من مادة تعكس واقع المسلمين وتحث على النهضة، واستطاعت أن تجذب انتباه بعض القراء الجزائريين منذ بداية ظهورها سنة 1898 حيث كانت أهم القنوات التي نشرت فكرة الإصلاح السلفي في منتصف القرن 19م وبداية القرن 20م على يد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده،(5) وكانت تُقرأ بكثرة في الجزائر التي تحصل عيها بطرق خفية لمناهضة الاستعمار لها، وهي في نظر الجزائريين لسان الإسلام الأكبر، ومنبر الإصلاح الأعظم ومُتنفسها وعونها في الإصلاح إذ كانت تُقرأ في المجالس والنوادي لإنارة البصائر.(6)

وفي أثناء رصدها لأحداث العالم الإسلامي كانت تتعرض لممارسات السياسة الاستعمارية في بلدان المغرب العربي فدافعت عن حق الشعب الجزائري في تعلم لغته حيث انتقدت سياسة فرنسا تجاه حرية العلم والدين بين أهل الجزائر، وبيّنت أنه كان من الواجب عليها أن تحافظ على أحكام شريعتهم وآدابها، وتساعدهم على ترقية بلادهم وعمرانها،(7) وجعلت محاربة فرنسا للدين الإسلامي أكبر خطأ استعماري في الجزائر لأن إزالة صورة الحكم الإسلامي منها وجعل الحكومة فرنسية محضة أحدث في نفوسهم جرحا لا يندمل.(8)

1- جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده: **المرجع السابق**، ص 34.

2-«**جمال الدين الأفغاني**»، المنار، ع 19، (1953/03/14)، ص 2.

3- عويمر: **المرجع السابق**، ص 85.

4- **نفسه**، ص 15.

5- رياض: **المرجع السابق**، ص82.

6- دبوز: **المرجع السابق**، ص 29.

7- رياض، **المرجع السابق**، ص87.

8- المنار: مج 14، ج 5، (1911/05/28)، ص 352.

وهي بهذا ساهمت في انتقاد الخضوع والقابلية للاستعمار بانتقادها لسلطة الطرق الصوفية خاصة التيجانية[1] التي اعتنقها بعض الفرنسيين العارفين بالعربية والإسلام وأمدّوها بالمال، وأوعزوا للعامة أن الرضى بحكم الفرنسيين هو القضاء والاستسلام للقدر، وأنه الواقع ما له من دافع فمعارضته عبث.[2] وهذا ما يعطيها الصفة النضالية باسم الجزائريين الذين هُضمت حقوقهم وحُرموا من وسائل التعبير عن مطامحهم والمطالبة باحترام مقدساتهم الدينية في ظل القمع الفرنسي، كما أنها فتحت أعينهم على أهمية العمل الصحفي كوسيلة للمقاومة السلمية أمام التغلّب الاستعماري الفرنسي.

وبلغ تعلّق الجزائريين بجريدة المنار وحرصهم على مطالعتها إلى اعتبارها مدد الحياة حيث قال الشيخ عبد الحليم بن سماية ومحمد بن مصطفى الخوجة وعبد القادر المجاوي للشيخ محمد عبده بأن يوصي صاحب المنار رشيد رضا أن لا يذكر في مجلته فرنسا بما يسوؤها لئلا تمنع المنار عن الجزائر، وقالوا له:"إننا نعده مدد الحياة لنا فإذا انقطع انقطت الحياة عنا"،[3] فهم يرونها غذاءهم الوحيد، وأنيسهم الفريد وعدتهم الكبرى[4] في تهيئة عوامل اليقظة والنهضة التي بدأت ملامحها في مطلع القرن 20م.

- **جريدة اللواء:**[5]

ساهمت في الدفاع عن قضايا المغرب العربي أمام السياسة الاستعمارية، فقد كان زعماء الجزائر يُجلون مصطفى كامل[6] ويُعجبون بدينة وشجاعته وجهاده، وكانوا يقرأون مقالاته في جريدته "اللواء" ويتابعون خطبه في إعجاب وحماس، ولما نشر علي كامل تاريخ أخيه مصطفى كامل ومقالاته وخطبه في كتاب سنة 1910 تسارع مثقفوا الجزائر والمغرب فقرأوه فزاد في حماسهم وإقدامهم في الجهاد الوطني وجعلوه أحسن غذاء لهم في المعارك التي يخوضونها ضد المفسدين والمستعمرين.[7]

- **الصحافة التونسية:**

1- نسبة إلى قبيلة توجين التي استقرت قديما بعين ماضي بالأغواط، مؤسسها أبو العباس أحمد (1737 م-1815 م) بن المختار بن أحمد التيجاني، تنقل أحمد بين تلمسان والمغرب الأقصى وتونس ومكة المكرمة وتلقى علوم التصوف، وبعد تأسيسه للزاوية تعرض لمضايقة عثمان باي وهران فهاجر إلى المغرب واستقر بها حتى وفاته، كان لها فضل في نشر الإسلام في صحراء إفريقيا.أنظر: صلاح مؤيد العقبي: **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها**، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002، ص 175 وما بعدها.

2- رياض: **المرجع السابق**، ص92.

3- **نفسه**، ص86.

4- دبوز: **المرجع السابق**، ص 29.

5- يومية سياسية مصرية أصدرها مصطفى كامل زعيم الحزب الوطني سنة 1900، وبعد وفاته سنة 1908 ترأس تحريرها عبد العزيز جاويش، استمرت في الصدور حتى سنة 1910.

6- مصطفى كامل (1874-1908) وطني مصري سعى إلى تحرير مصر من الاحتلال البريطاني، أسس جريدة اللواء وجريدتين أخريين إحداهما باللغة الفرنسية والأخرى بالانجليزية للدفاع عن القضية المصرية، أسس الحزب الوطني سنة 1907.أنظر: البعلبكي: **المرجع السابق**، ص 426.

7- دبوز: **المرجع السابق**، ص 33.

كانت تونس مقصد الطلبة الجزائريين وهي منفتحة على المشرق الناهض فتدخل كتبه وصحافته إليها ومجلاته الراقية، وكان جوها السياسي حرّا بحكم أنها محمية لا مستعمرة تتمتع بحرية القول والصحافة العربية[1] التي تتطرق لمواضيع النهضة والفكر وتحث على التقدم كجريدة الحاضرة[2] التي فتحت أعين الجزائريين على تطور حركة الإصلاح في العالم الإسلامي وضرورة الانخراط فيها، كما سمحت نهضة تونس للجزائريين بالتعرف أكثر على أساليب الجهاد السياسي والوطني.[3]

أكدت هذه الصحف على التواصل الموجود بين المشرق والمغرب وفتحت صفحاتها لصرخات تونس والجزائر ومراكش، كما كشفت للشبيبة الجزائرية عن الحالة السياسية والاجتماعية والدينية في سائر البلاد العربية، وأثبتت تشابه مشاكلها، فاعتبرها الجزائريون وريد الحياة الذي وصلهم بالشخصية الإسلامية، وحبل النجاة الذي أنقذهم من ويلات المدنية الغربية، فتشبثوا بها تشبثا قويا.[4] واتخذوها قدوة في تأسيس الصحافة الوطنية الجزائرية التي ستحمل أعباء المجتمع الجزائري مطلع القرن 20م.

2-4- زيارة محمد عبده وتأثيراتها:

كانت الجزائر على صلة بالإمام محمد عبده قبل زيارته للجزائر سنة 1903، فهو لم يكن مجهولا في أوساطها العلمية فكانت التآليف والصحف والمجلات ترد إليها من المشرق تحمل أفكاره، كما كان المتخرجون من الأزهر يحملون آرائه التي تتوخى الإصلاح عن طريق التعليم والتربية الاجتماعية والدينية،[5] فوجد الجوّ مهيأً لنشر الفكر الإصلاحي ليعم كل مناطق العالم الإسلامي مما يسهل عليه مجابهة التغلغل الأوربي وتحدياته الفكرية والسياسية، فخص الجزائر وتونس بزيارة ليقف على حالة الإسلام والمسلمين في الجزائر المستعمرة منذ سنة 1830، والتعرف على علمائها، ودعوتهم إلى السير في ركب حركة التجديد والنهضة التي ظهرت في المشرق العربي،[6] وقد اكتشف في الجزائر وجود حزب إصلاحي كبير ينتمي إليه فقد كان من أنصاره محمد بن الخوجة والشيخ عبد الحليم بن سماية.[7]

1- دبوز: **المرجع السابق**، ص 17-18.

2- أسبوعية سياسية أدبية ظهر عددها الأول سنة 1888، مديرها علي بوشوشة، شاركه في تأسيسها البشير صفر. أنظر: محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، تحقيق حمادي الساحلي، الجيلاني بن الحاج يحي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 167-168.

3- دبوز: **المرجع السابق**، ص 19.

4- خيثر: **المرجع السابق**، ص 105.

5- **«موقف الإمام محمد عبده من تعاليم جمال الدين الأفغاني»**، المنار: ع 41 (1953/04/21)، ص4.

6- عويمر: **المرجع السابق**، ص 16.

7- دويب: **المرجع السابق**، ص 371.

فكانت زيارته للجزائر تعمل لتشجيع فكرة إصلاح التعليم،[1] ورغم أنه لم يكن لهذه الزيارة أي غرض سياسي[2] فإنها أدت إلى نتائج مختلفة مست أكثر من ميدان، وحتى وإن لم تكن لها نتائج مباشرة فقد أثارت فضول المثقفين الجزائريين[3] لطرح عدة مشاكل ثقافية واجتماعية وسياسية تتعلق بمصيرهم وبعلاقتهم بالاستعمار الفرنسي في البلاد،[4] وكوّنت مدرسة وتلاميذ لمحمد عبده في الجزائر لعبوا دورا مهما في النهضة الإسلامية الحديثة، وكان الشيخ عبد الحليم بن سماية الذي لازمه طيلة إقامته بالجزائر، والشيخ محمد بن مصطفى الخوجة من أهم من ساعد على نشر فكر هذه المدرسة الإصلاحية.[5]

كما كان علماء الجزائر وزعماء نهضتها يعدون أنفسهم تلاميذ الشيخ محمد عبده، درسوا كتبه وتأثروا بدعوته وسلكوا طريقه في الإصلاح الديني بتطهيره من الخرافات، وقاموا بواجب النصح والإرشاد، وجُعلت كتبه عماد وُعّاظ الجزائر في التفسير فعرفته العامة لتكرار اسمه في الخطب والدروس، واطّلعت على منهجه في الإصلاح وتأثرت به حتى إذا أُسند قول إليه تقبلته العامة لثقتها به وحبها له،[6] كما يظهر تأثير زيارته على الجزائريين من خلال كتاباتهم عنه بالإعجاب بفكره وأسلوبه حيث ورد في رسالة تعزية من الجزائر بعد موته سنة 1905: "ومكث عندنا عشرة أيام وحاضرناه وشافهناه، ونلنا منه في تلك الأيام القلائل ما شاء الله أن ننال، وخاطبنا بأفصح كلام العرب، ترى الدر يقطر من عذبة لسانه فيُبرئ الإنسان من أحزانه، وكشف لنا عن دقائق المسائل والناس حوله بين مصغٍ وسائل" وخُتمت الرسالة بأن بعض العلماء مازال يُنكر موته.[7]

ورثاه كثير من أهل الجزائر بقصائد كالشيخ عبد الحليم ابن سماية، ومقولات تُعبّر عن أواصر التأثر بأفكاره، واعتبر فيلسوفا أحيى القلوب الميتة وحجّة عصره ومفسر القرآن بما يعجز عنه البلغاء، ومربي الشبان وزينة المحافل وسماء النوادي.[8] مما يعكس المكانة التي حظي بها عند الجزائريين ومبلغ التأثير الذي تركه فكره الإصلاحي في أوساط النخبة الجزائرية المهيأة للتغير.

1- من بين ما أوصى به الجزائريين: -الجد في تحصيل العلوم الدينية والدنيوية – الجد في الكسب وعمران البلاد مع الاقتصاد في المعيشة – مسالمة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة لأنه بهذه المسالمة يتم لهم ما يريدون من مساعدة الحكومة الفرنسية لهم أي يجب ترك السياسة إلى العلم الذي ينير. أنظر: **« محمد عبده والشمال الإفريقي»**، المنار: ع 43 (1953/06/05)، ص3.

2- **نفسه.**

3- من بين الذين استقبلوا الإمام محمد عبده الشيخ عبد القادر المجاوي، الشيخ صالح بن مهنا، الشيخ عبد الحليم ابن سماية، الشيخ المولود ابن الموهوب، الأستاذ محمد راسم. أنظر: عويمر: المرجع السابق، ص 16.

4- هلال: **المرجع السابق**، ص 140.

5- رياض: **المرجع السابق**، ص 85.

6- دبوز: **المرجع السابق**، ص 30-31.

7- محمد رشيد رضا: **تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده 1849–1905**، ج 3، ط 2، دار الفضيلة ، 2006، ص 297-298.

8- رياض: **المرجع السابق**، ص 86.

III- وسائل الفكر السياسي في الجزائر:

إن سبعين سنة من المقاومة المسلحة أنهكت الجزائريين، وأدت لانحسار المقاومة المسلحة في نهاية القرن 19م في ظل التفوق التقني الفرنسي لكنها لم تقض على مشاعر الرفض للمحتل بل استمر الرفض الشعبي متخذا أشكال جديدة أثبت من خلالها قدرةً على التكيف مع التطورات المحلية والخارجية محاولا انتزاع بعض الحقوق في ظل الحكم الفرنسي في مطلع القرن 20م، فحاول زعماء النخبة الجزائرية التعبير عن انشغالات المجتمع الاجتماعية والثقافية والسياسية مما خلق حركة نهضة ويقظة فكرية ذات طابع نضالي، أكدت على استمرارية المقاومة بشكل سلمي عبر قنوات جديدة أهمها الصحافة والجمعيات والنوادي والعرائض لإيصال صوتها إلى الإدارة الاستعمارية مُؤكدة على عدم الاستكانة والتسليم.

1- الصحافة:

لم يعرف الجزائريون الصحافة إلا بعد دخول الاحتلال الفرنسي[1] الذي أحضر معه جريدة ليستافيت دي سيدي فرج[2] (l'estafette de Sidi Ferrage) التي أُعدت داخل البواخر الاستعمارية التي غزت الجزائر سنة 1830،[3] ومع التغلغل الاستعماري ظهرت الحاجة إلى وسيلة للتواصل والتخاطب مع الجزائريين، وأداة لتبليغ القرارات الإدارية فتأسست صحيفتان حكوميتان: الأولى الأخبار[4] تصدر باللغة الفرنسية، والثانية المبشر تصدر باللغة العربية والفرنسية، وقد اشتغل عدد من النخبة الجزائرية في إدارة تحريرها[5] أواخر القرن 19م وأوائل القرن 20م.[6] وفي ظل الاحتكار

1- الزبير سيف الإسلام: **تاريخ الصحافة في الجزائر**، ط 1، مطبعة دار الشعب، القاهرة، 1981، ص 9.

2- أول جريدة تصدر في الجزائر باللغة الفرنسية، أشرف عليها ضباط الجيش الفرنسي، تتولى جمع الأخبار والمعلومات التي لها صلة بما يجري من مستجدات السياسة الفرنسية، وعن الحملة الفرنسية التي يقودها الجيش الفرنسي، صدرت في عددين فقط. أنظر: عبد القادر كركيل: **«نشأة الصحافة في الجزائر»**، المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ع 11، (2015)، ص 218.

3- فتيحة أوهايبية: **«الصحافة المكتوبة في الجزائر، قراءة تاريخية»**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، ع 16، (سبتمبر 2014)، ص 253.

4- صحيفة أسبوعية تصدر بالفرنسية تأسست سنة 1839، ومنذ 1909 أصبحت تصدر باللسانين ست صفحات بالفرنسية وصفحتان بالعربية، وقد استمرت في الصدور حتى سنة 1934.أنظر: سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 133.

5- منهم أحمد البدوي المولود بالجزائر العاصمة سنة 1820م، وشغل منصب سكرتير التحرير في جريد المبشر بين 1850 و1876.أنظر: سيف الإسلام: **المرجع السابق**، ص 59.

6- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 133.

الاستعماري للصحافة، ومعاناة الجزائريين من حملاتها المشوهة للحقائق، ومن مرارة ما غرسه التعليم الفرنسي من أفكار غريبة، ومن تعقيد الفرد الجزائري وتفتيت المجتمع حاول المثقفون الجزائريون التغلب على هذا النوع من الغزو الثقافي بتوعية الجماهير وتزويدها بالمعلومات الصحيحة، وبتعليم الناشئة ثقافتها الوطنية وتاريخها الوطني باستغلال الوسائل العصرية (الصحافة) في إبلاغ الصوت الجزائري للرأي العام الداخلي والفرنسي والعالمي.[1]

وكان دخول الجزائريين عالم الصحافة تحديا كبيرا نظرا للضغوطات الاستعمارية وقلة الوسائل المادية، وأول عقبة واجهت الصحافة العربية هي اللغة لأن التشريع الخاص بالصحافة قبل سنة 1900 يمنع صدور أي صحيفة بغير اللغة الفرنسية، وإذا ما اقتضت الضرورة إصدار صفحة أو صفحتين باللغة العربية فيجب أن تكون هاته ترجمة للنصوص الفرنسية المنشورة في نفس الصحيفة،[2] لكن رغم ذلك حاول بعض الجزائريين إنهاء عزلتهم عن الأحداث، والتعبير عن قضاياهم الاجتماعية والسياسية، وتثقيف مواطنيهم منذ نهاية القرن 19م حيث بادر بعض مثقفي قسنطينة إلى تمويل إصدار صحيفة المنتخب[3] سنة 1882 للدفاع عن مصالحهم لكنها تعرّضت للضغط الاستعماري فتوقّفت بعد شهور قليلة، ثم ظهرت جريد الحق[4] (El Hack) بمدينة عنابة سنة 1893[5] كجريدة وطنية.[6]

1- محمد الطيب العلوي: **مظاهر المقامة الجزائرية 1830–1954**، ط 3، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2000، ص 93-94.

2- جمال قنان: **قضايا ودراسات**، ص 175.

3- أسبوعية مزدوجة اللغة أسسها أعيان قسنطينة للدفاع عن مصالح الأهالي، صدر عددها الأول في 1882/04/23، تولى إدارتها بول إيتيان موريس (Paul Etienne Mauras)، أصرت على تمثيل الأهالي في البرلمان وطالبت بالتعليم وعملت على فضح سياسة الضغوط الاستعمارية والمصادرة والتمييز مما جعلها تتعرض لنقد الصحافة الاستعمارية فتوقفت عند العدد 40 بتاريخ 1883/01/12، ساهم بعض الجزائريين في الترجمة فيها مثل أحمد بن بريهمات، بن لفقون، احميدة بم باديس، حسونة بن لموشي، حمو بن يوسف، للمزيد أنظر:

Zouhir Ihdaden : **Histoire de la presse indigène en Algérie, des origines jusqu'en 1930**, Enal, Alger, 1983, pp 142-145.

4- الحق العنابي أسبوعية تصدر بالفرنسية بعنابة، وهي أول جريدة يديرها الأهالي وهم سليمان بنقين عمر السمار، خليل قايد العيون، صدر أول عدد في 1893/07/30، ورد في عددها الأول أنها سياسية أدبية للدفاع عن مصالح العرب الجزائريين، وابتداءً من العدد 16 ليوم 1894/01/14 أُضيفت صفحة عربية، بقيت تصدر حتى 1894/03/25، تعبر لغتها عن رد فعل عنيف جعل بعض الكتاب المعاصرين يقولون أنها كانت عربية وطنية لا تستطيع الإدارة السكوت عليها. أنظر:.ibid, pp 158-161. وسعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 5، ص 244.

5- جمال قنان: **قضايا ودراسات**، ص 175.

6- دبوز: **المرجع السابق**، ص 7.

وما إن أطل القرن العشرين حتى ازداد إدراك الجزائريين لأهمية الصحافة ودورها في إيقاظ الشعوب، وحماية النهضة، ورد المعتدين، وفضح المستعمرين فسارعوا إلى إنشاء الصحف الوطنية العربية فدعوا من خلالها إلى نبذ الخرافات والبدع التي تمس الدين، وإلى التربية والتعليم والاتحاد، وإلى الأخذ من حضارة أوربا بكل حسن نافع، وإلى ما يرقي الأمة فازدادت يقظةً وجرأةً على الاستعمار وثقةً بالنفس،[1] وهذا ما جعل الصحافة الجزائرية الأولى تكسر احتكار الكولون للصحافة في الجزائر، وتؤثر في الرأي العام وتوجهه في ظل وجود صحف عربية تحت وصاية الإدارة لاستعمارية مثل الأخبار والمبشر المسخرة لخدمة المصالح الاستعارية والدعاية لسياسة الحكومة العامة في الجزائر.[2]

وتنوّعت أغراض هذه الصحف وتباينت تبعا للظروف التي عاشتها الجزائر زمن صدور تلك الصحف، وغالبا ما نجد في كل صحيفة كل فنون القول ونواحي التفكير، لذا يحمل أغلبها كلمة جامعة ثم تتمايز وتتفرق بعد ذلك، وأظهر تلك الأغراض ثلاثة: الدين، الوطنية والسياسة،[3] فكانت الصحافة الجزائرية في بداية القرن من أهم وسائل التعبير عن مطالب رواد الفكر الجزائري ومواقفهم من مختلف القضايا المحلية والدولية، ومن أهم الصحف نجد:

- **المغرب:**

جريدة سياسية اقتصادية علمية أدبية مزدوجة اللغة، تصدر يومي الثلاثاء والجمعة من كل أسبوع بمدينة الجزائر العاصمة لصاحبها بيار فونتانا، أول عدد صدر في 1903/04/10، فتحت الباب أمام المثقفين الجزائريين في المشاركة في تنوير الرأي العام الإسلامي والجزائري،[4] وكانت الإدارة وراء إنشائها واستمرت عشر سنوات.[5]

- **المصباح (El-Misbah):**

1- دبوز: **المرجع السابق**، ص 7.

2- خيثر: **المرجع السابق**، ص 234-235.

3- **«الصحافة العربية في الجزائر»**، الشعب، ع 534، (1965/08/11)، ص 4.

4- محمد ناصر: **الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 25.

5- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 5، ص 244.

أول جريدة مزدوجة اللغة بإلهام الشبان الجزائريين تسعى لتكون همزة وصل بين الفرنسيين والعرب، أسبوعية للعربي فخار[1]،ظهرت بوهران في جوان 1904،[2] طالبت بحقوق الأهالي بأسلوب متملق ضعيف، توقفت في 10 فيفري 1905،[3] كانت تعبر عن اتجاه النخبة الاندماجية، وتسعى إلى إيقاظ الجزائريين من سباتهم الطويل. فنادت بالمدارس والأفكار الفرنسية، وكان شعارها "من أجل فرنسا بالعرب، ومن أجل العرب بفرنسا".[4]

طالبت بالتقدم والعصرنة والتفتح والتعلم الفرنسي، ودعت لمحاربة الكسل والإجحاف والخمول والعادات القديمة، ووجهت عنايتها إلى مشكلة الشباب الجزائري لحثهم على التعلم لاسترجاع مكانتهم الضائعة، ونصبت نفسها صاحبة مهمة الدفاع عن المصالح المادية والمعنوية للجزائريين ناقدة الوضع السائد في الجزائر بسبب إجحاف الكولون، وسياسة الإدارة الفرنسية الاضطهادية.[5]

- **كوكب إفريقيا:**

أسبوعية باللغة العربية بنزعة حديثة نوعا ما، تشبه الجرائد المشرقية،[6] رئيس تحريرها محمد كحول،[7] صدرت بمدينة الجزائر العاصمة يوم 1907/05/17 بتمويل من مصالح الحكومة العامة،[8] كان إشراف الشيخ كحول عليها ضمن لها تحريرا جيدا بالقياس إلى ما عرفته الصحف العربية الأخرى،

1- العربي فخار ولد بتلمسان سنة 1869، معلم للغة الفرنسية بمدارس الحكومة بوهران، أنشأ جريدة المصباح. أنظر: Hamet: **op–cit**, p 206.

2- Ageron: **Les Algériens musulmans et la France**, t 2, p 1035.

3- محمد ناصر: **الصحف العربية الجزائرية**، ص 28.

4- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 5، ص 245.

5- ابراهيم مهديد: **المثقفون الجزائريون في عمالة وهران خلال الحقبة الكولونيالية الأولى (1850–1912)**، منشورات دار الأديب، وهران، 2006، ص 53.

6- Ageron: **Les Algériens musulmans et la France**, t 2, p 1030.

7-محمد كحول: ولد سنة 1872، بدأ حياته بقسنطينة، أحد تلاميذ الشيخ المجاوي والونيسي، أستاذ متمكن للغة العربية، محرر بجريدة المبشر بالعاصمة سنة 1907، أظهر حنكة وقدرة صحفية، انشأ التقويم الجزائري، تولى الإمامة والتدريس في مدرسة الجزائر الشرعية الفرنسية، بعد 1914 غادر الصحافة وعُين مفتيا ووضع نفسه في خدمة الإدارة، أغتيل سنة 1936. أنظر: أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص 384. و : Ihdaden **: op–cit**, p 202

8- **ibidem**, p 202.

وتعلن أنها صحيفة سياسية، أدبية، علمية، فلاحية، تجارية، صناعية، استمرت إلى غاية سنة 1914.[1] هدفَ مؤسسوها إلى تثقيف وتعليم مواطنيهم، وتحسين حالتهم المادية والمعنوية، وأعلنت أنها ليست تابعة لا لحزب ولا لشخصن، تصدر كل يوم جمعة في أربع صفحات،[2] قال عنها شارل روبير أجيرون (Charles robert Ageron) أنها تعمل لأجل الحضارة والإنسانية، وتقريب الجماعتين وجمع مصالحهما، انتهت باسم الكوكب الجزائري.[3]

- **الجزائر:**

مجلة شهرية جزائرية باللغة العربية للتربية الاجتماعية والتوعية والتثقيف أصدرها عمر راسم[4] في 1908/10/27،[5] كان يحررها ويزودها بالصور الساخرة بنفسه، لم تعش طويلا لعجز صاحبها عن تغطية التكاليف،[6] ذات لهجة حادة عند تناول القضايا الوطنية.[7]

- **الحق الوهراني** (El Hack):

أسبوعية ظهرت بوهران في أكتوبر 1911 باللغة الفرنسية عاشت مدة قصيرة، صدر منها 26 عددا،[8] وبداية من العدد الثالث عشر في (أفريل 1912) أضافت صفحة باللغة العربية، مديرها فرنسي شارل تابيي (Charles Tapié) اعتنق الإسلام، كانت من أهم الصحف التي دافعت عن حقوق المسلمين الجزائريين.[9]

1- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 5، ص 246.

2 - L. Bouvat: «**La presse musulmane**», R. M. M, Ernest Leroux édition, Paris, n 5, (mars 1907), p 585.

3- Ageron: **Les Algériens musulmans et la France**, t 2, p 1037.

4- (1883-1959) ولد بمدينة الجزائر وتعلم بكتاتيبها، صحفي كبير وخطاط اشتهر برسم المنمنمات، اسمه المستعار "أبو المنصور الصنهاجي" من أوائل الجزائريين المعتنقين لمذهب الإمام محمد عبده الإصلاحي، أصدر جريدة الجزائر سنة 1908 ثم جريدة "ذو الفقار" سنة 1913، سُجن خلال الحرب العالمية الثانية، من آثاره: تفسير القرآن الكريم، تراجم علماء الجزائر،.أنظر: عادل نويهض: **المرجع السابق**، ص 243.

5- Ihdaden : **op-cit**, p 229.

6- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 5، ص 247.

7- خيثر: **المرجع السابق**، ص 235.

8- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 5، ص 249.

9- ناصر: **المرجع السابق**، ص 35.

– **الإسلام** (L'Islam):

بدأت كأسبوعية بعنابة في ديسمبر 1909 ثم تحولت إلى مدينة الجزائر للنشاط أكثر، وصدر أول عدد في العاصمة في 07 جانفي 1912[1] تحت إدارة صادق دندان[2]، وابتداءً من 1912/07/26 أُضيفت نسخة عربية لكنها مترجمة حرفيا عن النسخة الفرنسية، مهمتها الدفاع والمطالبة بحقوق المسلمين الجزائريين،[3] بقيت تصدر بانتظام كأسبوعية حتى سنة 1914 جاذبة للشبان الجزائريين منفتحة على الصحافة الفرنسية، شارك في تحريرها بعض الكتاب الفرنسيين.[4]

– **الرشيدي** (Rachidi):

أسبوعية صدرت في مدينة جيجل باللغة الفرنسية بين سنتي (1911-1914)، شعارها "بفرنسا من أجل الأهالي"، كانت تظهر كل يوم جمعة بأربع صفحات تبحث عن الوسائل التي يجب اتخاذها لوقف العداء بين الجزائريين والفرنسيين أي خدمة التقارب بين العناصر الأوربية والأهلية، تؤيد حركة النخبة المتفرنسة،[5] وتدافع عن الأفكار الاندماجية، وتطالب بالمساواة في الحقوق والواجبات للمسلمين.[6]

– **الفاروق**:

أسبوعية إسلامية علمية اجتماعية أدبية باللغة العربية أصدرها عمر بن قدور الجزائري[7] في 1913/02/18 بمدينة الجزائر، تعد أول جريدة وطنية ترتقي إلى مصاف الجرائد العربية المعتبرة، كانت

1- Ihdaden : **op-cit**, p 253.

2-كاتب في إحدى البلديات المختلطة، مدير جريدة الإسلام، متحمس للقضايا الوطنية، عاش إلى سنة 1938 ونُعت بعميد الصحافة الإسلامية الجزائرية. أنظر: سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 5، ص 248.

3- ناصر: **المرجع السابق**، ص 36.

4 -Ageron: **Les Algériens musulmans et la France**, t 2, p 1037.

5- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 5، ص 248.

6- Ihdaden **: op-cit**, p 260.

7- (1886-1932) صحفي وكاتب وشاعر من مدينة الجزائر، درس بتونس والأزهر، وكتب في الجرائد المشرقية كالتقدم التونسية واللواء المصرية، من رواد الصحافة الوطنية بالجزائر، عُرف باتجاهه الإصلاحي، عني بقضايا العالم الإسلامي فاعتقل أثناء الحرب العالمية الأولى في الأغواط وبعد 1920 اعتزل الصحافة. أنظر: نويهض: **المرجع السابق**، ص 243-244.

إسلامية محضة،[1] صدرت في سلسلتين الأولى استمرت بين (1913-1915) والثانية بين (1920-1921)،[2] وقد توقفت السلسلة الأولى في 1915/01/22 (عدد 96) لنفي صاحبها إلى الأغواط لمعارضته للتجنيد، وأُعيدت في 1920/10/08 بشكل مجلة بعشر صفحات.[3]

- **ذو الفقار:**

جريدة باللغة العربية أسسها عمر راسم بمدينة الجزائر سنة 1913، صدرت منا أربعة أعداد فقط،[4] في شكل مجلة مصورة يحررها ويكتبها بخطه، ويرسم صورها، ويطبعها طبعا حجريا،[5] إصلاحية اجتماعية عبدوية، وبلغ تشبع عمر راسم بأفكار محمد عبده الإصلاحية أن رسم له صورة على غلاف العدد الثالث، واعتبره المدير الديني للجريدة.[6]

- **الإقدام:**

نجمت عن توحيد جريدتي الإسلام والرشيدي، أسبوعية سياسية، اقتصادية تعبر عن حركة الأمير خالد السياسية الوطنية، صدرت من سنة 1919 حتى سنة 1923،[7] تدافع عن المصالح السياسية والاقتصادية لمسلمي إفريقيا الشمالية، صدر أول عدد منها في 1919/03/17،[8] تصدر باللغتين العربية والفرنسية، وكانت أول جريدة عربية تكلمت بلهجة حارة، وعبّرت عن عواطف المسلمين بدون وجل ولا اكتراث.[9]

2- الجمعيات والنوادي:

1- ناصر: **المرجع السابق**، ص 36.

2- عمر بن قينة: **أعلام وأعمال في الفكر والثقافة والأدب**، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2000، ص 34.

3 - Ihdaden : **op-cit**, p 239-240.

4- العدد الأول (1913/10/05)، الثاني (1913/10/26)، الثالث (1914/06/14)، الرابع (1914/06/28). أنظر: Ihdaden : **op-cit**, p 232-233.

5- المدني: **كتاب الجزائر**، ص 369.

6- ناصر: **المرجع السابق**، ص 40.

7- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 5، ص 251.

8- Ihdaden : **op-cit**, p 312.

9- المدني: **كتاب الجزائر**، ص 370.

عرفت الجزائر في بداية القرن العشرين ميلاد حركة نهضة فكرية قادها رجال النخبة المثقفة الذين تحملوا مسؤولية تثقيف الجماهير وتوعيتها بالاعتماد على أسلوب الاتصال المباشر بها عن طريق المحاضرات والاجتماعات تحت لواء جمعيات ونوادٍ ثقافية تعمل على غرس الوعي، وبعث التعليم، والدعوة إلى الاقتباس من الحضارة الأوربية لبناء أسباب النهضة والقوة والخروج من التخلف والانحطاط.

فالجمعيات والنوادي من المظاهر الاجتماعية التي تدل على النضج والاستجابة لمتطلبات الحياة المدنية الحديثة، وتعبّر عن يقظة المجتمع وحاجاته الفكرية والثقافية، وقد استغل رواد النهضة الجزائرية على اختلاف مشاربهم هذه الجمعيات لنشر الوعي والتعليم، وتنشيط الشباب وحمايته من الانحراف، وحثه على العمل، ومعالجة قضايا الفكر المعاصر من تراث، وطب، وأدب، وتاريخ.(1) وكانت مرآة عاكسة لحالة الوعي الثقافي الجزائري في الأوساط الحضرية الذي اتجه إلى تغير أساليب مواجهة السياسة الاستعمارية ومخلفاتها السلبية على المجتمع ثقافيا كالتخلف العلمي والقدرية، وأثبتت قدرة الجزائريين على التكيف مع مستجدات القرن العشرين باستحداث قنوات عصرية لتبليغ الجماهير رؤاها.

وقد شهدت العشرية التي سبقت الحرب العالمية الأولى ظهور العديد من الوداديات والجمعيات التربوية حتى في القرى الصغيرة، وإلى غاية سنة 1914 يمكن إحصاء (21) جمعية تربوية موزعة في كامل الجزائر نشطت في التربية والدعاية لصالح المدرسة وترقية الرياضة، والإخاء الفرنسي الجزائري،(2) مجسّدة لعهد جديد تميزه الرغبة في النهضة الفكرية.

2-1- الجمعية الرشيدية:

جمعية ودادية لقدماء تلاميذ المدارس الفرنسية الجزائرية تأسست بمدينة الجزائر سنة 1894 بمساعدة بعض الفرنسيين العاطفين على الجزائريين، لها نشرة باللغة العربية والفرنسية، جعلت من

1- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 5، ص ص 313-315.

2- Meynier: **op-cit**, p 218.

المحاضرات[1] أهم الوسائل التي يرتكز عليها نشاطها التثقيفي التوعوي، ودلّت عناوينها على بعد نهضوي، من أعضائها البارزين الدكتور ابن التهامي والدكتور ابن بريهمات.[2]

ركّزت في برنامجها على نشر التعليم والأخوة، ومساعدة الشباب الجزائري على العمل والتفكير والعيش عيشة حديثة، ضم فرع مدينة الجزائر 251 عضوا سنة 1910،[3] وتوسعت خارج مدينة الجزائر حيث شهدت مدينة مستغانم ميلاد فرع لها سنة 1909،[4] ونظمت الدروس للراشدين ومولت المكتبات، نالت دعاية الأعيان المسلمين المتطلعين إلى التقدم.[5]

وبناءً على دورها التثقيفي استطاعت أن تكسب الكثير من الأنصار، وتستقطب بنشاطاتها أعدادا هائلة من المنخرطين الذين وجدوا ولمسوا فيها الخير، حيث كانت في كل سنة تعين الفقراء من تلامذة بالكسوة والكتب المدرسية، وتدعو المثقفين والأساتذة إلى تهذيب الشعب وارشاده بمحاضراتها الدينية والأدبية والعلمية، يتعلق موضوعها بتقدم العصر في جميع ميادين العلوم وكانت تلقى محاضراتها كل شهر.[6]

2-2- الجمعية التوفيقية:

جمعية خيرية تربوية أدبية علمية تأسست سنة 1908، وأُعيد تنظيمها سنة 1911 من قبل الشبان الجزائريين، اقترحت توحيد الأهالي الراغبين في تثقيف أنفسهم، وتطوير أفكارهم العلمية والاجتماعية،[7] استطاعت أن تستقطب إليها (200) عضوا سنة 1912م، يرأسها الدكتور ابن التهامي، كانت تؤدي وظيفة المدرسة، اعتمدت في تبليغ رسالتها على المحاضرات[8] التي تعكس روح النهضة[9] التي ميّزت الجزائر في تلك الفترة. تعتبر منظمة أكثر نخبوية لوجود عناصرها في وسط متفرنس

1- منها: التضامن والأخوة بين المسلمين، تاريخ الطب العربي، التعليم، تاريخ الأدب العربي، الإسلام واللغات الأجنبية، التوفيق بين الإسلام والتقدم، الحضارة العربية قبل وبعد الإسلام. أنظر: أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، ص 140.

2- أحمد بن بريهمات: ولد بالعاصمة ودرس بالمدرسة السلطانية قبل إلغائها عام 1870م، تخرج فيها مترجما عسكريا، طالب بإجبارية التعليم ومجانيته للجزائريين، يحسب من رواد الفئة الاندماجية. للمزيد أنظر: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج6، ص249 وبعدها.

3- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 139.

4- مهديد: **المثقفون الجزائريون في عمالة وهران**، ص 52.

5- Ageron: **Les Algériens musulmans et la France**, t 2, p 1034.

6- خيثر: **المرجع السابق**، ص 111.

7- Millet: **op-cit**, p 165.

8- منها: القانون الإسلامي، فوائد التعارف، الحضارة العربية، ملامح العالم الإنساني المعاصر، نابليون في مصر، الأدب المعادي للإسلام. أنظر: سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 138. و . Millet: op-cit, p 165-166

9- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 137-138.

بعمق، كانت تنظم دروس ومسابقات مرتين في الأسبوع، أنشأت نادٍ للقراءة تُقرأ فيه الصحف العربية والفرنسية ومنها المنار المصرية، وفي مساء كل جمعة تُنظم محادثات ودية حول مختلف المواضيع، وتُقدم محاضرات باللغة العربية والفرنسية.[1]

2-3- الجمعية الصديقية:

جمعية خيرية للتربية الإسلامية والتعليم العربي والإصلاح الاجتماعي، أسسها الشيخ عباس بن حمانة[2] والحاج بكير العنق[3] سنة 1913 بتبسة، وأنشأت هذه الجمعية مدرسة قرآنية في نفس السنة سمتها "المدرسة القرآنية الأهلية الصديقية"، أدى نجاح الجمعية ومدرستها إلى تخوف غلاة الاستعمار من مظاهر النهضة الجزائرية فقاموا بحلها بعد ستة أشهر[4] بحجة أنها أُنشئت بطريقة غير قانونية، وبدون رخصة من طرف محرّض أهلي ينتمي للثوريين التونسيين.[5]

2-4- نادي صالح باي:

تعتبر النوادي من أهم منابر الحراك الثقافي لانفتاحها على جميع الناس واتساع درجة تأثيرها على المجتمع في جميع المجالات من خلال التوعية والتثقيف والحث على التغيير ورفع الحس الوطني، مما جعلها وسيلة فعالة في العمل السياسي التعبوي الذي ميز مطلع القرن 20م.

1- Meynier: **op-cit**, p 218.

2- عباس بن حمانة: من رجال الإصلاح ورواد الوطنية الجزائرية، ناهض قانون التجنيد الإجباري 1912 وسافر لباريس للدفاع عن حقوق الجزائريين، مزدوج اللغة، كانت له علاقات بسليمان الباروني المجاهد الليبي، ومراسلات مع عبد العزيز الثعالبي، شارك في حملة التعبئة للتطوع مع الدولة العثمانية ضد إيطاليا، يعتبره مالك بن نبي أول جزائري عمل على بعث اللغة العربية في البلاد، وبفضله ارتفعت ضمن أسوار تبسة جدران أول مدرسة، مواقفه من الإدارة المحلية والتجنيد عرّضته لتحريضها فدسّت له من يقتله في 16 جويلية 1914. للمزيد أنظر: دبوز: المرجع السابق، ص 263 وما بعدها، و: مالك بن نبي: **مذكرات شاهد للقرن**، ط 2، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1984، ص27.

و. Ageron: **Les Algériens musulmans et la France**, t 2, p 1040.

3-الحاج بكير العنق: ولد في القرارة سنة 1868، يعتبر حصن الإصلاح وزعين النهضة السياسية في القرارة وميزاب بداية القرن 20م، كان على صلة بعبد العزيز الثعالبي في تونس والأمير خالد في الجزائر، وهو العضد الأيمن لعباس بن حمانة في جهاده بتبسة، محبا للتجديد ومسايرة العصر في دائرة الدين، كان من أكبر العاملين لإنشاء أول مدرسة عربية عصرية في الجزائر سنة 1913 في تبسة، أنشأ دار الجماعة سنة 1917 كنادٍ للمصلحين بالقرارة، توفي سنة 1934. للمزيد أنظر: دبوز: **المرجع السابق**، ص 208 وبعدها.

4- دبوز:**المرجع السابق**، ص ص 264-269.

5 -«**L'incident cuttoli et Abbès ben Hammana**», L'Islam, n 187, (19/03/1914).

ومن أهم النوادي في هذه الفترة نادي صالح باي الذي تأسس سنة 1907 باسم جمعية الدراسات الأدبية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية[1] بمبادرة قام بها سكان قسنطينة[2] الراغبين في الرقي المادي والمعنوي للمسلمين الجزائريين، وقد تعاون الفرنسيون مع الجزائريين في تأسيسه على شكل جامعة شعبية ببرنامج واسع يركز على التعليم كشرط للرقي، له فروع بعين مليلة، عين عبيد، واد زناتي، قالمة، سوق اهراس.[3]

وكان يهدف إلى نشر التعليم، والمساعدة على تحرير الجماهير الجزائرية، والتوفيق بين المجموعتين الجزائرية والأوربية، وحسب ابن حبيلس فإن نادي صالح باي هدف أيضا إلى تنظيم دروس في التعليم العام والمهني، وعقد محاضرات أدبية وعلمية، والدعوة إلى العمل والأخوة والتعاون، ومساعدة الجزائريين في إظهار مواهبهم الأدبية.[4] كما كان يريد متابعة التربية الثقافية للمسلمين، وإحياء الفنون والصناعات الأهلية، ونشر أعمال التعاون، ومنذ 1910 ضم 700 عضو منهم 500 مسجلين للدراسة، وبالنظر إلى الدروس المقدمة فإنه يشكل ناديا للحداثة والتحرير حيث يمجد الرقي، والعلم، ويدعو لتدبر أسباب الانحلال والزوال ووسائل النهوض.[5]

وكان ابن الموهوب أبرز من كان يضطلع بمهمات هذا النادي حيث كان يحاضر فيه على الناس متناولا بالمعالجة القضايا الأدبية والاجتماعية، وكانت هذه المحاضرات تُنشر في الصحافة العربية والفرنسية إعجابا بها، ونالت جريدة كوكب إفريقيا حصة الأسد في نقل محاضراته، وإيصالها إلى الجمهور الذي يتعذر عليه التردد على النادي.[6]

2-5-نادي الشبان الجزائريين:

1- خيثر: **المرجع السابق**، ص 113.

2- من المؤسسين: ابن موهوب، باشطارزي مصطفى، بن باديس محمد، الدكتور مرسلي، عيسى بن الجاج سالك، بن سويقي، بن العابد، عمر بن موفق. أنظر:

«**Le Cercle Salah Bey**», R. M. M, t7, (janvier-février 1909), Paris, 1909, p125.

3- **ibid**, p125.

4- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 139.

5- Ageron: **Les Algériens musulmans et la France**, t 2, p 1034.

6- خيثر: **المرجع السابق**، ص 114.

أسسته النخبة التلمسانية في 28 مارس 1910 وتشكّلت لجنته الإدارية[1] من معلمين وأساتذة وموظفين،[2] عمل النادي على التذكير بعظمة الحضارة الإسلامية، وتطرّق للحديث عن العالم العربي، وقدّم محاضرات بالعربية الدارجة تبين أن الإسلام لا يمكنه الرجوع إلى الخرافات، وأنه مواكب للتطور بصفة جيدة.[3]

2-6-النادي الوهراني:

أسسته اللجنة المشرفة على صدور جريدة الحق الوهراني سنة 1911م، تجتمع فيه نخبة القطاع الوهراني كسي امحمد ابن رحال الندرومي.[4]

3- العرائض:

تعتبر العرائض من أولى وسائل النضال التي استخدمها الجزائريون في مواجهة السياسة الاستعمارية خلال القرن 19م، فهي رسائل تحتج على تجاوزات المسؤولين الفرنسيين في الجزائر، وتحاول إيصال صوت الجزائريين إلى الحكومة الفرنسية في باريس طلبا لتخفيف وطأة سياسة ممثليهم في الجزائر. ومن بين العرائض المقدمة للحكومة الفرنسية وممثليها في القرن 19م عريضة أعيان الجزائر سنة 1878م التي قدمها أحمد ولد قاضي باشاغا فرندة بمناسبة معرض باريس العالمي، وضمّنها مطالب الجزائريين برفع المضرّة والإهمال عنهم من الحكومة، وبتمثيلهم في مجالس العمالات، ووقف القوانين التي جرّدتهم من أراضيهم،[5] وعريضة أهالي قسنطينة في 10 جويلية 1887 إلى البرلمان ضد التجنيس وإبطال دور القضاة المسلمين في المسائل العقارية.[6]

1- تشكلت من: الأستاذ بالمدرسة الإسلامية العليا بتلمسان أبو بكر عبدالسلام بن شعيب، غوتي بوعلي (مدرس)، ابن تركية محمد (خوجة)، بن دالي محمد (موظف بالبنك)، شلبي عبد الكريم (تاجر)، والمعلمون بغشي محمد، ابن اسماعيل محمد، بوعياد محمد، عبورة مصطفى، قلوش قادة، مسلس محمد. مهديد: **المثقفون الجزائريون في عمالة وهران**، ص 50.

2- **نفسه**، ص 50.

3- Meynier: **op-cit**, p 218.

4- مهديد: **المثقفون الجزائريون في عمالة وهران**، ص 51.

5- جمال قنان: **نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914**، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2007، ص ص 172-175.

6 - **«Pétition faite par un groupe de conseillers municipaux indigènes,** op-cit, p 35.

وفي القرن العشرين واصلت النخبة الجزائرية الاعتماد على العرائض كوسيلة نضال وتعبير عن طموحات الشعب الجزائري خاصة مع ظهور قضية التجنيد الإجباري، وما صاحبها من تذمر شعبي، كما أصبحت العريضة وسيلة مفاوضة لممثلي الشعب الجزائري مع النظام الاستعماري للحصول على بعض الحقوق كعريضة الشبان الجزائريين إلى رئيس مجلس الوزراء الفرنسي بوانكاري (Poincarré) وتشكيلهم وفدا بقيادة الدكتور ابن تامي ذهب إلى فرنسا في 26 جوان 1912 لتقديم مطالب مقابل قبول التجنيد.[1]

1- عبد الرحمان بن العقون: **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1920-1936**، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 38.

الفصل الثاني

1-إرهاصات الفكر الليبرالي مطلع القرن 20م

2- قضايا الجزائريين في فكر الليبراليين

2-1- الموقف من التجنيد الإجباري للجزائريين

أ- قبل صدور القانون

- وفادة باريس سنة 1908 والبحث عن التعويضات

ب- بعد صدور القانون

- بيان الشبان الجزائريين سنة 1912

- الدعاية لصالح التجنيد

2-2-موضوع التجنّس والاندماج

أ- قبل سنة 1919

- التطلّع للمساواة في ظل المبادئ الفرنسية

- توجّهات داخل الليبراليين

ب- بعد سنة 1919

- غلاة التجنيس

- المعتدلون في التجنيس

2-3- موضوع التمثيل النيابي والانتخابات

- مطالب التمثيل في بيان الشبان 1912

- إصلاحات 1919 وتمثيل الجزائريين

- المشاركة في الانتخابات

2-4- موضوع التعليم

3- الإدارة الاستعمارية والفكر الليبرالي

- دعاة الإصلاح

- الغلاة المتطرفون

من بين النتائج الهامة التي عرفتها الجزائر في بداية القرن العشرين هي توظيف الكامن الفكري الذي أنار طريق العمل أمام بداية تحول المطالب الجزائرية، وهي وسيلة التغيير في المنهج من العمل المسلح غير المنظم إلى تبني الأسلوب السلمي والاحتكاك لتوظيف الفكر، وبناء العقلية الجزائرية الجديدة لتفعيل الحدث التاريخي والنهوض بما هو راكد. والظاهر أن ميلاد النخب الجزائرية جاء بعد مخاض عسير وسط التراكم المعرفي الذي أفرزه الوجود الاستعماري الذي هيمن على منابع المعرفة الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري بهدف تمزيقه عن مرجعيته الحضارية.[1]

وظهر الاتصال السلمي للجزائريين بالسلطة الاستعمارية وممثليها منذ سنة 1892 تاريخ زيارة جول فيري للجزائر أين قابله وفد من الجزائريين، فقد ساهمت هذه الزيارة في تحريك مشاعر الجزائريين في البحث أكثر عما يناسبهم من مطالب وبالخصوص لدى اهتمامات النخبة[2] حيث سيبرز مصطلح الشبان الجزائريين المثقفين بالثقافة الفرنسية الذين يحاولون لعب دور سياسي لصالح مواطنيهم، يتنمون إلى فئات الموظفين، أساتذة المدارس، القضاة، المترجمين، الضباط، أصحاب المهن الحرة، الأطباء والصيادلة والمحامين والصحفيين، وستتضاعف هذه الفئة سنويا لأن سكان الحضر سيهتمون بإرسال أبنائهم للدراسة في المدارس الفرنسية.[3]

وقد بدأ رجال النخبة في الجزائر -التي حصرها البعض في المثقفين وبالثقافة الفرنسية فقط- يتحركون ويتحالفون ضد إدارة الاحتلال ودسائسها، ويقومون بضغوطات متوالية عل حكومة باريس لإنصاف الجزائريين، وتمكينهم من الحصول على مقاعد في البرلمان الفرنسي، والسماح لهم بالمشاركة في الانتخابات المحلية، والاعتراف بالشخصية الجزائرية، كما دافعوا على مبادئ التقدم والرقي، وعلى حصول الجزائريين على حقوقهم السياسية والاقتصادية مستخدمين الصحافة والعرائض لتبليغ أفكارهم ومواقفهم السياسية خاصة منذ سنة 1908 تاريخ صدور مرسوم إحصاء الشبان الجزائريين للتجنيد،[4] الذي كان المناسبة التي دفعت النخبة الجزائرية إلى مناقشته واتخاذ مواقف منه بين القبول والرفض، وبالتالي تُبرز معالم الفكر السياسي الجزائري.

1-إرهاصات الفكر الليبرالي مطلع القرن 20م:

1- الجابري: **المرجع السابق**، ص 51.

2- مريوش: **«ثقافة المقاومة ونماذج من عرائض الأهالي الجزائريين** ، ص 117.

3 - Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 824.

4- بوحوش: **المرجع السابق**، ص 202-203.

عمل الفرنسيون على إنشاء نواة تكون هي الوسيلة للفتنة الاجتماعية واللغوية، على أن تتولى هي المناداة بالاندماج والاستغراب في الوقت المناسب، وقد تأخر ظهورها بسبب المقاومة العنيفة والمعاملة الجماعية السيئة، وبدأت هذه النواة تدعو إلى العلم وتعلم الفرنسية كلغة للعلم الجديد،[1] وتشيد بمنجزات الوجود الفرنسي في الجزائر، وترى فيه الوسيلة المثلى لتحقيق التقدم وتطوير المجتمع الجزائري التقليدي نحو النموذج الأوربي أي الاندماج. فالسياسة الاستعمارية التي وصلت بعد 80 سنة إلى صنع إسلام موحد بدون حبوس، وبمساجد إدارية[2] وقضاة موظفين وحج مرخص، وقانون جديد تمكنت من إضعاف نوعية المسلم عند الأهالي، ومنحته صفة فرنسية بالتعليم واللباس والوظائف الإدارية فظهرت أقلية متطورة من الأهالي برقيٍّ علمي مقبول تمثل رعايا في الصف الاجتماعي.[3]

وقد بدأت معالم الفكر الاندماجي تتشكل منذ نهاية القرن 19م ببروز نتائج التعليم الفرنسي في الجزائر من خلال خلق نخبة متشبعة بالأفكار الفرنسية، ومؤمنة بالتفوق الحضاري الفرنسي سيُلقى على عاتقها مستقبلا نشر الثقافة الفرنسية تسهيلا لعملية الدمج والاحتواء في إطار المتروبول، ولتقوم فيما بعد بدور أساسي في عملية إقناع الأهالي بحتمية المصير الحضاري للجزائر من خلال إدماجها بفرنسا.[4] فالتعليم باعتباره جزءا من السيادة الفرنسية كان الضمان الوحيد للاندماج باستلاب النخبة إلى محاسن الحضارة الفرنسية، فقد لمس فرحات عباس من خلال دراسته الثانوية والجامعية أن الأساتذة كانوا يجهلون التمييز العنصري، ولا يحثون إلا على نجاح التلاميذ مهما كانت أصولهم مع وجود استثناءات لكنها لا تُنقص من قيمة الضمير العالي لهم.[5]

فالمدرسة الفرنسية كانت تقدم صورة باهرة ومغرية عن فرنسا، وحسب بول برنار (Paul Bernard) مدير المدرسة العليا للمعلمين ببوزريعة سنة 1908 أن أهمية المدرسة هي "أن يأخذ الأهالي عن وطننا فكرة راقية ونقية، فلنقدم لأولادنا إذن معلومات عن عظمة فرنسا وقوتها العسكرية، وتراثها، إن أوضاعنا سوف تكون أشد تثبيتا إذا اقتنع الأهالي بأن الفرنسيين أقوياء وكرماء، وأنهم أفضل من

1- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 6، ص 199.

2- أصبحت إدارة الاحتلال تعيّن على رأس كل مؤسسة إماما يقوم بالصلوات والخطبة، وأعطتهم صفة مفتي وأصبحوا أمامها كرؤساء لشؤون العبادة بقرارات تُلزم الناس والقياد بالامتثال. أنظر:

Edmond Doutté: **l'Islam Algérien en l'an 1900**, Alger-mustapha, giralt imprimeur-photograveur, 1900, p 117.

3- «**Politiques musulmanes coloniales, l'Algérie**», R.M.M , n° 9, (septembre 1910), Paris, p 80-81.

4- فتيحة صافر: «**مواقف النخبة الجزائرية من سياسة فرنسا الاندماجية**»، عصور الجديدة، ع 16-17، (2014-2015)، جامعة وهران، ص 333.

5- Meynier: **op-cit**, p 217.

يمكن أن يسودهم، فالمدرسة أداة من أدوات السلطة، ووسيلة من وسائل التأثير أي الاحتلال المعنوي".[1] وصرّح روبير (Rouyer) نائب رئيس بلدية الجزائر في مؤتمر المستشرقين المنعقد بالجزائر سنة 1905 بشأن دور المدرسة في الإدماج: "في المدرسة يتعلم الأطفال من أصول أجنبية حب وطنهم بالتبني، ومن خلالها تنطفئ أحقاد الماضي لدي المهزومين (الجزائريين)، والمدرسة هي التي تُشكّل عاملا قويا في الإدماج".[2] وكانت زيارة جول فيري للجزائر بصفته رئيسا للجنة مجلس الشيوخ سنة 1892 فرصة لظهور هذه النخبة أمامه كحركة للشبان الجزائريين حيث قابله بعض عناصرها وتحادثوا معه حول أوضاع الجزائريين،[3] وكان من بينهم الطبيب مرسلي بالإضافة إلى بعض مزدوجي اللغة كسي امحمد ابن رحال والحكيم محمد بن العربي.

وقد حاولت هذه النخبة التعبير عن هموم المواطن الجزائري وانشغالاته مركّزة على التعليم الذي اعتبرته وسيلتها للخروج من وضعها التخلف حيث كتبت جريدة الحق (El-Hack) الصادرة بعنابة: "بالتعليم يستطيع الجزائري الخروج من بؤسه الكبير، تُنادوننا بالجهلة وترفضون تعليمنا، ماذا تريدون أن تفعلوا بنا؟ علِّمونا، خففِّوا من معاناتنا، حسِّنوا من مصيرنا، نحن مرضى ونطلب العلاج فساهموا في شفائنا، لماذا ترفضون بأن تكون نهضتنا بالتعليم؟".[4] وفي دعوة منها إلى النهضة كتبت:" أيها العربي انهض، نحن نهينك، انفض برنوسك، رد الاعتبار لنفسك".[5] فقد رفعت الجريدة دعوة النهضة الفكرية مبكرا مما أعطاها الطابع النضالي للتخلص من الجهل والإحساس بالحرمان من أبسط الحقوق فهيّأت بذلك الأرضية لظهور يقظة واسعة شملت مختلف مناطق الجزائر في مطلع القرن العشرين.

فمنذ بداية القرن العشرين وُجدت دلائل على المتطورين الذين أخذوا يتجمعون لتداول القضايا المطروحة التي تهم المجتمع الجزائري، ففي تلمسان ظهر تكتل "حضارة ورقي" سنة 1901 ثم تلاه الحديث عن الشبان الجزائريين في مدينة الجزائر،[6] وبظهور الصحافة الجزائرية توسّع الحراك الاجتماعي والثقافي الجزائري، وكثُر النقاش حول وضع الجزائريين تحت سلطة الكولون والقوانين الاستعمارية فانتقلت عملية المقاومة من الريف إلى المدينة، وبدأت روحا جديدة تتشكل في التفكير الجزائري تزامنت

1- غي برفيلي: **الطلبة الجزائريون في الجامعة الفرنسية 1880-1962**، تر: حاج مسعود، بكلي، بلعريبي، ط خ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 388-389.

2-**Le congrès d'avril 1905 à Alger et la visite du ministre de l'instruction publique**, R. A, n 258-259, 1905, Alger, p 300.

3- بوحوش: **المرجع السابق**، ص 202.

4-«**l'instruction des indigènes**», El-Hack, n 6, (03/09/1893).

5- «**l'Alarme**», El-Hack, n 8, (17/09/1893).

6- Meynier: **op-cit**, p 217.

مع الزيارة الاستطلاعية للرئيس الفرنسي لوبي[1] (Emile Loubet) من 10 إلى 16 أفريل 1903 التي أكد فيها على حرية ممارسة الجزائريين لديانتهم وبقاء حضارتهم مع رفضه للاندماج،[2] وهذا ما سيساهم في زيادة النقاش حول حقوق الجزائريين في مختلف المجالات.

وأدت اليقظة الثقافية والاجتماعية في المجتمع الجزائري في مطلع القرن العشرين إلى يقظة سياسية بمطالب مختلفة كان أول مظاهرها مبادرة النخبة المثقفة بالفرنسية إلى التكتل والعمل بهدف إحداث تغيير إيجابي في الواقع الجزائري،[3] ومواجهة الانعكاسات المتناقضة بين الخطاب المتداول عن فرنسا المعروفة بفكر الأنوار والمساواة والدفاع عن حقوق الإنسان، وبين يوميات الجزائريين المطبوعة بالظلم والتمييز،[4] فقد كان هؤلاء مخدوعين بمبادئ الثورة الفرنسية وأفكارها الديمقراطية، فظنوا أن بإمكانهم تعاطي تلك الأفكار داخل وطنهم. فكانت أول تعبير عن المطالب السياسية التي تركّزت على المساواة في الحقوق السياسية مع إلغاء قانون الأهالي والتمثيل النيابي الكامل للجزائريين، كما كانت تهدف إلى توحيد الجزائر مع فرنسا، وتبنّت أفكار الغرب وثقافته.[5]

فقد عرفت سنة 1900 بداية لظهور المذكرات والمطالب الخاصة بالشباب المثقف باللغة الفرنسية حيث ظهر في مدينتي تلمسان وعنابة بعض المسلمين الحداثيين أمام اللجنة البرلمانية للتحقيق، وأظهروا تفتحا على المشاكل السياسية والاجتماعية،[6] من خلال ما قدمته لهم ثقافتهم الفرنسية وتعليمهم الذي حاولوا به الدخول إلى المجتمع الفرنسي بحيازة حق الانتخاب والتمثيل. ومن هذا النشاط مذكرة قدمها بعض الشبان المسلمين في عنابة بتاريخ 30 جوان 1900 من تحرير خليل قايد العيون[7] تقترب من المذكرة التي قدمها الشبان الجزائريون سنة 1912 حيث ورد فيها: "الشبيبة المسلمة المتعلمة لا تعرف ماذا تفعل بتعليمها، تتخبط، لا عمل مأمول ولا صوت مسموع لتقول كلمتها لا في القضايا المحلية ولا في حاجات الأهالي. ليس التعطش إلى المساواة هو ما جعلنا نتكلم، ولكن الأهمية الملحّة

1- Emile Loubet (1838-1929) رئيس فرنسا بين (1899-1906) من حزب التحالف الديمقراطي الجمهوري، عمل على إقرار مجانية التعليم، تحالف مع بريطانيا سنة 1904. أنظر: البعلبكي: المرجع السابق، ص 389.

2- بن العقون: **المرجع السابق**، ص 25.

3- فوزية بريون: **مالك بن نبي، عصره وحياته ونظريته في الحضارة**، دار الفكر، دمشق، 2010، ص 82-83.

4- فتيحة صافر: **حركة الشبان الجزائريين، ظهورها وتطورها فيما بين 1900 و1930**، أطروحة دكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، والمعاصر، جامعة وهران، (2015-2016)، ص 41.

5- Claude collot, Jean robert henry: **le mouvement national Algérien, textes 1912-1954**, 1ere édition, a p u, Alger et l'Harmattan, Paris, 1981, p32.

6- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1031.

7- مساعد عدلي بمدينة عنابة، من أوائل الشبان المطالبين بالحقوق السياسية، من محركي تيار الشبان الجزائريين. أنظر: عبد الحميد زوزو: **الفكر السياسي**، ص 65.

للدفاع عن مصالحنا المادية العاجلة."[1] فقد بدأ هذه الشبيبة تنتفض من واقعها المرير، وتحاول إيجاد مكانة لائقة لها داخل المستعمرة.

وأصبح الجزائريون في بداية القرن 20م يشعرون أنهم بلغوا سن الرشد السياسي، وأصبح مشروعهم المُلِح هو المطالبة بتأسيس جزائر حرة سيّدة في تقرير ميزانيتها ومستقلة في تسيير أسواقها، ولها مطلق الحرية في تقرير سياستها الضريبية وسياستها الأهلية، تلك كانت مطالب الجزائريين الحقيقية[2] في تلك الفترة من النضال التي عرفت إعادة بعث الفكر المطلبي بإجماع وطني من خلال كثرة النقاش، وتبلور الآراء حول الإسلام والعلاقة بين الحضارات والتجنس بالجنسية الأجنبية،[3] إذ تميزت مدينة الجزائر ببروز شبان مسلمين متعلمين يمكن وصفهم بالحزب على شاكلة الشبان الأتراك سعوا إلى تجديد دينهم بالاقتباس من الحضارة الأوربية،[4] كما ظهروا في تلمسان وعنابة، لكنهم كانوا مبعثرين في الجزائر وقليلا ما يلتقون، وهو ما لم يؤدِّ إلى تبلور كتلتهم تنظيميا مثل الشبان التونسيين.[5]

فقد كان عددهم قليلا جدا ولكن نشطاء حيث دُلكوا دلكا على محك الثقافة الفرنسية، فقُدر لهم أن يلعبوا دورا حيويا في تشكيل الحركة الوطنية الجزائرية بمفهومها الجديد، فتكوين هذه الفئة في المدارس الثانوية الفرنسية (Les écoles franco-musulmanes) منحها مدخلا إلى الثقافة الأوربية، وبدأت دورها بالمطالبة بالحقوق للجزائريين بينما كانت تُعبّر عن ولائها لفرنسا فلم تُناد لا بالثورة ولا بالاستقلال، وكما كان تكوينها بطيئا ومؤلما كان كذلك أخذها لموقف وطني بطيئا إلى درجة الألم[6] بحكم ارتباطها ثقافيا وفكريا بالاستعمار الفرنسي.

وقد بدأ طموح هذه الفئة ذات المهن الحرة يظهر منذ سنة 1908 حيث اعتقدت أنها عثرت على ضالتها في العمل السياسي الذي اُعتبر الفرصة الوحيدة التي تتيح لها الارتقاء في مناصب المسؤوليات السامية،[7] لذلك تجمّع أفرادها في شبه هيئة سياسية عرفت باسم "الجزائر الفتاة"،[8] وحاولوا أن ينسّقوا

1- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1031.

2- مريوش: «**ثقافة المقاومة ونماذج من عرائض الأهالي الجزائريين** ، ص 129.

3- سعد الله: **خلاصة تاريخ الجزائر، المقاومة والتحرير 1830-1962**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2007، ص 99.

4 - Ageron: Les **Algériens musulmans** , t 2, p 1031.

5 -Ben Ali Fekar: «**La représentation des musulmans Algériens**», R.M.M , n 1-2, (janvier-fevrier 1909), Paris, p 18.

6- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 65-67.

7- برفيلي: **المرجع السابق**، ص 74.

8- يقصد بها الحركة الوطنية التي كانت تهدف إلى تحرير الجزائر بطرق سياسية بعد توقف المقاومة المسلحة باستخدام وسائل جديدة كالعرائض والوفود والإضرابات وصخب الشوارع. للمزيد أنظر: سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص ص 96-99.

ينسّقوا العمل فيها بينهم ليُبلوروا أفكارهم السياسية في قوالب تكون مقبولة لدى الأوروبيين تدعو إلى المصالحة، ونسيان الماضي، وتحقيق التعاون والتكامل مع الأوروبيين في إطار الأبوّة الفرنسية.[1] ويرى فيهم مارسي (Marçais) بأنهم يمثلون حركة لائكية يجب مراعاتها وتشجيعها خاصة بواسطة المدارس الرسمية[2] لأنها تسير وفق الرؤية الفرنسية في مطالبها بعيدة على فكرة الانفصال عن فرنسا.

وبدأوا في اتخاذ خطوات جماعية ذات بعد سياسي جعلت الصحفي فيليب ميللي[3] (Philippe Millet) يتنبأ لهم بتشكيل حزب وطني [4] بحكم أن مساعيهم تُعلن عن وجود رأي عام أهلي عبر مقالات الإسلام (l'Islam) والرشيدي (le Rachidi) ومن خلال العرائض إلى السلطات والبرلمان مما يجعلها تُشكل برنامجا لهم.[5] كما دفع نشاطهم بين سنتي 1910-1912 بشارل روبير أجرون (Charles robert Ageron) أن يسجّل انطباعا لثورة حقيقية في الجزائر المسلمة حيث أصبح الشبان الجزائريون يشكلون الطليعة لحركة واسعة بنشاط اجتماعي ومطالب سياسية عبر الجمعيات الفكرية يرددون خلالها عبارات التقدم، التعليم العمومي، تطور العلوم الحديثة والحقوق السياسية، وذهبوا لحد فضح رجال الدين المسلمين، وطالبوا بفصل الدين عن الدولة.[6]

2- قضايا الجزائريين في فكر الليبراليين:

حاول رجال النخبة الليبرالية أخذ مبادرة تمثيل الجزائريين أمام الإدارة الاستعمارية في الجزائر وفي فرنسا، وطرح انشغالاتهم وتظلّماتهم.

2-1- الموقف من التجنيد الإجباري للجزائريين:

ناقشت النخبة الليبرالية قضية التجنيد العسكري للجزائريين منذ أن كانت مشروعا طرحته وزارة الحرب.

أ- قبل صدور قانون التجنيد الإجباري:

1- يحي بوعزيز: **الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1991، ص 23.

2 - Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1032.

3- صحفي فرنسي ابن المندوب السامي في تونس، اهتم بتطور الفكر المطلبي للشبان الجزائريين في مطلع القرن العشرين. أنظر:

شارل روبير أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير**، ج 2، تر: محمد حمداوي وإبراهيم صحراوي، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 396.

4- Millet: **op-cit**, p 160.

5 -**ibid**, p 167.

6- Ageron: «**Le mouvement jeune Algérien de 1900 à 1923**», bulletin de la société d'histoire moderne, n 2, 1962, Paris, p 9.

كان موضوع التجنيد الإجباري قد أثار جدلا واسعا في أوساط النخبة الجزائرية، وشكّل محور اهتماماتها منذ سنة 1908 إلى غاية الحرب العالمية الأولى، وحرّك نقاشا جديدا بين الجزائريين والفرنسيين. ففي ظل حاجة فرنسا إلى الجنود بعد تناقص المواليد منذ نهاية القرن التاسع عشر وتصاعد التوتر السياسي الدولي ورغبة منها في احتواء الشباب الجزائري بعد بروز بوادر اليقظة الفكرية ظهر مشروع ميسيمي[1] (Messimy) في صيف سنة 1907 القاضي بإحصاء وإعداد قوائم إسمية للشباب الجزائريين البالغين (18 سنة) قصد تجنيدهم[2] في الجيش الفرنسي. فانتشر القلق لدى الجزائريين خوفا من تداعيات هذا العبء الجديد الذي يُضاف إلى سلسلة الأعباء السابقة والقوانين التعسفية، فكان التجنيد بالنسبة للجزائريين كمثقب غُرز في المجتمع المسلم أكثر من التعليم الفرنسي بسبب صيغته الإجبارية الشيء الذي أدى لتعبئة واسعة لردود الأفعال.[3]

وكانت مدينة الجزائر قد شهدت في نفس السنة ميلاد نواة هامة هي لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين[4] من أبرز عناصرها رائد النخبة اللائكية الشريف بن حبيلس وعمر بوضربة والحاج والحاج موسى والدكتور ابن التهامي، فكانت هذه الجماعة هي السبّاقة لأخذ مبادرة الدفاع عن مصالح الجزائريين،[5] مُعلنة لبداية معركة سياسية[6] في الجزائر بين الجزائريين والحكومة الفرنسية والمعمرين من من جهة وبين الجزائريين أنفسهم من جهة أخرى،[7] حيث كانت هذه اللجنة وراء معركة العرائض[8] العرائض[8] التي ستزداد منذ سنة 1908 ضد القوانين الفرنسية القمعية ومنها قانون التجنيد الإجباري.

1- أوندري ميسيمي (André Messimy) نائب ووزير للمستعمرات فوزير للحرب سنة 1911، طالب بتخفيف القوانين الاستثنائية والإجراءات القمعية وإحداث تمثيل للأهالي يُمكّنهم من الدفاع عن مصالحهم، وكان يرى في التجنيد فرصة للنخبة لأن تندمج في المجتمع الفرنسي وفرصة للجماهير لتتقرب منه، له كتاب القانون الخاص بالأهالي الجزائريين الصادر سنة 1913 (le statut des indigènes Algériens). أنظر: زوزو: **الفكر السياسي**، ص 231.

2- عبد القادر خليفي:«**نشاط الحركة الوطنية الجزائرية في مواجهة السياسة الفرنسية، تجربة المظاهرات الجماهيرية خلال النصف الأول من القرن 20م أنموذجا**»، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع 8، (نوفمبر 2016)، جامعة الوادي، ص 302.

3- Meynier: **op-cit**, p 91.

4- يعتبرها عبد الرحمان بن العقون أول حزب سياسي نظرا لما قدمته من نشاطات عامة صاحبت الحملة على قانون التجنيد الإجباري من عرائض عرائض ومظاهرات ووفود. أنظر: بن العقون: **المرجع السابق**، ص 36.

5- صافر: **حركة الشبان الجزائريين**، ص 83.

6- Meynier: **op-cit**, p 220.

7- غانم بودن: «**سي امحمد بن رحال ودوره في الدفاع عن قضايا الجزائريين**»، عصور الجديدة، ع 24-25، جامعة أحمد بن بلة، وهران، (أكتوبر 2016)، ص 355-356.

8- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2 ، ص 180.

فقد كان هذا القانون وما حمله من أعباء جديدة تتطلب تعويضات مناسبة وراء أول تحرك للشبان الجزائريين يأخذ صبغة سياسية داخل الجزائر حيث قاموا بدعم بعض الفرنسيين الأحرار بصياغة عريضة[1] مفعمة بحب وكرامة فرنسا[2] وبعثوا بها إلى الحاكم العام جونار[3] (Charles Jonnart) بتاريخ 31 جانفي 1908 كردٍّ على عريضة أصحاب العمائم القديمة المعارضة لمشروع التجنيد عبّروا فيها عن ثقتهم المطلقة في باريس وفي الحاكم العام، وأكدوا بأنهم مقتنعون بأن مصلحة الأهالي توجد في مصلحة فرنسا، وأنهم قبلوا الخدمة العسكرية طوعا، وإذا كانت فرنسا في حاجة إلى أبنائها المتبّنين فهم أيضا في حاجة إليها، ويضعون أنفسهم تحت كرمها وتضحياتهم بالدم هي دليل على تقارب قلوبهم.[4] كما ناقشوا في هذه العريضة قضية منح الأهالي حق المواطنة الفرنسية كمقابل للخدمة العسكرية الإجبارية،[5] وهو المطلب الذي سيدخلهم في العمل السياسي لتمثيل مواطنيهم، وكان أول من تعامل بإيجابية مع مرسوم التجنيد ميسيمي المحامي أحمد بوضربة، المحامي حاج سعيد،[6] الدكتور ابن تامي، الرائد قاضي[7] وقائد الفيلق قلاتي.[8]

فهؤلاء الشباب لم يكونوا وطنيين لكنهم كانوا مجرد أهالي، وبحسب تعلمهم باللغة الفرنسية وعلاقاتهم الشخصية مع الأوربيين امتعضوا من حالتهم الاجتماعية كرعايا من الدرجة الثانية في المواطنة الفرنسية لذلك ابتهجوا عندما أصدرت الحكومة الفرسية قانون الخدمة العسكرية الإلزامية، فاعتبروا ذلك

1- صاغ العريضة كل من المحامين أحمد بوضربة وحاج سعيد عمار والدكتور ابن التهامي والقانوني بن علي فخار والضابطين قلاتي وقاضي. أنظر: Meynier : **op-cit**, p 91

2-Espé de Metz: **Par les colons. L'Algérie aux Algériens et par les Algériens**, Emile larose libraire-libraire-éditeur, Paris, s d, p 220.

3- شارل جونار: سياسي فرنسي شغل منصب رئيس المصلحة الخاصة بالجزائر بوزارة الداخلية سنة 1885، حاكم عام الجزائر لثلاث مرات: الأولى من 3 أكتوبر 1900 إلى 18 جوان 1901، الثانية من 5 ماي 1903 إلى 22 ماي 1911، والثالثة من 29 جانفي 1918 إلى 29 أوت 1919، حيث جاء خصيصا لتطبيق إصلاحات 1919. أنظر: عبد الحميد زوزو: **الفكر السياسي**، ص 118-119.

4- Millet: **op-cit**, p 168. و Espé de Metz: op-cit, p 221.

5- Meynier: **op-cit**, p 91.

6- محامي بمدينة قسنطينة وكاتب مدافع عن جماعة النخبة وتوجهاتها، ناشط ضمن الجمعيات الفنية والثقافية. أنظر: زوزو: **الفكر السياسي**، ص 67.

7- متجنس ومتزوج من فرنسية مسيحية، خرّيج المدرسة المتعددة التقنيات، شغل منصب عقيد في الجيش الفرنسي، حاول جعل الجزائريين خاضعين للقوانين الفرنسية مع المحافظة على التقاليد الإسلامية. أنظر: الطاهر عمري: **النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع 1900-1940**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، (2003-2004)، ص 399.

8- Meynier: **op-cit**, p 91.

علامة ثقة وأرادوا أن يبعثوا ولاءهم لحكام فرنسا، وآمنوا بأن الفرنسيين سيمنحون المسلمين حقوقا سياسية ومساواة مع الأوربيين،[1] لذلك سيتكرر وهم المساواة بين الجماعتين في صحافة الشبان الجزائريين.[2]

– وفادة باريس سنة 1908 والبحث عن التعويضات:

بعد عريضتهم لدى الحكومة العامة بالجزائر عزّز الشبان هذا المسعى السياسي بمسعى آخر لدى الحكومة الفرنسية يعتبره البعض أول مسعى سياسي جماعي للشبان الجزائريين[3] أين ذهب وفد بقيادة عمر بوضربة في 03 أكتوبر 1908 إلى باريس ليُعبِّر عن رغبات الجزائريين، وقدّم عريضة تحتج على مشروع التجنيد الإجباري، وأصرّ على أن الجزائريين يجب أن يحصلوا على الحقوق السياسية قبل أن يُستدعوا للخدمة في الجيش الفرنسي.[4] في محاولة منه استخدام مشروع التجنيد كورقة لمفاوضة السلطات الاستعمارية باسم الشعب الجزائري لتحصيل بعض الحقوق وتخفيف الضغوط الاستعمارية.

وقد قابل الوفد كليمنصو[5] (Clemenceau) الذي قدّم وعداً[6] بدراسة القضية مع تأكيده بأن قانون التجنيد الإجباري سيُطبّق على الجزائريين، وقد حظي رده بقبول الوفد الجزائري،[7] ومن هذا هذا الوقت سيرتكز الخط السياسي للشبان الجزائريين حول المواضيع الكبرى في الجزائر،[8] حيث عكس عكس الوفد رؤى الشبان الجزائريين الاندماجيين في قبولهم التجنيد مقابل الحصول الحقوق المدنية للجماهير العربية،[9] آملين الاستجابة لبعض الرغبات الإصلاحية للجزائيين بما يفضي إلى استفادة السكان العرب من جميع الحقوق المدنية.[10] لذلك بذلوا جهدا في إقناع الجماهر بأن الخدمة العسكرية تسمح بالحصول على بعض التعويضات،[11] إذ رأوا أن هذه المبادرة فرصة لتحقيق بعض الحقوق

1- علي تابليت: **فرحات عباس رجل دولة**، ص 19-20.

2- Meynier: **op-cit**, p 272.

3- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير**، ج 2، ص 376. و Millet: **op-cit**, p 167.

4- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 182.

5- جورج كليمنصو: (1841-1929) سياسي راديكالي فرنسي، رئيس وزراء بين (1906-1909) و(1917-1920)، قاد فرنسا إلى النصر في الحرب العالمية الأولى، رئيس الوفد الفرنسي في مؤتمر الصلح سنة 1919. أنظر: البعلبكي: **المرجع السابق**، ص 368.

6- وعدهم بانتخاب الجزائريين في المجالس العامة للعمالات بدلا من تعيينهم – دراسة جدية لقضية منح الحقوق السياسية للجزائريين – عدم فرض فرض إدماج غير ممكن على الجزائر. أنظر: سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 182-183.

7- **نفسه**، ص 183.

8- Meynier: **op-cit**, p 220.

9- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1037.

10- خليفي: **المرجع السابق**، ص 302.

11- Meynier: **op-cit**, p 95.

السياسية والضغط على الإدارة الاستعمارية لإلغاء القوانين الاستثنائية المعرقلة لنشاط الجزائريين،[1] وفرصة لبروزهم كممثلين للرأي العام الجزائري.

فالدكتور بن علي فخار كتب عن موقفه وموقف زملائه من الشبان المسلمين المتكونين في المدارس الفرنسية بأنهم متحررون من التقاليد البالية، ومع مبدأ الخدمة العسكرية مقابل تعويضات مسبقة في مجال الحقوق السياسية،[2] وقد علّق بن علي فخار آماله على فرنسا صاحبة أفكار الحرية والعدالة أن تُنصف الأهالي الجزائريين الذين سيتحملون عبء الخدمة العسكرية زيادة على الالتزامات المالية المفروضة عليهم، والتي تشكل مصدرا حيويا للدولة، فمن العدالة أن تمنحهم حقوقا مساوية للمواطنين الفرنسيين مع احتفاظهم بأحوالهم الشخصية لأنه أمر لا يخالف أي تشريع.[3]

وساهم قانون التجنيد في كثرة النقاش الجزائري حوله وأصبح وسيلة لمحاولة تخفيف وطأة القوانين القمعية الاستعمارية حيث انعقد في عنابة اجتماع في 28 ديسمبر 1909 جمع (3000) شخص حسب المنظمين و(1200) شخص حسب الإدارة خطب فيه بعض أفراد النخبة الجزائرية (الشبان) منهم صادق دندان[4] وخليل قايد العيون وتمت المطالبة بإلغاء قانون الأهالي والمحاكم الاستثنائية الاستثنائية والضرائب، وانتهى الاجتماع بالهتاف تحيا الجمهورية[5] محاولين تجاوز محيطهم النخبوي بالقيام باستفتاء شعبي، وعبّر جيلبير مينيي (Gilbert Meynier) عن هذا الموقف بأن النخبة أظهرت خدمتها للجماهير كمطية لطموحاتها السياسية.[6] وفي 24 أفريل 1911 أرسل المستشار البلدي بالجزائر العاصمة عمر بوضربة رسالة إلى الحاكم العام ليتو (Lutaud) ضمّنها مطالب[7] الجزائريين مؤكّدا على ضرورة عمل الحكومة العامة على انتصار اللائكية في الجزائر.[8]

1- محمد بليل: **«قانون التجنيد الإجباري لسنة 1912 وانعكاساته على الجزائريين، القطاع الوهراني نموذجا»**، عصور، ع 20، (جانفي- جوان 2013)، جامعة وهران 1، ص 258.

2 - Fekar: **op-cit**, p 1-2.

3 - **ibid**, p 21-22.

4- من مواليد مدينة عنابة سنة 1880، درس بها واشتغل بالبلدية المختلطة ثم التحق بحركة الشبان الجزائريين، كاتب صحفي ومناضل من أجل الحقوق السياسية، نسّق العمل مع الأمير خالد في البداية ثم انضم إلى صف ابن التهامي، مدير جريدة (l'Islam)، بعد اعتزاله العمل الصحفي اشتغل كوكيل شرعي حتى وفاته سنة 1938. أنظر: زوزو: **الفكر السياسي**، ص 66. وأبو عمران الشيخ ومجموعة أساتذة: **معجم مشاهير المغاربة**، منشورات دحلب، الجزائر، 2000، ص 187.

5- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1038.

6- Meynier: **op–cit**, p 221.

7- هي: - تعليم فرنسي بمعلمين أكفاء – توقيف الاستغلال الضريبي – حماية الملكية الأهلية ضد الربا- تنظيم المناطق الأهلية العسكرية – إلغاء القوانين الاستثنائية – تشجيع الجرائد الأهلية المكتوبة باللغة الفرنسية – التعاون بين الشبيبة المتخرجة من المدارس الفرنسية. أنظر:

Rigal: «**Lettre Algérienne**», l'Islam, n 187, (19/03/1914).

8 **- ibidem**.

ووصفهم شارل روبير أجيرون (Charles robert Ageron) بالوطنيين المزعومين الذين قاموا بحملة لصالح مشروع التجنيد الذي طرحه ميسيمي، وطالبوا بإلغاء التفاوت في الضرائب ونشر التعليم الابتدائي وتوسيع التمثيل السياسي للمسلمين وإلغاء نظام التبعية الأهلية.[1] واستمرت هذه النخبة في نضالها ضد الإدارة الاستعمارية تدافع عن مطالبها التي تشكل برنامجها السياسي انطلاقا من معاناة الشعب الجزائري تحت وطأة القوانين التعسفية مستخدمةً الصحافة »كوسيلة تعبّر فيها عن برنامج عملها حيث كتب صادق دندان في جريدة الإسلام (l'Islam): «نواصل معركتنا بلا هوادة ضد التعسف والاستغلال الذين يعانيهما مواطنينا، ولأجل التخلص من القوانين الاستثنائية التي تخنقنا، ولأجل نهوضنا الثقافي والأخلاقي والاقتصادي، يرتكز برنامجنا خاصة على مطالب مستوحاة من الحق والعدالة، وموجهة إلى السلطات التشريعية التي تتجاهل وضعيتنا المتدهورة في المؤسسات الجزائرية».[2]

وكان الشبان ينظرون إلى المواطنة مقابل التجنيد كشيء منطقي من فرنسا الجمهورية بدون أن تطلب منهم التخلي عن الوضع الإسلامي،[3] والملاحظ على موقف الشبان من التجنيد في هذه الفترة (1908–1912) أنهم يعتبرون منح الحقوق السياسية للجزائريين شرطا أساسيا وضروريا لتطبيق التجنيد الإجباري[4] لكن بعد فرضه سنة 1912 سيكتفون بطلب تعويضات مناسبة لضريبة الدم.

ب– بعد صدور قانون التجنيد الإجباري:

بعد إعلان قانون التجنيد الإجباري في 03 فيفري 1912 تصاعدت حدّة رد الفعل الجزائري، وأصيب الشبان الجزائريون بخيبة أمل نتيجة تجاهل السلطات الفرنسية للمطالب السياسية التي طرحوها، وسجّل شهر مارس وأفريل من نفس السنة تحركات جديدة للأهالي بأشكال مختلفة في مختلف مناطق البلاد،[5] إذ تدفقت الاحتجاجات والعرائض من مستشاري البلديات بمدينة الجزائر ومستغانم، وكثرت العرائض كعريضة سكان سعيدة، وأهالي معسكر ومجنّدي جيجل، وبرقية أعيان بجاية،[6] وكانت بداية

1- شارل روبير أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ص 115.

2-Sadk Denden: «**Notre action**», l'Islam, n 100, (07/01/1912).

3- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1039.

4- ناصر بالحاج: **مواقف الجزائريين من التجنيد الإجباري 1912–1916**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، (2004–2005)، ص 52.

5- خليفي: **المرجع السابق**، ص 303.

6- Ageron: **Les Algériens musulmans**, t 2, marge 4, p 1074.

تطبيقه قد جعلت النخبة الليبرالية تدخل المعركة السياسية بأسلوب استنبطته من الأفكار الأوربية،[1] حيث قبلت بالأمر الواقع واكتفت بالمطالبة بتعديل المرسوم من خلال تخفيض مدة التجنيد إلى سنتين، ورفع سن التجنيد، وإلغاء المنح والتعويض مع المطالبة بمنح حقوق المواطن الفرنسي للعسكريين.[2]

وقامت لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين كأول حزب سياسي بمناقشة قضية التجنيد أمام الرأي العام الجزائري والفرنسي، وبعثت في 27 ماي 1912 عريضة إلى الحكومة الفرنسية والمجلس الوطني الفرنسي ووزارة الداخلية والحرب ومجلس الشيوخ بيّنت فيها أن قانون التجنيد جاء معاديا للديمقراطية، ومهينا، وغير عادل، لأنه فرض حملا جديدا دون حقوق سياسية ومدنية، مطالبةً بإلغاء الأنديجينا والمحاكم الزجرية، وبتمثيل نيابي جاد في المجلس الوطني، وتوزيع عادل للضرائب،[3] بالإضافة إلى الاعتراف بمبدأ المساواة المدنية من خلال الأعباء، وحق كل مجنّد في اختيار صفة المواطن الفرنسي.[4]

الفرنسي.[4]

والملاحظ على نبرة النخبة الاندماجية أنها غيّرت في طرحها السابق لسنة 1908 الذي كانت ترفض فيه التجنيد بدون حقوق، وأصبحت تطالب بمقابل معقول للخدمة العسكرية ولو بإصلاح الأحوال الاقتصادية والاجتماعية،[5] محاولةً استغلال الموضوع للبروز في المجتمع والحصول على حق تمثيله تمثيله أمام السلطات الاستعمارية بالتعبير عن انشغالاته ورفع مطالبه أمام نظرائهم من نخبة المحافظين الإصلاحيين الذين سيدخلون أيضا في معركة تمثيل الجزائريين في مختلف القضايا المطروحة.

- بيان الشبان الجزائريين سنة 1912:

1- يوسف مناصرية: **الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين 1919-1939**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 11.

2- Sadk Denden: «**La Conscription des indigènes**», l'Islam, n 119, (26/05/1912).

3- ابن العقون: **المرجع السابق**، ص 36-37.

4- «**La Conscription des indigènes**», l'Islam, n 120, (02/06/1912).

5- بالحاج: **المرجع السابق**، ص 52.

بعدما أصبح قانون التجنيد أمرا واقعا حاولت لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين العمل على تعديل بنوده، وتخفيف وطأته بالاستفادة منه فأصدرت ما عُرف ببيان الشبان الجزائريين[1] في شكل مذكرة حملها وفد[2] من الجزائر إلى رئيس الوزراء الفرنسي بوانكاري[3](Poincaré) في 26 جوان 1912 تضمنت استعدادهم لأداء الخدمة العسكرية مقابل مطالب[4] وتعويضات سياسية أبانت عن الفكر السياسي لهذه الفئة من النخبة الجزائرية حيث ركزت على التمثيل النيابي والحقوق السياسية،[5] مما مما جعل لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين تساهم في خلق تعابير جديدة في القاموس الشعبي مثل الحقوق السياسية، المساواة، الوطن، العدالة والتقدم.[6]

وكان بيان الشبان الجزائريين هذا يبيّن موقف النخبة أيضا من القضايا السابقة منذ الثلث الأخير من القرن التاسع عشر كموضوع القضاء والإجراءات القمعية كقانون الأهالي والمحاكم الرادعة والتمثيل النيابي والضرائب،[7] وبعد صدور قانون التجنيد الإجباري جدّدوا هذه الاهتمامات وشدّدوا على تحقيقها مقابل ضريبة الدم التي فُرضت عليهم محاولين استغلالها كورقة لمحاورة النظام الاستعماري وافتكاك ما يمكن افتكاكه من إصلاحات.

1- حمل البيان عنوان التدابير التي يطالب بها المسلمون الفرنسيون في الجزائر كتعويض للخدمة العسكرية:
(Note sur les mesures demandées par les musulmans Français d'Algérie en compensation de la conscription militaire) أنظر: Millet: op-cit, p 172

2- تشكل من: ابن تامي (نائب عن مدينة الجزائر)، مختار حاج سعيد (نائب بلدي بقسنطينة)، بوشريط علاوة (نائب بلدي بقسنطينة)، الدكتور موسى(نائب بلدي بقسنطينة)، حاج عمار(نائب بلدي بجيجل)، جودي (نائب بلدي ببسكرة)، بن عصمان (نائب بلدي ببيجو)، ابن ددوش (نائب بلدي بتلمسان)، قارة علي (من أعيان عنابة). وكان الوفد استقبل أيضا من طرف ميليرون (Millerand) وزير الحربية، وألبين روزي (Albin Rozet)، وجورج ليغ (Georges Leygues)، وميسيمي يوم 28 جوان 1912. أنظر: l'Islam, n 122, (23/07/1912)

3- Raymond Poincaré (1860-1934) سياسي فرنسي، وزير المالية (1894-1895) ثم وزيرا للمعارف، عضو مجلس الشيوخ (1903-1913) ثم رئيسا للحكومة، فرئيسا للجمهورية الفرنسية (1913-1920). أنظر: البعلبكي: المرجع السابق، ص 114.

4- تخفيف المدة العسكرية إلى سنتين – التجنيد عن في سن الواحد العشرين – حذف المنحة – إصلاح النظام القمعي – توزيع عادل للضرائب – توزيع عادل لموارد الميزانية. أنظر: ابن العقون: **المرجع السابق**، ص 37-38. و l'Islam, n 122, (23/07/1912)

5- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 20-21. ونص البيان كاملا في: سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص ص 426-430. وبن حبيلس: **المرجع السابق**، ص 100 وما بعدها.

6- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 188.

7- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 19.

وحاولوا إظهار فكرهم السياسي وإضفاء الشرعية على مطالبهم برفض المنحة التي اعتبروها إهانة،[1] تجعلهم كمرتزقة، وتأسّفوا من ذلك لأن برهنوا في كل المناسبات على القيام بواجباتهم نحو فرنسا التي اعتبروها وطنهم الأصلي، في حين لا تراهم إلا كأجانب ومرتزقة حتى وهم يعطونها دماءهم،[2] كما رفضوا المنحة لعدم حاجتهم إليها أو تعاليا أو كرد فعل على التعاليق الصحفية الساخرة من مطالب النخبة بالحقوق السياسية بدل التعويضات المالية،[3] وأكدوا على رغبتهم في إعطاء أبنائهم بحرية إلى فرنسا بدون مقابل مالي وإنما مقابل مؤسسات جديدة،[4] وقد ورد في جريدة الرشيدي (le Rachidi) في 03 ماي 1912 على لسانهم إلى وزير الحربية الفرنسي:" إن الضريبة التي قُرّرت علينا لا يُدفع ثمنها نقدا، وحياة محارب يموت في ساحة الشرف لا تُشترى بوزن الذهب، إن أبناءنا سيادة الوزير مستعدون لخدمة فرنسا لأنهم يحبون وطنهم بالتبني، لكنهم لا يفعلون ذلك إلا بشرط واحد وهو في مقابل السنوات التي يقضونها تحت العلم يُمنح لهم الحق في أن يكونوا فرنسيين".[5] فكانوا يتطلعون إلى نيل الحقوق السياسية والانتفاع من الإصلاحات الإدارية بدل الحصول على التعويضات المالية في مقابل تأدية الجزائريين للخدمة العسكرية، رابطين الحصول على المواطنة بمجرد تقديم تصريح بسيط في البلدية مع الموافقة على منح حق الانتخاب للمسلمين غير المتجنسين.[6]

– الدعاية لصالح التجنيد:

إن النخبة الاندماجية وبناءً على خلفيتها الفكرية أيّدت الانخراط في الجيش الفرنسي للدفاع عن (الوطن الأم) لتحصيل بعض الحقوق التي طالما حُرمت منها ولو أدى بها الأمر إلى التجنس والتنازل عن الأحوال الشخصية،[7] لذلك فنبرتها المطالِبة بالإصلاحات لم تكن حادّة بما يناسب وضع الجزائريين، إذ

1- André Messimy: **le statut des indigènes Algériens**, Henri charles-Lavauzelle, Paris, 1913, p 28.
2 - «**le service militaire des indigènes, deux poids et deux mesures**», la voix des humbles, n 10-11, (février-mai 1923), p 2-3.

3- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 79.

4- Messimy: **op-cit**, p 28.

5- نور الدين ثنيو: **إشكالية الدولة في الحركة الوطنية الجزائرية**، ط 1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2015، هامش 13، ص 122.

6 -«**Les indigènes Algériens devant le service militaire**», l’Islam, n 109, (10/03/1912).

7- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 23.

لم تطالب بإلغاء قانون الأهالي كلّية وإنما بإصلاحه فقط وفي المناطق التي أظهر فيها السكان إخلاصهم لفرنسا، وقاموا بمشاريع لصالحها مع إصلاح وتنظيم المحاكم الرادعة مما يعكس ضعفها في تمثيل مصالح عموم السكان، كما حددت الفئات التي تُمنح المواطنة الفرنسية والتي اقتصرت على بعض الأهالي كالتجار والملاكين أو الشاغلين لأعمال عمومية.[1]

وفي هذا المجال نجدها هلّلت بمرسوم 21 سبتمبر 1912 حول تنظيم العدالة الإسلامية في الجزائر وما أقرّه بشأن توقيف العمل بالنظام الخاص (الأهالي) بالنسبة للمسلمين الجزائريين المتعهدين والمجندين في الجيش الفرنسي، ومنحهم نفس الضمانات القضائية التي يتميز بها المواطن الفرنسي بمبدأ (التساوي في الأعباء، التساوي في الحقوق)، واعتبرته أول ترضية للذين لبّوا نداء الوطن،[2] ومكسب سياسي لنضالها في سبيل افتكاك بعض الحقوق لصالح هذه الفئة من الجزائريين، فأصحاب الثقافة الغربية الفرنسية انطلقوا من مبدأ المساوة في الخدمة العسكرية الإجبارية إلى المطالبة بالمساواة في كل الحالات الأخرى ما دامت الجزائر أرضا فرنسية وسكانها رعايا فرنسيون.[3]

وقد أقر هذا المرسوم بأن المجنّدين في الجيش الفرنسي لا يطبق عليهم قانون الاحتجاز الإداري إلا في الحالات الاستثنائية كالعمل ضد أمن الدولة، كما ميّزهم في حالات الجرائم ومدة العقوبة مع منحهم حق الانتخاب البلدي والدخول في الوظائف العامة فأُعتبر ترضية نحو عدالة مستقيمة،[4] رغم أنها ترضية ترضية لفئة محدودة جدا لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا تستجيب للمطالب الحقيقية للشعب الجزائري ككل،[5] وتكرّس مساوئ السياسة الاستعمارية بالتمييز بين الجزائريين أمام الإجراءات الفرنسية.

وجعلت النخبة الاندماجية من جريدة الإسلام[6] (l'Islam) منبرا للدفاع عن موقفها من التجنيد حيث جعلت منه مطلبا للأهالي بأمل الحصول على الحقوق المدنية للسير نحو نظام أقل عبودية

1- **«Les indigènes Algériens devant le service militaire»**, l'Islam, n 109, (10/03/1912).
2- **«Première satisfaction»**, l'Islam, n 131, (24/09/1912).

3- بوعزيز: **الاتجاه اليميني**، ص 15.

4- «**Justice**», l'Islam, n 133, (08/10/1912).

5- بوعزيز: **المرجع السابق**، ص 29.

6- كان مقرها في مدينة عنابة وعندما اشتدت معارضة مشروع التجنيد الإجباري بصدور جريدة الحق الوهراني انتقلت إلى العاصمة ليزداد انتشارها لأن العاصمة مجال خصب للنشاط. أنظر:

ضد رغبات الكولون الذين يرفضونه ويريدون الإبقاء على خضوع الأهالي لسلطتهم.[1] كما كتب ميسيمي بأن عريضة جوان 1912 التي صرّح أصحابها بقبول التجنيد هي تعبير عن رغبات الأهالي التي ظهرت منذ سنوات في الصحف الأهلية أو الرسائل الموجهة للشخصيات، وهي تريد التأسيس لنظام ليبرالي مستعمِلة تعبير الحقوق السياسية،[2] بينما كتب المؤرخ الفرنسي غي برفيلي (Guy Pervillé) بأن الشبان في بيانهم ادّعوا أنهم كانوا لسان حال الشعب، يعبّرون عن تطلعاته ويترجمونها إلى مطالب يمكن أن تحظى بموافقة السلطات الفرنسية التي أصبحوا محاورين لها بحكم ثقافتهم.[3]

و لم تكتف النخبة الاندماجية بقبول التجنيد بل قامت بالدعاية له عبر صحافتها لتعبئة الرأي العام الجزائري للمشاركة في الحرب بجانب فرنسا وإعلان تأييدها لها كمحاولة للحصول على امتيازات باعتبارها الناطق الرسمي المتحدث باسم الشعب الجزائري، فهذا صادق دندان دعا للدفاع عن الوطن الأم قائلا: «أمام الخطر الذي يهدد فرنسا وطننا العزيز مهد كل الحريات فإنه من واجبنا كمسلمين مخلصين متعلقين بعمق بالمؤسسات الجمهورية أن نقف كرجل واحد في وجه العدو الألماني، ونساعد بكل أرواحنا العلم الفرنسي»،[4] فالوفاء لمصدر ثقافتهم جعل أفراد النخبة الاندماجية يتخذون موقفا لصالح فرنسا ويعادون خصومها بما فيهم الدولة العثمانية.

ومدح في نفس المقال كرم فرنسا مهد الثورة والجمهورية، وشجاعتها التي تنادي أبناءها الجزائريين للدفاع عن تراثهم المشترك معها، داعيا إلى التفاني في الدفاع عن الأرض لآخر قطرة من دمائهم،[5] كما قام عمر بوضربة المستشار البلدي بمدينة الجزائر وتامزالي[6] بكتابة برقية تُعبّر عن استعداد الجزائريين المقيمين بفرنسا (عرب وأمازيغ) لتقديم مساعدتهم للوطن الأم بالانخراط في جبهات

«**A nos lecteurs**», l'Islam, n 100, (07/01/1912). و Ihdaden: op-cit, p 242.

1- «**Le service militaire et les indigènes**», l'Islam, n 125, (13/08/1912).

2- Messimy**: op-cit**, p 26.

3- برفيلي: **المرجع السابق**، ص 139.

4- Sadek Denden**: «Aux musulmans Algériens»**, l'Islam, n 203, (08/08/1914).

5-**ibid**.

6- عبد النور تامزالي دكتور في الطب ونائب مالي ثم رئيس القسم القبائلي في مجلس النيابات المالية، كان من المقربين للأمير خالد في البداية، يكتب في مختلف الصحف. أنظر: زوزو: **الفكر السياسي**، ص 68.

الدفاع، وهو ما جعل جريدة الإسلام تكتب بأن الجزائريين بهذه البرقية تركوا انطباعا حسنا في الجزائر وفرنسا، وتشكرهم على شجاعتهم وغيرتهم الوطنية التي يبذلونها لفرنسا في أوقاتها الصعبة.[1]

كما استخدمت النخبة الاندماجية جمعياتها الثقافية لتعبئة الرأي العالم الجزائري لصالح التجنيد والقيام بواجب الدفاع عن الوطن الأم فوجّهت الجمعية الرشيدية والاتحاد الفرنسي الأهلي والجمعية التوفيقية على لسان ابن تامي نداءً إلى أعضائها جاء فيه: «إن الظروف الراهنة (الحرب العالمية الأولى) تفرض على الأهالي أبناء فرنسا تضحيات لصالحها، إخواني المسلمين في الجزائر أنتم الذين تآخيتم بع الفرنسيين واستفدتم مثلهم من امتيازاتٍ، لقد حان وقت واجبكم، الكل لأجل فرنسا، استعملوا تأثيركم تجاه مواطنيكم واعملوا ما يجب في كل الظروف لتكونوا متعاونين ومخلصين للسلطات الفرنسية، وفرنسا لن تنساكم».[2]

وفي مقال آخر كتب صادق دندان أن الوقوف بجانب فرنسا هو الوقوف بجانب الحق ضد القوة، ومن أجل الحضارة ضد البربرية الألمانية محاولا إقناع الجزائريين بدعم لفرنسا بحكم أن حليفتيها بريطانيا وروسيا تضمان في صفوفهما مسلمين داعيا إلى وحدةٍ باسم العاطفة الدينية لإنشاء أخوّة في السلاح،[3] دون أن يشير إلى الأخوّة الدينية التي تربط الجزائريين بالدولة العثمانية حليفة ألمانيا، كما دعا إلى التفاؤل بالنصر الفرنسي وأخْذ موعد في برلين أين يحصل الجزائريون على مكانة شريفة في العائلة الفرنسية والبرهنة على الارتباط الوثيق بالعلم الفرنسي بتقديم الدم الجزائري للوطن المشترك.[4]

وتعبيرا عن إخلاصهم لفرنسا وتفانيهم في التضحية في سبيلها وتنكرهم للأتراك كتب أحد الشبان الأهالي يسمى مهني زيد (ابن قايد) في 29 سبتمبر 1914: «إن سلالة العثمانيين ليس لها دعم حقيقي لأنها ليست من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإذا احتفظت برايتها بسبب شعبيتها فذلك باغتصاب الحكم... يا مسلمين يجب ألا تقعوا في الفخ الذي تضعه ألمانيا، قاوموا بكل قوتكم لإبادة هذا الجيش الألماني غير الجدير بالرحمة، إن ألمانيا تغار من عظمة فرنسا، ستنتقمون للفرنسيين الذين ماتوا سنة

1 - «**Enrôlement des indigènes résidant en France**», l’Islam, n 203, (08/08/1914).

2- «**Un Appel des sociétés indigènes**» , l’Islam, n 203, (08/08/1914). و Jean Mélia: op-cit, p 149.

3-Sadek denden**: «Notre action dans la bataille»**, l’Islam, n 204, (22/08/1914).

4-**ibidem**.

1870».[1] كما كتب أعضاء مجلس الرشيدية رسالة إخلاص إلى الحاكم العام جاء فيها: "في الظروف الحالية يؤكد أعضاء مجلس الرشيدية إخلاصهم الصادق، ورغم دخول تركيا في الصراع الأوربي (الحرب) فإن عواطفهم لن تتغير، وزيادة على ذلك فهم مرتبطون بفرنسا التي يحبونها، وهم مستعدون للتضحية لأجل خدمتها".[2]

وكتب الحكيم مرسلي الذي اعتبره الفرنسيون أشهر علّامة أهلي[3] سنة 1914 داعيا إلى الوقوف بجانب فرنسا بأن: "الألمان حطّموا الكاتدرائيات ومنارات المساجد والمدارس، وكل ما يتعلق بدينكم وروحكم، أيها الرجال الذين اختارهم الله لتدمير هذا العرق الملعون (ألمانيا)كونوا مفتخرين مسلمي إفريقيا، كونوا مفتخرين مسلمي فرنسا، لقد اكتسبتهم من الآن مكانة مهمة في العائلة الكبيرة الفرنسية بفضل تقديم أبنائكم للأمة التي لن تنساكم وستعطيكم حقوقا جديدة"،[4] ومنذ 16 أكتوبر 1914 بدأ يكتب ويحذّر الحكومة التركية "لا تعتمدوا علينا، نحن لا نعرفكم"، وفي 28 نوفمبر 1914 دعا الجزائريين لمحاربة الأتراك.[5] لذلك كافأته فرنسا بوسام الشرف[6] نظير خدماته وحملاته الإعلامية لصالح السلطة الفرنسية.

2-2-موضوع التجنّس والاندماج:

بحكم تحقيق أفراد هذه النخبة مستويات عليا من التعليم الفرنسي ودخول بعض الوظائف الإدارية والحرة التي كانت حكرا على الأوربيين في الجزائر فإنهم حاولوا العيش على النمط الأوربي والاستفادة من كل مزاياه ليتجاوزوا عقدة النقص ويخرجوا من صفة الأهلي الخاضع للقوانين الاستثنائية فطالبوا بإدماجهم في المجتمع الفرنسي، ومنحهم حقوق المواطنة بواسطة التجنيس فطُرحت صيغة الاندماج والتجنيس على من تتوفر فيه الشروط من الجزائريين ليكتسب صفة المواطن الفرنسي مع وجود اختلاف في معناهما، فالتجنيس (la Naturalisation) يعني تغيير الشخص ودينه ليصبح مواطنا فرنسيا مسيحيا، وهي دعوة لم تجد لها صدى إلا لدى فئة قليلة جدا من الجزائريين، أما الاندماج

1-Mheni Zaid: «**La Turquie et l’Islamisme**», l’écho d’Alger, n 928, (29/09/1914).

2- Mélia: **op-cit**, p 220.

3- **Ibid**, p 152.

4- Meynier: **op-cit,** p 267-268.

5- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1176.

6- Meynier: **op-cit,** p 630.

(l'Assimilation) فمعناها حصول الفرد على الجنسية الفرنسية، وتمتعه بحقوقه المدنية مع بقائه على دينه، وتمتعه بقانون الأحوال الشخصية الخاص به كمسلم.[1]

أ- قبل سنة 1919:

ظهرت فكرة الاندماج والتجنس في السياسة الفرنسية إلى التشريع الذي أصدره نابليون الثالث في 22 أفريل 1865 والذي اعتبر الجزائريين رعايا فرنسيون، وأن الجنسية الفرنسية وقوانينها غير مناسبة في حال المسلم الجزائري إلا إذا تخلى عن أحواله الشخصية الإسلامية.[2] أي أن الجزائري المسلم لا يستطيع التمتع بحق المواطنة وما تحتويه من حقوق وحريات عامة، وهي أحد مقتضيات الاندماج إلا إذا تخلى عن صفته كمسلم بالمعنى السياسي والاجتماعي للكلمة، ويجب عليه الاختيار بين التبعية في إطار القانون الإسلامي أو المواطنة في إطار القانون الفرنسي.[3]

ولم يكن الاندماج محط إجماع كل عناصر النخبة، ولم يجد رواجا في وسط الجزائريين لتعارضه مع عقيدتهم، ولأن سياسة الاندماج قائمة على التخلي عن مقومات الشخصية الجزائرية الإسلامية، وهذا صعّب على الجزائري تقبّله، كما أن سياسة الاندماج تقتضي الاعتراف بالنظرية الاستعمارية القائلة بأن الشعب الجزائري عبارة عن قبائل متصارعة لم تشكل وحدة سياسية، وأن الدين واللغة من مخلفات (الغزو) العربي، ومنه فإن عملية الاندماج ما هي إلا مرحلة أخرى من تاريخ هذه الأمة التي لم يكن لها وجود إلا من خلال الشعوب التي احتلتها، فالاندماج هو نكران لخصوصيات الشعب.[4]

وكان الجزائريون القليلون الذين تكونوا في المدارس الفرنسية، مدفوعين أكثر من غيرهم للمطالبة بالتجنس بالجنسية الفرنسية سواء لأنهم يعتقدون في تفوق الحضارة الغربية التي ستحقق طموحهم في العدالة والمساواة في الحقوق السياسية مع الفرنسيين، أو رغبة منهم في الارتقاء الشخصي، أو لهذين السببين معا، فكانوا دعاة متحمسين لإدماج الجزائر في فرنسا والتجنّس بجنسيتها،[5] على

1- فرحات عباس: **الشاب الجزائري**، تر: أحمد منور، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، هامش ص 123.

2- صافر: **«موقف النخبة الجزائرية من سياسة فرنسا الاندماجية»**، ص 333.

3- برفيلي: **المرجع السابق**، ص 129.

4- صافر: **«موقف النخبة الجزائرية من سياسة فرنسا الاندماجية»**، ص 334.

5- كريمة بن حسين: **«المتجنّسون، مواقفهم أفكارهم وطموحاتهم»**، مجلة العلوم الإنسانية، ع 30، جامعة منتوري قسنطينة، (ديسمبر 2008)، ص 127.

الرغم من علمهم أن التجنيس المطروح من طرف السلطة الاستعمارية يعني التخلي طواعية عن الشرائع المنزلة، والرضوخ التام للقوانين الفرنسية.[1] ذلك أن المسلم المتقدم للتجنس يقبل القانون المدني في نفس الوقت الذي يرفض فيه القرآن الذي هو القانون المدني الإلهي الوحيد للمسلم.[2]

والحقيقة أن ظاهر الادماج غير باطنه، فظاهره يعني تحقيق التماثل بين الدولة المستعمرة والأصل، وتحول المواطن الجزائري معنويا وماديا ليصبح شبيها بالميتروبول، أما باطنه فهو لا ينطبق في الجزائر إلا على الأرض ومن عليها من المستعمرين دون السكان الأصليين الذين يبقون خاضعين، وفي 14 جويلية 1865 جاء قانون سيناتوس كونسيلت[3] الذي يحدد وينظم الوضع القانوني للمسلمين الجزائريين بهدف إدماجهم تدريجيا في المجتمع الفرنسي، ثم جاءت الجمهورية الثالثة واقترح جول فيري الادماج بواسطة المدرسة الفرنسية.

وكانت المطالبة بالجنسية الفرنسية والتي تستوجب الارتداد عن الإسلام مبكرة قبل مطلع القرن العشرين، وإن كانت محدودة جدا في المجتمع الجزائري، وعلى الرغم من هذا فقد أثارت ضمير الجزائريين فانزعجوا منها انزعاجا شديدا،[4] وعبّروا عن ذلك في جريدة الحق العنابي (El-Hack) التي استنكرت في عددها الصادر في 17 سبتمبر 1893 التجنيس وتساءلت: «ما هي أهمية رجل يتنكر لقوميته ودينه؟، ومثل هذا الرجل هو أهل لماذا؟، وهل يمكن الوثوق في وطنية الخائن لوطنه؟، والرجل الذي ينفر من حليب أمه هل يستصيغ حليب امرأة أجنبية؟»[5] وفي المقابل لم تكن الجريدة تقصد العداء لفرنسا، وإنما ترفض سياسة التجنيس حيث كتبت: «نحن نحب فرنسا بدون أن نتنكر لإخواننا العرب، ولسنا في حاجة لمحاربة أبناء جلدتنا لنكتسب محبة فرنسا لأننا رعاياها حقيقة»،[6] وكانت تُمجّد الوصاية الفرنسية الفرنسية والتعليم الفرنسي لأجل نفض الجمود عن الجزائريين، وبعث الإشعاع القديم للحضارة

1- برفيلي: **المرجع السابق**، ص 409.

2-Emile Gautier:« **Menaces sur l'Afrique**», R. P, t 5, (septembre-octobre 1934), Paris, p 47.

3- قانون أصدره مجلس الشيوخ جرّد الجزائريين من حق الجنسية الفرنسية إلا إذا تخلوا عن أحوالهم الشخصية كمسلمين، واعتبرهم رعايا لا مواطنين حيث أن الجنسية الفرنسية لا تتناسب مع حالة الجزائري كمسلم. أنظر: سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، ص 176.

4- جمال قنان: «**مشاغل المجتمع الجزائري من خلال الصحافة 2882-1914**»، مجلة المصادر، ع 9، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، (السداسي الأول 2004)، ص 56.

5 - Abdallah: «**aux renégats**», El-Hack, n 8, (17/09/1893).

6 –**ibidem**.

العربية.[1] كما كانت لجنة جول فيري سنة 1892 قد تلقت اقتراحا من أحمد بوضربة بن حسن طالب فيه بتجنيس المسلمين بالتدريج مع المحافظة على الأحوال الشخصية، وفي مقابل ذلك يخدم أهل المدن في الجيش الفرنسي، أما الوظيفة العمومية فتبقى مقصورة على المتجنسين فقط من المسلمين.[2] فقد استاء الجزائريون من حصول اليهود على الجنسية الفرنسية الشيء الذي أهّلهم لدخول المجال الفرنسي العام، فيما بقوا هم محاصرين في دائرة القوانين الاستثنائية وتدحرجوا إلى درجة أقل.

ومع مطلع القرن العشرين وبروز طلائع العمل الوطني المنظم وتأسيس حركة النهضة الجزائرية،[3] وتبلور وعي النخبة وأشكال المطالبة بالحقوق مع الاحتفاظ بالأحوال الشخصية تكونت قناعة من منظري السياسة الفرنسية بضرورة عزل هذه النخبة عن قاعدتها الشعبية بمنح أفرادها المواطنة الفرنسية فطرحت الإدارة الفرنسية بقوة ملف التجنس، وروّجت له بين طبقة النخبة المتفرنسة[4] التي كانت لديها القابلية لذلك لأنها تعتقد أن مأساة الجزائر وشعبها تكمن التفرقة العنصرية التي فرضتها الإدارة الفرنسية، وأن العلاج الحقيقي هو محاربة تلك التفرقة العنصرية، وتطبيق المساواة في الحقوق والواجبات بين الأوربيين والمسلمين، وبهذا ركّزوا على الادماج والحصول على الجنسية الفرنسية معتبرين ذلك بداية الطريق لتحقيق أهدافهم.[5]

– التطلّع للمساواة في ظل المبادئ الفرنسية:

الملاحظ على برنامج النخبة المفرنسة فيما يخص الاندماج أنه لم يكن لا متطرفا في النظرة ولا صعبا في التطبيق، فكل ما فعلته هو أنها طلبت من فرنسا أن تضع موضع التنفيذ ما كانت قد كتبته على الورق بخصوص الجزائر، فإذا كان القانون الفرنسي قد أعلن أن الجزائر مقاطعة فرنسية وإذا كانت الجمهورية الثالثة قد أوضحت أنها تفضل الإدماج الكامل لهذه المقاطعة في فرنسا فإن جماعة النخبة قد

1- Meynier: **op-cit**, p 217.

2- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954**، ج 6، ص 229-230. و:

Ageron: **Les Algériens musulmans,** t 2, marge 2, p 1040.

3- أحمد مريوش: **«بوادر الانشطار في فكر النخبة الليبرالية الجزائرية وانعكاساتها على القضية الوطنية ما بين 1919–1943»**، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، ع 2، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، (جوان 2008)، ص 92.

4- **نفسه**، ص 92.

5- بوعزيز: **الاتجاه اليميني**، ص 42.

طالبوا بتطبيق هذه القوانين على الجزائر بالروح والحرف من خلال المساواة في الحقوق السياسية مع الفرنسيين.[1] أي أنهم لم يطالبوا بشيء جديد وإنما تطبيق قانون موجود من قبل على أرض الواقع ليحصلوا من خلاله على ما يخدم مصالحهم.

فعلى الرغم من سلبيات سياسة الاندماج إلا أنها لقيت استجابة من بعض الجزائريين الذين اعتبروها بابا لفتح للحوار مع الاستعمار، ومن خلاله يستطيعون تقديم مطالب الشعب إليه والتي تتمثل في المساواة مع المعمرين واليهود الفرنسيين في الوطن الأم، ومن هنا طالبت تلك النخبة بالجنسية الفرنسية وحصلت عليها مما سمح لها بالتقرب من الاستعمار والدخول في المقاومة السياسية الهادئة، فكانوا كلهم تقريبا ينادون بسياسة الدمج من أجل التوصل يوما إلى المساواة السياسية بفرنسيي الجزائر.[2] فكانوا ينظرون إلى قضية الاندماج على أنها ضرورة حتمية تقتضيها ثقافتهم وتكوينهم العلمي والسياسي، مما يسمح لهم بحق التمتع بكل الحقوق السياسية والمدنية الرئيسية وما يترتب عنها[3]. لذلك يسميهم أبو القاسم سعد الله بنواة الاستغراب والاندماج والتفرنس،[4] فكانوا يرغبون في انعتاق شعبهم في كنف الأمة الفرنسية، وفي ظل المساواة مع الفرنسيين مستندين إلى الحضارة الفرنسية دون سواها.[5]

فقد قارن الجزائريون بين نظريات فرنسا وممارساتها العملية، فمبادئها لا توجد في الجزائر المستعمرة، فكان النقاش الجزائري بين ما تقوله فرنسا الثورة وما تدّعيه وتفعله وتمارسه، واتخذ التيار الحديث المثقف ثقافة فرنسية موقفا مغايرا من موضوع الهوية إذ قبل أعضاؤه الاندماج باعتباره طريقا لتحقيق المساواة خاصة في التعليم والحقوق السياسية مما جعل الجزائريين ينظرون إليهم على أنهم خونة،[6] فقد تبنّوا أفكار الغرب ونمط عيشه وطريقته في العمل، وكلّهم تشبع بالأفكار اللائكية، وآمنوا

1- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 162-163.

2- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ص 115.

3- عباس محمد الصغير: **فرحات عباس من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية (1927-1963)**، مذكرة ماجستير في تاريخ الحركة الوطنية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006- 2007، ص 32.

4- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 6، ص 198.

5- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ص 372.

6- بريون: **المرجع السابق**، ص 85.

وآمنوا بالوجود الاستعماري على أنه وجود أبدي، واعتبروا فرنسا وطنهم الأم،[1] حيث لم تتجاوز مطالبهم مجال المساواة بدافع روح الإخلاص والولاء بعيدين عن شعارات الأمة العربية،[2] وهذا ما سيفصلهم عن بقية مكونات النخبة الجزائرية من المحافظين الإصلاحيين وعن الجماهير الشعبية التي تراهم غرباء عن معاناتها واهتماماتها.

فالمتتبع لأفكارهم يرى أن الحضارة الغربية استهوتهم فربطوا مصيرهم بمصيرها، فأصبحوا يرون أن مأساة الشعب تكمن في التفرقة العنصرية، والعلاج هو تطبيق مبدأ المساواة، فركزوا على الاندماج والجنسية الفرنسية كبداية لتحقيق أهدافهم معتقدين أن هذا الشعب الغارق في بؤسه ليس لديه ما يخسره عندما يصبح فرنسيا بل سيحظى بكثير من الامتيازات، فالهوية الفرنسية أصبحت ملجأً بالنسبة إليه.[3] لذلك اختار بعض أفراد التيار الاندماجي التجنيس بالجنسية الفرنسية بالتنازل عن الأحوال الشخصية الإسلامية التي جعلها قانون 1865 الحد الفاصل بين حالة الرعية وحالة المواطنة،[4] وبعد ما كان مطلب الاندماج مجرد طموح وإعجاب أصبح يشكل توجها وتيارا ثقافيا واجتماعيا وسياسيا عرفته الجزائر مع مطلع القرن 20م، حيث تميزت فئة الاندماجيين في حصر برامجها في إطار القانون الفرنسي، و لم تربط مطالبها وإيديولوجيتها بمقومات الشخصية الوطنية فنادت بتجنيس الجزائريين جماعيا.[5]

ولأجل الخروج من هذه الوضعية كان ممثلو التيار الاندماجي كربيع زناتي وسعيد الفاسي وشريف بن حبيلس ممن أمنوا أشد الإيمان بفرنسا ومبادئ ثورة 1789،[6] يرون في الاحتلال الفرنسي فتحا لصالح الجزائر يُمكّنها من الخروج من التخلف وولوج الحضارة الحديثة،[7] عن طريق الجنسية التي

1- بن حسين: **المرجع السابق**، ص 129.
2- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ص 386.
3- صافر: **«موقف النخبة الجزائرية من سياسة فرنسا الاندماجية»**، ص 335.
4- سعد الله: **خلاصة تاريخ الجزائر**، ص 99-100.
5- مناصرية: **المرجع السابق**، ص 109.
6- صافر: **موقف النخبة الجزائرية من سياسة فرنسا الاندماجية**، ص 333.
7- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 6، ص 256.

هي من مقتضيات الدولة الحديثة، ومن أسباب المواطنة التي هي شرط للتقدم والترقية في السلم الاجتماعي والسياسي والمهني.[1]

وكانت المطالبة بحق المواطنة في إطار قانون الأحوال الشخصية قد تم التعبير عنها بشكل صريح منذ ظهور حركة الشباب الجزائري التي نادت بالمساواة في الحقوق المدنية دون التخلي عن القانون الشخصي الإسلامي أو ما يُعرف بالتجنيس المزدوج الذي نودي به سنة 1908 لصالح المتطورين الذين لم يكونوا يستطيعون المطالبة بالتجنيس التام مخافة إقصائهم من طرف ذويهم.[2] فقد حاول الشبان البحث عن المركز الاجتماعي للإنسان الجزائري المسلم في صلته بأهم الحقوق والحريات، والعمل على تحسين وضعيته على مستوى حياته المادية، ومتطلبات الحياة اليومية، والبحث عن حق المواطنة مع عدم التفريط في نظام الأحوال الشخصية الإسلامية.[3]

- توجّهات داخل الليبراليين:

اختلفت معتقدات الاندماجيين واتجاهاتهم الفكرية، لذلك يجب التمييز بين مكوناتهم، فلم يكونوا جميعا سواءً في تطرفهم وتنكرهم لماضيهم، ففيهم المتحمسون الذين يميلون إلى الاندماج الكلي[4] الكلي[4] مثل ابن التوهامي وعمر بوضربة وأحمد بوضربة وابن حمودة، وفيهم المنادون بالاندماج التدريجي مثل اسماعيل حامد والطيب مرسلي، وفيهم الخاملون، وفيهم الغلاة كربيع الزناتي، والمعتدلون كفرحات عباس،[5] ومنهم الملحدين وغير المكترثين بعقيدتهم الإسلامية، ومنهم من اقتصر في ممارسة

1- ثنيو: **إشكالية الدولة**، ص 88.

2- برفيلي: **المرجع السابق**، ص 426.

3- ثنيو: **إشكالية الدولة**، ص 14.

4- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1032.

5- ولد في 24 أكتوبر 1899 بالطاهير ولاية جيجل، بعد الدراسة الابتدائية تحصل على شهادة البكالوريا سنة 1921 وهي نفس السنة التي استدعي فيها للخدمة العسكرية إلى غاية سنة 1923 ليتابع دراسته في معهد الصيدلة بجامعة الجزائر حتى سنة 1931، بدأ الكتابة الصحفية مبكرا في جرائد (Trait d'union) و(Attakadoum)، نشر مقالاته في كتب طُبع سنة 1931 بعنوان الشاب الجزائري، رئيس لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سنة 1958، خلّف عدة كتب أهمها: ليل الاستعمار (La nuit coloniale)، تشريح حرب، الفجر (Autopsie d'une guerre l'aurore)، الاستقلال المصادر (l'indépendance confisquée)، توفي بالعاصمة في 24 ديسمبر 1985. أنظر: نفيسة دويدة: **تطور فكرة الوطنية الجزائرية عند فرحات عباس 1927-1955**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2005، ص 9 وما بعدها.

واجباته الدينية على أبسط مظاهرها، ومنهم الماسونيين كمحمد صوالح وتامزالي،[1] ومنهم من اعتنق المسيحية.[2] وهناك بعض الشبان من القطاع القسنطيني والقطاع الوهراني لم يكونوا مع التجنيس، ولم يطالبوا إلا بتحسين الظروف الاجتماعية للجزائريين، وتنظيم الطبقة العاملة الأهلية لتكون بجانب العمال الفرنسيين في المعركة من أجل الأفكار والإنجازات الاقتصادية والاجتماعية.[3]

- اسماعيل حامد:

ومن مؤيّدي تيار الاستغراب والتفرنس اسماعيل حامد الذي أصدر كتابا بعنوان "مسلمو شمال إفريقيا الفرنسيين" (Les musulmans Français du nord de l'Afrique) سنة 1906 مدح فيه إدارة جونار التي نظمت -في رأيه- المساعدة الطبية للأهالي والعيادات، وبيّن بأن الجزائر تزدهر بدعم فرنسا من خلال توفيرها للأمن ورؤوس الأموال والمسيّرين المتحضرين،[4] لذلك دعا إلى تذويب المجتمع الجزائري في الحضارة الفرنسية مستحسنا التطورات[5] التي أحدثها الاحتلال الفرنسي في الجزائر والتي منها تخلي الجزائريين تدريجيا عن تقاليدهم وأفكارهم القديمة كالتعصب الديني وابتعادهم عن الشرق،[6] حيث اعتبر الدين الإسلامي عقبةً في وجه الاتحاد بين المسلمين والمسيحيين، ويرى أن اتّباع العقيدة (المتعصبة) للإسلام هي التي حكمت على الشعب بالجمود والعيش خارج الحضارة الحديثة.[7] وهي نفس الفكرة التي عبّرت عنها المدرسة الاستعمارية عندما حمّلت الإسلام مسؤولية تخلّف المسلمين واتّهمته بأنه غير متلائم مع الحضارة.

1- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 6، ص 227-228.

2- بن حسين: **المرجع السابق**، ص 129.

3- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1043.

4- Hamet**: op-cit**, p 232-233.

5- معظم أفراد التيار الاندماجي أشادوا بمنجزات فرنسا الاستعمارية في الجزائر ومنهم ابن حمودة الذي تخرج من مدرسة الجزائر الشرعية-الفرنسية الفرنسية وكان من أكثر من مجّد فرنسا ومدح إنجازاتها في الجزائر ومنها: أن الفرنسيين نشروا الرحمة وفتحوا أبواب التقدم والتجنس أمام الجزائريين الذين ازداد عددهم بسبب إيقاف المذابح والأمراض المعدية، كما فتحوا المدارس الابتدائية واهتموا بالفنون الأهلية، وفتحوا صفوف الجيش للجزائريين. أنظر: سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 6، ص 247-248.

6- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 6، ص 233.

7- Hamet: **op-cit,** p 267.

وفي نفس السياق عبّر أحمد بوضربة في خطاب له في 24 أفريل 1911[1] عن دور الدين الإسلامي في عرقلة التطور حين دعا لأهالي إلى ضرورة التخلص من التأثيرات الدينية التي تعرقل تطورهم الاقتصادي،[2] حيث استنكر وجود السلك الديني الإسلام مما يعكس لائكيته.[3] وفي سنة 1908 قدّم قدّم اسماعيل حامد لمؤتمر شمال إفريقيا تقريرا طالب فيه بدخول العائلة السياسية الفرنسية من خلال قبول بعض فئات المسلمين المتنوّرين في صف المواطنة لكن مع الاحتفاظ بالأحوال الشخصية الإسلامية.[4]

ولأجل تسهيل اندماج الجزائريين ودخول (الحضارة الغربية) ثمّن اسماعيل حامد مشرع تجنيد الجزائريين واعتبره عاملا فعّالا في اختراق عالم الأهالي من خلال حصولهم على معاملة كالجنود الفرنسيين، وتلقّيهم نفس التكوين، وقيّامهم بنفس المهام أين تتحول الثكنة إلى أحد أكثر الأوساط ملاءمة للنفاذ إلى الحياة الفكرية والروحية للجزائريين،[5] كما نادى بالتجنيس الذي شكّل الوسيلة المثلى المثلى لدخول المثقفين الجزائريين إلى العائلة السياسية الفرنسية، وارتباطهم بعائلات أوربية وانحدار بعضهم من أمهات أوربيات.[6]

وكان هؤلاء المثقفين الجزائريين دور التأثير على الجماهير الجزائرية في تبني أفكارهم الداعية إلى التعايش مع الفرنسيين ففي هذا الإطار تصور الضابط حاج الشريف قاضي مشروع الإدماج الثقافي للجزائريين بعناصر ذات ذهنيات متطورة على الطراز الفرنسي، وهي التي تؤثر على العناصر (المتخلفة) لإقناعها باعتماد العادات الأوربية إلى أن تصل إلى تكوين شعب متكون من عناصر منسجمة لا تتجاوز الفروق بين أفراده تلك التي توجد في فرنسا بين باريس وضواحيها.[7]

1- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1040.

2- Meynier: **op-cit,** p 221.

3- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954**، ج 6، ص 230. و (l'Islam: n187, (19/03/1914

4- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1119.

5- Hamet: **op-cit**, p 261.

6-**ibid**, p 212.

7- عمري، **المرجع السابق**، ص 250.

وطرح اسماعيل حامد الوسائل المساعدة على الاندماج في المجتمع الفرنسي والتي دلّت في نظره على الاستعداد للذوبان من خلال الزواج المختلط الذي بدأه رجال الدين[1] كأحمد التجاني الذي تزوج بالفرنسية أوريلي بيكار[2] (Aurélie Picard) وبعد وفاته تزوجها شقيقه سي البشير، وسي حمزة ابن بوبكر زعيم أولاد سيدي الشيخ وآغا جبل عمور الذي تزوج من مارغريت فيري (Marguerite Ferret) ابنة قائد كتيبة مشاة متقاعد.[3] فهو يربط تطور الجزائريين بمدى ارتباطهم بفرنسا، وجعلها منطلقا لنهضتهم بعيدا عن الحضارة العربية الإسلامية، أي الانطلاق مما وصل إليه التأثير الفرنسي المتزايد في المجتمع الجزائري مطبِّقا للمخططات الفرنسية التي هدفت إلى استلاب الجزائري من هويته وتذويبه في هوية أجنبية عنه،[4] حيث كان قد أدان في كتابه توجهات العروبة التي بدأت تظهر في الجزائر.[5]

وما يعكس رغبته الكبيرة في الاندماج هو مدحه للسياسة الاستعمارية في الجزائر التي اعتبرها كرما وتكرّما من الفرنسيين، كما نوّه بفائدة الاستيطان الفرنسي لما فيه من فوائد تعليمية للجزائريين تساعد على الازدهار الاجتماعي فكان بذلك يدعو لتكريس الواقع لا إلى تغييره، وإلى توجيه الاهتمام بالروابط الفرنسية لا بالروابط العربية الإسلامية.[6] فكان يسعى هو وجماعته إلى فرنسة الجزائر، وكانوا يرون أن لا شيء يعارض هذا إلا تطور اللغة العربية والصحافة العربية لذلك طوّر اسماعيل حامد في كتابه نظرية عجز اللغة العربية على أن تكون لغةً حديثة وعلمية.[7] فجيل هذه النخبة تربى في أحضان

1- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج6، ص 240.

2- ولدت في 12 جوان 1849 بـ(Montigny-le-roi) ضواحي (Langres)، في سنة 1870 استقرت في (Bordeaux) أين التقت بأحمد التجاني وطلبها للزواج الذي تم بموافقة أسقف مدينة الجزائر بعد رفض الحاكم العام وقاضي المدينة لعدم توافق القوانين، وانتقلت للعيش في الصحراء، وبعد وفاة أحمد التجاني تزوجها أخوه البشير، وبعد وفاة الأخير سنة 1911 عادت إلى فرنسا لمدة ثم استقرت في الأغواط حتى وفاتها في 28 أفريل 1933. أنظر:

André Delattre: «**Aurélie Picard**», bulletin de la société historique et archéologique de Langres, n 361, (4eme trimestre 2005), pp 144-146.

3- Hamet: **op-cit**, p 279 – 280.

4- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 6، ص 239.

5- عمري: **المرجع السابق**، ص 252.

6- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 6، ص 240-241.

7- Ihdaden**: op-cit**, p 63.

الفكر الاستعماري الاندماجي التعايشي مع الوجود الكولونيالي الذي لا يعني فقط تعلم لغة المستعمر أو المساواة في الحقوق والواجبات، وإنما هو أيضا محاكاة وتقليد شبه عقائدي لنموذج المستعمر.[1]

- الطيب مرسلي:

ونفس التوجّه الاندماجي عبّر عنه الحكيم الطيب مرسلي في كلمة ألقاها سنة 1907 في مدرسة ابتدائية بقسنطينة ألح فيها على مبدأ الاندماج والمشاعر المشتركة أي رسّخها الدم المشترك بين الجزائريين والفرنسيين، وخاطب التلاميذ أن يكونوا أفضل من آبائهم في وضع اليد في اليد مع الفرنسيين للسير قدما إلى مستقبل واحد، طالبا: "علينا أن نكون فرنسيين بالمشاعر والقلوب نحن الذين تربينا على نفس المقاعد كالفرنسيين الصغار".[2] وأثناء الحرب العالمية الأولى جعل الاندماج هو المصلحة المشتركة بين الجزائريين والفرنسيين لمواجهة الخطر الألماني وأنذر الأتراك: "لا تتكلوا علينا أبدا، نحن لا نعرفكم، نحن لسنا شابنا أتراكا، ولسنا أصحاب عمائم، ولسنا أتراكا مسلمون، نحن فرنسيون مسلمون وسنبقى كذلك" مما جعل جيلبير مينيي (Gilbert Meynier) يصف هذا التصريح بأنه نداء لوحدة جزائرية فرنسية مقدسة تجمع بين جماعة الأمة قبل الجماعة الدينية.[3] في إشارة إلى استغراب النخبة المفرنسة، وربط مصيرها الحضاري والسياسي والفكري بمصدر ثقافتها الفرنسية وبعدها عن العالم الإسلامي.

- بن علي فخار:

كما دعا بن علي فخار فرنسا إلى معرفة كيفية جلب العنصر المسلم ودمجه في الكتلة الفرنسية بأخذ الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بعين الاعتبار،[4] وحثّ الفرنسيين على معاملة أهل المدن معاملة خاصة تضمن لهم الاستقرار والأمن، ومن خلالهم يتم التأثير على بقية السكان، ويقع التأثير الحضاري الفرنسي، ويشيع الرخاء، وتتفادى فرنسا مستقبلا مجهولا،[5] فمستقبلها في شمال إفريقيا

1- عبد الله حمادي: **الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962، مشارب ثقافية وإيديولوجية**، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص 65.

2- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 6، ص 232.

3- Meynier**: op-cit,** p 267.

4- Fekar: **op-cit**, p 20.

5- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 6، ص 243.

مرتبط بإدماج المسلمين الجزائريين الذين أثبتوا إخلاصهم لها،[1] بقبولهم الخدمة العسكرية تحت العلم الفرنسي مما جعله لا ينادي بالهوية الجزائرية المتميزة عن الهوية الفرنسية.[2]

- أحمد بوضربة:

وفي 12 مارس 1904 ألقى المحامي المتجنس أحمد بوضربة محاضرة في جمعية الدراسات السياسية والاجتماعية دعا فيها إلى الاندماج والفرنسة، وقال فيها أن الشريعة الإسلامية ما هي إلا أسطورة لا يفهمها المسلمون، وهو بذلك يرد على من يقول بأن قوانين الاندماج ستمس المشاعر الدينية للمسلمين زاعما أن الشريعة الإسلامية مستوردة.[3] وفي سنة 1910 تقدم أحمد بوضربة وصادق دندان والحاج عمار بعريضة إلى الحكومة الفرنسية طالبوا فيها بتطبيق قانون 1865 الخاص بالتجنيس، وهذه العريضة تعتبر أول مطلب سياسي لكنه لا يُفسر بالمطلب الوطني لأنهم طالبوا بإمكانية إدماج الجزائريين في الأمة الفرنسية وثقافتها وليس استقلال دولة جزائرية.[4] كما لم يكن هؤلاء الشبان يحلمون بالاستقلال بل اعتبره بعضهم كالشريف بن حبيلس من أكثر الأحلام الخارقة التابعة للعصور الوسطى التي تطبع أنصاف المثقفين.[5]

فأراد أفراد هذه النخبة تفعيل فكرة ربط مصيرهم بمصير فرنسا لرفع البؤس المادي والمعنوي الذي يعاني منه السكان الجزائريون بالتحالف الفرنسي العربي (l'Alliance Franco-Arabe) الذي يعمل لأجل المصالح المشتركة والتضامن والدفاع عن الوطن بشعار "بفرنسا ولأجل الأهالي" (Par la France pour les indigènes)،[6] فقد ضاعفوا نشاطهم لصالح الاندماج[7] خلال العشرية الأولى من القرن

1- Fekar: **op-cit**, p 21.

2- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 6، ص 243.

3- **نفسه**، ص 229.

4- تابليت: **فرحات عباس رجل دولة**، ص 21.

5- برفيلي: **المرجع السابق**، ص 389.

6- Numa Lual: **«L'Alliance Franco-Arabe»**, l'Islam, n 125, (13/08/1912).

7- Ageron:**« Le mouvement jeune Algérien de 1900 à 1923»**, p 9.

العشرين، وكانوا يكتبون عن إمكانيات الاندماج مع الفرنسيين، ويبحثون عن طرق التقارب بين الفرنسيين والجزائريين على أساس المستقبل الواحد والوطن الواحد.[1]

فهم يقدّرون الإنجازات الحضارية لفرنسا ولكنهم كانوا يتأسفون لنقائصها، أما قضية السيادة فلم تكن مطروحة نهائيا في برامجها أو أفكارها، وباسم الأفكار الفرنسية كانت هذه الفئة تحارب الظلم. فتحرك النخبة المثقفة بالثقافة الفرنسية عوض أن يكون وطنيا اتجه إلى المطالبة بالدخول في العائلة الفرنسية، ولكن وبعد فتح باب التجنس ودخول بعض المتنورين وجدوا أنفسهم منبوذين من طرف الشعب، فرأوا أن يطالبوا بالتجنيس الجماعي وفرضه من الحكومة ولو بضياع الشخصية الإسلامية،[2] حيث كان عدد المتجنسين قليلا جدا لم يتجاوز (1151) بين سنتي 1865 و1900 بمعدل سنوي (31) متجنسا، وجلّهم من الموظفين الذين يتعذر عليهم شغل هذه الوظائف إلا بهذا الشرط.[3]

وعلّقت النخبة الاندماجية آمالا على مجيء حكومة بوانكاري (Poincaré) بحكم أن رجال الدولة في فرنسا لا يجهلون القضية الجزائرية ولا عدالة شكاوى النخبة التي تنتظر من باريس تحسين مصيرها، وتخفيف حالتها الحزينة التي تئن تحت بيروقراطية ونظام قمعي،[4] فجعلت من الجنسية أحد المطالب الرئيسية للأهالي كمقابل للخدمة العسكرية الإجبارية، إذ طالب بعض أفرادها الإدارة الاستعمارية في الجزائر بمنح المواطنة لكل من يطلبها أي أنها تبقى عملا فرديا،[5] وأكد الوفد الذي ذهب إلى باريس عليها: "ما ننتظره منكم ليس فقط السماح للمستعدين منا لترك أحوالهم الشخصية للحصول بسهولة على المواطنة الفرنسية، بل نحن نستحق الأكثر فكل الأهالي غير المتجنسين خاضعين لنظام قمعي، ويتحملون الأعباء الضريبية دون المعمرين واليهود، لذلك ولأجل ربط الجزائريين

1- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 6، ص 371.

2- محمد قنانش: **الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 23-24.

3-Capitaine Passols: **L’Algérie et l’assimilation des indigènes musulmans étude sur l’utilisation des ressources militaires de l’Algérie**, Henri Charles-Lavauzelle, Paris, 1903, p 20-21.

4- Sadek denden**: «Politique indigène»** , l’Islam, n 104, (04/02/1912).

5- Millet: **op-cit**, p 169.

بالميتروبول، وتسريع تطورهم يجب السماح لنا بالدفاع عن حقوقنا دون التخلي عن أحوالنا كمسلمين".[1]

فقد حاولت النخبة الاندماجية مساومة الإدارة الاستعمارية في مجال مشاركتها في الحرب بالحصول على مطالب مشروعة، والاندماج في الحياة السياسية الفرنسية[2] حيث طالب الوفد بالمواطنة في الإطار الإسلامي لقدماء العسكريين،[3] لكن المجلس الفرنسي قيّد المواطنة بالتنازل عن الأحوال الشخصية وبشروط تعجيزية.[4] وقارن بن علي فخار وضع الجزائريين بوضع الأهالي في الهند والسنغال أين يتمتعون بحق انتخاب ممثلين عنهم في البرلمان دون التخلي عن الأحوال الشخصية، وبدون أن يكونوا متجنسين داعيا فرنسا الواعية بدورها ألا تخطئ فيما يتوجب عليها من التزامات تجاه رعاياها بمنحهم مكانة لائقة،[5] فأفراد النخبة الاندماجية يرون أنه من حقهم المواطنة كباقي الأجانب (اليهود والأوربيين) الذين احتفظوا بأحوالهم الشخصية.[6] وهو حل لا يلزم مسؤوليتهم الشخصية، ويجعلهم في في مأمن من لوم مواطنيهم، ويجنّبهم قطع الصلة بذويهم.[7]

- الشريف ابن حبيلس:

ومن النخبة المتفرنسة التي رافعت بشدة لصالح الاندماج الشريف بن حبيلس من خلال كتابه "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي" (l'Algérie Française vue par un indigène) الذي يعتبر شهادة حيّة لمنتوج المدرسة الكولونيالية الفرنسية، وهو يجسّد الأفكار الاندماجية من أحد المثقفين الفرنكوفيليين الجزائريين الذين تشبّعوا حتى النخاع بالثقافة الفرنسية بمختلف مستوياتها، حيث نجد عبارتي التقارب والاندماج قد لازمتا هذا الكتاب،[8] فقد ضمّنه مرافعة موجّهة للفرنسيين لأجل مراعاة

1- **ibid**. p 172.

2- بليل: **المرجع السابق**، ص 264.

3- Meynier**: op-cit**, p 97.

4- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 78-79.

5- Fekar: **op-cit**, p 22.

6- Meynier**: op-cit**, p 255.

7- بن حسين: **المرجع السابق**، ص 131-132.

8- حمادي: **المرجع السابق**، ص 74.

النخبة التي فكّرت في أخذ مكانة ضمن العائلة الفرنسية والتي هي مبعدة من العائلة الجزائرية المسلمة،[1] كما اعترف فيه بفضل المعمرين الذين غيّروا ذهنية الجزائريين في العمل وعلّموهم الزراعة ورفعوا لهم الأجور، لذلك يرى أن فرنسا جديرة بالتراب الجزائري بفضل أعمال أبنائها وإنجازاتهم.[2]

فهو يحاكي النظرية الاستعمارية القائلة بالدور الحضاري للاستعمار الفرنسي في الجزائر الذي أخرج الجزائريين من التخلف والبدائية وأدخلهم في صف المدنية الحديثة. كما اعتبر التجنس عمل شجاع لأنه يواجه إشكالية دينية تثبّط المتجنسين معتبرا: «أن ما قاله المفتيون بأن التجنس خروج من الدين خطأ سنبرهن عليه ذات يوم، ونُقرّ بأن هذا الأمر لو كان صحيحا منذ مائة عام فإنه ليس صحيحا اليوم».[3] فقد نظر هو وغيره من الاندماجيين إلى الدين الذي وقف كحجر عثرة في طريق التجنس على أنه قضية ضمير شخصي وليس قانونا ينظم حياة المسلم.[4]

وأصبح الإسلام عند هذه النخبة لا يشكل حاجزا يمكنه أن يحول دون اندماجهم لأنه في رأيهم دين يسمح بذلك من خلال اعتبار مسألة التدين مسألة شخصية، وبالتالي تدخل في علاقة هذا الشخص بربه، والتخلي عن الأحوال الشخصية لا يعني بالنسبة لهم التخلي عن العقيدة، لأن الإسلام دين تسامح لا يحصر الشعوب في دائرة ضيقة من الأفكار المتعصبة، والقرآن الذي يعترف بوجود ديانات أخرى مثل المسيحية لا يمكن أن يكون المانع الخفي للاندماج ولا للتكيف مع مقتضيات حضارة جديدة مختلفة عن حضارتهم خاصة في هذه المرحلة من التاريخ.[5]

وللتدليل على الرغبة في الاندماج، ومحاولة في إقناع فرنسا بصدق ارتباط شباب النخبة المتفرنسة بمصدر ثقافتها نفى ابن حبيلس الوصف الإسلامي عن محرري بيان الشبان لسنة 1912 –الذي وضّح الارتباط الوثيق بفرنسا– بحجة قبولهم حمل السلاح في الصفوف الفرنسية، وأنهم تكوّنوا في المدارس الفرنسة، وأغلبهم لا صلة له إلا بالفرنسيين، وكثير منهم يعيش على الطريقة الفرنسية ومتزوج بفرنسية، وأغلبهم قلّص ممارسته للدين إلى الحد الأدنى،[6] لذلك رأى أن الجزائريين سينقادون صوب المأوى الفرنسي الذي يشعرون بالعزلة خارجه، سيلجونه بثقة وسلام، يقتاتون من عبقريته الخالصة، ويتدفأون

1- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1049.

2- ابن حبيلس: **المرجع السابق**، ص 26.

3- ابن حبيلس: **المرجع السابق**، ، ص 97.

4- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 167.

5- صافر: **موقف النخبة الجزائرية من سياسة فرنسا الاندماجية**، ص 337.

6- ابن حبيلس: **المرجع السابق**، ص 105.

بناره الحيّة، ويعيشون بتقاليده النبيلة ومبادئه السامية.[1] وصرّح ابن تامي المتجنس سنة 1906[2] دون مراعاة الأحوال الشخصية الإسلامية[3] مردّدا خطاب الإدماج: "لا يوجد إلا عرق جزائري والذي لا يعرف إلا وطنا واحدا، ولغة واحدة، رغم أننا جزائريون فإنه من العجب أن نجعل من أنفسنا شعبا يبحث عن حرية وحقوق خارج المصير الفرنسي".[4]

وكان ابن حبيلس أكثر تعقّلا واستعدادا للتفاهم والقيام بتبديد لبق لما اعتبره الشبان مجرد سوء تفاهم عندما شكّك بعض الفرنسيين في إخلاصهم لفرنسا فكتب سنة 1913: "سوف تكتشفون في آخر المطاف أن نيتكم الحسنة قد فوجئت بصدقنا"،[5] مما يعكس إيمانه بفرنسا ورفضه أن يرى في سياستها تجاه الجزائريين إجحافا وتمييزا، فاعتنق وبشكل مطلق قضية أسياده، وتبنى وجهات نظرهم كلها وحتى أوهامهم معتقدا أن الوقت يعمل لصالح الجزائر الفرنسية،[6] وحرص في كتابه على إظهار المشاعر الحقيقية لمسلمي الجزائر إزاء فرنسا التي تمثل الولاء والإخلاص من خلال رسالة مختار حاج سعيد أحد الشبان الجزائريين إلى أوندري سرفيي[7] (André Servier) رئيس تحرير جريدة لاديباش دي كونستونتين (la Dépêche de Constantine) في نهاية جانفي 1914[8] التي عبّر فيها عن رفضه استخدام سرفيي تعبير "العمائم الشابة" و"الأتراك الشباب" على الشبان الجزائريين، وكتب مُنكراً معرفته بالشبان الأتراك قائلا: "إن من يُسمون بأصحاب العمائم والشبان الأتراك لا نعرفهم، نحن شباب فرنسي مسلم ولا نريد أن نكون شيئا آخر، ولا حاجة لنا للإعلان بأن عدوّ وطننا هو عدونا اللدود مهما كانت جنسيته وديانته."[9] ولم يكن المتجنسون يرون أي تناقض بين المبادئ القرآنية وتعاليم أساتذتهم

1- **نفسه**، ص 118.

2- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1049.

3- عباس: **المرجع السابق**، ص 8-9.

4- Meynier**: op-cit**, p 633.

5- برفيلي: **المرجع السابق**، ص 122.

6- **نفسه**، ص 397-398.

7- مؤرخ وصحفي، منظر استعماري متخصص في الحركات الإسلامية، مدافع عن الاستيطان ومناوئ للإسلام الذي يراه معادٍ للحضارة والتقدم، والتقدم، تخوف من الشعارات الوطنية في مصر المنادية "بمصر للمصريين" ومن خطر انتقالها إلى الجزائر لذلك ركزت كتاباته على استشعار خطر القومية الإسلامية منها: Le péril de l'avenir, le nationalisme musulman en Égypte, Tunisie, Algérie, 1913 أنظر: زوزو: **الفكر السياسي**، ص 137-138.

8- Mélia: **op-cit**, p 148.

9- بن حبيلس: **المرجع السابق**، ص 109. و محفوظ سماتي: **الشبان الجزائريون، الجزائر الفتاة مراسلات وتقارير 1837-1918**، تر: محمد المعراجي وعمر المعراجي، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2013، ص 185. و Jean Mélia: **op-cit**,p 148. و Espé de Metz**: op- cit**, p 223.

الفرنسيين، وكانوا يعتقدون بأن الوقت في صالح الاندماج بين الجزائريين والفرنسيين من أجل جزائر فرنسية،[1] مما يجعل توجّههم يتماشى مع الطرح الاستعماري، ويكرّس الوجود الفرنسي.

فرغم سعيهم للتجنس الكامل والاندماج لأجل تحقيق التقدم والترقية في السلم الاجتماعي والسياسي والمهني، وغيرها من الإجراءات التي قد تساعد على توحيد الجزائر مع فرنسا إلا أنهم اشترطوا على فرنسا شرطا واحدا هو ألا تطلب منهم التخلي عن أحوالهم الشخصية كمسلمين، فكانوا يطالبون بكامل الحقوق السياسية كمواطنين فرنسيين كما كانوا يريدون أن يبقوا على كامل حقوقهم السياسية كجزائريين،[2] وعلى الرغم من إيمانهم باللائكية والتسامح الديني فإنهم رفضوا أيضا التجنس الجماعي إلا إلا إذا رفعت فرنسا شرطها في المطالبة بالتخلي عن أحوال المسلم الشخصية.[3]

فكانوا يشعرون بوضعية غير مريحة في أوساط مواطنيهم الذين ينظرون إليهم كضحايا، ويحسون بالذل أمامهم وأمام الفرنسيين معتقدين بأنهم يستحقون الأفضل، فهم يريدون أن يصبحوا فرنسيين ولكنهم جزائريون مما أدخلهم في شعور بالتمزق لا حل له إلا بهوية مزدوجة.[4]

وبقي الإقبال على الجنسية الفرنسية من طرف الجزائريين محدودا في الفترة ما بين (1900-1919) بسبب نظرة المجتمع للمتجنسين والتي شكلت نوعا من الرقابة الاجتماعية عليهم فاقتصرت على بعض العسكرين والمعلمين خاصة في الوسط القبائلي،[5] فكانت طلبات التجنّس ضئيلة في مطلع القرن العشرين على النحو التالي:[6]

السنة	1901	1903	1905	1907	1909	1911	1913	1919
عدد المتجنسين	19	17	19	43	43	36	33	17

ومن المتجنسين في هذه الفترة الذين لعبوا دورا في الساحة الجزائرية الشريف بن حبيلس أكثر الأعضاء تأثيرا ضمن حركة الشبان الجزائريين، والذي حاول ترجمة الإسلام كعقيدة شخصية قابلة

1- صافر: **حركة الشبان الجزائريين**، ص 117.

2- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 163.

3- **نفسه**، ص 170.

4- Meynier**: op-cit**, p 633.

5- Ali Merad: **Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940**, les éditions El-Hikma, Alger, 1999, p 346.

6-**ibid**, marge 61, 360.

للانسجام مع العلم والرّقي، ومع الحماية الفرنسية فيكون فرنسي مسلم (فرنسي الوطن ومسلم العقيدة)،[1] والدكتور مرسلي رئيس رابطة المواطنين الفرنسيين من أصل أهلي (Ligue des Citoyens français d'origine indigène)، والدكتور ابن التهامي ولد حميدة أحد المناصرين الكبار لسياسة التجنيس الشامل للجزائريين، والذي دعا إليه في جريدته التقدم (At-Takaddoum)، وبجانبه المحامي أحمد بوضربة رئيس وفد الشبان إلى باريس سنة 1908 حيث كانا عضوين في الحركة الماسونية، بالإضافة إلى الأستاذ صوالح محمد، مؤلف العديد من الكتب حول التدريس.[2]

ب- بعد سنة 1919:

إن قانون 4 فيفري 1919 لم يخفّف في الواقع من الوضع القانوني للمسلمين الجزائريين إلاّ فيما يخص بعض إجراءات التطبيق،[3] أما فيما تعلق بالمبادئ الأساسية كالتمييز بين الرعايا والمواطنين وشروط الحصول على الجنسية الفرنسية، فلم يطرأ عليها تعديل حيث بقيت صفة المواطنة مشروطة بطلب شخصي مع التخلي عن الصفة القانونية كمسلم،[4] لذلك فإنه أحدث خيبة أمل كبيرة في أوساط أوساط النخبة الاندماجية التي كان يتوقع أفرادها أن يُرقّى الجزائريون إلى مرتبة المواطنة الفرنسية مع احتفاظهم بأحوالهم الشخصية كمسلمين،[5] وصولا إلى المساواة في الحقوق والواجبات مع الفرنسيين، كما أنه وضع حدا لسياسة الاندماج التي كان أنصارها يرون فيها وسيلة للاقتراب من فرنسا،[6] وتحقيق وتحقيق التعايش تحت سلطتها للتخلص من الإجراءات التعسفية والاستثنائية التي يخضعون لها.

وكانت مسألة احتفاظ المسلم بأحواله الشخصية الإسلامية في حال حصوله على حق المواطنة الفرنسية جعلت النخبة تنقسم حولها،[7] حيث وافقت النخبة الاندماجية على تجنيس الجزائريين دون قيد قيد أو شرط،[8] كابن التهامي المتجنّس أصلا الذي رأى في الجنسية مدخلا لاكتساب المواطنة الفرنسية

1- Guy Pervillé:«**le rôle des intellectuels musulmans de formation Française dans l'évolution politique de l'Algérie (1908-1962)»**, bulletins de la société d'histoire moderne, n 3, 1983, Paris , p 21.

2- بن حسين: **المرجع السابق**، ص 129.

3- **نفسه**، ص 128.

4- برفيلي: **المرجع السابق**، ص 130.

5- قنان: **قضايا ودراسات**، ص 181.

6- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 87-88.

7- قنان: **قضايا ودراسات**، ص 182.

8- مناصرية: **المرجع السابق**، ص 13.

التي ستفتح للأهالي باب الولوج إلى جميع مناحي الحياة السياسية والاجتماعية، وتقلد مناصب[1] ومسؤوليات قيادية.[2] فقد كان يرى أن الحصول على الحقوق لا يتحقق إلا ضمن الأطر والقوانين الفرنسية، مما سيكفل للجزائريين الحصول عل الأغلبية في المجالس المنتخبة، ومنها يبدأ التغيير والحصول على الحقوق.[3]

فرغم الشروط التي فرضها قانون 1919 للحصول على الجنسية الفرنسية[4] فإن تيار الاندماجيين دعا إلى الاستفادة من هذا القانون بمضاعفة طلبات التجنس حتى يرتفع عدد المتجنسين والنواب الجزائريين في مختلف المجالس المنتخبة، معتقدا أن الحصول على الجنسية الفرنسية سيجعل من الجزائريين مواطنين فرنسيين يتمتعون بكامل الحقوق مما يساهم في حل القضية الجزائرية في إطار الوجود الفرنسي وكأنها قضية حقوق وواجبات فقط.[5] بينما رفض الأمير خالد ذلك إلا في إطار الأحوال الإسلامية للجزائريين، وفقدت النخبة مركزها في نفوس الجزائريين لمناداتها بالتجنيس الجماعي، وبقيت تبحث عن مخرج من العزلة التي فُرضت عليها إذ أنكرتها الحكومة الفرنسية ورفضها الكولون وتركها الشعب.[6] فبناءً على التجنيس فإن الشبان الجزائريين الاندماجيين قد تخلوا عن الأمة ليندمجوا في جماعة أخرى على أسس غير دينية، وأنهم بهذا جازفوا بالإقصاء من طرف أهاليهم باعتبارهم كفارا بالرغم من إيمانهم الصادق.[7]

1- حدد مرسوم 26 مارس 1919 قائمة الوظائف التي لا يمكن للأهالي الجزائريين توليها من غير حصولهم على المواطنة الفرنسية مثل: الكاتب العام للحكومة العامة- مستشار الحكومة – مفتش إدارة – قاضي صلح – مدير ومفتش الجمارك. للمزيد أنظر: زوزو: **الفكر السياسي**، ص 108-109.

2- **نفسه**، ص 149.

3- صافر: **حركة الشبان الجزائريين**، ص 196.

4- جاءت بعنوان تعليمات لتطبيق قانون 4 فيفري 1919 المتعلق بحصول الأهالي الجزائريين على صفة المواطن الفرنسي وتضمنت مايلي:- أن يكون عمره 25 سنة – أن يكون متزوجا بامرأة واحدة أو أعزبا – أن لا يكون محكوما عليه، أو مجردا من حقوقه السياسية، أو قام بعمل ضد فرنسا – أن يكون قد أقام في بلديته مدة سنتين – أن يكون خدم في الجيش الفرنسي مع شهادة حسن السلوك – معرفة القراءة والكتابة باللغة الفرنسية – أن يكون مالكا لعقارات في البادية أو المدينة – أن يكون صاحب وظيفة عمومية أو معاش – أن يكون انتخب عضوا في أحد المجالس الإنتخابية – الحصول على وسام شرفي – أن يكون عمره 21 سنة ومولود لأب متجنس بالجنسية الفرنسية. أنظر:

Bulletin municipal officiel de la ville d'Alger, n 485, (5/20 janvier 1920), pp 31-35.

وزوزو: **الفكر السياسي**، ص 91-92. وسعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، ص 272-273.

و Nousschi: op-cit, p 53-54.

5- صافر: **حركة الشبان الجزائريين**، ص 180.

6- مناصرية: **المرجع السابق**، ص 13.

7- برفيلي: **المرجع السابق**، ص 409.

وبالفعل فإن أثر التعقيدات الفرنسية على قضية الجنسية لم يكن محسوسا، إذ أن طلبات التجنّس قد بلغت (317) طلبا خلال الفترة (1919-1923) مقارنة بنحو (202) فقط قبل هذه الفترة، وأما الطلبات المقبولة خلال نفس الفترة فقد أسفرت عن (254) متجنّسا أي بمعدل (64) متجنّسا سنويا، وبعد هذا التاريخ فسيزداد الإقبال على التجنّس بمعدل (138) متجنّسا سنويا.[1]

وبالرغم من تراجع مصداقية النخبة المتجنسة بعد الحرب العالمية الأولى نتيجة قانون 1919 فقد ظل أعضاؤها يروّجون لأفكارهم معتقدين أن الحل الوحيد لمشاكل الجزائريين يكمن في قبول سياسة الاندماج وشروطها لخروجهم من التخلف، وأن حصولهم على المواطنة المشروطة هو بداية الطريق نحو حصولهم على حقوقهم التي حرموا منها.[2] لكن رغم ذلك فإن الذين تجنّسوا لم يستطيعوا عبور أبواب المجتمع الفرنسي في حين أن دخول العائلة الفرنسية ممنوع على غير المتجنّسين.[3]

– متجنسو هذه الفترة:

أما بالنسبة للمتجنسين الذين ظهروا خلال هذه الفترة فهم من المدرّسين المتكوّنين تكوينا فرنسيا، أغلبهم من منطقة القبائل عبّروا عن مواقفهم الداعية إلى التجنيس والاندماج في إطار جمعية المعلمين من أصل أهلي (l'Association des Instituteurs d'origine indigène)[4] التي كان لسان حالها جريدة لافوا ديزامبل (La Voix des Humbles)[5] لمؤسسها المعلم المتجنس سعيد فاسي[6]، وبجانبه رئيس تحريها العربي طهرات،[7] فسعيد فاسي كان متجنسا ومتحمسا للاندماج الذي

1- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 82.

2- صافر: **حركة الشبان الجزائريين**، ص 117.

3- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1053.

4- تأسست بوهران بمبادرة من المعلمين سعيد فاسي، طاهر حداد، محند لشاني وآخرون، هدفت إلى تحقيق المساواة بين المعلمين الجزائريين والمعلمين الأوربيين، والوصول إلى تعميم القانون الفرنسي على الجميع. أنظر: صافر: **حركة الشبان الجزائريين**، ص 258.

5- مجلة شهرية باللغة الفرنسية صدر أول عدد لها في ماي 1922 بوهران ثم قسنطينة، لسان حال جمعية المعلمين من أصل أهلي، مديرها سعيد فاسي، تدعو لتطوير الأهالي بواسطة الثقافة الفرنسية لذلك نادت باتحاد الأعراق والإدماج التدريجي. أنظر: Ihdaden: **op-cit, p 348.**

6- مدرس متخرج من مدرسة بوزريعة للمعلمين .ولد عام 1880 بمنطقة القبائل الكبرى .تحصل على الجنسية الفرنسية عام 1906، ناضل لمدة لمدة عشرين سنة بمنظمة حقوق الإنسان، من مؤسسي جريدة صوت البسطاء، بعد تقاعده عام 1927 أستقر بمدينة تولوز بفرنسا، من مؤلفاته: Mémoire d'un instituteur d'origine indigène 1931- l'Algérie sous l'égide de la France contre la féodalité Algérienne 1936. أنظر: صافر: **موقف النخبة الجزائرية من سياسة فرنسا الاندماجية**، ص 347.

7- اندماجي متفرنس، عضو مجموعة المعلمين للغة الفرنسية، كاتب صحفي ومناضل نقابي من منشطي المؤتمر الإسلامي. أنظر: زوزو: **الفكر السياسي**، ص 67.

الذي يراه الخلاص الوحيد من حالة الاستضعاف، ونادى من خلال جريدته بالاندماج الكامل عن طريق التقارب، ومزج الأجناس في الجزائر من خلال التعليم والتفاهم والزواج المختلط لإنتاج جيل راقٍ من الجنسين الجزائري والفرنسي،[1] وطالب سعيد فاسي فرنسا بأن تعامل الجزائريين كأصدقاء متساوين ومتعاونين مع الفرنسيين، وتعمل على تحسين نظامهم السياسي والاجتماعي تدريجيا بشكل يجعلهم يتحضّرون بعيدا عن أي تعارض مع الأوربيين «فنحن نسعى لتحقيق تقارب الجنسين»،[2] وندّد بمعاملة الأهالي الجزائريين بدونية وكمنهزمين لأن في ذلك ما يثيرهم، ويدفعهم ضد فرنسا، ويفصل بينهم وبين الأوربيين، ويزرع بينهم الكراهية والانتقام الذي يُولّد صراع الأشقّاء،[3] لذلك فهو يرى أن التقارب والانصهار هما أهم عوامل السلم والازدهار في الجزائر.[4] وقد تعهّد فاسي وغيره من الشباب الاندماجيين في العدد الأول من مجلتهم بفضح مساوئ السياسة القهرية، والتشجيع على تطور الأهالي بواسطة التعليم الفرنسي بشعار "بعيدا عن الأحزاب وبعيدا عن العقائد" مقتدين بالنموذج اللائكي[5] لكمال أتاتورك[6] في تركيا بعد سقوط دولة الخلافة، معتمدين على التسامح واحترام كل المعتقدات والقناعات للحفاظ على حرية النقاش في مختلف القضايا، معتبرين أن العقائد حقائق نسبية لا تُناقش.[7]

كما طالب سعيد فاسي بأن تُمنح النخبة المثقفة فرصاً أوسع لتقلّد الوظائف العليا، من خلال مد المعمرين أيديهم لمصالحة نهائية، وعمل مشترك نحو السلم،[8] لأن ذلك يساهم في إدماج الرعية في صفوف الأوساط المسيّرة، وهو ما يؤدي إلى تجاوز المواجهة التقليدية بين المنتصر والمهزوم، كما أن نشر

1- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954**، ج6، ص 258-259.

2 - Faci**: «lettre ouverte à m^{er} Mallebay»,** la voix des humbles, n 4-5, (aout- septembre 1922), p 3.

3 **–ibid**, p 4.

4 - «**Notre credo**»**,** la voix des humbles, n 1, (mai 1922), p1.

5- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ص 502.

6- (1881-1938) رئيس الجمهورية التركية (1923-1938)، ألغى الخلافة الإسلامية سنة 1924 واستبدل الحرف العربي بالحرف اللاتيني، حاول تقليد النموذج الأوربي. أنظر: البعلبكي: **المرجع السابق**، ص 369.

7 - «**loin des partie, loin des dogmes**»**,** la voix des humbles, n 7, (novembre 1922), p 2.

8 - la voix des humbles, n 4-5, (aout-septembre 1922),p 6.

ثقافة الأمة المنتصرة في الأوساط (الهمجية) المغلوبة والخاضعة سوف يكشف عن أسرار قوتها وهو ما يحقق تحويلا للسلطة من شأنه أن يُهوِّن وضعية عدم المساواة بين السادة والأتباع إلى حين زوالها.[1]

بالإضافة إلى ربيع زناتي زعيم المتجنسين الذي رأى في التجنس الوسيلة الوحيدة لتحسين أوضاع المسلمين وتحقيق تطور المجتمع،[2] حيث كان من المؤمنين المفرطين بالاندماج، والمأخوذين بالتأثير الفرنسي حتى لم يعد يرى الجزائر في غير الإطار الفرنسي،[3] ولّما أسّس جريدته الصوت الأهلي[4] (La voix indigènes) جعل افتتاحية العدد الأول بعنوان "يجب أن تصبح الجزائر فرنسية"،[5] وبلغ تعلّقه بفرنسا إلى حد أنه اعتبر الاحتفال المئوي لاحتلال الجزائر سنة 1930 عيد الرابع عشر من جويلية (الفرنسي) بالنسبة للجزائريين لأنه رمز الانتصار ونيل الحقوق والحرية من الاستبداد،[6] مما يعكس رؤيته رؤيته في استحسان الاحتلال الفرنسي، واعتباره فتحا حضاريا.

ويوجد من المتجنسين من تجرّأ على كيل الانتقاد للدين الإسلامي خاصة في منطقة القبائل، ومنهم من اعتنق المسيحية وظل ينادي إلى غاية الثلاثينات ببعث الجزائر المسيحية كأرض للجزائر المسلمة، ويطالب بالاندماج الكامل لشعب المنطقة كلها،[7] وبلغ تطرّفهم حد عشق المستعمر واحتقار الذات[8] كالمحامي بلقاسم إبعزيزن رائد البربرية المسيحية الذي أصبح يحمل اسم "أوغسطين" وأراد العودة إلى الماضي الأمازيغي أيام كانت بلاد الأمازيغ حاضنة للمسيحية،[9] ومنهم من تحوّل تطرّفه إلى لائكية عدوانية رفضت اللغة العربية وثقافتها باسم البربرية التي تربط البربر بأوربا المتوسطية مثل حسناي

1- برفيلي: **المرجع السابق**، ص 58.

2- بن حسين: **المرجع السابق**، ص 130.

3- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 6، ص 256.

4- أسبوعية باللغة الفرنسية لربيع زناتي ظهرت بقسنطينة بين (1929-1931)، لسان حال الاتحاد الفرنسي الإسلامي، جاءت بعد توقف (la voix des humbles) لم تكن لها مطالب سياسية إلا التعجيل بفرنسة الجزائر. أنظر: Ihddaden**: op-cit**, p 358.

5- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 6، ص 256-257.

6- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 6، هامش 1، ص 377. نقلا عن: Merad: **op-cit,** marge 62, p 360.

7- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ص 498.

8- Pervillé: **op-cit**, p 20-21.

9- صافر: **موقف النخبة الجزائرية من سياسة فرنسا الاندماجية**، ص 338.

لحمق (Hasnay Lahmek) الذي كتب "نحن لاتينيون"،[1] وانتزع جذوره من المجتمع الجزائري ونفى صلته بالإسلام، وعمل جاهدا هو وغيره على التكيف مع نمط الحياة الفرنسية، وأن يجرّوا معهم الجماهير الجزائرية المسلمة،[2] فقد تنكروا لأصولهم وخرجوا عن دينهم، وراحوا يتهجمون على ماضيهم، ويتحاملون على معتقدات بني قومهم بعدما تمسحوا وتجنّسوا وانخرطوا في الماسونية وفي الأحزاب الفرنسية.[3] وهناك من انخرط في الاتحاد الكاثوليكي الأهلي (l'Union Catholique indigène) الذي كانت له صحيفة ناطقة باسمه تسمى المطورني يشرف عليها القبائلي جوزيف زنتر بعد تنازله عن أحواله الشخصية الإسلامية واعتناقه المسيحية.[4]

– معتدلون في التجنيس:

بقيت فئة من النخبة المتفرنسة تطالب بالإدماج ولكن مع التمسك بقانون الأحوال الشخصية الإسلامية مثل فرحات عباس الحريص على المحافظة على شخصية الجزائر المسلمة على الرغم من تشبّعه بالثقافة الفرنسية فكتب بشأن التجنيس: "إن الجزائر فرنسية، ونحن فرنسيون، مع احتفاظنا بقانون الأحوال الشخصية كمسلمين"،[5] فهو يعتبر من المثقفين الجزائريين الذين ظلوا مرتبطين ارتباطا قويا بانتمائهم الإسلامي، ولم يستطع الفرنسيون أن يفهموا كيف يدافع عن الإسلام رجل مثل فرحات عباس لا يعرف من لغة القرآن سوى مبادئ أولية.[6]

فلم يكن فرحات عباس إندماجيا على طريق بن حبيلس وفخار وابن التهامي التي تعني الذوبان في المجتمع الفرنسي، والأخذ بعاداته وتقاليده ومعتقداته الدينية والفكرية، بل تميّز بتأثره بالثقافة الفرنسية كوطن فكري بينما بقي مؤمنا بالإسلام كوطن روحي[7] بلا حدود "يوجّهنا من المهد إلى اللحد،

1- Pervillé: **op-cit**, p 21.

2- عمري: **المرجع السابق**، ص 252.

3- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 152.

4- بن حسين: **المرجع السابق**، ص 130.

5- عباس: **المرجع السابق**، ص 99.

6-Mahfoud kaddache: **Histoire du nationalisme Algérien, question nationale et politique Algérienne 1919-1951**, t1, 2eme édition, société nationale d'édition et de diffusion, Alger, 1981, p 79-80.

7- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 154.

ويتمثّل الثقافات الأجنبية دون أن يذوب فيها ولا حتى يتشوّه أو يضعف"،[1] لذلك طالب بالمساواة ثم الإدماج للتمتع بثمار الحضارة[2] الغربية التي سمعوا عنها في المدارس الفرنسية.

ففي الوقت الذي تعرض فيه ابن حبيلس إلى المبادئ الإسلامية لإشعار مواطنيه بالخجل مما أصبحوا عليه، كان فرحات عباس على العكس، يرجع إليها للإشادة بالحضارة العربية الإسلامية والدفاع عن العروبة والإسلام، و لم يكتف بتمجيد الماضي والتأسف على الزّمن الغابر، قبل الاحتلال الفرنسي بل كان يؤمن بالمستقبل الرائع الذي ينتظر العالم الإسلامي والشعور بالغبطة لنهضته.[3]

فكان فرحات عباس يهدف من وراء فكرة الاندماج إلى ضرورة الحصول على المساواة في الحقوق كالواجبات التي كانوا يقدمونها بعد تطبيق قانون التجنيد الإجباري.[4] فهو يرى أن الأهلي استدعي للخدمة العسكرية لأنه اُعتبر فرنسيا، وبصفته هذه وجب عليه دفع ضريبة الدم، وقال: "لقد استدعيت إلى الخدمة بصفتي فرنسيا وليس لشيء آخر"،[5] فضريبة الدم تعني ضمنيا المشاركة في الحياة الوطنية للبلد.[6] فهو يعتبر القيام بالأعباء تجاه فرنسا الاستعمارية التي تشكّل الجزائر جزءا من ممتلكاتها .بموجب قانون الإلحاق يُدخل الجزائريين في المواطنة الفرنسية آليا لذلك تساءل: "لماذا يتجنّس الجزائري لكي يكون فرنسيا؟ إنه فرنسي حيث أن بلده أرض فرنسية".[7]

إن ما كان يريده فرحات عباس هو رؤية الجزائريين المسلمين يتحصلون على المواطنة الفرنسية دون تجنيس لأن هؤلاء فرنسيون وبالتالي فهم ليسوا بحاجة إلى التجنس،[8] فالتجنيس في نظره هو الباب الباب الضيق للدخول إلى البرلمان الفرنسي والحصول على متطلبات المواطنة من حقوق سياسية،[9] لذلك لذلك انتقد التجنيس الفردي الذي ليس له ما يُبرّره إلا إذا كان الغرض منه خلق طبقة من المتجنسين داخل المجتمع الجزائري لزيادة الفوضى الاجتماعية، والانقسامات داخل البلد لتسهيل السيطرة عليه.[10] ويرى غي برفيلي أن فرحات عباس كانت له عاطفة تركية سابقة للائكية كمال أتاتورك، فكان يُوقّع

1- عباس: **المرجع السابق**، ص 35.

2- **نفسه**، ص 7.

3- بن حسين: **المرجع السابق**، ص 137.

4- مريوش: **«بوادر الانشطار في فكر النخبة الليبرالية..**، ص 101.

5- عباس: **المرجع السابق**، ص 48.

6- **نفسه**، ص 73.

7- **نفسه**، ص 99.

8- بن حسين: **المرجع السابق**، ص 137.

9- عباس: **المرجع السابق**، ص 123.

10- **نفسه**، ص 99.

مقالاته باسم كمال ابن سراج الذي يجمع بين شخصية كمال وذكرى الإرث الإسلامي، وكان يعتقد أن كمال يستطيع تطوير بلده دون أن يضغط على إسلام شعبه، وبالنسبة إليه فإن الأهم هو تجنب فصل النخبة عن الشعب، فهو يريد الحق المشترك للجميع.[1]

2-3- موضوع التمثيل النيابي والانتخابات:

منذ سنة 1900 طالب الشبان الجزائريون بتوسيع حق الانتخاب للمثقفين والتجار، وحق المستشارين البلديين الأهالي في انتخاب المساعدين الأهالي ورؤساء البلديات، وانتخاب المستشارين العامين الذين يعوّضون المعاونين المعيّنين، كما أُرسلت عرائض سياسية سنة 1901 إلى الغرفة طالبت بدعم الضعفاء والحقوق الضرورية لكل إنسان وليس كل فرنسي ومراعاة الحق في الانتخاب، وعبّرت عن الإخلاص للجمهورية من الشعب المحتاج إلى عطف الأمة الفرنسية الكبيرة لتحسين وضعيته المأساوية التي يعيشها.[2] كما طالبوا بحرية الحصول على الوظائف العمومية، وحق التمثيل في البرلمان إذ "أن من ليس مُمثلاً فلا نصير له".[3]

وقد كانت السلطة الفعلية انتقلت إلى يد النواب الأوروبيين بعد صدور قانون 19 ديسمبر 1900 الذي منحهم استقلالا ماليا عن باريس في المجلس المالي الذي أنشئ لخدمة مصالح عشر (1/10) السكان من الأوروبيين واليهود، وحرمان تسعة أعشار (9/10) السكان المسلمين من حقوقهم الطبيعية،[4] وإخضاعهم للأقلية الأوروبية التي تستغلهم وتسخّرهم لخدمة مصالحها، وزيادة على ذلك تمنعهم من إيصال صوتهم إلى السلطات في الجزائر وفي باريس.

بدأ المسعى في طلب التمثيل سنة 1908 عندما استغل الشبان العاصميون استياء مواطنيهم من مرسوم إحصاء الأهالي للتجنيد فأرسلوا وفدهم بقيادة المحامي أحمد بوضربة، وحصلوا على التزامات سياسية من حكومة باريس وعدتهم بانتخاب المستشارين العامين المسلمين. وكان لهذه الوفادة وتدخل ابن علي فخار في مؤتمر إفريقيا الشمالية[5] تأثير على حركة الإصلاحات[6] التي ستدخلها السلطات الاستعمارية، كما أشار بن علي فخار إلى ضرورة قبول الأهالي في المجالس المحلية بنسبة كبيرة،[7] وبيّن

1- Pervillé: **op-cit**, p 24.

2- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1031.

3- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ص 374.

4- بوحوش: **المرجع السابق**، ص 169.

5- المؤتمر الكولونيالي لإفريقيا الشمالية سنة 1908 حضره ابن علي فخار ممثلا للشبان الجزائريين، وتناول فيه الكلمة ليُعرّف بمطالب زملائه المتمثلة في الاندماج وتوسيع تمثيل المسلمين في المجالس المحلية. أنظر: زوزو: **الفكر السياسي**، ص 153.

6- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1037-1038.

7- **Ibid**, p 1038.

بأن الأهالي يطمحون إلى توسيع حقوقهم السياسية ومن ثَمَّ المشاركة الواسعة في الدفاع عن مصالحهم التي يُعتبر تمثيلها غير كافٍ.(1) وفي سنة 1911 دعت النخبة الاندماجية إلى توسيع الحق الانتخابي إلى كل المثقفين الجزائريين، وتمثيل نيابي عادل لهؤلاء المثقفين في المجالس العامة والمالية.(2)

وخلال سنتي 1910 و1911 طالب الشبان بمراجعة قانون البلدية الصادر سنة 1884 لتوسيع الهيئة الانتخابية إلى حملة الشهادات الذين يقل سنهم عن (25) عاما، وإصلاح التمثيل في المندوبيات المالية، وندّدوا بالضغوط الإدارية وبتبعية بني وي وي للإدارة الاستعمارية قائلين:"إن ممثلينا ليسوا إلا ماكينات انتخابية تستغلها السلطة كيفما شاءت".(3) وسعوا إلى المشاركة الفعلية في الحياة السياسية لأجل الدفاع عن مصالح مواطنيهم من خلال المطالبة بإصلاح النظام الإنتخابي بتوسيعه ليشمل المتعلمين باللغة الفرنسية، وقدماء العسكريين، والتجار، والأهالي البالغين سن الواحد والعشرين الحاصلين على شهادة التعليم الابتدائية، وجعله في هيئة انتخابية واحدة للمجالس البلدية والعمالية والنيابات المالية، كما طالبوا بمنح مستشاري البلديات حق انتخاب رؤساء البلديات ومساعديهم.(4)

– مطالب التمثيل في بيان الشبان 1912:

وطالبت النخبة في بيانها لسنة 1912 بتمثيل جادٍّ وكافٍ للجزائريين عن طريق:(5)

– توسيع الهيئة الانتخابية الخاصة بالأهالي ضمانا لفعاليته وصدقيته.

– زيادة عدد ممثلي الأهالي في المجالس الجزائرية بنسبة خمسي مجموع الأعضاء.

– توحيد قانون الإجراءات الانتخابية بحيث تكون الهيئة الانتخابية على شكل واحد لكل المجالس الجزائرية.

– على مستشاري البلديات من الأهالي الحصول على حق انتخاب رؤساء المجالس البلدية ومساعديهم.

1- Fekar: **op-cit**, p 4.

2- صافر: **حركة الشبان الجزائريين**، ص 191.

3- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ص 393.

4- Sadek denden: «**Les libertés Algériennes**» , l'Islam, n 101, (14/01/1912).

5- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 20-21. و Philippe Millet: op-cit, p 171. و l'Islam, n 174, (28/11/1913).

– ينبغي أن تكون العهدة النيابية غير متناسبة مع وظيفة القياد ومساعديهم.

– ينبغي تمثيل الأهالي في البرلمان الفرنسي أو في مجلس خاص ينشأ خصيصا لتمثيل الأهالي من قبل نواب منتخبين منهم.

– ينبغي أن يكون لأولئك الأهالي الذين أدوا واجب الخدمة تجنيدا أو تطوعا الحق في اختيار المواطنة الفرنسية بناءً على طلب بسيط بدون الخضوع للإجراءات المطلوبة.

وهم بهذا قد لفتوا انتباه البرلمان الفرنسي لعدم كفاية تمثيل الأهالي الجزائريين فلم يكن القانون يسمح لهم بالحصول إلا على ربع المقاعد في المجالس البلدية دون أن يتجاوز عدد ممثليهم ستة، أما في المجالس العامة (العمالية) فإم عدد ممثلي الأهالي حدد بستة أعضاء، وفي مجالس الوفود المالية التي تضم (69) عضوا فإن ممثلي الأهالي فيه يشغلون (21) مقعدا فقط منهم (15) عضوا عن العمالات الثلاث و(6) عن الإقليم العسكري يعيّنهم الحاكم العام تعيينا، وفي المجلس الأعلى للحكومة الذي يضم (59) عضوا فإن للأهالي فيه (7) أعضاء فقط من بينهم (4) أعضاء ينتخبهم مجالس الوفود المالية، و(3) أعضاء يعيّنهم الحاكم العام للإقليم العسكري.[1]

وتدل هذه الأرقام على عدم وجود تمثيل فعلي ومفيد للأهالي في المجالس المحلية، فقلة عدد المنتخبين المسلمين تُفقدهم أي تأثير في عملية الانتخاب، ولا يشاركون في انتخاب رؤساء البلدية والمساعدين، ولا يستطيعون ممارسة أي عمل في توجيه إدارة البلدية،[2] وهو ما يجعل صوت الجزائريين غير مسموع لذلك ستتحرك النخبة لمحاولة إسماع صوتها وصوت الشعب الجزائري في المؤسسات الرسمية بالتركز على مطلب التمثيل.

تطلّعت النخبة إلى التمثيل في المجالس العليا في باريس (مجلس الشيوخ) والبرلمان الجزائري (المجلس الأعلى للحكومة العامة) بالقدر الذي يرفع الظلم عن الأهالي وعلاقتهم بالتشريعات الفرنسية، فرأت أن هذه القوانين تساعد أكثر على توسيع الفجوة بين السكان الجزائريين من مسلمين وفرنسيين لأن هذه

1- Millet: **op-cit**, p 170. و l'Islam, n 174, (28/11/1913).

2- **ibid**, p 170-171.

القوانين لا تتوجّه إليهم على قدر المساواة.[1] فقد كان للجزائريين وعي سياسي منسجم مع السيطرة الفرنسية، ومن هذا المنظور بحثوا عن مساواة كاملة في الحقوق المدنية لكل الجزائريين أو على الأقل تمثيل يعكس أهميتهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للجزائر وتخفيف نظام الأهالي.[2]

وخلال شهر أكتوبر ونوفمبر 1913 قام ممثل وزير الداخلية الفرنسية بزيارة للجزائر للاطلاع على أوضاعها المادية والمعنوية فاستقبلته صحافة النخبة[3] بشكاوى ومطالب المسلمين المتمثلة في إلغاء قانون الأهالي، والمحاكم الخاصة، ومبدأ المسؤولية الجماعية، وتوحيد الضرائب وتوزيعها بشكل عادل، بالإضافة إلى تخصيص شق سياسي للمطالب تمثل في حق انتخاب النواب في المجالس المالية والمستشارين العامين، ورفع تمثيل الجزائريين عدديا، والمطالبة بتمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي أو إنشاء مجلس جزائري يكون مقره بباريس،[4] في محاولة منها الضغط على الإدارة الفرنسية لكي تقبل بمبدأ السماح للجزائريين أن يأخذوا مناصب سياسية عليا ويشاركوا في تسيير البلاد.[5]

والملاحظ على أصحاب بيان الشبان أنهم ركزوا على التمثيل النيابي للأهالي باعتباره الوسيلة المثلى لإسماع صوتهم في مختلف المجالس المحلية والعَمالية وحتى في البرلمان الفرنسي مؤكدين على أن إنشاء برلمان أهلي يساهم في تحسين وضعية الأهالي، وبإمكانه القضاء على الاستغلال والإجحاف في الأعمال الحكومية المتعلقة بالسكان المسلمين مُبيّنين أنه في مصلحة فرنسا كما في مصلحة الأهالي إيجاد تمثيل لهم في باريس،[6] من خلال وجود ممثلين أحرار منتخبين من هيئة انتخابية حرة،[7] فبقدر ما يكون التمثيل فعالا بقدر ما يثبت الحقوق للأهالي، ويرفع عنهم المظالم والضرائب التي تذهب لصالح المعمرين في مشاريع الاستيطان.[8] فالنخبة المتفرنسة ترى أن قضايا المجتمع الأهلي يجب أن تُحل داخل الهيئات

1- ثنيو: **إشكالية الدولة**، ص 15.

2- Nouschi: **op-cit**, p 20.

3- هو موري (Moret) رحبت به جريدة الإسلام (l'Islam) والتقى به ممثلو الأهالي بمدينة الجزائر وعبّروا له عن انشغالات المسلمين الجزائريين الخاصة بالعبادة والحبوس. أنظر: «**M[r] Moret en Algérie**», l'Islam, n 172, (11/11/1913)

4- Ageron: «**une politique Algérienne libérale**», p 126-127.

5- بوحوش: **المرجع السابق**، ص 206.

6- «**Un parlement indigène**», l'Islam, n 152, (04/03/1913).

7- l'Islam, n 123, (30/07/1912).

8- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 27.

الإدارية والسياسية التشريعية[1] لافتكاك الحقوق التي تحجبها عنهم سلطة المعمرين، لذلك ركزت على التمثيل السياسي الذي يرمي إلى احتلال مراكز ومناصب سياسية وإدارية في الهياكل التي تمثل الدولة في الجزائر أي المشاركة في السلطة.[2]

وركّزت جريدة الإسلام (l'Islam) كثيرا على موضوع تمثيل الأهالي الجزائريين لما له من دور كبير في تحصيل حقوقهم من الإدارة الاستعمارية، ونقلت في عددها الصادر في 27 جوان 1914 رغبة ونظرة التحالف الفرنسي الأهلي (l'Alliance Franco-indigène)[3] في تمثيل الأهالي بواسطة إجراءات[4] تضمن لهم تمثيلا حقيقيا وصادقا يكون بعدها عدد المسلمين المنتخبين في المجالس العامة والوفود المالية ثلث عدد الأعضاء في كل مجلس،[5] مما يساهم في تقليص نفوذ الكولون واحتكارهم لشؤون تسيير الإدارة والميزانية في الجزائر، كما يسمح التمثيل الحقيقي للجزائريين بتقديم مشاريع إصلاحية تهم الجزائريين المسلمين في مختلف جوانب الحياة.

فهذه النخبة تحلم بلعب دور مهم في شؤون البلاد، وتريد النهوض بالإسلام من تخلفه الذي طال كثيرا بالعمل على توحيد الاتجاه الديني مع الاتجاهات المعاصرة للأجيال الإسلامية على قواعد مستعارة

1- ثيو: **إشكالية الدولة**، ص 94.

2- **نفسه**، ص 96.

3- تأسس بمدينة الجزائر في 15 ديسمبر 1912 من قبل بعض الليبراليين والصحفيين والضباط الفرنسيين برئاسة شارل جيد (Charles Gide)، وبمشاركة بعض الشبان الجزائريين المتفرنسين، عمل التحالف على الدفاع عن حقوق الأهالي حفاظا على الوجود الفرنسي في الجزائر.

أنظر: Ageron: **Les Algériens musulmans**, t2, p 1105.

وجاء في القانون الأساسي للتحالف الفرنسي الأهلي: "السيطرة الفرنسية لم تُقبل كحدث فقط ولكن استقبلت كإحسان" «la domination Française non seulement acceptée comme un fait. Mais accueillie comme un bienfait»

أنظر: « **Lettre Algérienne, le loyalisme des jeunes Algériens»,** l'Islam, n 199, (27/06/1914).

4- التصويت المباشر للمستشارين العامين الماليين الأهالي في هيئة انتخابية تضم النخبة الأهلية في البلديات المختلطة والكاملة الصلاحيات.

- يجب أن تكون العهدة الانتخابية غير متناسبة مع وظيفة القايد.

- يجب إنشاء جهاز تفتيش ومراقبة للإدارة العامة لوقف الاستغلال. أنظر:

«**La représentation des indigènes un vœu de l'alliance Franco-indigène»,** l'Islam, n199, (27/06/1914).

5- **ibidem**.

من الحضارة الغربية ليتمكنوا من شغل مساحة أوسع في دوائر الحكم وتسيير الأمور على الأقل في غياب المطالبة "بجزائر للجزائريين" على شاكلة الشباب المصري الذي نادى بمصر للمصريين.[1]

- إصلاحات 1919 وتمثيل الجزائريين:

حاول الشبان الجزائريون الاستفادة من إصلاحات 1919 التي لم تأت بتغير هام سوى أنها وسّعت الهيئة الانتخابية الأهلية بحيث أصبح عدد المنتخبين حوالي (400000) بدل حوالي (15000)،[2] وبناءً على هذا فقد قفز عدد المستشارين البلديين المسلمين من (930) مستشارا عام 1915 إلى (1540) مستشارا مع حصولهم على حق المشاركة في انتخاب رئيس البلدية ومساعديه،[3] وهو ما لم يكن مسموحا به من قبل.[4]

كما ارتفعت الهيئة الانتخابية المكلفة بانتخاب (18) مندوبا ماليا و(29) مستشارا عاما من (5090) ناخبا عام 1914 إلى (103149) مسجلا عام 1920،[5] لكن رغم هذا لم يكن التمثيل كافيا لبلوغ الفعالية وإيصال صوته لباريس لغياب أي تمثيل للمسلمين هناك،[6] بالإضافة إلى الشروط[7] الشروط[7] الصعبة المطلوبة في المصوّتين كالإقامة في بلدياتهم مدة سنتين متتابعتين، وألا يكونوا قد حكم حكم ضدهم القانون الفرنسي،[8] لذلك بقي التمثيل الذي كان مطلبا أساسيا للنخبة الجزائرية غير كافٍ، وغير فعّال بالمرّة بالنظر إلى النسبة الضئيلة مقارنة بنسبة التمثيل الأوربي،[9] وهذا ما جعل بعض أفراد النخبة الاندماجية تمتعض مما جاء فيه حيث كتب المعلم المتجنس فاسي في أكتوبر 1919 بأن هذه

1- ابن حبيلس: **المرجع السابق**، ص 94.

2- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، ص 274.

3- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ص 441.

4- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 77.

5- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ص 447.

6- **نفسه**، ص 442.

7- أن يكون قد أدى الخدمة العسكرية – حيازة ملكية – موظف لدى الدولة سواء في العمالة أو البلدية أو مقاعدا – متحصلا على شهادة تعليم تعليم فرنسية – حاملا لوسام فرنسي – حاصلا على جائزة فرنسية – عضوا في الغرفة التجارية أو الزراعية. أنظر: سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 274. و زوزو: **الفكر السياسي**، ص 76.

8- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 274.

9- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 78.

الإصلاحات "حصرت الأهالي في مجالس المستعمرة ضمن عدد محدود إلى الحد الأدنى الذي يجعلهم لا يقدمون أي عمل، إن المسلمين يطالبون باستحداث هيئة انتخابية أهلية تُمكّن من إرسال بعض النواب إلى البرلمان".[1] واعتبرت جريدة (La voix des humbles) أن أفضل تمثيل لا يمكنه أن يغيّر وضع الأهالي الاجتماعي ما داموا جهلاء وضعفاء اقتصاديا ومعنويا، والانتخابات تتعرض لتدخلات تعسفية، والمنتخبون لا يتمتعون بالكفاءة والاستقلالية.[2]

كما اعتبر فرحات عباس هذه الإصلاحات مجرد تحويرات خفيفة في النظام،[3] ولم تحمل للتمثيل للتمثيل الإسلامي إلا بعض الأوكسجين،[4] ولم تغير شيئا في حال الجزائريين كرعايا ما دام الفرنسي والعربي يظلون منفصلين بحكم القانون، ودعا النظام الاستعماري إلى الاعتراف بالأهالي كمواطنين متساوين في الحقوق والواجبات مع المعمرين بغض النظر عن أحوالهم الشخصية؛ فقد آمن أن فرنسا القوية والغنية يمكنها أن تخرج الجزائريين من نفق القرون الوسطى، وأن تعيد لهم حريتهم وكرامتهم مع احترام عقيدهم.[5]

- المشاركة في الإنتخابات:

فتحت إصلاحات الرابع فبراير 1919 المجال أمام الجزائريين للمشاركة في المجالس المنتخبة بالجزائر لاستغلال التمثيل في الدفاع عن حقوق الجزائريين بالوسائل القانونية، فجسّدت بوادر حياة سياسة في إطار جزائري حاول الشبان من خلالها انتزاع عهدات انتخابية من محتكريها مرشحي الإدارة "بني وي وي"،[6] وهنا ظهر الشرخ الكبير الذي عاني منه الشبان ببروز زعيمين متنافسين على قوائم انتخابات المجس البلدي بالعاصمة هما ابن تامي على رأس الاندماجيين والأمير خالد الذي نادى بالمساواة في إطار الأحوال الشخصية الإسلامية.[7]

1- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ص 444.

2- «**Représentation indigène**», la voix des humbles, n 2, (juin 1922), p 6.

3- عباس: **المرجع السابق**، ص 31.

4- **نفسه**، ص 33.

5- صافر: **موقف النخبة الجزائرية من سياسة فرنسا الاندماجية**، ص 340.

6- برفيلي: **المرجع السابق**، ص 142.

7- مريوش: «**بوادر الانشطار في فكر النخبة الليبرالية**..، ص 93.

ولما نُظِّمت الانتخابات المحلية في 30 نوفمبر 1919 شاركت فيها النخبة الاندماجية ببرنامجها القابل للتجنّس وبقائمة على رأسها ابن تامي[1] مُحاولةً جس نبض الشارع الجزائري والتأثير عليه لاختيار مترشحيها فكتب صادق دندان في جريدة الإقدام (L'ikdam) يوم 13 نوفمبر 1919 في إطار حملته الانتخابية: "إن الساعة دقّت لعصر جديد بتطور سياسي واقتصادي، نحن واعون لأجل النهوض المعنوي والمادي لمواطنينا الجزائريين...فكِّروا في المعاناة التي تسبب فيها التحالف بين "بني وي وي" والبرجوازية والكولون، فكِّروا في المعارك المستمرة التي نخوضها ضد الأوليغارشية المتمتّعة بكل الحقوق والتي أوصلتنا -نحن كورثة حضارة حية في تاريخ الشعوب- طيلة (90) عاما إلى العبودية والاحتقار".[2]

وفي العدد الصادر يوم 20 نوفمبر وضّح النقاط العريضة لبرنامج[3] الاندماجيين، وطلب دعمه من كل أصحاب الإرادة الطيبة التي تسعى لبناء فرنسا كبيرة وقوية.[4] لكن كانت هذه الحملة بدون فائدة، فالجماهير الشعبية لم تتبنَّ مطالبهم بل أن بعضهم لم يحظ بالنجاح في مركزين كبيرين هما الجزائر العاصمة، عنابة ويُعدان عاصمة للشبان ففيهما خسروا ثقة الناخبين الجدد لموالاتهم للإدارة الاستعمارية.[5] فقد أدت هذه الانتخابات إلى ظهور حالة نفسية جديدة تعبّر عن الشعور الذي كان يُحس به السكان تجاه جميع أعوان الإدارة إذ كانت البلاد تطمح إلى الانعتاق، وهُزم أيّ مترشح له ماضي إداري.[6]

وكانت الفروق كبيرة في مدينة الجزائر بين قائمة الاندماجيين القابلين للتجنّس بقيادة عمر بوضربة وقائمة الحاج موسى والأمير خالد التي اكتسحت أصوات الناخبين بأغلبية ساحقة،[7] وفي محاولة لتبرير لتبرير الهزيمة وجّه الاندماجيون انتقادات لاذعة لخصومهم في هذه الانتخابات واتهموهم بالمعاداة لفرنسا، فقد اتهم ابن تامي قائد الشبان الجزائريين الذي لم يحصل إلا على (332) صوتا الأمير خالد بالتآمر على السلطات الفرنسية وباستعمال التأثير المرابطي، وقاد حملة إعلامية ضده في باريس أدت بمجلس العمالة

1- ضمت بلقاسم ابن تامي، بوضربة عمر، Ladmiral Maurice، وليد عيسى مصطفى، بوليفة بن عمار، براهم موهوب، صادق دندان، جعفر ساطور، قلاتي محمد، حسان حفيظ، صوالح محمد، تامزالي عبد النور.أنظر:. l'Ikdam,n33,(20-11-1919)

2-Sadek denden: **«les prochaines élections»**, l'Ikdam, n 32, (13-11-1919) .

3- تمثل في: – إلغاء القوانين الاستثنائية المطبقة على المسلمين – توسيع النظام المدني ليشمل كامل الأقاليم الجنوبية.

– إلغاء نظام الغابات والمسؤولية الجماعية – إصلاح العدالة الإسلامية وإزالة العراقيل التي تواجهها. أنظر:

Sadek denden: **«les prochaines élections»**, l'Ikdam, n 33, (20-11-1919).

4-ibidem.

5- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 166.

6- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ص 450.

7 - **«Les élections à Alger»**, l'Ikdam, n 35, (11-18 décembre 1919).

إلى إلغاء الانتخابات بحجة أنها نادت بالتعصب الإسلامي[1] الذي يشكل خطورة على فرنسا والنخبة الاندماجية التي أَفقدها نفوذها وتأثيرها على الجماهير الشعبية.

كما أسس جريدة للتشهير بالأمير خالد والهجوم عليه سمّاها لافونير ألجيريان[2] (L'avenir Algérien) تعقّبت نشاط الأمير خالد، وردّت على مقالاته، ووصفته بالشخص المدّعي الذي أخذ لقب الأمير، وبالطموح الطائش الذي استغل التعصب، وأعلن عن عواطفه العدائية للدولة التي يعتقد أنها استولت على أملاك وثروات جده.[3]

وشهدت انتخابات أفريل-جوان 1920 سقوطا آخر للاندماجيين إذ رفضت الجماهير الجزائرية سياسة الإدماج وطالبت بالحرية بأوسع معانيها بواسطة منتخبين جدد،[4] فتراجعت مكانة الاندماجيين الاندماجيين كثيرا وتجلّى ذلك في الفرق الشاسع في الأصوات المعبّر عنها، ففي مدينة الجزائر لم يحصل زروق محي الدين ضمن قائمة الاندماجيين إلا على (2500) صوت في المجلس المالي مقابل (7000) صوت للأمير خالد، وفي المجلس العام لم تحصل قائمة الاندماجيين التي مثّلها الدكتور تامزالي إلا على (256) صوت مقابل (2505) صوت لصالح الأمير خالد[5] مما يعكس ضعف تأثيرهم على الجماهير الشعبية بحكم ثقافتهم وأفكارهم الغربية والبعيدة عن تمثيل اهتماماتها الحقيقية.

وبحكم أن النخبة الاندماجية كانت لا تتعارض في توجّهاتها مع فكرة التعايش التي يسعى إليها المشروع الاستعماري فإن الإخفاق كان من نصيبها في كل موعد انتخابي، فعرفت قائمة ابن تامي سقوطا كبيرا أمام قائمة الأمير خالد في انتخابات 9 جانفي 1921[6] مما يعكس فشلها في الحصول على حق تمثيل الشعب الجزائري في المجالس المحلية.

وبقي مطلب التمثيل بمختلف مستوياته من أولويات الشبان الجزائريين في عشرينيات القرن الماضي حيث تقدم ابن تامي باسم زملائه سنة 1924 بالمطالبة بتمثيل خاص في البرلمان يضم ستة نواب وثلاثة

1- Charles -robert Ageron: « **Enquête sur les origines du nationalisme Algérien, l'Emir khaled petit fils d'Abdelkader fut-il le premier nationaliste Algérien ؟»**, R. O. M. M, n 2, 1966, p 21.

2- جريدة أسسها ابن تامي وصوالح وبوضربة سنة 1920 بهدف مهاجمة الإقدام وأصدقاء الأمير خالد، والمشاركة في الانتخابات، استعملت أوصاف خاصة بالكولون والصحافة الاستعمارية ضد الأمير خالد مثل (بلشفي، شيوعي، وطني، ضد فرنسا)، أصبحت لسان الإدارة الكولونيالية حيث ادّعت في عددها الأول أنها تدافع عن مصالح الأهالي ولكن ليس ضد قانون الأهالي الذي لم تطالب يوما بإلغائه. أنظر:

Ihddaden**: op-cit**, p 340.

3- فتيحة صافر: **حركة الشبان الجزائريين**، ص 236-237.

4 - Kaddach: **op-cit**, p 104.

5- Ageron: «**Enquête sur les origines du nationalisme Algérien..»,** marge 30, p 21.

6- «**Les élections municipales d'Alger**», l'Ikdam, n19,(14-01-1919).

أعضاء في مجلس الشيوخ من المسلمين.[1] ولذلك كان إصلاح النظام الانتخابي واحدا من المطالب الأساسية للنخبة الاندماجية[2] للتّمكين من إسماع صوتها لدى المؤسسات الاستعمارية.

2-4- موضوع التعليم:

واجهت النخبة الاندماجية التخلف الحضاري الذي كان الأهالي يعانونه بعدما انتابها الوعي بالفرق الواسع الذي يفصل بين الحياة الأوربية والمجتمع المسلم، وكانت الجمعية التوفيقية من أهم الجمعيات التي اضطلعت بمهمة توعية الأهالي والتعريف بالمسألة الجزائرية فقد كانت مؤسسة من أجل امتلاك الوعي بقيمة المدنية الحديثة،[3] واقترح بعض أعضائها توحيد الأهالي الراغبين في التعلّم وتطوير افكارهم العلمية والاجتماعية[4] بالاعتماد على المدرسة الفرنسية وإحسان تعليمها، ويتّضح برنامج الجمعية التوفيقية سنة 1911 من خلال المحاضرات التالية:[5]

المتكلم	موضوع المحاضرة
بيلتي	فوائد التعارف
بيلتي	القانون الإسلامي
قاسمي	الحضارة العربية
صوالح	ملامح العالم الإنساني المعاصر
برانتكي	الأدب المعادي للإسلام
آيت قاسي	عقوبة الموت
معاشو	نابليون في مصر

كما استخدمت النخبة الاندماجية نادي صالح باي والجمعية الرشيدية في نشر التعليم والأخوة، وتحرير الجماهير الجزائرية، والتوفيق بين المجموعتين الجزائرية والفرنسية[6] بما يدعو للتقارب وليس التمايز

1- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ص 618.

2- فتيحة: **حركة الشبان الجزائريين**، ص 179.

3- ثنيو: **إشكالية الدولة**، ص 95.

4- Millet: **op-cit**, p 165.

5- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 138.

6- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 139

التمايز أو الانفصال. فكان التعليم على ضوء الأفكار الفرنسية في نظرهم وسيلة لتسهيل الارتقاء لعرق جاهل وقيادته عبر الأشواك والفخاخ نحو السعادة المثالية بإطفاء الأحقاد والمشاركة الحميمية بين العناصر الفرنسية والعربية،[1] وفي المقابل أيّدوا النظرية القائلة بأن اللغة العربية كانت غير مثمرة، وأوصوا بدراسة العلوم والثقافة باللغة الفرنسية محاولين جعل التعليم كوسيلة لاسترجاع مكانتهم الضائعة.[2] والملاحظ على عريضة لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الليبرالية سنة 1912 أنها لم تتضمن أدنى إشارة إلى مسائل التعليم العربي والقضاء الإسلامي، وهو ما جعل برنامجهم على حد نقيض لمطالب المحافظين.[3]

فالنخبة الاندماجية رأت أن هناك وسيلة واحدة لتطوير الأهالي وهي التعليم، وأوعزت الاختلاف بين عقلية الأهلي والأوربي إلى التعليم الذي انتشر في أوساط الأوربيين دون الجزائريين، ومن خلاله ينجح التقارب بين الجنسين، ويصل الأهالي إلى المشاركة في تسيير بلادهم،[4] وأوصى المعلم زناتي زناتي في رسالة إلى الحاكم العام بإنشاء مدارس للبنات بالموازاة مع مدارس الذكور معتبرا أن هذا العمل مهم أخلاقيا لأجل تطوير الأهالي، ولأجل مستقبل الأفكار الفرنسية في الجزائر.[5] كما رأت النخبة الاندماجية ضرورة تحرير الشعب الجزائري وتنميته، والرّقي بمستواه بما يتلاءم مع كرم فرنسا كأمة متحضرة بالتقريب بين الناس ولم شملهم عن طريق غزو العقول أخلاقيا ومعنويا،[6] وفي هذا المجال يعترف الشريف بن حبيلس بفضل الإنجاز الفرنسي في التعليم في الجزائر، ويُقرّ بأن تربيته على مدرجات مدرسة فرنسية هي التي قادته صوب طريق الحق، وأنه يحب النعت الجميل "فرنسي" الذي تلحقه به الإدارة الفرنسية.[7] لكن يرى أنه من الضروري استفادة الشباب المتعلم باللغة الفرنسية من هذا التعليم، وأن يستغلّوه في تسيير الأمور وشؤون الحكم، ويتساءل: "أليس من الطبيعي بالنسبة لإنسان يريد استغلال تكوينه الجيّد؟ ما فائدة علمهم إذا كانوا مهمشين وسط الأمة الفرنسية التي تبنوها، والتي يرونها

1- Millet**: op-cit**, p 166.

2- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 170-171.

3- خيثر: **المرجع السابق**، ص 242.

4 - **«Politique indigène»,** la voix des humbles, n 1, (mai 1922), p 6.

5 - Zenati**: «Pour l'instruction et l'éducation des filles indigènes»,** la voix des humbles, n 14-15, (juillet-aout 1923), p 3-4.

6- بن حبيلس: **المرجع السابق**، ص 31.

7- **نفسه**، ص 18.

تفضل المهاجرين عليهم؟[1] فالمدرسة الفرنسية كانت قادرة على توفير التعليم لكن عاجزة على توفير المكانة المكافئة.[2]

3- الإدارة الاستعمارية والفكر الليبرالي:

مثّل نشاط النخبة الاندماجية مطلع القرن العشرين حراكا سياسيا معبّرا عن موقف جزائري تجاه القضايا المطروحة على مستوى المستعمرة فأصبحت طرفا محاورا للهيئات الاستعمارية في الجزائر وباريس، وهو الشيء الذي جعل التيار المتفرنس الأكثر انخراطا في النشاط السياسي مما دفع بعض المؤرخين بجعل ميلاد هذا التيار كمعلم لبداية العمل السياسي المنظم في الجزائر بفعل تحل العناصر المثقفة بالثقافة الفرنسية إلى التجمع والانتظام في العمل السياسي الهادف إلى تحقيق جملة من المطالب دون الخروج عن الإطار الاستعماري.[3] وقد لمست هذه الهيئات بوادر التغير في مطالب الجزائريين انطلاقا من العرائض المرفوعة إليها والوفود المرسلة لها فحاولت احتواءها باستقبال الوفود وتقديم الوعود بالإصلاحات.

- دعاة الإصلاح:

نادت بعض الأصوات مبكرا بضرورة الاهتمام بالنخبة المثقفة بالثقافة الفرنسية لأجل استخدامها كوسيط بين الحكومة والسكان لتسهيل الاندماج حيث كتبت جريدة الطان (Le Temps) سنة 1904: "إن وجود طبقة من الأهالي ميسورة الحال ماديا وذكية ومتعلمة لهي ضرورة ملحّة بالنسبة إلينا إذا أردنا أن يسود بين الطائفتين تقارب وتواجد جماعي يقبله الطرفان بسهولة"،[4] وفي سنة 1908 أقرّ أقرّ جونار: "إن من مصلحتنا الملحّة تشكيل نخبة مثقفة تكون قادرة على نشر مبادئنا وقيمنا في العدالة والرّقيّ، وتكون منضوية تحت لوائنا لترعى ثمار التقدم الذي تحقق لفائدتها".[5] وقد نُعت الشبان من قبل

1- بن حبيلس: **المرجع السابق**، ص 96.

2- Meynier**: op-cit**, p 241.

3- خيثر: **المرجع السابق**، ص 243-244.

4- برفيلي: **المرجع السابق**، ص 119.

5- **نفسه**، ص 119.

قبل بعض رجال السياسة الفرنسيين بأنهم حداثيون، وأنهم أفضل من تُعوّل عليهم السلطة الفرنسية في استحقاق المناصب في المؤسسات التمثيلية،[1] لأنهم لا يشكلون خطرا وطنيا في نظر غي برفيلي الذي رأى أن الوطنية الجزائرية ولدت خارج الانتلجنسيا الفرانكفونية في الجماعة المسلمة المخلصة للتقاليد ذات التأثر المشرقي.[2]

فقد لفت هذا التحرك الجزائري أنظار الإدارة الاستعمارية في الجزائر التي أدركت ميلاد تيار للرأي العام في الأوساط الثقافية للأهالي بدأ يميل إلى حصول الأهالي على تمثيل أكثر فعالية في الحياة العامة، وتخفيف النظام الاستثنائي الخاضعين له، فكتب شارل جونار في 10 ديسمبر 1908 إلى رئيس الوزراء جورج كليمنصو: "هذه النزعة العامة لا يمكن إنكارها، ويجب علينا مراعاتها بأن تكون من عملنا الذي نطبقه في المستقبل."[3] لذلك كان جونار من أنصار إدماج الجزائر مع فرنسا عن طريق تجنيس المسلمين وليس بالإدماج الإداري، كما دعا إلى استقبال طلبات التجنيس بهمة.[4]

وقدّم مشروعا يهدف لجعل الأهالي يشاركون بنسبة أكبر في الحياة العامة، ويخفف من النظام الاستثنائي الخاضعين له،[5] حيث اتخذت الحكومة قرارا من باب ذر الرماد في العيون يتمثل في مبدأ انتخاب المسلمين بمجالس العمالات[6] أين يُنتخب أعضاء المجالس الولائية من الأهالي بدلا من تعيينهم،[7] ولكن الإدارة لم تسمح إلا بنائبين للأهالي رغم أن القرار يعطيهم نسبة الثلث في المجلس العمالي،[8] وبقي الجزائريون خاضعون لفرنسا بقانون دوني ومحاكم استثنائية وضرائب تمييزية وحقوق سياسية زهيدة واحتقار وإذلال.[9]

1- ثنيو: **إشكالية الدولة**، ص 108.

2- Guy Pervillé: **op-cit**, p 22.

3- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1017.

4- **ibid**, marge 3, p 1018.

5- **ibid**, p 1038.

6- ابن العقون: **المرجع السابق**، ص 27.

7- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 25.

8- ابن العقون: **المرجع السابق**، ص 27.

9- Meynier: **op-cit**, p 741.

وفي هذا المجال اعترفت المصالح الأمنية الإدارية بجهود ابن تامي وصوالح نظير عقودٍ من خدمة الأهالي والبحث عن سبيل التقارب بين العنصر الأوربي والمسلم، واستحسان الخدمة العسكرية والقبول بها والذهاب إلى فرنسا لرفع معنويات الجيش الأهلي الصامد أمام ألمانيا خلال الحرب، وتقديسهما للتعليم الفرنسي[1] الذي بواسطته رأوا فرنسا بلدا للنور وأرضا للحرية التي على مقاعد مدارسها اكتسبوا الكرامة التي جعلتهم رجالا أحرارا، وأخرجتهم من سباتهم وجهلهم ووضعتهم باتجاه الحضارة.[2] وسيبقى إيمانهم بالحضارة الفرنسية وتعلقهم بمبادئها يطبع أفكارهم ورؤاهم السياسية لفترات لفترات متأخرة عن فترة الدراسة.

وفي تقرير له سنة 1912 أقرّ الحاكم العام ليتو (Lutaud) بوجود حركة سياسية بمبالغات وانحرافات لكن لا تستحق الحكم عليها بقسوة[3] في إشارة منه إلى ضرورة احتوائها وإدخالها في الحياة الفرنسية عن طريق بعض الإصلاحات التي تتلاءم مع تحصيلها العلمي وشغفها بالثقافة الفرنسية، وهو نفس موقف روبير أينار (Robert Aynard) المساعد السابق لجونار حينما قال: "إما أن نمتص هذه النخبة ضمن حركة حياتنا الوطنية وإما أن نهّيئ لأنفسنا في مستقبل وشيك أسبابا حقيقية للمتاعب عن طريق تنمية فكر جديد في الأوساط المتفتحة".[4]

وطالب فيليب ميللي برعايتهم لأن بقاءهم في حدود عالمين مقلق جدا فهم لا يريدون ترك الإسلام ولكنهم يعطون للسيطرة الفرنسية في شمال إفريقيا انتماءً لا يمكن أن يُشك فيه،[5] ودعا للتخلي للتخلي عن فكرة اعتبارهم أعداء لفرنسا بل يجب تقريبهم منها مُدّعياً أنهم لم يكونوا يمتلكون وطنا قبل مجيء الفرنسيين،[6] وهي نفس النظرة التي تبنتها المدرسة الاستعمارية بنفي السيادة والاستقلال عن الجزائر قبل سنة 1830. ودعا إلى تدارك الوضع باستمالة الشبان، والسماع لهم لأنهم متميزون عن غيرهم من الشبان في باقي البلدان بإسلام فتي زاهد في الوطنية مستشهدا على ذلك بعدم تصريحهم بأي

1- ثنيو: **إشكالية الدولة**، هامش 30، ص 108.

2- Mélia**: op-cit,** p 151.

3- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ص 387.

4- **نفسه**، ص 387.

5- Millet: **op-cit**, p 160-161.

6-**ibid**, p 163.

قول فيه ضغينة ضد فرنسا رغم التحريض العنيف ضدهم،[1] واقترح إصلاحات تقوم على المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في الضرائب، وإلغاء نظام الاحتجاز، ووقف المحاكم الرادعة، وتوسيع قاعدة الجزائريين الانتخابية وزيادة عدد الجزائريين في المجالس وإعطائهم حق انتخاب رؤساء البلديات في البلديات ذات الصلاحيات الكاملة.[2] كما نصح شارل روبير أجيرون بضرورة قبولهم في الجماعة الفرنسية لكي "لا نصنع منهم متمردين".[3]

فالذين كانوا واعين بالتطورات الحاصلة في الجزائر أدركوا ضرورة الإصلاح للحفاظ على "الجزائر فرنسية"، ونظروا إلى مطالب الشبان الجزائريين بعين العطف والعدل بالنظر إلى ظروف حياة الجزائريين تحت القوانين الاستثنائية حيث علّق الضابط لورو (Leheureux) من مصالح مراقبة الأهالي على مشروع الجزائريين لسنة 1912 (بيان الشبان) على أنه برنامج إصلاحات تتميز بالدقة .بمطالب موجّهة بالدرجة الأولى ضد الأساليب التي يُنَفّذ بها المشروع الاستعماري في الجزائر و لم تكن أبدا موجّهة ضد السيادة الفرنسية[4] داعيا إلى الاهتمام الفعلي بشؤون المستعمرة من خلال التعجيل بالإصلاحات، لذلك اتخذت الحكومة الفرنسية في 09 سبتمبر 1912 قرارا بتخفيف إجراءات قانون الأهالي على الذين قبلوا التجنيد، ووعدت وفد الشبان الجزائريين بأنها ستأخذ بعين الاعتبار الترضيات المشروعة المقدمة إليها والتي تعتبرها الحكومة الفرنسية كتعويضات عادلة للعبء الجديد المفروض عليهم،[5]

ودعت بعض الأصوات الفرنسية إلى مضاعفة الجهود في نشر التعليم في أوساط الجزائريين لربطهم بفرنسا وخلق التعايش بينهم وبين الفرنسيين فكتب أرنول فان جيني (Arnauld Van Gennet) سنة 1913: "إننا (حضّرنا) الجزائريين جزئيا من الوجهة المادية، ولكننا لم نفعل شيئا تقريبا بخصوص الناحية العقلية التي هي أكثر أهمية، والتي تكون بواسطة التعليم العمومي، ودراسة علوم البلد

1- Millet: **op-cit**, p 180.

2- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 92.

3- Ageron: «**Enquête sur les origines du nationalisme Algérien..»,** p 14.

4- عمري: **المرجع السابق**، ص 251. نقلا عن:

Rapport de m_r Leheureux, 1923/27h23, AOM, Aix-en-Provence.

5- Nouschi: **op-cit**, p 24.

وسكانه الذين يجب أن نسخّر لهم كل جهدنا خاصة نشر العلوم الطبيعية، وهي وسائل لنُعرّفهم من خلالها من نكون، وبها لن يستطيع الأهالي رمينا في البحر".[1]

ونفس الفكرة عبّر عنها الاقتصادي شارل جيد (Charles Gide) سنة 1913 في صيغة تحذير داعيا إلى الاهتمام بالأهالي وتخفيف الضغط عنهم: "إذا لم تتحقق المصالحة والتعاون بين المستوطنين والأهالي فإن المستوطنين الفرنسيين سيُلقى بهم عاجلا أو آجلا في البحر"،[2] واقترح خلق أمة جزائرية مكونة من المجموعتين الجزائرية والفرنسية، وتوسيع دائرة المتجنسين الجزائريين، وأنذر مواطنيه بأنه إذا لم يُدخلوا إصلاحات هامة فقد يأتي يوم تصبح فيه السلالة المقهورة قادرة على استرجاع أرضها الوطنية وإعلان الحكم الذاتي السياسي.[3] وأعلن النائب وكاتب الدولة للشؤون الخارجية أبيل فيري (Abel Ferry) حفيد جول فيري داعيا إلى تفعيل الإصلاحات لتفادي مستقبل حالك: "خلال خمس وعشرين سنة سوف تكون لكم في الجزائر بروليتاريا عمالية، وقد بيّن التاريخ أنه عندما تستقي المشاكل الاجتماعية قوتها من المضاعفات الدينية والمشاعر الوطنية فإنها تكتسب حينئذ قوة انفجارية".[4]

فالذين كانوا يفكرون في مصلحة الجزائر الفرنسية رأوا أنه من الحكمة استمالة هذه النخبة عن طريق الموافقة على بعض مطالبها لذلك وضعت الحكومة مشروع قانون في 09 مارس 1914 يمنح الأعضاء المسلمين في العمالات الثلاث ثلث الأعضاء الفرنسيين في المجلس العام،[5] لأن رفضها وغلق كل الأبواب أمامها سيؤدي إلى دفعها إلى معارضة غير ملائمة أو يجبرها على الانضمام لأعداء فرنسا، ولتفادي هذه النتيجة يجب تفكيك الكتلة المسلمة، وتجنّب الوطنية الأهلية بالاستفادة من استعدادات

1- Arnauld Van Gennet: «**La mentalité indigène en Algérie**», M.F, n, 396, (16 décembre 1913), Paris , p 688.

2- عباس: **المرجع السابق**، ص 30.

3- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، ص 91. و Ageron: «**une politique Algérienne libérale**, p 127.

4- **نفسه**، ص 31.

5- «**La représentation des indigènes en Algérie**», l'Islam, n 198, (20/06/1914).

هذه النخبة عن طريق تجنيسها،[1] وتلبية مطالبها التي لم تخرج عن العدالة في الضرائب، وتحسين أحوالها، وتوفير الأمن، وتعليم أكثر ملاءمة لها.[2]

وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى وحاجة فرنسا إلى الجنود والعمال الجزائريين زاد الحديث عن الإصلاحات في باريس حيث تشكّلت لجنة في 24 نوفمبر 1915 في مجلس الشيوخ لدراسة المشكل الجزائري، وتعهّدت بأن تُدخل إلى الجزائر فكرة (العدالة والحرية) بعد شكاوى الجزائريين من القوانين الاستثنائية، ومن عدم تمتّعهم بالحقوق السياسية، ثم جاءت خطوة في اتجاه ذر الرماد في العيون على مستوى عالٍ في 25 نوفمبر 1915[3] تتمثل في رسالة كتبها كليمنصو رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ، وليغ جورج (Georges Leygues) رئيس لجنة الشؤون الخارجية في غرفة النواب إلى رئيس الوزراء بريان أريستيد (Aristide Briand) طالبا بالإصلاح المعنوي والمادي للجزائريين الذين أكّدوا إخلاصهم وتعلّقهم العميق بفرنسا، واعتبرا أن الساعة مناسبة للإصلاحات وأوصيا بمايلي:[4]

– تجنيس الجزائريين دون مطالبتهم بالتخلي عن أحوالهم الشخصية كمسلمين.

– توسيع القسم الانتخابي الجزائري وضمان حرية التعبير.

– تمثيل الجزائريين في مجلس خاص في باريس للمراقبة الإدارية والسياسية للجزائر.

– تطبيق قواعد جديدة لتمثيل الجزائريين في المندوبيات المالية والمجالس المحلية والمجالس العامة لتوزيع الميزانية ومراقبتها.

– إعطاء الجزائريين حق المساهم في انتخاب رؤساء المجالس في البلديات.

– إصلاح الضرائب العربية.

– إعطاء ضمانات جديدة لاحترام الممتلكات الجزائرية.

1- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1054.

2-De la Martinière: «**Avant le voyage du président, la question indigène en Algérie au lendemain de la guerre**», R. D. M, t 8, Paris, 1922, p 333.

3- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 263-264.

4-«**Algérie**», A. F, bulletin mensuel du comité de l'Afrique Française et du comité du Maroc, Paris, 1916, p 43-44. وسعد الله: **نفسه**، ص 264-265.

- انتهاج سياسة ليبرالية واضحة تأخذ بعين الاعتبار عواطف الجزائريين ومصالح الفرنسيين.

ويتّضح من هذه التوصيات أن كليمنصو وليغ حاولا أن يُعدّلا قانون الجنسية لسنة 1865، وزيادة تمثيل الجزائريين بما يتلاءم مع مطالب الجزائريين خلال وفودهم وعرائضهم واحتجاجاتهم[1] منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى بداية القرن العشرين، وكانا يأملان من تلك التوصيات والإصلاحات وقف أي محاولة من الجزائريين في إرغام فرنسا على الاعتراف بحقوقهم الوطنية، لذلك حظيت رسالتهما بموافقة رئيس الوزراء الذي كان لديه هو الآخر مشروع خاص بالتمثيل المباشر للجزائريين داخل المجلس الوطني الفرنسي، أو في مجلس خاص يُنشأ في باريس لهذا الغرض.[2] كما كان ألبان روزي (Albin Rozet) من أنشط النواب بالمجلس الوطني الفرنسي وأكثرهم تصميما عل طرح القضايا الجزائرية للنقاش والدفاع عنها لصالح الأهالي، فقد طرح مشاريع وقوانين تخفف من قبضة الأقلية الأوربية على شؤون حياتهم، وإليه وإلى مجموعة من زملائه يرجع الفضل في استصدار مجموعة من المراسيم التي تلغي أو تخفف على الأقل من شدة القوانين الخاصة بالأهالي مثل الإبعاد الإداري والسلطات القمعية التي كانت للحكام، كما كانت مساعيه وراء استصدار إصلاحات 1919 مما جعل الأقلية الأوربية بالجزائر تقول عنه أنه مريع للفرنسيين ومفخرة للعرب وكنّته بعلي بن روزي.[3]

وفي نفس الاتجاه دعا جونار في نفس السنة بصفته عضوا في مجلس الشيوخ ونائب رئيس اللجنة الجديدة لدراسة الأوضاع في الجزائر إلى انتهاج سياسية أكثر ليبرالية وثقة بدراسة إصلاح الأحوال المعنوية والمادية للأهالي في البرلمان الفرنسي، والإدارة الجزائرية للبرهنة على "اعترافنا واهتمامنا"، واقترح دخولا تدريجيا للأهالي في الحقوق المدنية والسياسية، والمواطنة الفرنسية بنظام خاص لا يشترط التنازل عن الأحوال الشخصية، عن طريق توسيع القسم الانتخابي للأهالي، وإنشاء مجلس أعلى في باريس يضم بعض الممثلين الأهالي.[4]

1- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 265.

2- **نفسه**، ص 266-267.

3- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 227.

4-Jonnart: «**Pour l'Algérie**», A. F, bulletin mensuel du comité de l'Afrique Française et du comité du Maroc, Paris, 1915, p 267-268.

وتُوّجت هذه المشاريع الإصلاحية بقانون الرابع من فيفري سنة 1919 الذي جاء لمناقشة وتحديد وضع الجزائريين بالنسبة إلى الجنسية الفرنسية، وحق الترشح والتصويت، وغيرها من القضايا المتعلقة بالحقوق المدنية والسياسية[1] لكنه لم يلبِّ طموحات الجزائريين لاشتراطه التخلي عن الأحوال الشخصية للمسلمين مقابل الحصول على حقوق المواطنة، بالإضافة إلى شروط الانتخاب والتمثيل، والإبقاء على نظام الهيئتين الانتخابيتين، ورفض أي صلة مباشرة أو غير مباشرة مع فرنسا عن طريق التمثيل الأهلي في البرلمان الفرنسي،[2] لذلك يذهب أبو القاسم سعد الله إلى القول بأن الجميع لم يكونوا يرغبون في إصلاحات 1919، فالسلطات الفرنسية التي كانت قد وعدت وصاغت المشاريع الإصلاحية منذ سنة 1900 كانت تفعل ذلك لتهدئة الحركة الوطنية الجزائرية في أوقات كانت عصيبة بالنسبة لفرنسا، وعندما لم تكن هناك حاجة لهذه التهدئة فإن اهتمام الفرنسيين بالإصلاح في الجزائر يبرد.[3]

وبقيت نداءات الإصلاح متواصلة بعد قانون 1919 لكن دون أن تصل إلى المستوى التطبيقي لها بحكم نفوذ المعمرين، فقد صرح ألبير صارو (Alber Sarraut) وزير المستعمرات في 19 مارس 1924 داعيا إلى منح حق التمثيل لسكان المستعمرات: "أعتقد أن مسألة تمثيل المستعمرات قد طُرحت فعلا، وليس من المعقول أن نفرض على المستعمرات بذل تضحيات تساوي التضحيات التي يبذلها الفرنسيون دون أن نمنح الأهالي في مقابل ذلك عددا معيّنا من الحقوق والإعفاءات والحريات".[4]

– الغلاة المتطرفون:

منذ ظهور مشروع التجنيد الإجباري عارضه المعمرون واعتبروه وسيلة تُمكّن الجزائريين من الحصول على حقوقهم السياسية[5] وهو ما يُفقدهم سيطرتهم على الجزائر وسكانها، ويهدّدهم بالذوبان في المجتمع الجزائري بحكم غالبيته. ولذا اشتدت معارضتهم للمشروع من خلال سخط أعضاء المجالس المحلية الذين اعتبروه لا يراعي مصلحة فرنسا بمساواة الجزائريين بالمستوطنين، ومن خلال مناقشات مؤتمر

1- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 272.

2- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 88-89.

3- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 279.

4- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ص 619.

5- بلاسي: **المرجع السابق**، ص 32.

إفريقيا الشمالية المنعقد في 21 مارس 1908 التي أخذ فيها موضوع تجنيد الجزائريين حصة الأسد،[1] أين طُرح مشروع تجنيد الأفارقة السود لتعويض الجنود الجزائريين في الجزائر الذين يُنقلون إلى فرنسا وأبدى النائب أوجان إيتيان[2] (Eugène Etienne) تأييده لهذا المشروع لما فيه من أمن للمستوطنين والجزائر في ظل وجود الجنود الأفارقة.[3]

كما عارض المعمرون كل تغيير قد ينتج عنه إصلاح ما، ووقفوا ضد تعليم الجزائريين، وإلغاء الضرائب الخاصة بهم، وإنهاء قانون الأهالي، وتوزيع الأرباح والمصاريف، وتجنيس النخبة الجزائرية، ورفضوا السماح للجزائريين في المجالس البلدية أن يشاركوا في انتخاب رؤساء هذه المجالس، ونادوا بإجراءات اضطهادية أخرى للإبقاء على الحالة الراهنة وضمان الهدوء في الجزائر.[4] وقام المعمرون بنشر فكرة أن الشبان الجزائريين يزرعون الوطنية كعقيدة من خلال تأثرهم بالحزب الوطني المصري، وأنهم يُحضّرون لإخراج الغزاة الفرنسيين بهتافهم الجزائر للجزائريين، فالسماح لهم بالدخول في الحقوق السياسية من خلال الانتخاب يعني السماح لهم بإثارة حركة وطنية تتحرك ضد الاحتلال الفرنسي.[5] وسَمّوهم بالأهالي الثرثارين[6] لكثرة كلامهم عن الحقوق والمساواة، وسخرت الإدارة من نصف علمهم علمهم المقرون بالغرور، وعندما كانت ترى منهم الطموحين تنعتهم بالنخبة الناكرة للجميل التي تجب مراقبتها،[7] فالإدارة الاستعمارية اعتبرت بأن الجماهير الشعبية ليست ناضجة كفاية، واحتقرت محاولة تمثيلها من قبل الشبان "أصحاب الطربوش ونخبة الشهادات الدراسية"،[8] ودعت للحد من نشاطها خاصة فيما تعلق بمطلب المساواة في الحقوق مع تكريس سلطة المعمرين للحفاظ على استقرار المستعمرة،

1- بالحاج: **المرجع السابق**، ص 32.

2- من مواليد تلمسان سنة 1844، نائب في البرلمان عن وهران من سنة إلى 1888 إلى سنة 1919، تولى وزارة الداخلية سنة 1905 ثم وزارة الحرب سنة 1906، من المدافعين عن مصالح المستوطنين والمعارضين لكل مشروع إصلاحي يفيد الأهالي. أنظر: **نفسه**: هامش 1، ص 28. وزوزو: **الفكر السياسي**، ص 129.

3- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1069-1070.

4- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 93.

5- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1054-1055.

6- Ageron:« **Le mouvement jeune Algérien de 1900 à 1923**», p 9.

7- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1049.

8- **ibid**, p 1038.

وفي هذا المجال رأى لوسياني (Luciani) مدير المصالح الأهلية أن المهمة الاستعمارية لفرنسا محددة بإرضاء مصالح الأوربيين فقط.[1]

كما حاولت الحكومة الفرنسية التشكيك في مصداقية تمثيل الشبان الجزائريين للجماهير الشعبية فأوحت الإدارة الاستعمارية إلى "بني وي وي" الأعضاء في المجالس البلدية معارضة مطالب وفد الشبان في 08 جوان 1912 حيث صوتوا على لائحة عبّروا فيها عن ولائهم وإخلاصهم لفرنسا باعتبارهم الممثلين الوحيدين للأهالي الجزائريين.[2] وأوعزت إلى الممثلين الأهالي في المجلس النيابات المالية برفض مقترح الشبان الجزائريين والتأكيد على أن صفة المواطنة الفرنسية مرفوضة من المسلمين الجزائريين:" إن الساعة لم تحن بعد لكي يطلب المسلمون أن يكونوا مواطنين فرنسيين، وهم رعايا مخلصون لوطنهم بالتبني، مستعدون للتضحية بدمائهم في سبيله، ويشرفهم أن يساهموا في قوته وعظمته".[3]

ندّد البعض بالنخبة الكاذبة ذات الاستيعاب الثقافي الخاطئ، ووصفها بأنها شرذمة من ناكري الجميل والمنافقين الذين لا يُخفي إخلاصهم المزعوم، ولا تظاهرهم بالولاء مبلغ الكراهية التي يُضمرونها لفرنسا،[4] وفي سنة 1914 حذّر الجغرافي إميل غوتيي (Emile Gautier) من تحوّل المسلمين المتخرجين من المدارس الفرنسية إلى أعداء ألدّاء،[5] وشبّههم بطائفة المولّدين في مستعمرات العبيد قديما الذين يُشكلون مادة حركات التمرد والعصيان، غير أنه ميّز الجزائر بأن المولدين فيها كانوا بالمفهوم الثقافي، وهم الحاصلون على شهادة البكالوريا الذين يعانون بين مجتمعين فهم "لا يشبهون آباءهم، وهم لا يتبعوننا ولا يتبعونهم رغم أنهم يشبهوننا، فهل تريدون توجيه هذا التطور نحو انفجار مدمر؟"[6]

ويرى البعض بأن المسلمين غير مؤهلين للاندماج بصفة جماعية، وسوف يتحقق اندماجهم بوتيرة بطيئة جدا، وفي انتظار ذلك يجب أن يبقوا خاضعين للسيطرة الصارمة لأن التصرف معهم بليونة

1- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1054.

2- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 184. و Ageron: **Les Algériens musulmans,** t 2, p 1048.

3- Nouschi**: op-cit**, p 23-24.

4- برفيلي: **المرجع السابق**، ص 120.

5- Gautier**: op-cit**, p 54.

6- **ibid**, p 55.

يعني الاستهتار بقيمة الجنسية الفرنسية.[1] واستصعب البعض الآخر مطلب الحصول على المواطنة مع الاحتفاظ بالقانون الخاص بالنسبة للمسلمين بحجة أن نظرية الاندماج ترتكز أساسا على عدم التوافق بين الحالتين،[2] كما تخوفوا من أن التمتع بحقوق المواطنة في إطار القانون الخاص يفتح الطريق نحو الانفصال لأنه يضع الجزائر بين أيدي أغلبية أهلية معادية للمشروع الاندماجي،[3] فمطلب المساواة يؤدي إلى إعادة النظر في النظام الاستعماري[4] حسب تعبير جيلبير مينيي.

فالسلطة الاستعمارية كانت ترفض قضية التمثيل العادل لأنه كان مقترنا دائما لديها بزوال الوجود الفرنسي ذاته، فأسلوب الشبان لا يساعد السلطة الفرنسية على إمكانية استمرارها في الجزائر فضلا عن أنه يُفضي إلى اكتساح الأهالي جميع المجالس المنتخبة بناءً على قانون العدد،[5] فاعتبرت سياسة سياسة الإدماج وإعطاء نفس الحقوق للجزائريين خطرا حقيقيا على المستعمرة يضع الأوربيين تحت سيطرتهم.[6]

وكانت إصلاحات 1919 تسبّبت في موجة سخط واسعة داخل الجزائر حيث صدرت الاحتجاجات من كل الجهات، ويذكر فرحات عباس أن شيخ البلدية في هيليوبوليس (قالمة) رمى بنص الإصلاح على الأرض وراح يدوسه بقدميه، ويصرّح "هذا ما أفعله بقانونكم"[7] موجّها كلامه إلى الحكومة الفرنسية، كما وقف حكام العمالات والمعمرون ضد الإصلاحات وشكّلوا وفدا إلى كليمنصو، وأعلنوا له أن الجزائر ستكون في النار والدم إذا مرت تلك الإصلاحات،[8] كما عقد رؤساء بلديات الجزائر مؤتمرا في 27 ماي 1920 رفضوا فيه الإصلاحات وطالبوا بالعودة إلى سياسة جزائرية أكثر

1- برفيلي: **المرجع السابق**، ص 130.

2- **نفسه**، ص 133.

3- **نفسه**، ص 136.

4- Meynier: **op-cit**, p 226.

5- ثنيو: **إشكالية الدولة**، ص 72.

6-H Lavion: **L'Algérie musulmane dans le passé, le présent et l'avenir**, Augustin challamel éditeur, éditeur, paris, 1914, p 205.

7- عباس: **المرجع السابق**، ص 111.

8- Ageron:« **Le mouvement jeune Algérien de 1900 à 1923**», p 10.

عقلانية تراعي أمن سكان المناطق الداخلية،[1] بقيادة النائب غابريال أبو[2] (Gabriel Abbo) الذي احتج بشدة ضد الحقوق الانتخابية الممنوحة للأهالي، وهدّد بالثورة عليها مُبرّرا موقفه بأنها قوانين صُوِّت عليها خارج الجزائر بواسطة هيئات لا تعرف الجزائر ولا الجزائريين،[3] واعتبر بأن كل تمثيل للأهالي من شأنه أن يوقف عملية الفرنسة، وصرّح:" إن مضاعفة الحقوق السياسية وتمثيل الأهالي في إطار قانون أحوالهم الشخصية معناه القضاء على التوازن القائم، ومعارضتهم النهائية ضمن الكفاح العنيف من أجل التحكم في الشؤون العمومية".[4]

ومن جهته عرض مورينو (Morinaud) –نائب عن قسنطينة– منذ سنة 1920 برنامجا مشابها لبرنامج زملائه رؤساء البلديات والمندوبين الفرنسيين وممثلي الجزائر في البرلمان من الفرنسيين رفض فيه الادماج وشجّع على زيادة الإسكان الأوربي بالجزائر، وإنشاء الحاميات العسكرية القوية، وتنظيم أمن الأشخاص والممتلكات، أي يعمل لأجل تحسين أوضاع المعمرين دون أن يقدم أدنى تعويضات للجزائريين، ورد على دعاة الإصلاح بأن "المعمرين هم أفضل أصدقاء للأهالي، وأنهم يعاملونهم كما يجب أن يُعاملوا".[5]

وكان لمؤتمر رؤساء بلديات الجزائر قوة ونفوذ كونه صادر عن أساطين الاستعمار المتحكمين في الجزائر أرضا وشعبا حيث خرج ببيان أقرّته بالإجماع (246) بلدية نص على إلغاء قانون جونار (المشؤوم)، ونادى بإعادة السلطات التأديبية والعمل برخص التنقل والحجز الإداري.[6] وتمكن المعمرون المعمرون من إفشال إصلاحات 1919 بحكم سيطرتهم على غالبية المندوبيات المالية وإدارة البلديات، وتشكيلهم الأغلبية في المجالس العامة، وتمثيلهم وحدهم في غرفة النواب ومجلس الشيوخ مما جعل الجزائر

---

1 -Nouschi: **op-cit**, p 55.

2- نائب برلماني ومستشار ولائي ورئيس بلدية أبو (سيدي داود) منذ سنة 1919 ورئيس فيدرالية رؤساء بلديات الجزائر ونائب رؤساء البلديات البلديات بفرنسا، شديد المعارضة لإصلاحات 1919 ولقانون التجنيد الإجباري خوفا من منح الحقوق للجزائريين، نائب بالمجلس الجزائري المؤسس سنة 1947 حتى وفاته سنة 1954. أنظر: زوزو: **الفكر السياسي**، ص 131.

3-Ageron: «**Enquête sur les origines du nationalisme Algérien**», p 22.

4- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ص 619.

5- Noushi: **op-cit**, p 57.

6- Ageron: «**Enquête sur les origines du nationalisme Algérien**», marge 32, p 22.

تحت تصرفهم يسيّروها حسب مشيئتهم، ويمنعون السلطة المركزية من لمس شؤون المستعمرة حتى ولو كان لمسا خفيفا.[1]

فالمعمرون كانوا معادين لكل ما يأتي من فرنسا لصالح الأهالي إذ كتب فرحات عباس:" لما أسّست فرنسا قانون الخدمة العسكرية للأهالي قاصدة بذلك إشراكهم في حياتها الوطنية كانت المستعمرة (المعمرون) معادية لهذه الخدمة، وكانت فرنسا قد أعطتنا قوانين 4 فيراير 1919، فكانت المستعمرة معادية لهذه القوانين، وتفكر فرنسا في تمثيل الأهالي في البرلمان ولكن المستعمرة تعادي هذا التمثيل".[2] وستبقى المستعمرة تعادي كل مشروع إصلاحي حتى تقوم الثورة التحريرية وتنهي عهد الإصلاحات.

1- عباس: المرجع السابق، ص 32.

2- عباس: المرجع السابق، ص 118.

الفصل الثالث

1-إرهاصات فكر المحافظين مطلع القرن 20م

2- قضايا الجزائريين في فكر المحافظين

2-1- موقفهم من تجنيد الجزائريين

- سي امحمد ابن رحال

- عبد الحليم ابن سماية

- عمر ابن قدور

- عمر راسم

- جريدة الحق الوهراني

2-2- موقفهم من التجنّس والاندماج

- معارضة التجنس والاندماج
- التمسك بالانتماء القومي العربي الإسلامي

2-3- موقفهم من التمثيل النيابي والانتخابات

2-4- التعليم في فكر المحافظين الإصلاحيين

- الدعوة للتعليم العربي
- تحرير العقل الجزائري من المعتقدات الفاسدة

3- الإدارة الاستعمارية وفكر المحافظين الإصلاحي

رغم عمل السلطات الاستعمارية على محاربة اللغة العربية والثقافة الإسلامية في إطار سياستها التدميرية لبنية المجتمع الجزائري بقصد الادماج إلا أن الجزائريين اعتصموا بالزوايا والمساجد لتعلّم لغتهم الوطنية مُجسّدين بذلك نوعا من المقاومة الفكرية والثقافية للحفاظ على الشخصية الجزائرية من الذوبان والانحلال، كما دعّموا معارفهم في مجال الدراسات العربية والإسلامية في معاهد وجامعات الدول العربية كتونس ومصر نظرا لاحتكار الاستعمار الفرنسي للتعليم العالي في الجزائر فتشكّلت بذلك نواة لنخبة جزائرية معربة تؤمن بانتمائها العربي والإسلامي وتعتز به، وتناضل من أجل حماية مقومات المجتمع الجزائري في وجه الاستعمار وفي وجه التيار الاندماجي الذي نادى بالتجنس والذوبان في المجتمع الفرنسي.

وقد بدأت الأصوات المنادية بإصلاح التعليم العربي واحترام القضاء الإسلامي والمحافظة على مقومات المجتمع الجزائري منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهي في غالبها ذات تكوين تقليدي حاولت التعبير عن انشغالات المجتمع الجزائري، والدفاع عن مصالحه في وجه القوانين التعسفية التي حاولت طمس معالم شخصيته مُجسِّدة بذلك تمثيل الرأي العام الوطني أمام السلطات الاستعمارية ومحاورتها انطلاقا من تكوينها الديني وحفاظها على تقاليدها الوطنية واحترامها للشريعة الإسلامية، وهذا ما ساهم في التأسيس لفكر إصلاحي محافظ في الجزائر مع مطلع القرن العشرين.

1-إرهاصات فكر المحافظين مطلع القرن 20م:

ظهرت بدايات المطالبة بالإصلاح مع توسع الاستعمار الفرنسي وكثرة قوانينه التعسفية خاصة تلك التي كانت تناقض اتفاق سنة 1830، وموجّهة ضد اللغة العربية والدين الإسلامي باعتبارهما أهم مقومات الأمة الجزائرية وركائز المقاومة الوطنية المسلحة الشيء الذي أثار حفيظة رجال الدين الذين واجهوا منذ بداية الاحتلال الإدارة الاستعمارية بشأن حق تعلّم اللغة العربية وحرية ممارسة الشعائر الإسلامية واحترامها مما أنتج مقاومة فكرية وثقافية في ظل التفوق العسكري الفرنسي دلّت على عدم فقدان الأمة الجزائرية للثقة بالنفس[1] المستمدة من العقيدة الإسلامية، وقد كتب مارسيل إميري (Marcel Emerit) الأستاذ بكلية الآداب بمدينة الجزائر أنه رغم تأخر الجزائر فإن التربية الإسلامية أعطتها حيوية كبيرة أخلاقياً[2] وهوما سمح لها بالاستمرار في المحافظة على طابعها العربي الإسلامي، ومجابهة محاولات الإدماج.

وقد عرفت بداية القرن العشرين نشاط أهل المدن للحصول على امتيازات من الفرنسيين عن طريق الوسائل السلمية، وربضت المعارضة للحكم الفرنسي في تعابير دينية مرتكزة على ثلّة كبيرة من علماء القطر الجزائري الذين يحملون في دخيلتهم روحا دينية صادقة، ووطنية متدفقة، كانوا قد نشروا قدرا كبيرا من الوعي الوطني الثوري كالمجاوي وحمدان لونيسي وعبد الحليم ابن سماية وعمر راسم وعمر ابن قدور، وقد تبلورت تلك الجهود في ظهور حركة سياسية ناهضة ولكنها دون نظام حزبي بتأثير القومية الإسلامية، أخذت شكل حركة اجتماعية أكثر منها سياسية.[3] حيث ركّزت على التعليم العربي، ومحاربة البدع والخرافات وفكرة القدرية، واهتمت بالإنعاش الثقافي بواسطة وسائل عديدة جعلتها ركائز في عملية الدعوة والتغيير التي تنشدها سواء ما ظهر في الصحافة والكتابة أو القول المباشر، والخطاب الدعوي، وترشيد دور التعليم والكتاتيب

1- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 37.

2- Emerit: **Op-cit**,, p 212.

3- بن العقون: **المرجع السابق**، ص 29-30.

والمساجد ونحوها من مؤسسات التربية التي ظلت سارية المفعول برغم المراقبة الشديدة التي كانت مفروضة.[1]

ومن منطلق المحافظة على بنية المجتمع الجزائري الثقافية عارض الجزائريون التعليم الفرنسي وسمّوه بمدارس الشيطان، وفي لجنة فرنسية للتحقيق سنة 1900 أجمع الأعيان على رفض المدارس الفرنسية الموجودة، وطالبوا بتحويلها إلى مدارس متخصصة، واقترحوا تعيين أساتذة عرب للمدارس العربية لتدريس اللغة العربية والقرآن، وفي تلمسان تمت المطالبة بتعليم ثانوي بأساتذة عرب،[2] مما يعكس سياسة المقاطعة إزاء المحتل فيما يتعلق بمقومات الشخصية الوطنية، فقد شعر الجزائريون بالخطر على الإنسان المسلم وعقيدته جرّاء الدخول في علاقات مع سلطات الاحتلال كنوع من المقاومة السياسية السلبية حسب تعبير جمال قنان الذي يرى أنه من غير الصواب أن نترع عن هذا الموقف وجهه السياسي ونعتبره مجرّد موقف ديني فقط، فقد كان عنصر المقاطعة ثابتا في عملية تصدّي الشعب الجزائري لعدوه، كما يعود لهذا الموقف الفضل في إفشال عملية التمسيح وتذويب الشخصية الوطنية التي مارسها الاستعمار.[3]

وكانت الأوساط التقليدية قد تظاهرت بعرائض حول كل القضايا التي تمس المسلمين لأنها تميزت بتعلّقها الشديد بالإسلام، ففي عريضة لأهالي قسنطينة سنة 1895 عبّر السكان عن رغبتهم الكبيرة والتي يتمسكون بها هي المحافظة على شريعتهم[4] بما تحمله من نظم وقوانين وهوية وانتماء، وفي عريضة سنة 1887 التي ضمّت مستشارين بلدين ورجال إفتاء ورجال صناعة وأساتذة ورجال فكر كالشيخ عبد القادر المجاوي والشيخ حمدان لونيسي[5] أعلن سكان قسنطينة أنهم ليسوا

1- مريوش: «**بوادر الانشطار في فكر النخبة الليبرالية**..، ص 95.

2- Charles: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 928.

3- قنان: **قضايا ودراسات**، ص 165.

4- Charles: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1025.

5- الأشرف: **المرجع السابق**، ص 241.

على استعداد لقبول الجنسية الفرنسية بالرغم من مزاياها، ولكن الذي يرغبون فيه هو الحفاظ على شخصيتهم المتميزة في ظل قوانينهم وتقاليدهم وأعرافهم، وأنهم لا يريدون بديلا عن ذلك،[1] وقد جسّد هذا الموقف اعتزازا بالهوية الجزائرية أمام الإغراءات الفرنسية الرامية إلى الاندماج، كما مثّل الموقف ذاته تيّارا سياسيا بمعنى الكلمة،[2] حيث برز من هذه العريضة تراث قومي ذي طابع ثقافي وسياسي معا ترعرع في وسط متمسك بلغته وحريص على مقومات المجتمع الأساسية ومصرٌّ على مطالبة فرنسا باحترام ما تعهّدت به.[3]

كما تجلّت مقاومة الإصلاحيين في مجال القضاء الإسلامي الذي أُدرج ضمن المنظومة القضائية الاستعمارية منذ بداية الاحتلال لإبعاد المسلمين الجزائريين عن أحكام شريعتهم الإسلامية وإخضاعهم للقوانين الفرنسية حيث حاول بعض أعيان الجزائر التخفيف من وطأتها والمطالبة ببعض الإصلاحات، ومنهم سي امحمد ابن رحال الذي ناضل من أجل إعادة الاعتبار للعدالة الإسلامية والاهتمام بقضاتها وتجلى ذلك في ما قدّمه من مطالب لممثلي الحكومة الفرنسية في فرنسا والجزائر، فقد سافر لباريس سنة 1891 مع الحكيم محمد ابن العربي، وقدّما عرضا أمام مجلس الشيوخ بشأن القضاء الإسلامي في 18 جويلية 1891 طالبا فيه «بالعودة إلى العدالة الميسّرة البسيطة لقضائنا»،[4] كما طالبا بنشر التعليم مع الاعتناء باللغة العربية والعودة إلى أصول الفقه الإسلامي، والتراجع عن قرار حل المحاكم الإسلامية، ورفض التجنيد الإجباري والجنسية الفرنسية لما ينجرّ عنها من تركٍ للشريعة الإسلامية التي التزمت فرنسا باحترامها.[5]

وقد حاول المصلحون الحفاظ على الكيان الإسلامي، وصون اللسان العربي أو ما يسمى بالوطن الروحي من الزوال والاندثار نتيجة الممارسات الاستعمارية الاندماجية حيث أصبح

1- قنان: **قضايا ودراسات**، ص 171.

2- **نفسه**، ص 174.

3- الأشرف: **المرجع السابق**، ص 242.

4-سي امحمد بن رحال: **مستقبل الإسلام وكتابات أخرى**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص 10-11.

5- مريوش: «**ثقافة المقاومة ونماذج من عرائض الأهالي الجزائريين..**»، ص 127.

الإسلام غريبا في دياره[1] ذلك أن الجزائر عانت ضغطا استعماريا شمل كل الميادين مما تطلّب العمل لأجل ترميمها، فكان خطاب الحركة الإصلاحية الديني والسياسي رداً فعليا على السياسة الفرنسية في الجزائر وفي فرنسا ساهم في بلورة فكر ونسق يُخرجهما من التخلف ومن موقع استعادة الأفكار الإسلامية، وتوظيفها لعصر النهضة العربية الحديثة، والتصدي في الوقت ذاته للوجود الفرنسي، واستيعاب دروسه وتجاربه السياسية أيضا، أي المقاومة والحوار، فقد حاول الإسلام الإصلاحي مناهضة الاستعمار والتخلف الحضاري، أي المفهوم التقدمي.[2]

ومنذ مطلع القرن العشرين تساءل المثقفون الجزائريون عن أسباب ضعف مقوّماهم الذاتية وانهزامها أمام الحضارة الغربية، فأدّت هذه النظرة النقدية للذاتية الحضارية إلى تولّد الشعور بضرورة إصلاح الأمور، وهو ما واكب تبلور الوعي بأهمية النضال السياسي،[3] وكان المصلحون قد شعروا باختلافهم عن المجتمع الفرنسي، وأنهم ليسوا أفرادا داخل دولتهم، ولا يشعرون بأنهم مواطنون ولا حتى أنصاف مواطنين، بل غرباء على الدولة التي تحكمهم أو بالأصح أن الدولة هي الغريبة عنهم وهي الدخيلة.[4] فهذا الشعور بالغربة هو الذي ولّد المقاومة على الصعيد الفكري، ووجّه نحو الاحتماء بمقومات الشخصية الجزائرية للمحافظة على الذات والذود عنها.

فرُوّاد الحركة الإصلاحية أدركوا أن الاعتماد على عنصر الدين الإسلامي وإحياء اللغة العربية من شأنه أن يضمن نهضة فكرية وثقافية في الجزائر تُفضي بالضرورة إلى الوعي بمكانة الجزائريين وتمايزهم عن المعمرين مما يُعزّز فكرة الشخصية الجزائرية المستقلة، ويضمن إبعاد الجماهير عن السياسة الاستعمارية الرّامية إلى إذابتها في المجتمع الفرنسي، فالتجربة الإصلاحية الإسلامية

1- امحمد دراوي: **الجزائر والجامعة الإسلامية 1876-1924**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر 2، (2007-2008)، ص 103.

2- ثنيو: **إشكالية الدولة في الحركة الوطنية الجزائرية**، هامش 3، ص 301.

3- قنان: **قضايا ودراسات**، ص 179.

4- خيثر: **المرجع السابق**، ص 29.

الحديثة هي التماس الدين من أجل إصلاح الوضع العام[1] من خلال معارضة التغيرات الطارئة على المجتمع الجزائري خوفا من دمجه مع إرادة التغيير داخل الإطار العربي الإسلامي،[2] فالإسلام كعقيدة متحكمة في الجزائريين كان الحصن الذي حماهم من الانهزام النفسي الفكري، والذوبان في المجتمع الأوربي الغازي بعد أن انهزموا عسكريا وسياسيا أمامه، وبقي القرآن هو رمز العداء المستحكم بين الأهالي والفرنسيين، والهوّة السحيقة بين المجتمعين والتي لا يمكن ردمها،[3] فخميرة الترعة الإصلاحية كانت متوفرة في الاستعداد المتواصل للنهوض وإعادة النظر في واقع حال الدين والعادات الاجتماعية.[4]

فالجيل الأول من الحركات الوطنية في المغرب العربي اتخذ موضوع الإصلاح منطلقا للتفكير وموضوعا للتعبئة من أجل التحسيس بالظاهرة الاستعمارية وإعمال وعي مخاطرها السياسية، سيّما في مجال المس بالهوية ومقوّمات الشخصية المغربية، وذلك قبل أن ترتقي الإصلاحية إلى تيار فكري وإيديولوجي فاعل، ووازن في تأطير النضال الوطني وتوجيه نخبه وحركاته مع الثلاثينيات من القرن العشرين،[5] فأقطاب الإصلاح أحسّوا بوطأة العنف الاستعماري على مقومات الأمة التي تشكل مصدر الاعتزاز، وتُعزّز الانتماء إلى حضارة سامية قادرة على النهوض والتحديث لذلك جعلوا الاهتمام به من أولويات نشاطهم. وفي الجزائر التي كان المساس بالهوية ومقوماتها الدينية واللغوية أطول مدةً وأكثر تأثيراً سيتصدّر بُعد الدفاع عن الشخصية الجزائرية وانتمائها العربي الإسلامي خطاب الحركة الوطنية ومقرّراتها، وسيُعتمد الدين لتعبئة المعارك الوطنية واستنهاض إحساس ووعي المجتمع، ويغدو الأرضية الإيديولوجية الأكثر قدرة وتأهيلا منذ النصف الثاني من القرن

1- ثنيو: **إشكالية الدولة في الحركة الوطنية الجزائرية**، هامش 13 ص 305.

2- ابراهيم مهديد: **القطاع الوهراني ما بين 1850-1919، دراسة حول المجتمع الجزائري، الثقافة والهوية الوطنية**، منشورات دار الأديب، وهران، 2006، ص 130.

3- خيثر: **المرجع السابق**، ص 28.

4- ثنيو: **إشكالية الدولة في الحركة الوطنية الجزائرية**، ص 301.

5- امحمد مالكي: **الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي**، ط 2، م .د.و.ع، بيروت، 1994، ص 245.

التاسع عشر.[1] وهو الذي يعطي للنشاط السياسي للمحافظين القيّم الأخلاقية المتميزة باعتباره المقوّم الأول لعملهم.[2]

وقد بقي الإسلام ثابتا أمام التعسف الاستعماري، وشكّل بالنسبة للجزائريين قضية وعي أكثر منه قوانين تنظم حياة المسلمين، وتطور أكثر مع بداية ظهور الوطنية الحديثة بالموازاة مع تطور العالم العربي والإسلامي[3] في مطلع القرن العشرين وتأثّر الجزائريين الذين درسوا بجامعات المشرق بالأفكار الإصلاحية، بالإضافة إلى ما كانت تحمله الصحف المشرقية من دعاية لصالح الجامعة الإسلامية، ودعوتها للجزائريين إلى رفض التغريب والاحتفاظ بأحوالهم الشخصية الإسلامية في وجه التجنّس.[4] فالوعي بأمة جزائرية حسب جيلبير مينيي بدأ بالاعتماد على تعلّم السلفية التي أعطت ختم الإسلام إلى وطنية جزائرية صرفة -بعد تراجع الدولة العثمانية- بتزويدها بترياق ضد الميل إلى النموذج الثقافي الفرنسي مما جعل الجزائر ناضجة للدخول في خطاب جديد تسيطر عليه فكرة تجسيد الخصوصية الجزائرية وهي الإصلاح بعد عود الإصلاحيين من جامعات الشرق حاملين معهم مفاهيم السلفية.[5] ولكن تجدر الإشارة إلى أن الوعي بمفهوم الأمة الجزائرية أسبق مما ذهب إليه مينيي ويعود إلى أفكار حمدان خوجة ومقاومة الأمير عبد القادر وغيرهما من الجيل الأول للمقاومة الوطنية بمختلف أشكالها.

ومع مطلع القرن العشرين كان زعماء الإصلاح يؤمنون بأن المجتمع يجب أن يمر بمرحلة تحضير وتربية، والإسلام أحسن كفيل بذلك من خلال التركيز على التعلم واليقظة باستعمال الصحافة والعرائض والوفود، وكانت حركتهم حركة إسلامية مبنية على الإصلاح الديني نشرها في الجزائر محمد بن مصطفى بن الخوجة (1849-1917) مستمدة من أفكار محمد عبده

1- مالكي: **المرجع السابق**، ص 266.

2-احميدة عميراوي: **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث**، ط 2، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 110-111.

3- Meynier: **op-cit**, p 245.

4- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 115-116.

5- Meynier: **op-cit**, p 625.

والأفغاني، وكذلك حركة الجامعة الإسلامية،[1] بالإضافة إلى الرّواد المصلحين الآخرين كعبد القادر المجاوي وعبد الحليم ابن سماية وعباس ابن حمانة وغيرهم من الذين برز نشاطهم في المدن الكبرى خاصة في الشرق الجزائري حيث كان العنصر القسنطيني مهم، عمل على المستوى التحديثي أكثر من اللازم، فهو زاد من حدة الوطنية الجزائرية تحت إدارة العلماء المصلحين، والدور التحديثي لسكان قسنطينة قديم وقبل الحرب العالمية الأولى، فالشيخ عبد الحميد ابن باديس بدأ وعظه منذ سنة 1911، وأسس أول مدرسة إصلاحية سنة 1912، كما أن فكرة مجلس للعلماء أُحدثت قبل سنة 1914.[2] وبالإضافة إلى مدينة الجزائر كانت تلمسان تؤثر في الاستيقاظ فهي عاصمة دينية للجزائر المسلمة، وكانت الحاجة إلى إصلاحات تقلق الجيل الجديد الذي أخذ شكلا دينيا وفلسفيا،[3] وبدأ يتداول قضايا الجزائريين ومعاناتهم في ظل السياسة الاستعمارية.

وقد تزعمت المحافظين شخصيات ذات ثقافة دينية ونزعة إسلامية أرادت الحفاظ على صالة الطابع العربي الإسلامي للجزائريين مع الاستفادة من تجارب الأوربيين وعلومهم[4] وكانوا مؤيّدين متحمّسين للوطنية والجامعة الإسلامية، رافضين لفكرة التجنّس وللخدمة العسكرية تحت العلم الفرنسي والتجديد على الطريقة الغربية،[5] معتمِدين في نشاطهم الإصلاحي على جانبين رئيسيين أحدهما يبتغي التخلص من الزوائد والإضافات والبدع الفاسدة، والآخر يريد أن يستنّ لنفسه سنناً وعادات حميدة من أجل إعادة ترتيب العلاقة بين الإسلام والحياة الإنسانية الحديثة، فالجانبان متلازمان لأنهما يُواجهان طرفين مختلفين: الأول الطرقية ويجب تخطيها بالعودة إلى إسلام ما قبل الطرق والمذاهب، والثاني هو الحياة الحديثة في كل تجلّياتها المدنية والاجتماعية والسياسية بقصد التكيف معها والانخراط الواعي في العمل السياسي.[6] وفي هذا المجال نشر محمد السعيد بن زكري

1- ابن العقون: **المرجع السابق**، ص 157-158.

2- Ageron:« **Le mouvement jeune Algérien de 1900 à 1923**», p 11.

3- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1032.

4- سعد الله: **خلاصة تاريخ الجزائر**، ص 98.

5- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 46.

6- ثنيو: **إشكالية الدولة في الحركة الوطنية الجزائرية**، هامش 13 ص 300.

زكري سنة 1904 كتابا بعنوان "أوضح الدلائل في إصلاح الزوايا ببلاد القبائل" حيث روّج لمفهوم أساسي للإصلاحيين وهو الكفاح ضد الشرك،[1] وضمّنه نقد الأوضاع الاجتماعية والتعليمية، وطريقة التعليم الإسلامي، ودعا إلى تجديد برامج الزوايا.[2] فقد عملت الانتلجنسيا المحافظة لأجل التحرك إيجابيا داخل مجتمعها العربي الإسلامي، ووسط نظام استعماري فكان دورها كوسيط بين المجتمع الذي تمثله ورموز السلطة الاستعمارية، وسيتعزّز دورها لخوض غمار الحوار والمحافظة للنهوض بمجتمعهم سياسيا، ثقافيا واجتماعيا.[3]

وعلى غرار النخبة الاندماجية بدأ المحافظون يتحركون لصالح قضايا الجزائريين، ويقصدون الهيئات الإدارية الاستعمارية للتعريف بها فاستغلوا زيارة الرئيس الفرنسي لوبي (Emile Loubet) إلى الجزائر سنة 1903 وقدّموا عريضة مطالب[4] تعكس الوضع الشاذ الذي كان الجزائريون خاضعين له حيث نادت بإلغاء بعض القوانين الاستعمارية وتخفيف البعض الآخر، كما طوّروا ككتلة برنامجا يصب في التغيير في الإطار العربي والإسلامي من خلال تنظيم المدارس العربية، والمساواة في الحقوق السياسية، وعدم التدخل في العادات والتقاليد الجزائرية، بينما طالب فريق منهم بالإصلاح بكل الوسائل إلى حد تشجع التعليم بالفرنسية وحمل رسالة فرنسا الحضارية في الجزائر لأن المجتمع الجزائري كان في أحط الدرجات من التدهور كابن الموهوب، المجاوي، ابن رحال، وابن سماية.[5] وقد اشتمل برنامج المحافظين على مايلي:[6]

- المساواة في التمثيل النيابي بين الجزائريين والكولون.

1- Meynier**: op-cit**, p 247.

2- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954**، ج 6، ص 163.

3-ابراهيم مهديد: **الطرح الوطني في الفكر السياسي عند محمد بن رحال الندرومي نهاية القرن 19 وبداية القرن 20**، التراث العلمي والثقافي لمدينة ندرومة ونواحيها، الجمعية الموحدية المحافظة على التراث التاريخي والثقافي، ندرومة، دار السبيل للنشر والتوزيع، د ت، ص 246.

4- تمثلت في: – الحفاظ على ملكية الأهالي وإلغاء الاستغلالات الاستعمارية – فتح الغابات للرعي – تعديل قانون الغابات.

– إلغاء قانون المسؤولية الجماعية في الحرائق – تخفيف الضرائب وتقسيمها بالعدل – إلغاء المحاكم الاستثنائية.

– الاهتمام باللغة العربية مثل اللغة الفرنسية – فتح مدارس مهنية ودمج الشباب المسلم في المدارس العليا.

أنظر:: Ageron, **Les Algériens musulmans** t 2, p 1028-1029.

5- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 148.

6- نفسه، ص 146.

- المساواة في الضرائب والفوائد من الميزانية.

- الدعوة إلى الجامعة الإسلامية.

- معارضة التجنيس والتجنيد العسكري الإجباري.

- إلغاء قانون الأهالي وكل الإجراءات الأخرى التعسفية.

- استرجاع العمل بنظام القضاء الإسلامي.

- احترام التقاليد والعادات الجزائرية.

- نشر وإصلاح وسائل تعليم اللغة العربية.

- عدم استعمال العنف.

- حرية الهجرة، ولا سيما نحو الشرق الأدنى.

والملاحظ على هذا البرنامج أنه يعكس رغبة أصحابه في المحافظة على الشخصية الجزائرية بكل مقوّماتها، ويُبرز عناصر المقاومة لكل القوانين الاستعمارية، فقد حرص المحافظون بحكم مرجعيتهم الثقافية العربية الإسلامية على أسس المجتمع وقيمه، ومن هذا المنطلق عارضوا مناهج المدرسة الفرنسية ومختلف سياساتها تجاه الجزائريين كالتجنيس والادماج والتجنيد الإجباري، ورأوا فيها خطرا على العقيدة الإسلامية ليس على المجندين فحسب في دينهم وشخصيتهم الإسلامية، بل سيقع ادماجهم بالأمة الفرنسية وبالتالي سيتخلون عن أصلهم ومبادئهم الإسلامية،[1] وهو ما من شأنه أن يُفقدهم لعنصر المقاومة في أبسط صورها. لذلك برز نشاطهم بالموازاة مع السياسة الاستعمارية من خلال قوانينها المختلفة واتخذوا مواقف منها أبانت عن فكر سياسي محافظ يدعو للإصلاح في إطار الحضارة العربية الإسلامية، وساهم في الحد من محاولة الاندماجين احتكار تمثيل الجزائريين أمام الإدارة الاستعمارية، ذلك أن التقليديين كانوا يُعبّرون عن عواطف الجماهير، وكانوا في مستوى استحقاق شعبهم لأنهم كانوا الحارس اليقظ، وقالوا حتى في يأسهم بأن أمل

1- صافر: **حركة الشبان الجزائريين**، ص 39.

الشعب لا يُقهر.[1] وقد كان لوجود هذه الفئة من المتشبعين بالثقافة العربية الإسلامية أو مزدوجي اللغة ضمن حركة النهضة نتائج حاسمة تمثلت في خلق توازن في القوى السياسية داخل الحركة الوطنية.[2]

2- قضايا الجزائريين في فكر المحافظين:

حاول المحافظون الدفاع على حقوق الجماهير الجزائرية أمام سلطات الاستعمار، الحصول على شرعية تمثيلهم بما يحفظ شخصيتهم ومقوماتهم.

2-1- موقفهم من تجنيد الجزائريين:

كانت مسألة تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي من المسائل المهمة التي فتحت باب النقاش أمام النخبة الجزائرية، وفسحت لها المجال لولوج النضال السياسي في إطاره المطلبي، وكان لرجال الإصلاح دور بارز في طرح هذه القضية أما الإدارة الاستعمارية سواء في الجزائر أو الميتروبول، وكانت النخبة المحافظة بحكم تكوينها الفكري والديني قد دعت إلى إسلامية الجزائر وعروبتها، وإلى الحفاظ على هويتها الحضارية، ومن هذا المنطلق رفضت القوانين التعسفية وعلى رأسها قانون التجنيد الإجباري [3] منذ ظهوره كمشروع سنة 1907 لتعزيز قدرات الجيش الفرنسي، واستند المحافظون في رفضهم للتجنيد إلى الدين والشعور الوطني، فالدين لا يُجيز لهم القتال تحت راية دولة غير مسلمة، ولا يُجيز لهم مقاتلة إخوانهم المسلمين في المغرب الأقصى أو محاربة الخلافة الإسلامية ممثّلة في الدولة العثمانية، كما رأى بعضهم أن إرسال أولادهم إلى أماكن أخرى وهم مازالوا صغاراً يُشكّل خطرا على دينهم وأخلاقهم والتزاماتهم الدينية.[4] وكان تخوف المحافظين على الدين الإسلامي لدى المجنّدين في محلِّه، لأن الفرنسيين أدركوا أن الجزائريين متمسكون بدينهم، وعلى أساسه رفضوا التمسيح لذلك عمدوا إلى محاولة صرف نظرهم عن كل فكرة دينية بإخضاعهم

1- Ageron: **Les Algériens musulmans**, t 2, p 1027.

2- مهديد: «**النخبة التلمسانية ودورها الثقافي والسياسي**، ص 185-186.

3- بريون: **المرجع السابق**، ص 84.

4- خيثر: **المرجع السابق**، ص 45.

للخدمة العسكرية الإجبارية مما يجعلهم يضطرّون للتعلّم من فرنسا، وتقدير المدرسة الكبيرة (الجيش الفرنسي).[1]

فالعامل الديني كان وراء رفض الجزائريين للتجنيد الإجباري حيث انتفضت العائلات الجزائرية في مختلف مناطق الوطن ضد هذا العبء الجديد في شكل مظاهرات وهجرات وعرائض احتجاجية، زمنها عريضة أرسلها سكان مدينة المدية سنة 1911 إلى الهيئة التشريعية بباريس ورد فيها أن قبول الخدمة العسكرية الإجبارية ليس مبعثه التعصب ولا العصيان لأوامر الحكومة، ولكن لأنه يمس بديننا، فالمجنّد يقوم بأعمال تُحرّمها الشريعة كإهمال واجباته الدينية اضطرارا، ومحاربة إخوانه في الدين، وليس هناك إنسان يقبل الخضوع لتنفيذ أمر يهدف إلى مقاتلة مواطنيه وابناء دينه، فالخدمة العسكرية ضرر خطير من الناحية الدينية.[2]

ومع بداية عمليات الإحصاء في نهاية صيف 1908 بدأ تجمع الناس في حشود كبيرة أمام المقرات الإدارية للاحتجاج، وكثرت المظاهرات الهائجة أمام البلديات في عدة مناطق: تابلاط، أومال (خنشلة)، روفيقو، بئر خادم، وفي مظاهرات بئر خادم أعلن أحد الأعيان بأنه يفضل قتل ابنه على أن يتركه يذهب للتجنيد.[3] وهذا يُصور حالة اليأس التي وصل إليها الجزائريون وقسوة قانون التجنيد الذي سيأخذ آخر ما تبقى لديهم. وفي شهر سبتمبر 1908 أرسل أعيان تلمسان رسالة احتجاجية مصحوبة بسبعة عشر صفحة من الإمضاءات المرصوصة أعلنوا فيها عزمهم على مغادرة الجزائر خير لهم من البقاء وتحمّل التجنيد، وفي البلدية المختلطة جبل الناظور قام 3000 شخص بمحاصرة البرج الإداري لتريزال (Trézel) في صبيحة 14 سبتمبر و لم يتم تحريره إلا في

1- Capitaine Passols: **op-cit**, p 18.

2- قنان: **نصوص سياسية جزائرية**، ص 279.

3- Meynier**: op-cit**, p 91.

المساء بواسطة مفرزة للقناصة،[1] وستظهر حركة الهجرة مع عمليات إحصاء الشباب وتشتدّ خلال سنتي 1911 و1912.

فالمصلحون تقاسموا مع الجماهير النظرة إلى التجنيد الإجباري وحملوا همومها في حالة تطبيقه اعتمادا على الدين لذلك اعتبروا أن التجنيد صراع مع النفس والقيّم والمثل، ويناقض الدين الإسلامي، كما عارضوا قبول أعضاء حركة الشبان التجنيد الإجباري ومطالبتهم بالحقوق السياسية ولا سيما الجنسية الفرنسية،[2] لذلك كان رفضهم للتجنيد كلّياً سواءً أكان ذلك مع الحقوق السياسية أم بدونها،[3] وخوفا من الانفصال عن العائلات والتقاليد، والانخراط في الإطار الأجنبي وما يُحدثه من ضررٍ لشخصيتهم الجماعية،[4] وقد عبّروا عن رفضهم بشكل فردي في مظاهر مختلفة كالاجتماعات والعرائض والكتابة الصحفية بإبراز سلبياته وتعارضه مع الدين الإسلامي ومع اتفاق سنة 1830.

- سي امحمد ابن رحال:

كان سي امحمد بن رحال قد سّجل حضوره بشكل فعّال على الساحة السياسية والثقافية في الجزائر من خلال مناقشته لكل القضايا المطروحة والتي تهم الجزائريين[5] منذ أواخر القرن التاسع عشر بدفاعه عن القضاء الإسلامي والتعليم العربي، ومطالبته بإصلاح نظام الضرائب والخدمة العسكرية، من خلال محاورته لممثلي الاستعمار كجول فيري بشأنها سنة 1892 الأمر الذي جعل هذا الأخير يصرح بعد عودته لفرنسا أن الجزائريين "لم يقبلوا حقوقنا السياسية ولا تعليمنا ولا

1- Meynier**: op-cit**, p 91.

2- بالحاج: **المرجع السابق**، ص 57.

3- مهديد: **القطاع الوهراني ما بين 1850-1919**، ص 150.

4- Meynier**: op-cit**, p 91.

5- بودن: **المرجع السابق**، ص 355.

خدمتنا العسكرية، إنهم يطلبون المحافظة على أحوالهم الشخصية وتعاليم الدين الإسلامي بتمامها".[1]

ومع اشتداد النقاش الفرنسي حول استحداث آليات جديدة لتجنيد الجزائريين في مطلع القرن العشرين برزت شخصية سي امحمد بن رحال المُعبّرة عن مصالح الجزائريين فكان وهو يمثّل أصحاب العمائم قد ناقش المسألة العسكرية منذ ظهورها في الجزائر حيث وجّه مذكرة في 02 جانفي 1908 إلى اللجنة الفرنسية المكلفة بقضية الاكتتاب العسكري اشترط فيه تهيئة الأرضية جيّدا لتطبيقه بقبول المسلمين في الوظائف الخاصة وتوسيع حرية الصحافة وتسهيل القروض، فالتقليديون كانوا معادين للتجنيد بحكم أن الجزائري يخشى الثكنة وعادات الرومي، وقد يُهمل الصلاة ويشرب الخمر ويهتك حرمة رمضان،[2] لذلك فإن ثقافته المزدوجة وروحه الدينية جعلته يدعو إلى المحافظة على الشخصية الإسلامية في إطار التمتع بالحقوق الفرنسية،[3] كما تكون تهيئة الأرضية بتحسين أحوال العساكر الجزائريين، والسماح لهم بالترقية، والوصول إلى مراتب عليا قبل الحديث عن تجنيد المزيد من الجزائريين.[4]

فهو من البداية عارض التجنيد الإجباري وعمل على سحبه خوفا من التفرنس،[5] ولأنه ينافي الحالة الشخصية للمسلمين الجزائريين وقِيّمهم ومثلهم، ويناقض اتفاق 05 جويلية 1830 الذي نص على الاحترام الكامل للدين الإسلامي والأعراف الجزائرية، كما رأى فيه ظلما وتعسّفا في حق الجزائريين، وعبْئاً جديدا يثقل كاهلهم زيادة على معاناتهم من القوانين الجائرة للسياسة الاستعمارية. وكان موقف ابن رحال يُعبِّر عن حالة الاستنكار والثورة التي ميّزت سكان ندرومة

1- المهدي البوعبدلي: **«الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي»**، الأصالة، ع 8، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، (ماي/جوان 1972)، ص 314-315.

2- Ageron: **Les Algériens musulmans**, t 2, p 1064.

3- قنانش: **الحركة الاستقلالية في الجزائر**، ص 24.

4- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 32.

5- **نفسه**، ص 23.

منذ إعلان المشروع إلى غاية إقراره،[1] كما يعكس موقف جماعة أصحاب العمائم في منطقة تلمسان التي عارضت بكل قواها قانون الخدمة العسكرية الإلزامية.[2]

وزاد نشاط ابن رحال في قضية تجنيد الجزائريين بعد تحول المشروع إلى قانون في الثالث فيفري 1912، فحاول إقناع الإدارة الاستعمارية بصرف النظر عنه، لذلك حمل هموم مواطنيه ونقلها في رسالة إلى مجلس معاينة الشباب المعني بعملية التجنيد أخبره فيها بما يقوله الجزائريون:" ما طلبتموه منا ظلم فلم نقدر، و لم نُرِد قبوله، وإن أردتم جَبْرنا عليه فنقتل بأيدينا أولادنا ونقتل أنفسنا إزاء أجسادهم، تحقيقا لم ندع قلب دولة قوية لكن لا طاقة في العالم تمنعنا من أن نقتل أنفسنا"[3].

وأمام حالة الهيجان[4] والرّوع الذي أصاب الجزائريين جرّاء إصرار فرنسا على المضي في تجنيد الجزائريين قام ابن رحال بعرض شكوى تصف الحالة البائسة للجزائريين وتحمل رغباتهم في رسالة موجهة إلى مستشار بلدي مؤرخة في 08 جوان 1912 قال فيها: "فالوطني يقول إني أحتمل ضرائب ثقيلة مُنتفعٌ بها بالخصوص غيري، مجبور لكل سخرة حقا أو باطلا، مهان، الرّبا أفقرتني والاستعمار قمعني، والآن بدون معاوضة طُلب منّي الأوحد الباقي عندي وهو ولدي، فهل هذا حق؟"[5]

وتدرج موقف ابن رحال وأصحاب العمائم أمام تعنّت الإدارة الاستعمارية من معارضتهم لقانون التجنيد الإجباري إلى المناداة بعدم فرضه وإجبار الناس عليه بمنحهم الاختيار والتطوع، لكن عندما رأوا إصرار فرنسا على تطبيقه أملوا أن يروا فيه خطوة في طريق الحصول على الحقوق

1- شترة: «**نشاط الحركة الإصلاحية**، ص 163.

2- علي تابليت: **فرحات عباس رجل دولة**، ص 20.

3- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 33.

4- كثرت الاحتجاجات في الغرب الجزائري واتخذت شكلا حادا وبعدا خارجيا مستغلة الظروف الدولية والخلاف الألماني الفرنسي، ففي ندرومة والرمشي وتلمسان تزامنت المظاهرات المناهضة للتجنيد مع مجازر فاس، ورفضت الكثير من العائلات عمليات لجنة الانتقاء، وذهبت إلى طنجة أين استقبلت من طرف القنصل الألماني وطلبت منه الحماية. للمزيد أنظر: غانم بودن: **المرجع السابق**، ص 357.

5- Ageron: **Les Algériens musulmans**, t 2, marge 7, p 1074.

في ظل الوفاء للإسلام وتقاليده،[1] فالتطوع يناسب حالة الجزائريين باعتبارهم ليسوا مواطنين فرنسيين لأن المواطن هو الذي يُلزم بأداء الخدمة العسكرية. ولأجل ذلك سافر ابن رحال الذي أوكلت له مهمة رفض أو قبول الخدمة العسكرية وفق الشريعة القرآنية[2] على رأس وفد[3] رفقة أعيان مدينة ندرومة في 27 جوان 1912 إلى فرنسا على غرار وفد الشبان الجزائريين، وتم استقباله في باريس استقبالا حسنا، وتناقش معه السياسيون حول مشاكل الأهالي، وبحث سبل الخروج منها،[4] وطرح الوفد مشاغل الجزائريين إزاء التجنيد الإجباري، والمظالم التي يتعرض لها الأهالي في وطنهم،[5] وطالب بسحب مرسوم التجنيد الإجباري أو تقديم منحة تعويضية لهذا العمل (التجنيد) (التجنيد) أو السماح بالهجرة إلى بلاد الإسلام[6] مناشدا رئيس الجمهورية الفرنسية فاليير (Fallières) ورئيس مجلس الوزراء بوانكاري (Poincarré) مقابل هذه الاقتراحات تحقيق الإصلاحات معارضا كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الاندماج أو يفضي إلى التجنس أو التفرنس.[7]

التفرنس.[7]

وكان ابن رحال قد التقى مع وفد ابن تامي لأنهما يمثلان قضية واحدة ولهما نفس المطالب لكن في الحقيقة متعارضان، فابن رحال ممثل للرأي العام التقليدي، وعلى الرغم من أنه فرانكفوني جيّد فإنه معادٍ لكل إذابة للجزائريين في الحاضرة الفرنسية أما ابن تامي فهو نصير

1- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 23.

2- مهديد: **القطاع الوهراني ما بين 1850–1919**، ص 183.

3- ضم الوفد صالح الحاج محمد صالح (ملاك وتاجر)، مختاري بلحاج (نائب بلدي)، ابن رحو سي أحمد (نائب بلدي)، ابن صالح سي أحمد (فلاح)، درار محمد (قاضي بمحكمة ندرومة). أنظر: **نفسه**، هامش 2، ص 183.

4- **«la conscription des indigènes»**, El Hack, n 39, du 06 au 13 juillet 1912.

5- مهديد: **القطاع الوهراني ما بين 1850–1919**، ص 183.

6- Ageron: **Les Algériens musulmans**, t 2, p 1075.

وقد صرح ابن رحال للصحافة الفرنسية بمطالبه قائلا: "بعثنا القوم للعاصمة باريز ووظيفتنا السعي في تنفيذ أحد من المسائل الثلاث التي لا مسلك في غيرها للأحوال الوقتية: أولا إما نسف قانون الثالث فيفري (الأمر العسكري)، ثانيا أو إعطاء المعاوضات (التعويضات) للحمل الثقيل الذي أُلزمنا باحتماله، ثالثا أو تسريح باب الهجرة..". أنظر: مهديد: **القطاع الوهراني ما بين 1850–1919**، ص 184.

7- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 22- 23.

للاندماج،[1] ويرى جيلبير مينيي أن الوفد الذي قاده ابن رحال انطلق محتجّا ضد التجنيد الإجباري لكن انتهى بالتوقيع على عريضة ابن تامي بقبول التجنيد مقابل تعويضات، واعتبر ذلك تنازلا وخيانة لمبادئ أصحاب العمائم،[2] لكن شارل روبير أجيرون يرى أن ابن رحال كان سياسيا محنّكا فهمَ بسرعة أنه لا يستطيع الحصول على إلغاء قرار التجنيد فأقنع زملاءه بإمضاء عريضة[3] ابن تامي، وعرض على فرنسا إما تقديم إصلاحات أو ترك حرية الهجرة،[4] والحقيقة أنه أنه كان مقتنعا منذ مغادرته الجزائر باستحالة إلغاء قانون التجنيد الإجباري بحكم خبرته في التعامل من الإدارة الاستعمارية لكنه أرد الضغط للحصول على تعويضات مناسبة، فقد صرّح في باريس لجريدة التان (le Temps): "من يوم خروجنا من ندرومة تيقنّا بأن نسخ القانون مستحيل فتركنا هذه المادة وعزمنا على إمضاء ما أغرض به الوفد الذي أتى قبلنا وقدّمه لأولي الحل والعقد، واقتصرنا على الطلب من فرنسا إما أن تمنحنا المسائل المعنية (الإصلاحات) أو تفتح لنا باب الهجرة"[5] لكنه أباح لنفس الجريدة عن قلقه من عودته بأيْدٍ فارغة،[6] لشدة وطأة هذا القانون التعسفي على الجزائريين وما سيُحدثه من ردود فعل تجلّت في الاضطرابات والهجرة.

– عبد الحليم ابن سماية:

خاض قضية عصره (التجنيد الإجباري) والتي كانت من أعقد القضايا التي واجهها الجزائريون في صراعهم ضد الاستعمار مطلع القرن العشرين لأنها كانت قضية تتعلق بشرف وديانة

1- Meynier: **op-cit**, p 98.

2- Meynier: **op-cit**, p 223.

3- تضمنت: - إلغاء قانون الانديجينا والمحاكم الخاصة – تغيير النظام المتعلق بالغابات – إصلاح الضرائب العربية، تغيير أساس الضريبة بتوزيع مواردها بعدالة – إصلاح وتوسيع النظام الانتخابي بالنسبة للأهالي – نشر التعليم الابتدائي وتحسين ظروف المعلمين من الأهالي مع تأسيس المراكز والمدارس المهنية – تنظيم مساعدة الأهالي بمنهجية وتنظيم التعليم العام والتعليم المهني لأعوان الأطباء – منح ضمانات حصينة للفلاحين ضد أي مباغتة لنزع أراضيهم – حماية المواطن "الأهلي" ضد المضاربة بتقنين القرض التجاري والفلاحي – حرية الالتحاق بالوظائف الإدارية الموحدة.

أنظر: مهديد: **القطاع الوهراني ما بين 1850–1919**، ص 185.

4- Ageron: **Les Algériens musulmans**, t 2, p 1045.

5- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 35.

6- Ageron: **Les Algériens musulmans**, t 2, p 1045.

الجنود الجزائريين التي انتهكتها فرنسا بقانون سنة 1912، فالقتال تحت علم أجنبي قد يؤدي إلى محاربة إخوانهم في الدين وهو ما اعتبره استهتارا حقيقيا بقيم الإسلام[1] الذي يُحتّم عليهم أن لا يعملوا تحت علم غير إسلامي.[2] وتزعم التيار الرافض للتجنيد على أساس ديني وأخلاقي،[3] فعُدَّ من رواد المعارضة الشديدة له قبل أن يصبح قانونا، ووقف موقفا صارما من الاستعمار، وهمَّ بالهجرة إلى المشرق وسعى لقطع جميع العلائق التي تربطه بوطنه وأقربائه، وقدّم استقالته من وظائفه في التدريس، وباع مسكنه وأثاثه واستعدّ للرحيل لولا أن وقف في وجهه أعيان الجزائر وتوسّلوه البقاء قائلين:" إن هجرتنا أنت فإلى من تتركنا؟" فعدل عن رأيه.[4] وهذا الموقف الصارم يعكس مقاومة للقوانين الاستعمارية أساسها الدين باعتماد الهجرة التي كانت دائما الحل أمام الجزائريين، وفي سنة 1911 تصدّر مجابهة الإدارة الاستعمارية في الجزائر والنخبة الاندماجية في قضية التجنيد عندما فوّضه العلماء المحافظون والأعيان التحدث باسمهم في دار المجلس البلدي بدعوى من رئيسه وذلك بتاريخ 25 جويلية 1911، ووافق الحاضرون كلهم على رفض المشروع وتبعهم المفتي محمد بوقندورة،[5] وأعلمهم رئيس البلدية بأنه سيوجّه محضر الرفض إلى الوالي العام فيوجّهه هذا الأخير إلى الحكومة.[6]

ومن جملة ما قاله عبد الحليم ابن سماية باسم الشعب الجزائري[7] بشأن التجنيد الإجباري «أن المسلمين إذا تجنّدوا فالحريات والحقوق السياسية الممنوحة لهم كتعويض للانخراط هي ضربة

1- فتح الدين بن زواو: «**جذور الفكر الإصلاحي في الجزائر ومؤثراته 1830-1931**»، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة المسيلة، ع 4، (سبتمبر 2017)، ص 207-208.

2- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 177.

3- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 3، ص 94.

4- عبد الرحمان الجيلالي: **المرجع السابق**، ص 200.

5-ابن أحمد بوقندورة المفتي الحنفي بالجزائر العاصمة، خلف أباه في الفتوى والتدريس، عارض التجنيد الإجباري سنة 1911. أنظر: سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 3، ص 75-76.

6- بن زواو: **المرجع السابق**، ص 208.

7- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 3، ص 98.

قاضية للقومية الدينية والجنسية معا، وتؤدي لدمج المستفيدين في المجتمع الفرنسي»،[1] وحاول ابن تامي الذي كان حاضرا في الاجتماع مقاطعته بالقول أنه خرج عن الموضوع لأن القضية لا تتعلق بالفلسفة القرآنية لكن رئيس البلدية حصر الكلمة في شخص ابن سماية، فأقنعهم برفض المشروع مع أو بدون حقوق سياسية،[2] حيث أعلن ابن سماية أن الجزائريين يجب أن يرفضوا الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي، حتى ولو رضيت فرنسا بتعويضهم بالحقوق السياسية، لأن إجبارهم على الخدمة في جيش أجنبي يخالف أوامر دينهم.[3] فكانت مرافعة ضد التجنيد أمام ممثل السلطة الاستعمارية مبعثها الخوف من انحلال المجتمع المسلم،[4] وفقدانه لمقوماته الدينية والأخلاقية.

فمعارضة التجنيد الإجباري من النخبة المحافظة استندت على اعتبارات دينية محضة،[5] كما كانت تحت تأثير الدعوة إلى النهضة الإسلامية[6] التي انتشرت في مطلع القرن العشرين، ويرى عمر بن قدور بأن خطبة ابن سماية بشأن رفض التجنيد، والتي جاءت في ست صفحات كانت وثيقة وطنية صريحة لم يكن أجرأ منها ولا أثقل وطأة من أية معارضة في العهد الاستعماري لذلك العهد.[7]

– عمر ابن قدور:

اهتم عمر بن قدور بالتجنيد منذ كان مشروعا سنة 1908 يُتداول في أروقة الولاية العامة بكتاباته في جريدة التقدم التونسية والحضارة العثمانية،[8] وواجهه بالاستنكار والرفض، وسارع

1 – Millet: **op-cit**, p 176.

2 – Millet: **op-cit**, p 176.

3- بن العقون: **المرجع السابق**، ص 44.

4- Meynier: **op-cit**, p 96.

5- محمد قنانش، محفوظ قداش: **نجم الشمال الإفريقي 1926–1937**، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 14.

6- سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 3، ص 19.

7- بن العقون: **المرجع السابق**، ص 36.

8- خليل كمال: « **الفكر الإصلاحي عند عمر بن قدور (1886–1932)**»، مجلة البحوث التاريخية، جامعة المسيلة، ع 2، (جوان 2017)، ص 236.

إلى التشهير بمخاطره في محاولة لمنع تحوله إلى قانون رسمي، وأكد أن هذا المشروع يُخل بإحساسات مسلمي الجزائر الدينية وشعائرهم القومية لأنه يرى أن الخدمة العسكرية تفسد دين وأخلاق الشباب الجزائري، وتُنقص فيهم الغيرة على الدين والقومية، فكيف يقاتل المسلم في سبيل الكافر.[1] وكتب عن أسس رفض التجنيد في الجيش الفرنسي مقالا بعنوان "مسألة تجنيد مسلمي الجزائر" في جريدة الحضارة العثمانية بتاريخ 10 أوت 1911 جاء فيه: "إننا قوم لنا قومية عروبتها متينة، وملّة يمتها ثمينة، وإن أُصيب أعضاؤها بخدر نتيجة الحوادث فإن الأمل أنه خدر قصير المدة وسينقطع وتتحرك أعضاؤنا بنشاط تام، فما لنا رغبة في نيل حقوق تجر علينا الويل والدمار...إننا لا نريد من فرنسا أن تمن علينا بتمدنها وعدها لأن لنا تمدنا وعدلا ذقناهما فصار كل شيء عندنا بعدهما مراً، وهل بعد ذوق العسل نذوق الحنظل؟.[2] وكتب في جريدة المشير التونسية بتاريخ 03 03 سبتمبر 1911:"إن مسلمي الجزائر لا يخضعون أبدا لأمر فرنسا في تجنيد أبنائهم وتجهيزهم في البعوث وشن الغارات" ثم طالب في حال تنفيذ هذا المشروع على شباب الجزائر عدم إجبارهم على محاربة المسلمين مثلهم، وهو ما يفسر استمراره في رفض المشروع[3] بعد ترسيمه بقانون سنة 1912 ومحاولته تخفيف تطبيقه على الجزائريين، فقد رفض فكرة حرب الجزائري المسلم لأخيه المسلم في الحرب العالمية الأولى، وتشتت هؤلاء المسلمين بين القوى الكبرى.[4]

- عمر راسم:

ناهض التجنيد الإجباري وكان يُحرّر المنشورات المعادية للتجنيد بيده ويُعلّقها عل الجدران في الأماكن الاستراتيجية،[5] كساحة الحكومة (ساحة الشهداء حاليا) والتي مثّلت نداءً إلى الشعب

1- بن زواو: **المرجع السابق**، ص 213.

2- قنانش، قداش: المرجع السابق، ص 15.

3- كمال: **المرجع السابق**، ص 236.

4- **نفسه**، ص 233.

5- قنانش، قداش: **المرجع السابق**، ص 14.

الشعب الجزائري ليقف ضد قانون التجنيد الإجباري،[1] ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى نشر بمساعدة أحد أصدقائه إعلانا إلى الجزائريين لرفض التجنيد وهو ما جعل الفرنسيين يتهمونه بالتجسّس فسجنوه إلى غاية سنة 1923.[2]وكتب في جريدة التقدم التونسية مقالات طالب فيها السلطات الفرنسية بإعطاء الجزائريين ضمانات مقابل التجنيد، واقترح بدلا من أن تفكر فرنسا في تجنيد الجزائريين تسعى لنشر مصابيح العلم النافع بين أفرادها لتضيء على أفكارهم.[3]

ووقف ضد الفئة الاندماجية التي قبلت بالتجنيد بشرط كسب الحقوق السياسية غير ناظرين إلى مسألة الدين والرابطة الإسلامية والعلاقة مع الخلافة،[4] وهاجم أفراد تلك الفئة الذين تخلّقوا بمفاسد التمدن الحديث فراحوا ينتصرون للخدمة العسكرية الإجبارية ظناً منهم أن سبب انحطاطنا هو الدين، وأن الخدمة العسكرية تجبرنا على مخالطة (إخواننا) الفرنسيين وأبناء الأجانب، فنتخلّق بأخلاقهم، وتذهب من عقولنا تلك الأوهام الدينية، والخرافات الإسلامية، خلاف ما يظهر من أن الذي دعاهم إلى قبولها هو الطمع في بعض امتيازات ينالها المسلمون بعد خدمتهم العسكرية.[5] وصرّح بعد فرض التجنيد الإجباري سنة 1912 تصريحا عنيفا اعتبر فيه رجل قبل التجنيد يكون قد ترك الطريق السوي، وأصبح خائنا.[6]

– جريدة الحق الوهراني:

كانت جريدة الحق الوهراني تعبّر عن رأي الأهالي المسلمين، وتدافع عنهم، وتزامن ظهورها مع القلق الذي أثاره مشروع التجنيد الإجباري لتختفي بعد إقراره في 3 فيفري 1912

1- محمد ناصر: **عمر راسم المصلح الثائر**، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1984، ص 28.

2- Ihddaden: **op-cit**, p 334.

3- صافر: **حركة الشبان الجزائريين**، ص 39.

4- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954**، ج 5، ص 284.

5- الحق الوهراني: ع 39 (1912/7/13).

6- Ihddaden: **op-cit**, p 228.

ببضعة أشهر لمساهمتها في توجيه غضب المسلمين الأهالي، ونشر اليقظة في أوساطهم[1] ضد قانون التجنيد، وانتقدت استغلال المستعمِر للوطني الجزائري، ودعت في مقال بعنوان «المسائل الوطنية» المسلم الجزائري «لاستعمال كل ما في طاقته لاتباع حقه فالله الحق ينصره»،[2] وحاولت أن تستنهض المسلمين الجزائريين للدفاع عن مصالحهم وأبنائهم: «وليكن الوطني ذا شهامة في قلبه لا يخاطب أرباب الحكم مخاطبة الجبن حتى يصمت، بهذا يرجى الفرج ويعلي المسلم من الهوية التي قضى الزمن به عليها»،[3] فكانت أول جريدة انتفضت ضده، ودعت للاحتجاج وإرسال الوفود إلى فرنسا للاعتراض، واشترطت على الممثلين أن يعطوا الانطباع كآباء شجعان يستحقون حقوقهم، وليس كسياسيين يبحثون على شعبية وهمية.[4]

فقد جابهت الحق قضية التجنيد الإجباري كمشروع وكقانون، وكانت تحرض الجزائريين للوقوف ضده[5] من خلال توجيه غضب الأهالي المسلمين الذي ظهر في كل مكان من خلال الاحتجاجات والمظاهرات، وخصّصت جزءاً باللغة العربية لنشر العرائض في القطاع الوهراني، كما واجهت الشبان الجزائريين والجرائد الأخرى التي دافعت عن تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي كجريدة الإسلام (l'Islam)،[6] وكتبت في 6 جوان 1912: "إن سكان ندرومة ليسوا فرنسيين، فرنسيين، ولا يستطيعون إعطاء أبنائهم لفرنسا خاصة في ظل الشروط التي فرضتها عليهم مؤكدة على أن فرنسا في حالة حرب وشيكة، وتريد إرسال الجزائريين إلى المجزرة.[7] وقد تميز موقفها بالثبات في استنكار التجنيد ومهاجمته بحكم أنه يجعل الشباب الجزائري مجبرا على العمل في الحقل العسكري لمدة ثلاث سنوات عوض سنتين كالفرنسيين واليهود، وتساءلت بشأن هذا التمييز:«هل

1- **ibid**, p 217.

2- الحق الوهراني: ع 37 (29/22 جوان 1912).

3- **نفسه**.

4- قنانش، قداش: **المرجع السابق**، ص 14.

5- مهديد: **القطاع الوهراني ما بين 1850-1919**، ص 118.

6- Ihddaden: **op-cit**, p 222-223.

7- Meynier: **op-cit**, p 224.

عومل أحد الأجنبيين على اختلاف أجناسهم القادمين لبلادنا بهذا العمل، أم خصص بها المسلم فقط؟»،[1] واعتبرت إقدام فرنسا على فرض هذا الحمل الثقيل على الجزائريين لإدراكها ضعفهم، وما وصلوا إليه من يأس بسبب القوانين الاستعمارية فكتبت: « وما جعلوا العسكرية عليهم بوجه اللزوم، وبدون إعطاء حقوقهم إلا بقطعهم الأياس من المسلم بأنه لا يقدر على التحرك لصرف الغرامات الباهضة والبرصيات المهلكة فزادوا لهم هذا الحمل الثقيل ليتم لهم التجهيز عليهم».[2] ولكن بعد إقراره طالبت بالمساواة بين الجزائريين المسلمين وغيرهم في أمد الخدمة العسكرية، وفي الحقوق السياسية، وإلغاء المكافأة النقدية التي لا يمكن أن تعوّض دمهم، احترام شعائرهم وعوائدهم أي نيل الحقوق المدنية كاملة مع المحافظة على دينهم واحترام تقاليدهم،[3] كما طالبت بإلغاء كلي كلي لقانون الأهالي والمحاكم الاستثنائية التي تكرّس استغلال الجزائريين وإذلالهم على عكس جريدة الإسلام (l'Islam) التي اكتفت بالمطالبة بتعديل هذه القوانين.[4]

2-2-موقفهم من التجنّس والاندماج:

إن المرجعية الثقافية والفكرية للنخبة الإصلاحية جعلتها تناضل لأجل الحفاظ على الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها في وجه مشاريع الاندماج الفرنسية، والتي رحّبت بها النخبة الاندماجية.

- معارضة التجنس والاندماج:

منذ ظهور مسألة تجنيس الجزائريين بالجنسية الفرنسية بادر رجال الإصلاح بالدعوة إلى رفض التجنيس في كتاباتهم وصحافتهم لما ينجرّ عنه من فقدان الشخصية الإسلامية، ويفضي إلى ذوبانها في المجتمع الفرنسي، خاصة بتأثرهم بما كانت تتداوله الصحافة العربية من أفكار تدافع عن

1- الحق الوهراني: ع 38 (29 جوان/6 جويلية1912).

2- الحق الوهراني: ع 38 (29 جوان/6 جويلية1912).

3- مهديد: **القطاع الوهراني ما بين 1850-1919**، ص 180-181.

4- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p1047.

ثوابت المجتمع الجزائري حيث دعت باستمرار إلى رفض التغريب إلى الاحتفاظ بأحوالهم الشخصية كمسلمين في وجه إمكانية التجنيس.[1]

وقد اتخذ الجزائريون المتشبعون بالثقافة العربية الإسلامية والمزدوجو اللغة موقفا معاديا للسياسة الفرنسية بالجزائر، ورفضوا التجنيس والواقع الاجتماعي السيّء والمؤلم الذي يعيشه الجزائريون، وكانوا واعين بهويتهم الوطنية، وظلوا متشبثين بمظاهر الشخصية الوطنية الجزائرية، وحريصين على عدم الانفصال عن قاعدتهم الاجتماعية فكريا واجتماعيا ودينيا من خلال الحفاظ على طابع اللباس والسلوك العربي الإسلامي، وتأييد الحركات الإصلاحية السياسية والدينية.[2]

ورغم أنهم كانوا متأكدين من عدم استطاعتهم هزيمة فرنسا إلا أنهم اقتنعوا بأن الإبقاء على الشخصية الجزائرية، ومقاومة كل خطط الفرنسيين لإذابة الجزائر، والتضامن بين جميع المسلمين هي ضمانات الانتصار.[3] فلم يكونوا يوما مع دمج الشعب الجزائري المسلم مع مجتمع غربي، له عادات وتقاليد ودين مختلف، كما رفضوا التنازل عن جنسيتهم التي تمثل كيانهم وهويتهم، وظلوا دائمي الارتباط بامتدادهم العربي الإسلامي، وفي هذا الإطار استقبلوا الداعية المصلح محمد عبده الذي زار الجزائر في 06 سبتمبر 1903،[4] ونظروا إلى الشبان الاندماجيين كمرتدّين متأوربين أو ملحدين.[5]

وقد برزت جريدة الحق في مواجهة السياسة الاستعمارية بمعارضتها كل ما من شأنه أن يهدّد الشخصية الجزائرية، وكانت بما تنشره من مقالات دليلا على الأهمية الي كانت تمثلها المرجعية العربية الإسلامية بالنسبة للنخبة الجزائرية في حوارها السياسي مع الاستعمار، فهي كانت تريد المحافظة على تقاليدها، وكان شعارها الذي رفعته: "إن الذين يريدون هدم البيت القديم–مهما

1- مهديد: **القطاع الوهراني ما بين 1850–1919**، ص 120.

2- مهديد: **القطاع الوهراني ما بين 1850–1919**، ص 120.

3- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 146.

4- صافر: **حركة الشبان الجزائريين**، ص 40.

5- Meynier**: op-cit**, p 248.

كان متردیا– قبل أن يبنوا الجديد هم أعداء الشعب المسلم الناشئ".[1] وفي تحدّيها للنخبة الليبرالية الاندماجية التي ربطت مصيرها بفرنسا أثبتت جريدة الحق بطلان الحضارة الأوربية، وأكّدت النهضة الإسلامية التي تواكب التطور الحديث مستندة إلى تجربة مصر،[2] وهذا ما يثبت البعد القومي لكتّاب الجريدة ورؤيتهم للنهضة انطلاقا من تراث الحضارة العربية الإسلامية.

وكانت جريدة الحق قد أوضحت خطّها المعادي للتجنيس وأنذرت المجتمع بفطانةٍ من فتح تقسيم الجزائريين، وتمييز مسلمي المدن عن مسلمي الأرياف والجبال وقبول أنصاف الحلول، وإقامة حواجز يصعب اختراقها في المستقبل وكتبت: "لا تسقطوا في هذا الفخ"[3] أي فخ التجنيس الذي يهدف لإذابة المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي. وحذّرت من خطورته: «لا تتكلوا على من يريد تغريركم بقوله، ولا تطمعوا في شربة ماء من سراب، وليس لكم في هذا المقام إلا تبصير إخوانكم المتحمسين للتجنيس أو الاندماج في عواقب الأمور والاحتراز من الوقوع في حبائل الغرور». [4]

وظل محررو جريدة الحق مقاومين لحركة الفرنسة، ورفضوا كل محاولات الاندماج بالعنصر الغالب والامتزاج به.[5] ودخلوا في مجابهة قوية من أجل التأكيد على الانتماء العربي الإسلامي للجزائريين بمقاومة أفكار الإدماج وأكّدت أن الجزائري لا يرغب أن يكون فرنسيا.[6] فالأهلي الجزائري عربي، ولا يمكن أن يكون فرنسيا، وأن أي محاولة للإدماج هي غير معقولة لأنها لا تخدم مصالح العرب ولا مصالح فرنسا، وبدأت جريدة الحق تعمل في سبيل تمييز هوية العرب الجزائريين بمدح فضائلهم لإبعادهم عن الحياة السياسية وما تروّج له من أفكار الاندماج، ودعت للعمل

1- عمري: **المرجع السابق**، ص 247.

2- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p1046.

3- مهديد: **القطاع الوهراني ما بين 1850–1919**، ص 118–119. نقلا عن الحق (1911/10/28).

4- الحق: ع، (19/11 أوت 1911).

5- مهديد: **القطاع الوهراني ما بين 1850–1919**، ص 126.

6- عمري: **المرجع السابق**، ص 248.

لتحسين الوضع الاقتصادي والتعاون بين الأهالي الجزائريين والفرنسيين.[1] وكانت هي وجريدة الفاروق تحث الأهالي على عدم الاهتمام بالسياسة، وتعمل لأجل الرقي الأخلاقي والاجتماعي، ولا تؤمن بإمكانية حل المشاكل الخاصة بالأهالي بواسطة المجالس السياسية.[2]

ورأت جريدة الحق الوهراني في التجنيس وما ارتبط به من الزواج بالأجنبيات خطرا على المجتمع الجزائري، فهو سهام مصوّبة نحو مقومات الشخصية الجزائرية العربية والإسلامية، واستنكرت ما كانت تدعو إليه جريدة الإسلام (l'Islam) ومسؤوليها من الشباب المتفرنس "أنصاف الفرنسيين"، وحذّرت من الأخطار الماحقة التي تهدد المجتمع الجزائري المسلم من فخ التقسيم وبداية فقدان الهوية الأصلية،[3] فكانت مقالاتها حصنا أمام تيار الاندماج الذي رأى في التجنيس حلاً لمشاكل الجزائريين، وباباً لولوج صفة المواطنة الفرنسية، ولم يعر الأحوال الشخصية الإسلامية للجزائريين أي اهتمام. وكانت جريدة الحق ترى أن تطور الشعب الجزائري يتم عندما يرفض هذه المحاولات التجنيسية أولا، وكل أشكال الحريات الفرنسية من مجالس سياسية وأساليب برلمانية، كما كانت ترى في المجالس الفرنسية عوامل تفرقة وانقسام، ومحو سلالة قومية "نهبها كل قوانا وجهودنا للحفاظ عليها".[4]

وظلّت جريدة الحق مقاوِمةً في خطّها الوطني في وجه الشبان الجزائريين المتفرنسين الدّاعين إلى المساواة بالفرنسيين عن طريق الاندماج والتجنيس، وداعيةً إلى الإصلاح من منظوره الإيجابي كالإصلاح الإداري والمطالبة بالتعليم للجزائريين وحقوقهم المادية والمعنوية، والابتعاد عن زخرف المدنية الأوربية السلبي،[5] ولذلك شنّت حملات تنديد بمشاريع أصحاب الدكتور ابن تامي،

1- Ihddaden**: op-cit**, p 218-219.

2- Ihddaden**: op-cit**, p 179.

3- مهديد: **القطاع الوهراني ما بين 1850-1919**، ص 125.

4- الحق: ع، (1912/5/4).

5- مهديد: **القطاع الوهراني ما بين 1850-1919**، ص 121-122.

وبنصف التجنيس لصالح النخبة، ذلك الفخ المنصوب من أجل بث التفرقة بين المسلمين.[1] فالمحافظة على وحدة الجزائريين وتماسكهم تكمن في رفض التجنيس وكل ما يرتبط به من تجنيد وحقوق فرنسية، وقد جاء في إحدى العرائض: "لا نريد أن نكون فرنسيين لأن ارتباط المواطنة بالقوانين الفرنسية تعني التنازل عن الدين الإسلامي". [2]

وفي دعوتها للإصلاح اعتبرت جريدة الحق الاندماجيين الذين تخلّقوا بمفاسد الحضارة الجديدة، والتقاليد المضرّة بالدين والوطن، والاقتداء بسياسة القدر والتغلّب التي يأباها الشرف والهمة أنهم تماثيل عيوب قاتلة وسهام على الآداب الإسلامية قاطبة.[3] فتشبثها القوي بمقوّمات الشعب الجزائري الأصلية جعلها تُعدُّ بحق من الإرهاصات الفكرية التي حاربت الاندماج والتجنس ما بين سنتي 1911–1920 وما بعدها من طرف الصحافة الجزائرية الإصلاحية.[4]

كما حذّرت الفاروق المسلمين الجزائريين من الخطر الماحق الذي يهددهم من بعض الدعوات التي تريد بالأمة الإسلامية أن تمتزج بالعائلة الأوربية الفرنسوية، وترى أنه على الشباب المتفرنج إن كان يريد صلاح أمته بحق أن يدعوها إلى التشبّث بملّتها وقوميتها، فإن الاعتزاز بهما درجة أولى في سلّم السعادة والرفاهية،[5] وعارض عمر بن قدور فكرة إدماج الجزائريين في المجتمع المجتمع الفرنسي، ورأى في ذلك تهديدا خطيرا للعروبة والإسلام في الجزائر[6] مما يدل على تمسك النخبة المحافظة الإصلاحية بهذين المقوّمين لما لهما من أهمية كبرى في الحفاظ على الهوية الجزائرية، ولدورهما في تعزيز التمايز بين الجزائريين والفرنسيين الذي هو أساس استمرار الاعتزاز بالانتماء العربي والإسلامي، وأساس المقاومة بشقّيها العسكري والسياسي.

1- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ص 380.

2- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, marge 1, p 1120.

3- مهديد: **القطاع الوهراني ما بين 1850–1919**، ص 119. نقلا عن الحق (18/11 أوت 1911).

4- مهديد: «**الصراع حول الهوية**، ص 16.

5- مهديد: **القطاع الوهراني ما بين 1850–1919**، ص 126.

6- عمري: **المرجع السابق**، ص 246.

فقد كان عمر ابن قدور من أوائل الكتّاب الذين قاوموا حركة الفرنسة والمسخ، وخاض حربا لا هوادة فيها ضد الإدماج والتجنيس، وتُعد أفكاره في هذه المسألة إرهاصا للحركة الإصلاحية الحديثة حيث تصدى للنخبة المطالبة بنيل الحقوق مقابل التجنيس منبِّها المسلمين إلى أن هذه الدعوات تهدف إلى إذابة الأمة الجزائرية في الأمة الفرنسية، وبالتالي القضاء على العناصر الجوهرية التي تميّز المسلمين الجزائريين عن الفرنسيين مما يؤدي إلى فقدان شخصيتهم، وإذا فقدوها رضوا بالاحتلال، وسلّموا به.[1]

وقد اتخذ عمر ابن قدور من عبارة "مبدؤنا بقوة الوطنية نتقدم" شعارا لمقالاته، ويقصد بالوطنية خدمة الجزائر واعتبارها تشكل أمة واحدة متميزة عن فرنسا، وقد جعل من القومية مبدأً تجب خدمته، وأساسا متينا في العمل، وقوة بمثلها تتقدم الأمم وتُسدد الهمم،[2] واعتبر أن الالتفاف حول القومية الإسلامية، وإصلاح الحالة الروحية للمسلمين من شأنهما أن يُمكّنا المسلمين من التخلص من الضعف،[3] وهي إشارة واضحة على مجابهة التيار الاندماجي الذي أبعد عناصر الهوية من حساباته في محاورته للنظام الاستعماري، واختار فرنسا كوطن فكري وسياسي بما يتماشى مع المشروع الاستعماري.

وهاجم عمر راسم بأسلوب عنيف الذين تخلّقوا بمفاسد التمدن الحديث، وارتضوا سياسة المداجاة والنفاق مع الاستعمار، لأنه ملأ أفواههم بالدنانير، فلم يستطيعوا تكلما، وأثقل صدورهم بالنياشين المزيفة، فطأطأوا رؤوسهم، واتهمهم بأنهم بلاء المسلمين الجزائريين لأنهم باعوا جنسيتهم ودينهم وضمائرهم وأوطانهم عندما باتوا ألعوبة بين يدي السلطات لقاء منصب أو لقب سامٍ.[4] وكتب سنة 1908 في جريدة التقدم التونسية ضد منح النياشين إلى الجزائريين من السلطات الفرنسية مقابل الخدمات والولاء على حساب الشعب والمصلحة الوطنية، كما هاجم مساوئ

1- بن زواو: **المرجع السابق**، ص 212.

2- عمري: **المرجع السابق**، ص 267.

3- الفاروق: ع 3، (1913/03/14).

4- العلوي: **المرجع السابق**، ص 95.

الحضارة الغربية، وانتقد الفئة المندمجة لأنهم "ولّووا وجوههم شطر المتسلّط علينا"، واتّبعوا سياسة الفرنسيين المتغلّبين على الوطن.[1]

وكان سي امحمد ابن رحال أثناء وفادته إلى باريس سنة 1912 قدّم اقتراحات بتحقيق الإصلاحات معارضا كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الاندماج أو يفضي إلى التجنس أو التفرنس،[2] وبالتالي رفض فكرة إدماج الجزائريين في المجتمع الفرنسي، ورفضوا كل الوسائل المؤدية لذلك، ومنها كان رفضهم للتجنيد من الأساس، ولكن عندما أصبح أمرا محتوما عليهم اشترطوا على السلطات الفرنسية تحسين أحوال الجزائريين، وتقديم تعويضات مناسبة.[3] فقد وازن بين إعجابه بالثقافة الفرنسية التي اتخذها وسيلة لحياته، وأداة للتوعية والإيقاظ، وسلاحا للدفاع عن قضايا أهله، وبين التمسك بمقوماته الدنيوية، وقيّمه الدينية، لذلك عاش حياةً كلها نضال سياسي دفاعا عن الإسلام، وعن القضايا التعليمية والاجتماعية،[4] فقد كان صوت الجزائر العميقة، وصوت التاريخ، دافع عن الثقافة واللغة العربية والحضارة الإسلامية، كان أكثر معاصريه تعبيرا عما يجيش في صدور المواطنين من تطلعات،[5] ورغم مكانته الاجتماعية وجاهه العائلي ووظائفه ومشاركاته المؤتمرات العالمية والمجالات العالمية إلا أنه ظل أهليا جزائريا مظهرا وروحاً.[6]

وكان دفاعه عن الإسلام يندرج ضمن الدفاع عن مقوّمات الشخصية الجزائرية في وجه دعاة التجنيس من جهة وردّاً على ادّعاءات بعض الفرنسيين على أن الإسلام غير ملائم للتطور، وأنه مجموعة تعاليم منافية للعقل، وبربرية مثيرة للضحك، لذلك أكّد أن الإسلام يمكنه متابعة دوافع الحضارة في كل المجالات باستثناء ما يتعلّق بالعقيدة والأخلاق، مستشهدا أن المسلم كان له

1- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 5، ص 285.

2- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 22-23.

3- بودن: **المرجع السابق**، ص 358.

4- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 151.

5- سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 6، ص 223.

6- زوزو: **الفكر السياسي**، 151.

السّبق في إدخال الحضارة إلى أوربا،[1] وكان يدرك أنه بمقدور الجزائريين استيعاب حضارة الغرب المادية والتقنية دون التنكر لعقيدتهم وثقافتهم، فهو يفرّق بين استيعاب الحضارة الغربية وبين الاندماج،[2] ويدعو إلى تمثل الحضارة الغربية ويرفض تمثلها هي لهم.[3] فحصانته العربية الإسلامية وارتباطه بالجذور جعلته يدعو إلى التطور وليس الاندماج، ويواجه الفرنسيين في مختلف المناسبات بمطالب هي من صميم الانعتاق للشعب.[4]

لذلك كان يرى أن مستقبل الشعب الجزائري ليس في الاندماج، وأعلن أنه شعب سيواصل العمل بتقاليده، وسوف يختلط بالأشياء الجديدة دون أن يسعى إلى انتقاص أي شيء من ماضيه وطابعه.[5] وكان مؤمنا باستعادة الشخصية الجزائرية لمكانتها بواسطة الإسلام الباعث على التطور التطور كأهم مقوّم لها، وأعلن بنبرة تحدٍ وثقة أن الإسلام إذا لم يتطور بمساعدة الغرب ولأجله فإنه سيتطور رغما عنه وضده،[6] ولا طائل من عرقلة نهوضه الحتمي لأنه تحت مدافع المسيحية تولد نهضة الإسلام.[7] وأثبتت الأحداث اللاحقة في الجزائر دور الإسلام كعامل مهم في الحركة الوطنية الوطنية الجزائرية، وفي خلق التمايز الذي حافظ على الشخصية الجزائرية من الذوبان في المجتمع الفرنسي.

وكانت أفكار ابن رحال وأبو بكر عبد السلام بن شعيب متفقة على رفض التجنيس والتجنيد في الجيوش الفرنسية،[8] وفي هذا الإطار دعا ابن رحال الرأي العام الفرنسي إلى ليبرالية أكثر في التعامل مع الجزائريين لأن ساعة صحوة الإسلام قد أزفت، ولذلك ينبغي لفرنسا أن

1- Ben Rahal: **op-cit**, p 546-547.

2- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ص 372.

3- زوزو: **الفكر السياسي**، 154.

4- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 6، ض 223.

5- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ص 380.

6- Ben Rahal**: op-cit**, p 548.

7-**ibid**, p 546.

8- مهديد: **القطاع الوهراني ما بين 1850-1919**، ص 132.

تتوقف عن دمج الأهالي، وتكف عن معاملتهم كالمنبوذين إذ أن عرب الجزائر لن يقبلوا أبدا التجنيس الذي يُفقدهم قانون أحوالهم الشخصية.[1] وكان أبو بكر عبد السلام قد تدخل في المؤتمر العالمي للسوسيولوجيا الكولونيالية 11/6 أوت 1900 بمداخلة بعنوان "إدماج أهالي الجزائر المسلمين مع الفرنسيين" طرح فيها هذه المسألة الفقهية والسياسية، ورأى استحالة قبول ذلك بالنسبة للجزائريين عندما يُطلب منهم التخلي عن أحوالهم الشخصية كمسلمين وفي مجتمع وبيئة مسلمة.[2] ثم طرح سنة 1907 فكرة جنسية مشتركة (نصف تجنيس) تسمح بالانتخاب مع الاحتفاظ بالإسلام لتجنب كل خطر، لكن هذه الجنسية لم تجذب لا الشبان المطالبين بالمساواة في الحقوق ولا أصحاب العمائم الذين أعلنوا سنة 1908 رفضهم أن يصبحوا فرنسيين.[3]

كما ناضل الشيخ عبد القادر المجاوي من أجل الحفاظ على الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية، وجابه دعاة تذويب الجزائريين في المجتمع الفرنسي فكان أكبر مجال تصدّى له هو التجنس والتفرنج والاندماج والإلحاد رغم قوة تيّاره وتبنّي الإدارة الاستعمارية له، ودعا إلى الاعتزاز بالماضي والنهوض والتقدم بالاهتمام باللغة العربية،[4] واستحضار أمجاد الأسلاف ودورهم ودورهم الرّيادي في الحضارة الإنسانية. فكانت كتاباته الصحفية تعالج مشاكل الساعة في الساحة الجزائرية كالاندماج والتجنس والبدع والخرافات والعادات القديمة.[5]

– التمسك بالانتماء القومي العربي الإسلامي:

تبنّت بعض الصحف كجريدة الحق الوهراني مرجعية الجامعة الإسلامية والحركة الإصلاحية منذ تأسيسها، ودعت إلى التنسيق والتضامن والجهاد للدفاع عن قضايا المسلمين، وألحّت جريدة الحق على الاتحاد الإسلامي لأن كل مسلم في أي قطر كان في العالم شرقا وغربا لا تفصله أية قوة

1- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ص 371.

2- مهديد: **القطاع الوهراني ما بين 1850-1919**، ص 137.

3- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 1119.

4- أوفة: «**الشيخ عبد القادر المجاوي**، ص 71.

5- **نفسه**، ص 73.

عن الارتباط بهذه الوحدة الدينية إن تمسّك بدينه، أما إذا انصرف عن شريعته وسنن هداية الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، وترك الارتباط بهذه الوحدة لا يبقى للإسلام أثر، ولا تبقى لكلمة الاتحاد الإسلامي معنى الشمول والتعميم.[1] وتبنّت قضايا العالم الإسلامي كالقضية الطرابلسية، وفكرة الجامعة الإسلامية لتوحيد المسلمين لتجاوز خطر الاستعمار الأوربي، فدعت المسلمين في مقال بعنوان«الجامعة الإسلامية» لاستغلال فرصة الحج، وجعلها كمؤتمر عام لوحدة ودعم دولة الخلافة متسائلة عن أسباب الفرقة بين المسلمين ومقومات الوحدة متوفرة.[2]

وحملت الجريدة هموم الأمة الإسلامية، وناقشت مسألة ضعف الخلافة الإسلامة والمسلمين منتقدة من ينسب الضعف إلى الدين الإسلامي فيبتعد بذلك عن تشخيص المرض وإيجاد العلاج المناسب فكتبت في مقال بعنوان «العالم الإسلامي»: «أن أصحاب العقول الضعيفة يزعمون أن الدين الإسلامي لا يلائم كل عصر لكن كذبوا، فالعيب ليس في الدين بل في المسلمين، إننا لو حافظنا على ديننا لنجونا من كل غائلة، ومن يزعم أن الدين الإسلامي سبب تقهقرنا وتأخرنا فقد جهل الحقيقة».[3] وشخّصت مصيبة المسلمين «بالخرافات والاعتقادات الواهية التي امتلأت بها عقولهم، وابتعادهم عن العلوم والمعارف التي مُحيت آثارها مع العلم أن الدين الإسلامي قد فرض علينا العلم والتعلم، إذن فالغيب فينا أو في ديننا؟».[4]

كما جسّد عمر ابن قدور البعد القومي في كتاباته الصحفية، وتابع بالتغطية والتأثر الحرب الطرابلسية، واعتبر ضياع مراكش نكبة أخرى تضاف إلى النكبات التي أصابت العالم الإسلامي، وأشار على الدول الشرقي أن تعتبر من الأزمة المراكشية، وأن تسد كل الأبواب المفضية إلى

1- الحق الوهراني: ع 38 (29 جوان/ 6 جويلية 1912).

2- الحق الوهراني: ع 44 (11/ 18 أوت 1912). وأوردت في نفس العدد البيت الشعري التالي:

ما ذا التقاطع في الإسلام بينكم وأنتم يا عباد الله إخوان.

3- الحق الوهراني: ع 37 (29/22 جوان 1912).

4- **نفسه.**

التدخلات الأجنبية،[1] وتحسّر كثيرا على أوضاع الدولة العثمانية وما دخلت فيه من صراعات داخلية، ومؤامرات أجنبية زادت من ضعفها وضعف العالم الإسلامي،[2] وعاتبها على موقفها السلبي المتخاذل في نصرة الإسلام والمسلمين.[3] وكان يرى أن القومية الإسلامية هي الرابطة التي تربط جميع المسلمين في كل مناطق العالم دون أي اعتبار جنسي أو لغوي أو عرقي، وأرجع سواد السلف في عهد الخلفاء الراشدين إلى فهمهم العميق لمعنى الوحدة.[4]

وفي دعوته إلى الالتفاف حول الدين الإسلامي كتب عمر ابن قدور في جريدة الفاروق في 19 ديسمبر 1913: "أيها الشعب كفى. إنك تموت وإنك في طريق التلاشي مثل جميع الشعوب التي أهلكها الله لأنها كفرت بكلامه ورفضت قيّم دينه"،[5] ودعا للنظر صوب المستقبل بالتعلّم وإصلاح الأوضاع: "انهض أيها الشعب وانظر نحو المستقبل، هل لك أن تستيقظ وتباشر نهضة علمية إسلامية وإصلاحية، اجمع أيها الشعب بقايا وطنيتك وانفخ فيها روحا جديدة".[6] فقد كان كان عمر ابن قدور من القلائل الذين رجعوا إلى الجزائر برؤية واضحة عن العالم العربي والإسلامي حيث كانت ميوله قومية إسلامية، وكان مؤمنا بالجامعة الإسلامية لذلك رفض أن يحارب المسلم الجزائري إخوانه المسلمين المضادين لفرنسا، ووقف ضد الاحتلال الفرنسي للمغرب والاحتلال الإيطالي لليبيا سنة 1911،[7] وكتب يستنهض الهمم للتصدي لهذا العدوان وفضح الأطماع الغربية في العالم العربي والإسلامي.

1- مولود قرين: **«البعد القومي في فكر النخبة الجزائرية في مطلع القرن العشرين، عمر بن قدور الجزائري نموذجا»**، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، ع 6، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، (2012)،ص ص 192-195.

2- الفاروق: ع 10، (1913/05/02).

3- كمال: **المرجع السابق**، ص 238.

4- الفاروق: ع 15، (1913/06/06).

5 –Ihddaden: **op-cit**, p 238.

6- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ص 387.

7- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954**، ج 5، ص 278.

ونادى بالقومية الإسلامية وإصلاح الحالة الروحية للمسلمين التي لا تتوقف إلا على إصلاحات اعتقادية وعملية.[1] ودعا إلى الوحدة الإسلامية لأنها طريق الخلاص والقوة، كما دعا للنهوض والإصلاح عن طريق التعارف والتعاون وإنشاء الجمعيات، ففي سنة 1914 دعا إلى تأسيس جماعة التعارف الإسلامي بين مفكري المسلمين في الجزائر وتونس والمغرب الأقصى مع وجوب ربطها بمثيلاتها في المشرق الإسلامي.[2] ورأى في هذا الائتلاف أمر تفرضه حتمية الجهل والانحطاط والتكاسل والتخاذل، والسياسة الاستعمارية التي تكاد تقضي على الشخصية الإسلامية في هذه الأقطار، غير أن ظروف الحرب العالمية الأولى أثّرت على ابن قدور وعلى مشروعه الوحدوي.[3] ويُعتبر أول كاتب جزائري أخلص للدعوة إلى القومية الإسلامية، وتحمّل عبئها، وكرّس لها جريدته الفاروق لأنه يراها كعلاج فعال لكل ما أصاب المسلمين من أدواء الضعف والتفرقة والهزيمة[4]

كما تميّز فكر عمر راسم بالدعوة إلى التضامن العربي الإسلامي، وكان يرى أنه لا خلاص للشرق من سيطرة الغرب إلا بإيمان الشرق بشخصيته واعتداده بنفسه، واعتماده على قوته، ويستمد كل ذلك من تاريخه الذهبي، ويبعثه من جديد،[5] وحرّر عمر راسم في جريدة الحق مقالا مقالا سنة 1912 دافع فيه عن العروبة قائلا: "يحق علينا ألا نتّكل على غيرنا، وألا نهمل لغة أجدادنا، وتعاليم ديننا، وإلا فلنمت موتةً جاهليةً، ولا نرى في بلادنا، ولا ما بين أولادنا. نحن عرب، نحن مسلمون، نموت عرباً، نموت مسلمين".[6] كتب عمر راسم مبكرا عن الخطر الصهيوني في العالم العربي، وكانت جريدته ذو الفقار أول جريدة عربية في الدنيا اكتشفت الخطر

1- قنان: **نصوص سياسية جزائرية**، ص 289-290.

2- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 5، ص 279.

3- قرين: **المرجع السابق**، ص ص 208-210.

4- محمد ناصر: :«**رائد الدعوة إلى التضامن الإسلامي، عمر بن قدور الجزائري**»، الأصالة، ع 58-59، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، (جوان-جويلية 1978)، ص 58-59.

5- ناصر: **عمر راسم**، ص 31-32.

6- نفسه، ص 30. نقلا عن الحق الوهراني، (1912/7/20).

الصهيوني، ونبّهت عليه[1] كما حذّر من المخاطر التي قد تنجم عن سقوط الخلافة العثمانية وتداعياتها على فلسطين مركّزا دعوته إلى الجامعة الإسلامية، وضرورة التعارف بين المسلمين لتوطيد العلاقات وتوثيق التضامن في زمن التكالب الأوربي.[2] كما كان عبد الحليم بن سماية منبرا من منابر الجامعة الإسلامية في الجزائر، دافع عن قضايا التضامن الإسلامي والخلافة، ورفض أن يصدر فتوى تجيز محاربة العثمانيين خلال الحرب العالمية الأولى، بل أعلن صراحة أنه لا يجوز محاربة العثمانيين، فهم دولتنا.[3]

2-3- موقفهم من التمثيل النيابي والانتخابات:

طالب التيار السياسي الذي تزعمته جريدة الحق الوهراني بالإلغاء الكامل لقانون الأندجينا والمحاكم الردعية على نقيض تيار صحيفة الإسلام (l'Islam) الليبرالية الذي اكتفى بالمطالبة بإصلاحها فقط، أما بالنسبة للتمثيل السياسي لصالح الجزائريين فإن جريدة الحق على عكس جريدة الإسلام (l'Islam) لم تُعره اهتماما، إلا أنها تخوفت من احتمال تمثل الشعب الجزائري من طرف المتجنسين الجدد والذين لم تلمس فيهم أي صفة وأي حق لكي يتزعموا هذا التمثيل في باريس إن حصل.[4] لذلك انتقدت المطالب المقدمة للإدارة الفرنسية من أجل توسيع تمثيل النخبة الجزائرية في في المؤسسات الرسمية لأنها رأت في هذا المسعى محاولة لتذويب العرق العربي الذي تعمل من أجل المحافظة عليه، فكانت تهدف لإيجاد نظام سياسي خاص بالجزائريين وليس مجرد المساهمة في الجهاز السياسي الاستعماري، وطالبت بتحديث شامل للمجتمع الجزائري مع المحافظة على الشخصية العربي الإسلامية،[5] وكتبت: "لا تحاولوا أن تعطوا أولادنا شعورا مسبقا عن حضارتكم التي

1- المدني: **كتاب الجزائر**، ص 369.

2- بن زواو: **المرجع السابق**، ص 211.

3- بن زواو: **المرجع السابق**، ص 207.

4- مهديد: **القطاع الوهراني ما بين 1850-1919**، ص 127.

5- عطاء الله فشار: **النخبة الجزائرية جذورها، تطورها، اتجاهاتها 1914-1954**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، (2008-2009)، ص 209.

اعتبرناها منذ زمن أدنى من حضارتنا"،[1] ودخلت في مجابهة قوية من أجل التأكيد على الانتماء العربي الإسلامي للجزائريين كمقاومة لأفكار الإدماج.

وقد لمست جريدة الحق الوهراني سلبية في مسألة التمثيل بخلو جداول أعمالها من مسائل جدّية تتعلّق بأمور الجزائريين السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ورأت في التمثيل مهزلة، وأما الانتخاب فاعتبرته: «ضربا من ضروب الاستهزاء، ولعبا يليق بالصبيان، وأن الساعي فيه مجنون»[2] لأنه لا يدل على مجموع آراء السكان المغلوب على أمرهم، وبرّرت موقفها بأن: «الرجل في بلادنا ينتخب لجاهه أو لما يؤديه من المال إلى المنتخبين فليس منا من ينظر للكفاءة والنتيجة»،[3] وخلصت إلى نفي شرعية ومصداقية تمثيل الأعضاء المنتخبين للشعب حيث أكّدت: «وللحق الذي لا يرتاب فيه أحد أن جميع أعضاء المجالس في اليوم والغد لا حق لهم ولا يسوغ لهم أن يتكلموا عن لسان الشعب».[4] واتّهم الإصلاحيون أنصار الانتخابات والتمثيل من الاندماجيين بالتواطؤ مع الإدارة الاستعمارية على حساب مواطنيهم، وأنهم يستخدمون التمثيل في تزكية آراء المعمرين متجاهلين مشاعر مواطنيهم ومصالحهم، وقد وجّه عمر بن قدور انتقادا حادّا إلى عمر بوضربة عضو المجلس البلدي بمسايرته مصالح المعمرين ومحاولته سلخ الأمة، ورمْيه لحقوق مواطنيه وراء ظهره، كما خاطب المتفرنسين ناصحا إياهم بعد المتاجرة بمصير الأمة بقوله: "قفوا أيها المتفرنجون عند حدودكم ودعوا الله لأهله، فإنكم لستم في العير ولا في النفير، فإن للأمة أنصار في الباطن والظاهر متمسكين بعروة الله الوثقى".[5]

1- الحق: ع 6، (جوان-جويلية 1912).

2- الحق الوهراني: ع 37 (29/22 جوان 1912).

3- الحق الوهراني: ع 37 (29/22 جوان 1912).

4- **نفسه**.

5- فاروق جياب: «**نشاط النخبة الجزائرية في تونس ودورها في بناء الحركة الوطنية الجزائرية**»، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع8، جامعة جامعة تلمسان، (سبتمبر 2016)، ص 10.

وفي ردّها على المطالبين بتوسيع الانتخاب بيّنت جريدة الحق أنهم لا يريدون بذلك إلا الوصول للمراتب التي تُخيّل لطمعهم، ولا يتوصلون إليها إلا بغرور الشعب الإسلامي المسكين، لتصل إلى قناعة مفادها "أن وجود أعضاء مسلمين في المجالس ضار بالأمة الجزائرية، وسبب للنزاع والشقاق والنفاق بين أفرادها المساكين الذين هم في حاجة إلى ما هو أنفع لهم كالتعليم وضروريات المعاش، فلو أنفق أولئك الأغنياء على المساكين ما أنفقوه في الانتخابات لنالوا رضى الله والأمة"[1]

وظل أبو بكر عبد السلام بن شعيب متعلّقا بالحصول على الحقوق السياسية والاجتماعية من طرف الجزائريين وسط بيئة استعمارية متحرّشة ومشاكسة يمثّلها الكولون، وظل يحاول التوفيق بن السماح للجزائريين بالمشاركة في الانتخابات كأي مواطن فرنسي، وتحريرهم من القوانين والمحاكم الاستثنائية مع المحافظة على قوانينهم الإسلامية وأعرافهم وعاداتهم بواسطة تجنيس مزدوج مسلم فرنسي.[2]

2-4- التعليم في فكر المحافظين الإصلاحيين:

اعتبرت النخبة المحافظة التعليم من أهم وسائل الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية، وتحقيق التطور والنهضة.

- الدعوة للتعليم العربي:

وضعت النخبة المحافظة منذ البداية في حساباتها تنشئة الفرد الجزائري فدعت إلى العلم ونبذ الجهل والتمرد على الأوضاع المزرية،[3] فقد ربطت النخبة المحافظة بين تأخر الجزائر وجمود التعليم وقصور مناهجه، ونظرت إلى شيوع العلوم وانتشار المعارف كمقدمات ضرورية لاسترداد سيادة

1- الحق الوهراني: ع 37 (29/22 جوان 1912).

2- مهديد: **القطاع الوهراني ما بين 1850-1919**، ص 138.

3- صافر: **حركة الشبان الجزائريين**، ص 40.

الجزائر، وتوفير شروط نهضتها،[1] بالعودة إلى منابعها الأصلية المتمثلة في التعليم الذي سيخرج الجزائريين من التخلف الفكري والخرافات والمعتقدات الفاسدة، ويؤهّلهم لمجابهة الإدارة الاستعمارية وقوانينها التعسفية. فالمصلحون كانوا يلتقون على فكرة ولا يلتقون على نظام، وكان هناك رأيان يلتقيان في المقصد ويختلفان في المظهر العملي للإصلاح، أحدهما صرف جهوده إلى التعليم المثمر وتكوين طائفة جديدة مطبوعة بالطابع الإصلاحي علما وعملا، والرأي الثاني إسماع العامة المغرورة صوت الحق فصيحا بمحاربة البدع والمنكرات التي طال عليها الأمد وشاب عليها الوالد وشبَّ عليها الولد[2] حسب تعبير الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. لذلك أيّدوا نشر التعليم، وطالبوا بمضاعفة الجهود في هذا الميدان سواءً باللغة العربية أو الفرنسية، وطالب بعضهم بإصلاح الزوايا وجعلها مراكز تعليمية ناجحة[3]

وقد بدأت المطالبة بتعميم التعليم العربي منذ نهاية القرن التاسع عشر لإدراك رجال الإصلاح لأهمية التعليم في نشر الوعي السياسي وخلق الاعتزاز بالمقوّمات والثوابت، فهذا ابن رحال جرّد قلمه للدفاع عن حقوق الجزائريين في التعليم باللغة العربية، وفي المحافظة على تطبيق الشريعة الإسلامية،[4] وطالب بإنشاء المدارس الابتدائية في كل قرية، وتحت ظل كل نخلة مع ترقية تدريس اللغة العربية، وإضافة دروس في الأدب العربي، وتقديم منح للمتفوقين في المدارس الثانوية والعالية،[5] وكان لا يرى ضررا في انتشار المدارس الفرنسية فهو من المحافظين الذين شجعوا التعليم بالفرنسية للجزائريين وعارضوا التجنس،[6] لكن دون إهمال المدارس العربية الذي اعتبره أمرا لا يُغتفر وفعلا لاسياسيا، داعيا الإدارة الاستعمارية لتصحيح هذا الخطأ، وإدراك الأهمية القصوى

1- مالكي: **المرجع السابق**، ص 243-244.

2- محمد البشير الإبراهيمي: **سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 39-40.

3- سعد الله: **خلاصة تاريخ الجزائر**، ص 99.

4- سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج6، ص 225.

5- بن رحال: **المرجع السابق**، 12.

6- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، ص 148.

لقضية التعليم، وإمدادها بالعنصر الجوهري وهو المال.[1] وانتقد سياسة التي حوّلت حياة الأهالي إلى مأساة مبيّنا أنه ليس من الصعب فعل الأحسن، لكن يجب الإسراع في ذلك لكي لا تصبح كل معالجة مستحيلة،[2] وأثبت بن رحال مقدرة كبيرة بحجج بليغة في محاورة النظام الاستعماري من خلال محاولاته المتكررة في حثّه على الاهتمام بالتعليم العربي باعتباره يضم مقومات الهوية لكسب ولاء الجزائريين كنوع من المصالحة بينهم وبين المعمرين مؤكدا بقوله: "فإذا أعطيتموهم تعليما إسلاميا متماسكا في مدارسكم مع تكملة ذلك بتعليم فرنسي كافٍ، فإذا علّمتموهم قوانيننا وتاريخنا وأشعارنا الجميلة، فإن مواطنينا سيستمعون لكم، إنهم سيكسبون المصداقية الضائعة.[3]

واستمر سي امحمد ابن رحال في نضاله من أجل المطالبة بالتقدم والتحرر عن طريق التعليم،[4] العربي والفرنسي لتحقيق مكانة لائقة في المجتمع، ونهضة فكرية تعكس الاستمرار الحضاري للثقافة العربية الإسلامية، وهو الأمر الدي جعل شارل روبير أجيرون يجزم أن بن رحال على الرغم من نزعته الماضوية إلا أنه في حقيقة الأمر رجل التقدم والرّقي.[5] ذلك أنه أدرك أن مشكل الجزائريين يكمن في الجهل في العلوم الدينية والدنيوية الذي أطال خضوعهم للاستعمار، فقد كان بعيد النظر، ينظر إلى الأشياء بعين الحكيم لا بعين السياسي، وينظر إلى الجزائريين بعين المسلم فيرى أنهم بلاءٌ على أنفسهم قبل بلاء الاستعمار، وأن الواجب أن يصلحوا أنفسهم بجمع الكلمة والمحافظة على الدين إلى غير ذلك من أنواع الإصلاح الداخلي الممكن.[6]

واستغل عضويته كنائب في مجلس النيابات المالية وقدّم مداخلة بتاريخ 17 جوان 1921 حول تعليم اللغة العربية اعتبرها ممثلو السلطة الاستعمارية بمثابة عدوان غير مقبول، واعتبرها

1- بن رحال: **المرجع السابق**، 75.

2- Ben Rahal: **op-cit**, p 530.

3- بن رحال: **المرجع السابق**، ص 56-57.

4- مهديد: **القطاع الوهراني ما بين 1850-1919**، ص 132.

5- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، ص 372.

6- الإبراهيمي: **آثار محمد البشير الإبراهيمي**، ج 5، ص 129.

زملاؤه الجزائريون تهوّرا جنونيا،[1] حيث عارض تهميش اللغة العربية في توقيت بعض المدارس الأساسية للأهالي مع عدم وجودها في التعليم الابتدائي بشكل رسمي منتقدا تدريسها من طرف معلمين فرنسيين،[2] لأن تكليف من لا يتقن اللغة العربية بتدريسها لأبناء الجزائريين يساهم في ضعف التحصيل في الآداب العربية والعلوم الإسلامية وكل ما يتعلق بالمواد المشكِّلة للهوية. كما رد على المعمرين الذين عارضوا تعليم اللغة العربية، وضيّقوا على "نوادي التعصب"(الكتاتيب) بحجة أن حفظ صغار المسلمين لآيات القرآن الكريم يغذّي كراهية الكافر وأخلاقه بقوله: «أنه بدلا من غلق هذه النوادي "المعدية" فكريا وأخلاقيا كما تسمى أحيانا، ألا يمكن الاشتغال بتنظيفها وتحديثها وجعلها أعوانا وأصدقاءً لكم»،[3]

وكان عبد القادر المجاوي يوقن بأن العدو الذي قيّد الجزائر للاستعمار هو الجهل، وضعف الأخلاق بضعف الدين، وآمن بأن الوسيلة لنهوض الجزائر والوصول إلى استقلالها هي التربية والتعليم الديني العربي الصحيح الذي يخلق الأجيال الصالحة التي تكسر أغلال الاستعمار وتكنسه إلى البحر،[4] وكان يرى أن العالم الإسلامي محكوم عليه بالبقاء في دائرة التخلف مكبّلا بأغلال الجهل والأمية إن لم يولِ أهمية بالتعليم الجاد المقرون بالعمل المتقن،[5] وضمّن كتاباته رؤيته لأهمية العلم الذي يجسّد حياة الأمة بعكس الجهل الذي يجسّد موتها،[6] داعيا قومه إلى معرفة مكانتهم بين

1- بن رحال: **المرجع السابق**، ص 40.

2- **نفسه**، ص 65.

3- بن رحال: **المرجع السابق**، ص 67.

4- حسني بليل: «**الشيخ عبد القادر المجاوي التلمساني 1848-1914**»، عصور الجديدة، ع 2، جامعة وهران، (2011)، ص 271.

5- أوفة: «**الشيخ عبد القادر المجاوي**، ص 71.

6- رشيد مياد: «**مجالات الإصلاح عند الشيخ عبد القادر المجاوي (1848-1914)**»، حوليات التاريخ والجغرافيا، ع 8، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، (ديسمبر 2014)، ص 219.

بين الشعوب، فكانت دروسه تكوّن جيلا سيقف بالمرصاد ضد موجة التفرنس، وكان يثير الوعي بالمصير وبقضايا الأمة، وبوجوب التحرك الواعي، وإنشاد الحرية كل بحسب ما هو مؤهل له.[1]

وانتقد التخلف الفكري والثقافي للجزائر أمام كل من المشرق العربي وأوربا، وقدّم اقتراحا كعلاج للمنهاج التعليمي يعتمد على طرق تعليم عصرية استعملت في مصر تركّز على الثنائية الدينية والعلمية، وأعلن أن العلم لا يهدد الدين بل هو مكمّل له، ويساهم في تطوير الحياة المادية،[2] لذلك طلب من المتعلم أن يتعلم ما يفيده من علوم الدين والدنيا بداية بالقرآن الكريم واللغة العربية ثم الطب والحساب والهندسة والزراعة،[3] فشكّل ذلك نداءً لإحياء وتطوير التعليم العربي بما يفيد الدين والدنيا.

واهتمت النخبة المحافظة بتعليم المرأة لما لها من دور بارز في المجتمع وتكوين الناشئة، واعتبرها الشيخ المجاوي المرأة ركنا أساسيا من أركان المجتمع فتكوينها تكوينا نافعا يساهم في تحقيق النهضة الجزائرية التي كان ينشدها، لذلك وجب تعليمها على أسس التربية الحديثة مع ضرورة أخذ العلم من أي مصدر شريطة أن يتوافق مع شريعتنا،[4] وهي منطلق التغيير الاجتماعي بحكم أنها المهد الأول لتربية الأبناء وتعليمهم، وعليه فهي مع المجتمع في علاقة مطّردة، وما ضاع مجتمع إلا بإهمال المرأة تعليما.[5] كما نادى مصطفى ابن الخوجة بإصلاح شؤون المرأة الجزائرية، وتحريرها من الجهل في الحدود التي وضعها الشرع الإسلامي في كتابه "الاكتراث في حقوق

1- خير الدين شترة: «**المنهج التربوي والإصلاحي في فكر الشيخ عبد القادر المجاوي**»، المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع 10، جامعة معسكر، (ديسمبر 2015)، ص 84.

2- عبد القادر المجاوي: **المرصاد في مسائل الاقتصاد**، منشورات خمسينية جامعة الجزائر، 2012، ص 9.

3- أوفة: «**الشيخ عبد القادر المجاوي**، ص 71.

4- مياد: **المرجع السابق**، ص 217-218.

5- شترة: **المرجع السابق**، ص 82.

الإناث"[1] مما يعكس الرؤية الشاملة للإصلاح في فكر المحافظين باستغلال كل العوامل المساعدة على تحقيق النهضة.

ودعا مصطفى ابن الخوجة إلى الإصلاح على الطريقة العبدوية بالتعليم الحداثي بعيدا عن السياسة،[2] وهو ما جعل عمر راسم يصفه بأبي النهضة الجزائرية انطلاقا من الأفكار المتسامحة والواعية التي كان ينشرها حول الإسلام والمسلمين واللغة العربية، ونبذ البدع وتحرير العقل، فهو داعية إصلاح وتقدم اجتماعي بمفهوم ذلك الوقت.[3] فقد انطلق المحافظون في نداءاتهم الإصلاحية من الدين الإسلامي الذي يحث على العلم والتطور بشتى الوسائل، وعندما كان المجاوي وابن الخوجة وغيرهما يدعون إلى تطوير التعليم ونشره، وتعليم المرأة على وجه الخصوص، وتحسين وضعيتها، وإعطائها حقوقها، فإنهم يستندون للنصوص الدينية، وتحقيقا لواجب ديني وليس تحت تأثير وإغراءات الحضارة الأوربية، وهم لهذا كانوا يحرصون للدعوة للتطور ولكن في نطاق الحفاظ على الشخصية، وعدم التفريط في الدين والانتماء الحضاري.[4]

اعتبر عمر ابن قدور الجهالة من أسباب فناء الشعوب، وطالب بتعميم التعليم في وسط الجزائريين، ولمّا لم يجد رواجا طالب المجتمع الجزائري بتحمل مسؤوليته في تعليم أبنائه ما دامت الأبواب مغلقة "لقد امتلأت مدارس الدولة وبقي السواد الأعظم من الأطفال المسلمين بلا تعليم أي بلا حياة، في الحقيقة ولا استعداد لقبول الحياة فوجب على مجموع أفراد الشعب بداعي الضرورة وجوبا عينيا أن يقوموا ببذل وسعهم في إحياء هذه الأعضاء الميتة.[5] وانتقد الجهل الذي أصاب الأمة وما سبّبه من ظهور طائفة العلماء الجامدين الذين تعصبوا لأفكار القرون الوسطى واعتبروها هي الإسلام فقيّدوا الفكر الإسلامي عن الانطلاق، وأوغلوا المسلمين في سلاسل

1- أوفة: «**من أقطاب النهضة الثقافية**، ص 262.
2- أوفة: «**من أقطاب النهضة الثقافية**،ص 260.
3- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 3، ص 85.
4- خيثر: **المرجع السابق**، ص 48.
5- خليل كمال: **المرجع السابق**، ص 236.

الخرافات والبدع.[1] وبعد تأسيسه جريدة الصديق[2] (Es Seddik) استمر في ترديد أفكار جريدة الفاروق الدّاعية إلى أحسن المعارف، واحترام النصوص الدينية والأخلاقية، ونشر العلوم العربية، وخلق مؤسسات تطبيقية واقتصادية،[3] ودعا إلى تحصين المرأة بتعليمها حتى تتصدى لدعاة التغريب والفرنسة الذين يحاولون إخراجها من الفضيلة إلى السفور بدعوى التحضّر والحداثة[4]

ورأى ابن رحال أن ما يعطّل المجتمع المسلم هو جهله العميق ليس في الفنون والعلوم فقط، بل حتى في دينه باستثناء بعض المظاهر التعبدية السطحية، فقد تحوّل الدين إلى بدع وخرافات، ودعا للأخذ من الحضارة الغربية ما يخدم المسلمين في مجال العلوم الدقيقة، والتنظيمات الداخلية والسياسية، ونظام الأشغال العمومية، والتعليم، والتجارة، والزراعة، والصناعة[5]

وأعلن المولود ابن الموهوب الحرب على الجهل والكسل لتحرير الجزائر من حالتها المنحطّة، فتحرير أي شعب يتوقف على يقظته العقلية بواسطة خلق المدارس، ودراسة العلوم المتقدمة كالزراعة، والطبيعة، والكيمياء، والرياضيات التي كانت محل رعاية من أجدادنا، واقترح على فرنسا مضاعفة عملها الحضاري في الجزائر عن طريق تعليم تقدمي باللغتين معتقدا أنه مازال لفرنسا فرصة لمعالجة الحالة وإرضاء الجزائريين، وختم محاضرة له في نادي صالح باي سنة 1909 بنداء لليقظة جاء فيه: "مزّقوا عنكم عالم الظلام وافتحوا أعينكم على عالم مليء بالضوء"[6]

كما كان عباس بن حمانة من الرّواد الدّاعين إلى النهضة الثقافة بواسطة التعليم، وعُدَّ ما أكبر أسباب النهضة في تبسة لقوّة شخصيته، وشدّة تمسكه بالدين، وثقافته العربية، ومعرفته للغة

1- محمد ناصر: :«**رائد الدعوة إلى التضامن الإسلامي**، ص 61.

2- أسسها عمر ابن قدور سنة 1920 وكان أول عدد في 16 أوت بعد رفع إجراءات الحظر، ساعده ماليا فيها محمد بن بكير (تاجر عاصمي)، كانت أسبوعية دينية باللغة العربية تدافع عن الإسلام في شمال إفريقيا، توقفت عن الصدور في 2 سبتمبر 1920 واستأنفت في 25 أكتوبر 1920 بدون عمر ابن قدور، ونادت بالتحرر الديني تحرير الشعب الجزائري برعاية فرنسا. أنظر: Ihddaden: **op-cit,** p 364-363.

3- **ibid**, p 363.

4- خليل كمال: **المرجع السابق**، ص 235.

5- Ben Rahal: **op-cit**, p 543.

6- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 151-152.

الفرنسية،[1] وتجلّت أفكاره في بعث وإصلاح التعليم الجزائري بما يتوافق مع الحداثة والتطور الحاصل في الدول العربية خاصة تونس، فأسس الجمعية الصديقية الخيرية للتربية الإسلامية والتعليم العربي والإصلاح الاجتماعي سنة 1913، وأنشأ لها مدرسة قرآنية باسم "المدرسة القرآنية الأهلية الصديقية" استقدمت معلمين من تونس للغة العربية واللغة الفرنسية، وجهّزها بوسائل تعليم ومناهج عصرية، فكانت تدرس اللغة العربية والنحو والصرف والحديث النبوي، وأدب الحكمة والحماسة، والتاريخ الإسلامي وتاريخ وجغرافية الجزائر بالإضافة إلى العلوم الحديثة والفرنسية.[2] وأشادت جريدة البريد الجزائري بجهود المصلح الخيّر عباس بن حمانة في إصلاح أحوال المسلمين، والسعي لتثقيفهم وتهذيب أخلاقهم.[3]

واعتبر عمر راسم العلم والاهتمام به أفضل السبل لرسم معالم المستقبل، ووسيلة تفتح أعين المسلمين الجزائريين على واقعهم المر، وبيّن قيمة العلم بقوله: «يجب أن نتعلم لكي نشعر بأننا ضعفاء، يجب أن نتعلم لكي تأبى نفوسنا الضيم، ولكي نطلب العدل والمساواة بين الناس في الحقوق الطبيعية، وفي النهاية لكي نموت أعزاء شرفاء، ولا نعيش أذلاء جبناء، يجب أن نتعلم لكي ندافع عن الحق». [4]

وما يلاحظ في هذه الفترة أن المثقفين المحافظين انجذبوا نحو التاريخ العربي والإسلامي بوجه عام وتاريخ الجزائر بوجه خاص، وهو ما يُعبِّر على رد فعل ضد سياسة الاحتلال التعليمية الثقافية التي كانت تسعى لاستئصال المجتمع الجزائري وفصله عن جذوره من جهة، والتأكيد من جهة أخرى على وجود الشخصية الجزائرية بمقوّماتها العربية والإسلامية عبر التاريخ، وأصالة هذه

1- دبوز: **المرجع السابق**، ص 262.

2- **نفسه**، ص ص 262-264.

3- البريد الجزائري: ع 1، (1913/08/28).

4- ناصر: **عمر راسم**، ص 20.

الشخصية في الماضي واستمراريتها في الحاضر والمستقبل،[1] مما يعطي الاهتمام بدراسة التاريخ العربي والإسلامي والجزائري بعدا نضاليا يعزّز الهوية والانتماء.

لقد دفعت دروس الرّواد المصلحين الأوائل كالمجاوي وعبد الحليم بن سماية والمولود بن موهوب الشعب لاستعادة نشاطه الفكري بإعادة الذات الوطنية في إطار مقوّماتها الخاصة، ومثّلت جهودهم اللبنات الأولى طريق النهضة بتوجيه الشعب للأخذ بأسباب العلم والإفادة من وجوه المدنية الحديثة.[2]

- تحرير العقل الجزائري من المعتقدات الفاسدة:

جابه رجال الإصلاح الآفات الاجتماعية والمعتقدات الباطلة والتي عطّلت الفكر الجزائري، وعزلته عن التطور العلمي والثقافي، واعتبروا محاربتها أساس كل عمل إصلاحي وتغيير اجتماعي، وكان عبد القادر المجاوي أعلن حربا على البدع والخرافات التي انتشرت في المجتمع وألّف فيها كتابا سمّاه "اللمع في إنكار البدع" وهو شرح لقصيدة تلميذه ابن الموهوب،[3] وحارب تقديس الأولياء والتمائم لشعوره بخطورتها وعواقبها، فإذا مسّت البدع العقيدة انحطّت الأخلاق وانهار المجتمع، كما حارب حفلات طرد الجن التي يتجاوز فيها حد الشرع ويكثر الاختلاط، وحمّل مسؤولية هذه الانحرافات العقائدية للطرق الصوفية المنحرفة على التصوف الشرعي القائم على التمسك بقواعد الإسلام عكس الانحراف الذي كانت تشجعه الإدارة الاستعمارية التي تهدف إلى تهديم العقيدة التي تعني قوة المجتمع.[4]

1- قنان: **قضايا ودراسات**، ص 180.

2- محمد بن سمينة: **من إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة**، دار مدني، الجزائر، 2004، ص 16-17.

3- بليل: **المرجع السابق**، ص 276.

4- مياد: **المرجع السابق**، ص 220-221.

وكانت دروس مصطفى ابن الخوجة نارا على البدع والخرافات والمرابطية والطرقية الضالة،[1] وحارب المعتقدات الباطلة التي أبعدت الجزائريين عن صنوف التحضّر والتطور فألّف كتابا بعنوان "تنوير الأذهان في الحث على التحرّز وحفظ الأبدان" دعا فيه للتخلي عن العادات الباطلة البعيدة عن الإسلام.[2] وكان مؤمنا بالتجديد والاجتهاد في الدين والدنيا، رافضا للتقليد الأعمى، حاثّاً على ضرورة الانتفاع من تجارب غير المسلمين حيث بادر في كتابه "إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الدين عن الإسلام" إلى الدعوة للتخلي على العقلية المتحجرة والجمود، ودعا المصلحين إلى تولي دورهم في المجتمع بتثبيت القيم والتعاليم الإسلامية، وحذف ما هو زائد ومبتدع لا علاقة له بالأصل.[3]

وركّز عمر ابن قدور في جريدته الفاروق على محاربة البدع والخزعبلات والمنكرات التي تفشّت في المجتمع، وروّجت لها بعض الطرق الصوفية الفاسدة، وكانت الجريدة تدعو إلى روح الإسلام ونقاوته ومنابعه الصافية، وتحارب كل دعاة الجمود والتحجّر الذين يقفون سدّاً منيعا أمام كل تطور أو تقدم، ودعا لاستعمال العقل لفهم الدين الإسلامي فهما صحيحا: "خلق الله الإنسان في تفكيره حراً، وجعل حريته قابلة للزيادة والاضمحلال، ووهب له عقلا لا حدود له إذا انتشر في الوجود، وعمّر به زوايا الكون الفارغة، وما أراد به إلا أمرا واحدا وهو باختصار أن يكون منتفعا من ذلك العقل"،[4] وأرجع الجمود الديني والفكري لانتشار الفكر الخرافي القائم على البدع والتواكل والتسليم بالقدر، واعتبر هذه المسائل عناصر تعطيل حقيقي لعجلة المجتمع الإسلامي نحو النهضة والتقدم، ودعا للاهتمام بالإصلاح الديني والأخلاقي، والتكتل، والاتحاد، ونبذ الفرقة والاختلاف الإقليمي والمذهبي، وذلك بالالتفاف حول الكتاب والسنة.[5]

1- أوفة: «**من أقطاب النهضة الثقافية**، ص 261.

2- **نفسه**، ص 264.

3- **نفسه**.

4- كمال: **المرجع السابق**، ص 233-234.

5- بن زواو: **المرجع السابق**، ص 212.

كما انتقد عمر راسم الفساد الأخلاقي والاجتماعي في الجزائر تحت الاستعمار الفرنسي الذي أدخل الجزائريين في "قرن الظلمات" نظرا لسياسة التجهيل والتفقير، ودعا إلى نبذ الكسل والخمول والتوكل على الغير، وإلى التخلّق بالفضيلة والبحث عن الأسباب التي أدت بالأمة العربية إلى القوة والسؤدد،[1] وسخّر جريدته ذو الفقار للدفاع عن السنة المحمدية، ومحاربة البدع الشيطانية التي أدت إلى هلاك المسلمين.[2] وطالب ابن الموهوب بنبذ القدرية المعطِّلة للشريعة الإسلامية والعقل الإنساني، والنهوض بالإسلام الحقيقي، ونحى منحى محمد عبده في الدعوة الإصلاحية بالتركيز على الإصلاح التدريجي للنهوض بالمجتمع الجزائري من التخلف الفكري والثقافي،[3] بتحرير العقول من البدع والأوهام في الدين والدنيا.

3- الإدارة الاستعمارية وفكر المحافظين الإصلاحي:

اعتبرت السلطات الاستعمارية في الجزائر الطلبة المعربين والدارسين في المشرق العربي بمثابة بركان هادئ قد ينفجر فجأة ليُلحق أضرارا بمصالحها في الجزائر، وأجمع الساسة الفرنسيون على أن الطلبة الذين يدرسون في العواصم الإسلامية بعيدا عن نفوذهم يشكلون خطورة سياسية كبيرة بالنسبة للاستعمار لأنهم يحتكّون بالنهضة العربية الحديثة في المشرق، وعندما يرجعون إلى وطنهم سيعملون في إطار خارج عن الاستعمار الفرنسي في الجزائر إن لم يعملوا ضده مباشرة.[4] ولم يكتفوا بحمل أفكار النهضة والجامعة الإسلامية فحسب ولكنهم كانوا يطمحون إلى نهضة سياسية عربية تغذّيها ذكريات تلك السياسة التي طبقها محمد علي في مصر.[5]

ولإحباط هذه النهضة تجاهلت سلطات الاحتلال مطالب الجزائريين في التعليم العربي، وأبقت على مخططاتها في تجهيل الجزائريين لتجنّب أي حركة وعي ذات بعد عربي إسلامي، فظلّت

1- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 5، ص 288-289.

2- بن زواو: **المرجع السابق**، ص 209.

3- **نفسه**، ص 213.

4- هلال: **المرجع السابق**، ص 184.

5- **نفسه**، ص 185.

الإدارة الاستعمارية بالجزائر تعارض مسألة تعليم الجزائريين، وتعرقل دخول اللغة العربية إلى المدارس الفرنسية، ومنذ سنة 1898 عمل المفتش العام للتعليم الخاص بالأهالي وليام مارسي (William marçais) على عرقلة تعليم العربية للجزائريين ومنع دخولها للمدارس (Medersas) وخاصة في مدرسة بوزريعة لمنع الشبان الجزائريين من التأثّر بالتقليديين،[1] وهم النخبة الإصلاحية المحافظة، كما استاء رؤساء البلديات من تعليم الجزائريين ومن تخصيص ميزانية لهم فقرّروا تعيين ممرّنين جزائريين بدون تكوين لتقليص التكاليف، وكانت حالة المدارس سيئة، وهي المدارس الأكواخ (Ecoles gourbis) بأقسام أحادية (Monoclasses)، والمعلمون يتقاضون أجورا زهيدة (600) فرنك في السنة، ولم يبلغ نصيب الفرد الجزائري من القروض الموجّهة للتعليم سنة 1914 إلا (0.61) فرنك مقابل (13.97) فرنك للأوربي،[2] مما يعكس موقف سلبي مناهض للتعليم العربي أدركت سلطات الاحتلال خطورته على استمرار وجودها في الجزائر.

وضيّق الاستعمار على كل المعارضين لسياسته خاصة أثناء الحرب العالمية الأولى والمناصرين للقضية الإسلامية ومنهم عمر ابن قدور الذي عارض قانون التجنيد الإجباري ووقف مع الدولة العثمانية فقادته سلطات الاحتلال راجلا من العاصمة إلى الأغواط ثم إلى عين ماضي حيث بقي منفيا إلى نهاية الحرب،[3] كما زُجَّ بعمر راسم في السجن المضيّق من سنة 1915 إلى سنة 1921[4] بعد محاكمته عسكريا بتهمة التفاهم مع العدو[5] حيث عُثر في بريده على رسالة موجّهة موجّهة إلى جريدة الشعب المصرية تدعو المسلمين إلى الاقتداء بالسلطان العثماني خليفة المسلمين والتوقف عن مساعدة أعداء المسلمين.[6]

1- Meynier: **op-cit**, p 212.

2- Meynier: **op-cit**, p 214.

3- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954**، ج 5، ص 279.

4- ناصر: **عمر راسم**، ص 11.

5- المدني: **كتاب الجزائر**، ص 369.

6- سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 5، ص 287.

وأكّد سرفيي (André Servier) على وجود حركة وطنية جزائرية أرادت أن تستعمل المؤامرات والتقية والجامعة الإسلامية لإلقاء الفرنسيين في البحر،[1] واقم المحافظين بالعداء لفرنسا وإخفاء مشاعرهم الحقيقية وإضمار التعصب، لكن المحافظين كذّبوا أ يكونوا على علاقة بالجامعة الإسلامية، فهذا ابن رحال عندما سئل في سنة 1912 عن القومية الإسلامية والوطنية في الجزائر نفى وجودهما، ولكنه حذّر الفرنسيين من أن يكونوا هم السبب في إيجادهما يوما.[2] غير أن هذا التكذيب لا يُؤخذ على حرفيته، فإذا كذّبوا شفويا مشاركتهم في الحركتين فإنهم عمليا كانوا يعملون على تقويتها بشتى الوسائل، وحذّر الكتّاب الفرنسيون من إمكانية ثورة في الجزائر يقوم بها المحافظون تغتنم فرصة ضعف فرنسا في الحرب لكي ترمي الرومي في البحر.[3]

كما رأى سرفيي أن أصحاب العمائم أناس شديدوا الارتباط بالدين الإسلامي، وخاضعون للتعاليم المهدية، متعصبون، والتعصب الإسلامي لا أمل يُرجى منه، وأن الإسلام غير متلائم مع الحضارة لأنه جوهريا ضد أشكال التقدم، وإنهم يُظهرون الرضى ويبطنون السخط لعجزهم عن الحركة، وأن هدنتهم مؤقتة فحسب، وأنهم يتربصون بالمسيحية في انتظار ظهور نزعة أممية إسلامية ما.[4] كما أشارت صحف أوربية إلى (المؤامرة الإسلامية)، وورد في بعضها: "إن التيار الإسلامي الذي نعرفه في إفريقيا الشمالية هو عاطفة دفاع شرعي، والتي لها مقر ليس في القسطنطينية لكن في قلب كل المسلمين"[5]

وسجّل الفرنسيون سنة 1910 في الجزائر وتونس توسّعا للفكرة الإسلامية والحداثة، وزيادةً للانتقادات ضد التقاليد والممارسات الروحانية، كما رأوا أن حركة التجديد بدأت في صمت عند المثقفين في المدن، وأكّد ديسبارمي أن ابن باديس بدأ وعظه (المتزمّت) والإصلاحي

1- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 98.

2- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 169.

3- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 157-158.

4- بن حبيلس: **المرجع السابق**، ص 107.

5- Meynier: **op-cit**, p 248.

منذ سنة 1911 في قسنطينة مؤسسا أول مدرسة مجدّدة بالمسجد الأخضر تقوم على تعليم قرآني صرف، ونقد للخرافات،[1] وتعكس هذه الآراء شعور الفرنسيين بخطر الفكر الإصلاحي ونزعته التحررية على المدى البعيد، فالإصلاحيون وضعوا في برنامجهم تغيير الواقع الاستعماري انطلاقا من تغيير الإنسان الجزائري بتكوينه على أسس سليمة فكريا وأخلاقيا، وإبعاده عن كل ما يكرّس قابليته للاستعمار.

واتّهم فيليب ميللي عبد الحليم بن سماية بأنه على علاقة مع القاهرة واسطنبول لزيارته بحكم معارضته لجماعة النخبة في قضية الدين والخدمة العسكرية الإجبارية،[2] وترجم ميللي هذه المعارضة بوجود وطنية إسلامية في الجزائر، كما لام بعض الفرنسيين رجال النخبة المحافظة بلعب دور مزدوج من خلال تمنيهم عودة الجزائر إلى الاستقلال أو حتى الحكم العثماني.[3]

وحاولت الإدارة إضعاف تأثير الجامعة الإسلامية من خلال ملاحقة المشتبه بهم في نشر أفكار الجامعة الإسلامية بموجب منشور جونار بعد ثورة سنة 1906، وقرار سنة 1908 بمنع الجزائريين من الحج إلى مكة بحجة انتشار مرض الطاعون والكوليرا في الشرق الأدنى،[4] وكان الهدف الحقيقي يتمثل في منع الجزائريين من الاحتكاك بالمسلمين وبالتالي التأثر بفكرة التضامن الإسلامي على أساس أن مكة تتحول إلى برلمان عالمي أثناء موسم الحج، ولذلك اعتبرته الإدارة الاستعمارية منذ الاحتلال عملا خطيرا يهدد الأمن والاستقرار داخل الجزائر، وظل الفرنسيون يعتبرونه مؤامرة إسلامية تُحاك ضدهم يتأثر بها الجزائريون، وعند عودتهم يصبحون أكثر تطرفا، ويزداد رفضهم للسياسة الفرنسية.[5]

1- Ageron: **Les Algériens musulmans** , t 2, p 918-919.

2- Millet: **op-cit**, p 175.

3- **ibid**, p 176-177.

4- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 106.

5- هزرشي بن جلول: **الجزائريون والتضامن العربي الإسلامي 1911-1954**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر الجزائر 2، (2012-2013)، ص 38-39.

الفصل الرابع

1- ظهور حركة الأمير خالد الجزائري

- بدايات نشاطه السياسي

2- قضايا الجزائريين في نضال الأمير خالد

$2-_1$- موقفه من التجنس والادماج

$2-_2$- الانتخابات والتمثيل النيابي في نضال الأمير خالد

- الانتخابات

- التمثيل

$2-_3$- الطرح الاستقلالي في نضال الأمير خالد

- رسالته إلى ولسن

3- الإدارة الاستعمارية ونضال الأمير خالد

1- ظهور حركة الأمير خالد:

إن دراسة حياة الأمير خالد الجزائري (1875-1936) تبيّن طابع التحدي والمقاومة في شخصيته، فعلى الرغم من نشأته في دمشق، وانتسابه إلى كلية سان سير (Saint-Cyr) العسكرية سنة 1893، وتخرجه برتبة ضابط سنة 1897 إلا أنه شُغل مبكرا بالقضية الوطنية لتمتّعه بفكر مستقل مما جعله يبدأ في انتقاداته للإدارة الاستعمارية بعد فترة قصيرة قضاها في الجزائر عند عودته من دمشق سنة 1892،[1] فكان رجل الرفض والمقاومة، فقد رفض لبس الزّي الفرنسي الموحد في الجزائر، ورفض الحرب ضد العرب، واستقال من كلية سان سير ثم عاد إليها، وبصق على العلم الفرنسي، وأظهر تعلّقه بالقيم الثقافية والدينية للإسلام.[2] رغم مهارته العسكرية التي اعترف بها قُوّاده إلا أن تدخلاته السياسية جعلت منه مزعجا حقيقيا للسلطة الاستعمارية سواء في الجزائر أو في المغرب مما جعله يقدم استقالته، لكنه منح عطلة استثنائية لثلاث سنوات في 15 جوان 1913.[3]

- بدايات نشاطه السياسي:

منذ صائفة سنة 1913 دخل الساحة السياسية في الجزائر كبقية الشبان الجزائريين[4] الذين نشطوا منذ بداية القرن العشرين محلّيا وجهويا في محاولة لبناء المجتمع الجزائري الجديد بالاستفادة من عناصر الحداثة الأوربية ولكن باحترام الانتماء الإسلامي للشعب الجزائري،[5] ومباشرة عند مجيئه سنة 1913 تدخل في انتخابات المندوبين الماليين، ودعّم زروق الحلوي ضد بن صيام مرشّح الإدارة التي اعتبرت أنه قام بحركة تحريض.[6] والملاحظ أن هؤلاء الشبان لم يكونوا متجانسين في أفكارهم، وبرامجهم، وفي نشاطهم الذي ركّز على المطالب الفئوية والجهوية التي لا تؤثر على الشعور العام للجزائريين بوجود اهتمام موحد ووطني، ولكن مع مجيء الأمير خالد إلى الساحة السياسية فإنه أعطى للجزائر الجديدة المجمّع (رجل الإجماع) الذي كان ينقصها بحكم تاريخ

1- Kaddach: **op-cit**, p 97.

2- Djeghloul: **op-cit**, p 210.

3- Ageron:« **Enquête sur les origines**», op-cit, p 12-13.

4 -Ahmed Koulakssis, Gilbert Meynier: **l'Emir khaled premier zaim, identité Algérienne et colonialisme Français,** édition l'Harmattan, Paris, 1987, p 71.

5 - Djeghloul: **op-cit**, p 209.

6 - Ageron:« **Enquête sur les origines**», p 13.

أسرته، فمعه لأول مرة أخذت الدورة التاريخية بُعدا وطنيا فكان هو المحفّز للوحدة، وخط الوصل بين التطلّعات الشعبية وسلوك المجدّدين من الشبان الجزائريين، وكان يمثل في نظر الجزائريين استمرارا للمقاومة،[1] فقد كان مجيئه دعما لأركان الشبان الجزائريين في محاورة النظام الاستعماري.[2] وعلى الرغم من تكوينه في المدارس الفرنسية فإنه ظل يُعبّر عن الاستمرارية التاريخية في اعتمادها على التراث النضالي للأمير عبد القادر، وفي استثماره لُمقوّم الإسلام في الدفاع عن الشخصية الجزائرية مما يجعل دفاعه عن تعلّم الجزائريين وإصلاح أحوالهم المعرفية مطلبا فاعلا في تطور نشاطه السياسي.[3]

مع نهاية سنة 1913 نقل معركة المطالب إلى فرنسا مستغلا في ذلك عطف بعض الفرنسيين على الأهالي وسخطهم على تسلّط المعمرين في الجزائر، وقدّم محاضرات حول الأوضاع السياسية والاجتماعية للجزائريين مردّدا مفاهيم الشبان الجزائريين بالتركيز على عظمة الحضارة العربية،[4] كما عبّر عن انطباعاته حول التقارب العربي الفرنسي في كُتيِّب سنة 1913 بعنوان (Réflexions sur le rapprochement Franco-Arabe en Algérie) أبرز فيه دور الجزائريين في الدفاع عن فرنسا طيلة تواجدها في الجزائر، وشرح فيه أوضاعهم في ظل السياسة الاستعمارية، ودافع عن برنامج الشبان الجزائريين بدبلوماسية[5] حيث أكد: «نحن أبناء عرق له ماضٍ، وله عظمة وليس عرقا دونيا»،[6] وأضاف موضّحا سياسته: «علمونا ساعدونا أشركونا في في ازدهاركم وعدالتكم، سنكون معكم في ساعة الخطر»،[7] فقد كان ينتقد السياسة الفرنسية في الجزائر من خلال ممارسات المعمرين وإدارة الحكومة العامة التي تتناقض مع سياسة الجمهورية الفرنسية، فقد صرح بأن الأعداء الحقيقيين للمسلمين الجزائريين هم المعمرون فرنسيو الجزائر والحكومة العامة، وهم المسؤولون على قضية الأهالي ومعاناتهم من قانون الانديجينا، والمحاكم

---

1 - Djeghloul: **op-cit**, p 210.

2- برفيلي: **المرجع السابق**، ص 139.

3- مالكي: **المرجع السابق**، ص 244-245.

4 - Meynier: **op-cit**, p 222.

5 - Ageron: **Enquête sur les origines**, op-cit, p 15.

6 - l'Emir Khaled: **Réflexions sur le rapprochement Franco-Arabe en Algérie**, imprimerie gojusso, gojusso, Alger, décembre 1913, p 17.

7 - **ibid**, p 19.

الاستثنائية مما جعل خطابه يُلمّح إلى تجريد الإدارة الاستعمارية من سلطتها في الجزائر،[1] حيث أكد على أن الوفاق سهل مع فرنسي فرنسا لكن المشكل مع فرنسي الجزائر الذين تسببت أخطاؤهم في وجود القضية الأهلية[2] وما نتج عنها من حرمان للجزائريين.

وفي المقابل حاول تعريف الأهالي بفرنسا الحقيقية التي لا يعرفونها بسبب السحب الكثيفة التي تحجبهم عنها من طرف معظم الجرائد الجزائرية وإدارة الاحتلال والمعمرين[3] الذين يستغلون الجزائر لصالحهم. وعبّر عن ثقته في حداثة فرنسا وإصلاحاتها وأفكارها الليبيرالية، وأنها ستنفذ وعودها وتُقدم المسلمين الجزائريين ساعة الإحسان دون أن تنتظر الخطر لتُظهر عطفها وإصلاحاتها[4]

حاول أن يكون صوتا للجماهير الشعبية وناطقا باسمها في طرح مطالب كانت من جوهر اهتماماتها فانتقد استغلال المعمرين لخيرات الجزائر دون المسلمين الجزائريين الذين يتحملون كل الضرائب ولا يستفيدون من الميزانية، وانتقد غياب التهيئة والطرق والمدارس في الدواوير ليطالب بحق الجزائريين في التمتع بالازدهار الفرنسي،[5] كما طرح منذ سنة 1914 مطلب تشغيل اليد العاملة الأهلية بفرنسا وحمايتها، وإلغاء قانون الأهالي والمحاكم الاستثنائية، ونادى بتمثيل حقيقي للأهالي في كل المجالس[6] يُمكّنهم من طرح انشغالاتهم بشكل جدّي ونافع، لا أن يكون تمثيلا صوريا يحقق امتيازات طبقة معينة منتقدا أعوان الإدارة الاستعمارية: «إن من يدّعون أنهم ممثلونا يعملون في الحقيقة على إحباط مطالبنا المشروعة، ويخدمون مصالحهم الشخصية بينما الشبان الجزائريون المستقلون والنزهاء هم من يمثل جيّدا الرأي العام الأهلي».[7] وطالب بتوسيع الحقوق البلدية للمستشارين البلديين حتى يستطيعوا انتخاب رؤساء البلديات مُعتبرا ذلك خطوة كبيرة في طريق العدالة[8] التي ينتظرها الجزائريون من فرنسا، وأعلن إرادة الجزائريين في التمسك بقيّمهم

1 - Koulakssis: **op-cit**, p 79.
2 - Ageron:« **Enquête sur les origines»,** p 15 .
3 - Kaddach: **op-cit**, p 99.
4 - Khaled: **Reflexions**, p 8-9.
5 - **ibid**, p 7.
6 - Ageron:« **Enquête sur les origines»,** p 16 .
7 -**ibidem**.
8 - Khaled: **Reflexions**, p 11.

الدينية ومقومات شخصيتهم الحضارية التي تثبت امتدادهم التاريخي وتُميزهم كأمة عن الفرنسيين بقولٍ فيه نبرة التحدي والاعتزاز: «لن نتنازل على أحوالنا ولا على ممارسة دين آبائنا، وعلى احترام تقاليدهم وذاكرتهم لأننا نحفظ خصائصنا التي تكونت عبر التاريخ، نريد الاعتراف بأحوالنا الشخصية الإسلامية، فقوانيننا هي نتيجة لعاداتنا ومعتقداتنا السامية».[1]

وقد أبرزت مطالبه في هذه الفترة شكلا جديدا للمقاومة السياسية "الرفض والحوار" رفض انتقائي للفرنسة وللتعسف الاستعماري لكن قبول بالمطالبة بالحقوق السياسية والتعليم فهو حوار متعال مؤسس على شرعية تاريخية[2] باعتبار نسبه إلى الأمير عبد القادر، هذا الرفض الانتقائي والحوار المتعالي أسّس لجزائر جديدة، وجعل منه محاورا للنظام الاستعماري بصفته ناطق بطموحات الشعب[3] على خلاف بقية الشبان الذين اعتمدوا على المصالحة والتوفيق بين خوفهم من الاستعمار ورفضهم لسياسته بإخفاء ذلك الرفض بواسطة تصريحات حول العدالة والوطنية الفرنسية،[4] وهذا ما جعل نضاله يُنشّط الحياة السياسية في الجزائر بين سنتي 1919 و1923،[5] ويمنحه قاعدة شعبية آمنت به ووثقت في برنامجه.

2- قضايا الجزائريين في نضال الأمير خالد:

منذ دخول الأمير خالد للجزائر بدأت معالم حركة جديدة تتأسس على أرضية ميّزتها مطالب معتدلة لا تعبّر عن الطموحات الحقيقية للجماهير الجزائرية التي كانت تئن تحت ضغوطات الإدارة الاستعمارية وبعدها عن اهتمامات النخبة المتفرنسة التي نادت بالتجنس والاندماج وسيطرت على تمثيل الجزائريين في مختلف المجالس بدون فعالية، ولهذا فإن حركة الأمير خالد ستغير من طريقة الطرح السياسي الوطني، وتحظى بتأييد جماهيري كبير تعكسه الانتخابات.

1- Khaled: **Reflexions,** p 16.

2 -Djeghloul: **op-cit**, p 210-211.

3 -**ibid**, p 211.

4 - Kaddach: **op-cit**, p 86.

5 - Benjamin Stora: **Messali Hadj (1898-1974) pionnier du nationalisme Algérien**, Edition l'Harmattan, Paris, s d, p 40.

والملاحظ أن برنامج مطالبه كان شاملا لكل نواحي حياة الجزائريين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على عكس التيارات السياسية الأخرى التي اقتصر نشاطها على مجال محدد، فقد انتقد النظام الاستعماري الذي تسبب في ارتفاع الفقر في الجزائر منذ الاحتلال، ونادى بإبطال الوضع الخاص والشاذ الذي تئن تحته الجزائر من ظلم في الضرائب التي يتحملها المسلمون الجزائريون بينما نصيبهم منها هو الأضعف، فدواويرهم بلا طرقات ولا ماء، وأطفالهم بلا مدارس، وأوقافهم أُلحقت بالإدارة الاستعمارية، ومساجدهم أُهينت بإقامة ما يخالف قداستها كالموسيقى العسكرية، وقضاؤها أُلحق بالقضاء الفرنسي إلا في مجال الأحوال الشخصية[1] وهذا ما يعطيه صفة المشروع الوطني للنهوض بحياة الجزائريين، وتحسين أحوالهم بما يؤسس لمجتمع مسلم حيوي.

2-1- موقفه من التجنس والإدماج:

شكلت قضية التجنس والإدماج محورا رئيسا في اهتمامات نخبة الشبان الجزائريين مع مطلع القرن العشرين لأنها تفتح أمامهم أبواب الوظائف الفرنسية السامية وتخرجهم من صفة الأهالي المحرومين من كل الحقوق، فحركة الشبان كانت تحاول بواسطة مطالبها المحتشمة الإفلات من دكتاتورية المستوطنين ولم تكن تلك المطالب تخرج عن نطاق الاستفادة من الحقوق التي تنص عليها سياسة الإدماج الرسمية.[2]

وعند مجيء الأمير خالد فإنه تعاون مع الشبان الجزائريين، وحاول –حسب أجيرون- تشكيل حزب إسلامي واحد يجمع كل الجزائريين المسلمين لكن رؤيتهم للتجنس حالت دون ذلك،[3] فالأمير خالد ذو الحس الوطني أراد العمل من أجل المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية للجزائري لكي لا يذوب في الحضارة الفرنسية، ويفقد هويته الوطنية بينما بقية الشبان

1- «**Le dernier appel de l'émir Khaled au peuple de France**», l'écho de la presse musulmane, n 12, (24/01/1936).

2- مهساس: **المرجع السابق**، ص42.

3 - Ageron: «**Enquête sur les origines**», p 20.

الجزائريين استهوتهم الحضارة الأوربية فربطوا مصيرهم بمصير فرنسا.[1] لذلك فإنه سرعان ما ابتعد عنهم بعد أن أصبح يطالب بعد استقراره في الجزائر العاصمة بالحقوق السياسية لأبناء البلد الأصليين بينما بقيت حركة الشبان الجزائريين تطالب بإعطاء الجنسية للجزائريين والسماح للمثقفين أن يمثلوا الجزائر في البرلمان الفرنسي.[2] فهذا الاختلاف حول وضع الجزائريين في مطلع القرن العشرين سيقدمه كسياسي بمكانة عالية يعرف جيدا حاجيات الأهالي الذين كرّس نفسه لهم فهو المخلص المتمسك بتقاليده التي يقدّرها جيّدا،[3] ولأجل ذلك سيدافع عن الأحوال الشخصية الإسلامية للجزائريين رافضا التجنس خارج إطارها، وكان قد رفض أثناء خدمته في الجيش الجنسية وفضل البقاء ضابطا أهليا.

وكان الأمير خالد رفقة قايد حمود[4] وحمو حاج عمار[5] قد وقفوا ضد التجنس واتخذوا من قضية التجنيد وسيلة للحصول على الحقوق مع التأكيد على الحفاظ على الأحوال الشخصية والهوية العربية الإسلامية،[6] وهي النقطة التي تكرّس الاختلاف مع بقية النخبة وتفضي إلى الانفصال عنها سنة 1919، وهي سنة صدور قانون الرابع فبراير المتضمن مشروع الإصلاحات التي أوقعت في صفوف النخبة الجزائرية وبين الشبان الجزائريين بالذات انقساما في الرأي حول طريقة التعامل معها وكيفية الاستفادة منها، وبالأخص من بعض بنودها المتعلقة بالتجنس،[7] فهذا القانون يتيح لفئة من الجزائريين فرصة الحصول على المواطنة الفرنسية الكاملة شريطة التنازل عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية وهذا ما أدى لانقسام الحركة تيارين: تيار يأمل الانتفاع بالتجنس وبالتمثيل في غرفة النواب، وتيار ثان يرفض التنازل عن الوضع الإسلامي استنادا إلى رفض الجماهير لمثل هذا الإصلاح غير المضمون بحكم معارضة الأوربيين الشديدة له، وهذا التيار

1- بوحوش: **المرجع السابق**، ص 230.

2- **نفسه**، ص219.

3 - Ageron: **«Enquête sur les origines»**, p 15.

4- مهندس زراعي، من أنصار الأمير خالد، نائب بلدي ومالي، كاتب صحفي، من محرري مذكرة تقرير مصير الجزائر إلى مؤتمر الصلح.

5- مستشار بلدي لمدينة جيجل من المقربين من الأمير خالد ومن مؤيديه، كان ضمن الوفد الذي رافقه إلى باريس لتسليم المذكرة إلى ولسن بباريس.

6- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 24.

7- **نفسه**، ص149.

تزعمه الأمير خالد[1] أحد الشخصيات الرمزية في هذه الفترة من القرن العشرين حيث خاض أول مواجهة سياسية مع القوة الاستعمارية.[2]

فالأمير خالد باعتباره معارضا لإدماج الجزائريين بالتجنيس فصل نفسه عن جماعة النخبة مبينا أن الجزائريين لا يستطيعون قبول المواطنة الفرنسية داخل أي إطار غير إطارهم الخاص وقال أنه حلم أن نسأل الفرنسيين تغيير شرطهم[3] لأنه أولا شرط لا تريده الجماهير لأسباب دينية، لأن لأن «القرآن الكريم يشكل قاعدة قانوننا المدني والديني، وهو غير قابل للتغيير»، وثانيا أن فرنسا نفسها لن تصدر أبدا قرارا بالتجنيس الجماعي لأنها تخشى أن ترى الكولون تحت رحمة خمسة ملايين جزائري،[4] ونجد أن الأمير خالد استند في مواقفه ومطالبه للحكومة الفرنسية على البعد الديني، فرفضه ومعارضته لبعض الإجراءات التي تصدرها فرنسا كان استنادا إلى الدين الإسلامي، كما طالب بالحقوق السياسية دون التخلي عن الخصوصيات الثقافية والدينية والحضارية،[5] وبهذا الموقف فجّر الأمير خالد تجمع الشبان الجزائريين في الانتخابات البلدية للعاصمة في ديسمبر 1919،[6] وأصبح تيّاره الذي نادى بالمساواة هو الأبرز على الساحة الوطنية باكتسابه سمعة كبيرة كبيرة في أوساط الجماهير المسلمة التي كانت تتابع باهتمام النقاش الدائر حول موضوع جوهري كالتجنّس،[7] فهو عبّر عن رفض يتقاسمه مع الأغلبية الساحقة للجزائريين، وجعل دخول الأهالي الجزائريين إلى المواطنة الفرنسية في إطار أحوالهم الإسلامية من أولويات برنامجه، فكان يريد أن يكونوا متساوين مع الفرنسيين ورفض أن يكونوا فرنسيين،[8] مؤكدا على التمسك بالأحوال الشخصية الإسلامية للجزائريين، وقد اعتبر الأمير خالد بأن الواجبات العسكرية المفروضة على

1- مهساس: **المرجع السابق**، ص 44.

2 - Messaouda YahiaouiI: «**Islam et identité nationale pendant l'entre deux guerres 1919/1939 en Algérie**. **El-Nahda et reactions coloniales**», El Mawaqif, n spécial, université de Mascara, (avril 2008), p 53.

3- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 362.

4 - **l'Ikdam**, n 15, (21-28 juin 1919).

5- خيثر: **المرجع السابق**، ص 45-46.

6 - Ageron: **Une politique Algérienne libérale**, op-cit, p 147.

7- مهساس: **المرجع السابق**، ص 44.

8 - Meynier: **op-cit**, p 718-719.

الأهالي هي نفسها المفروضة على الفرنسيين مما يجعلهم وطنيين مثلهم[1] بغض النظر إلى أحوالهم الشخصية.

وفي مقابل رفض الأمير خالد للإدماج فقد قدم البديل الأفضل وهو "المشاركة" التي تقوم على إشراك الجزائريين في إدارة الشأن العام، لأنهم قاتلوا بشجاعة مع الفرنسيين، وقدّموا دماءهم لأجل فرنسا،[2] وترشيحهم للتمتع بصفة المواطنة بمفهوم التعاون (la collaboration) كصيغة تعني النفي السياسي للإدماج الذي يرى الأمير خالد أنه لا يفضي إلى ما تتطلع إليه الجماهير الجزائرية لأنه الاستعمار ذاته، كما أنه لا يراع خصائص المسلمين ومقوماتهم الدينية والحضارية كاستمرارٍ لتاريخ العرب وجغرافيتهم،[3] فسياسة التعاون عن طريق المساواة جاءت لتجاوز عقبات عقبات السياسة الاستعمارية الاستبدادية، والعمل على تحقيق هدفين الأول على المدى البعيد وهو استقلال الجزائر، والثاني على المدى القريب وهو المناداة بالمساواة.[4] فكان مطلب المساواة في الحقوق والواجبات مع المعمرين هو وسيلة فقط من وسائل المطالبة السياسية المرحلية، ولم يكن غاية في حد ذاته، أي أنه المرحلة الأولى لتحقيق الاستقلال التي من شأنها أن تخلق ذهنية جزائرية جديدة مؤمنة بذاتها، وواعية بخصائصها الحضارية والدينية والسياسية تصل في الأخير إلى المطالبة بالانفصال عن فرنسا.

وبالمقابل قدّم برنامجا[5] يمثّل رغبات المسلمين الجزائريين،[6] ويخدم مصالحهم السياسية والثقافية والاجتماعية، فهو يرفض الحديث عن الإدماج ويدعو للعمل على إنجاح سياسة المشاركة بين العنصرين الجزائري والفرنسي في ظل احترام أحدهما للآخر،[7] فكتب: «لا نريد إلا سقوط

1- الأمير خالد: **النيابة الأهلية بمجلس الشورى الفرنسوي**، الإقدام، ع 110، (1922/12/22).

2 - **l'Ikdam**, n 15, (21-28 juin 1919).

3- ثنيو: **إشكالية الدولة**، هامش 3، ص 159.

4- مناصرية: **المرجع السابق**، ص 51.

5- إلغاء كل القوانين الإستثنائية - تمثيل الجزائريين في البرلمان ومجلس الشيوخ - التعليم الإجباري باللغتين - إنشاء جامعة عربية - إلغاء البلديات البلديات المختلطة والحكم العسكري - ربط الجزائر بفرنسا - منح الجزائريين حقوق المواطنة الفرنسية في إطار الأحوال الشخصية الإسلامية. للمزيد أنظر: .**l'Ikdam**, n 15, (21-28 juin 1919)

6 - Kaddach**: op-cit**, p 108 .

7 - Ageron: «**Enquête sur les origines**», p 26.

الحواجز بين المسلمين الجزائريين والفرنسين، ودخول الحياة المشتركة»،[1] وتساءل بشأن إنجاح سياسة المشاركة كضرورة في تحقيق التطور للمجتمع الجزائري: «بعد قيامنا بواجبنا نحو فرنسا هل نحن قادرون على القيام بواجبنا تجاه أنفسنا؟ نحن مسلمون فرنسيون نرغب في تنوير مواطنينا، وتأسيس اتحاد ومساواة».[2] وقد ركّز في برنامجه على اللغة العربية لأنها عماد الدين الإسلامي، وتعلُّمها يزيد الجزائريين تمسكا بمقومات شخصيتهم الوطنية العربية الإسلامية، فيكون ذلك درعا واقيا من محاولات المسخ الحضاري.[3] واعتبر أن الجزائريين من خلال مشاركتهم في الحرب العالمية العالمية الأولى دافعوا عن الحرية والعدالة فأصبحوا إخوةً وشركاء مع الفرنسيين واستحقوا أن يُقرّبوهم، ويمدّون إليهم أيادٍ مخلصة لا تنتقص من قيمتهم[4] فيتمتعون بما يتمتع به سائر الفرنسيين، الفرنسيين، «لسنا دونيين، نحن أبناء عرق له ماضٍ وعظمة، نحن شركاء في عظمة وازدهار الجزائر».[5]

وهو بهذا يدعو لمبدإ المساواة الذي ترتكز عليه حركته السياسية التي أربكت المعمرين والشبان الجزائريين معا، ويعبّر عن عدم رضاه على قانون فبراير 1919، وتأسف على أنه لم يلمس لدى الفرنسيين حركة أخوّة وتقارب، وعلى تواصل العداء تجاه الأهالي الذين وعلى الرغم من كونهم رعايا إلا أنهم قدموا ضريبة الدم بشجاعة،[6] لكن رغم ذلك نصح الأهالي باغتنام إيجابيات القانون الجديد خاصة فيما يخص التمثيل النيابي،[7] فقد وجد في هذا القانون مجالا لتحرّكه السياسي بما يساعد على تحقيق آمالٍ ولو جزئية لبني جلدته.[8] فهذا رفض انتقائي لكل ما ما يمس بالأحول الشخصية الإسلامية مع أخذ ما يناسب للحصول على الحقوق السياسية للجزائريين كحق اختيار ممثليهم الأكثر جدارة واستحقاقا في مختلف المجالس الجزائرية وحتى في

1 - L'emir Khaled: **«Appel de la fraternité Algérienne»,** l'Ikdam, n 91,(11-08-1922).

2 -**ibidem**.

3- مناصرية: **المرجع السابق**، ص 53.

4 - l'émir Khaled**: «mentalités différentes»,** l'Ikdam, n 89, (28/07/1922).

5- Khaled: **Reflexions**, p16-17

6 -l'Emir khaled:**« Bien faire et laisser dire»**, l'Ikdam, n 5, (05/04/1919).

7 - Kaddach: **op-cit**, p 104.

8- عبد المجيد بن عدة: **«من أعلام الوطنية والإصلاح في الجزائر، الأمير خالد 1875-1936»**، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 24، جامعة الجزائر 2، د ت، ص 157.

فرنسا للتعبير بصدق عن طموحاتهم فقد اعتمد مبكرا على مبدإ "خذ وطالب" وأدخل طرحا سياسيا جديدا في الجزائر جعله يقود الجزب المسلم المدافع عن الحقوق بشجاعة في الجزائر وفي فرنسا بحملات دعائية متطورة عن طريق المحاضرات والصحافة [1] يُعرّف فيها بالوضع المزري لإخوانه الأهالي[2] تحت القوانين التعسفية.

وتجدر الإشارة إلى أن رفض الأمير خالد للتجنس يُنم عن فكر سياسي متنور داعم للفكرة الانفصالية بين الجزائريين والفرنسيين بالاستناد على الدين، ذلك أنه لما طالب أن يُسمح للجزائريين أن يصبحوا فرنسيين داخل أحوالهم الشخصية كمسلمين لم يكن يتحدث باسم الدين بل باسم الديمقراطية التي تعني حرية العقيدة والتفكير، إن القانون الفرنسي بالنسبة إلى القضية الجزائرية كان معاديا للديمقراطية وغير متسامح.[3] كما كان يعبّر عن برنامج إصلاحي يعد بإمكانية تحقيق المواطنة في ظل احترام نظام الأحول الشخصية القائمة على الشريعة الإسلامية، والذي يحفظ للمسلم شخصيته من الانحلال، وفي المقابل لم يتخلّ الأمير خالد عن فرنسا للاستفادة من مزايا النظام الجمهوري، واللجوء للسلطة العليا في باريس للطعن في تصرفات الحكومة العامة ونظامها الاستعماري في الجزائر،[4] بل أنه اعتبر حكومة باريس الخلاص الوحيد للجزائريين من تعسّف المعمرين في الجزائر، وعليها وحدها «نعلّق آمالنا حتى تّدير أمرنا إدارة حسنة إن كانت تريد لها ولنا الصلاح أدبيا وماديا وسياسيا».[5]

$2-_2$- الانتخابات والتمثيل النيابي في نضال الأمير خالد:

- الانتخابات:

كانت قضية تمثيل الجزائريين في مختلف المجالس من المحاور الرئيسة التي ناضل من أجلها الأمير خالد باعتبار أن الممثلين ينبغي أن يعكسوا طموحات الجماهير، وأن يعملوا على تحقيق

1- «**La vie de l'émir Khaled**», l'écho de la presse musulmane, n 16, (28/02/1936).

2 - «**L'émir Khaled est mort**», l'écho de la presse musulmane, n 12, (24/01/1936).

3- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 361.

4- ثنيو: **إشكالية الدولة**، ص 164.

5- الأمير خالد: «**استعفاء الأمير خالد**»، الإقدام، ع 31، (1921/05/13).

أهدافهم لذلك فاختيارهم يعتمد على الكفاءة والجدارة ومدى تقديمهم لمصالح الجزائريين، وكانت إدارة الاحتلال قد استعانت بمن يقوم بتمثيل الجزائريين في المجالس المحلية من بعض رؤساء الأسر الكبيرة والإقطاعيين الذين كانوا مستعدين أن يقولوا نعم أو لا "بني وي وي" مقابل حمايتهم وحماية مصالحهم، ومع ظهور الإصلاحيين والليبراليين بدأت عملية التمثيل النيابي للجزائريين على إثر المشاركة في انتخابات 1919.[1]

لقد كانت هذه الانتخابات فرصة للجزائريين للتعبير عن حرية اختيار ممثليهم، وفرصة للأمير خالد ونخبة الشبان لجس نبض الشارع الجزائري حول قدرته على التمييز بين البرامج، لذلك اعتمد الأمير خالد على وسيلة العمل الانتخابي لتحقيق مطالبه الإصلاحية،[2] وتجريد الأعيان الخاضعين للإدارة الاستعمارية من احتكار تمثيل الجزائريين في المجالس المحلية والنيابات المالية باصطناع نخبة سياسية جديدة مستقلة بالنسبة للإدارة الاستعمارية،[3] خاصة وأنه كان محافظا على الدين قولا وعملا، وشعبيا في مظهره ومخبره، وخطيبا مبين الحجة، قويّ التأثير، فخم المنطق باللغتين العربية العامية والفرنسية،[4] مما جعله مقنعا لمستمعيه في كل خطاباته. واتخذت حركته من صناديق الانتخابات مجالا لها، واعتبرتها جزءا من تحريك المجتمع نحو النهضة والانعتاق،[5] وإحداث وإحداث تغيير لصالح الجزائريين من خلال تمثيلهم في المجالس،[6] فقد كان يرى أنه بدون بطاقة الانتخاب فإن الجزائريين لا يستطيعون عمل أي شيء، ولا ينالون أي شيء.[7] فقد أراد استثمار الجماهير الجزائرية وتحريكها بالوسائل الديمقراطية للدفاع عن مصالحها، وافتكاك حقوقها من النظام الاستعماري.

1- سمية بوسعيد: «**الأحزاب الجزائرية والتجربة الانتخابية (1919-1954)**»، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، ع 2، جامعة سيدي بلعباس، (جوان 2010)، ص69.

2- مهساس: **المرجع السابق**، ص 49.

3 - Djeghloul: **op-cit**, p 212.

4- الإبراهيمي: **المرجع السابق**، ص 128.

5- عبد المجيد بن عدة: **«من أعلام الوطنية والإصلاح في الجزائر..**، ص 157.

6- **نفسه**، ص 154.

7 - l'émir Khaled**: «le problème indigène»,** l'Ikdam, n 91, (11/08/1922).

وكانت انتخابات 30 نوفمبر 1919 هي المناسبة التي واجه فيها نخبة الشبان الاندماجيين حيث تقدم للانتخابات البلدية بالعاصمة مع الحاج موسى[1] ضد قائمة القابلين للتجنس بقيادة ابن تامي،[2] وركّز الأمير خالد في حملته الانتخابية -التي كانت استفتاءً شعبيا لا ريب فيه-[3] على تمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي، والمطالبة بإلغاء القوانين الاستثنائية لحكام البلديات المختلطة، وبالسماح للجزائريين بالدخول في المواطنة الفرنسية في إطار الأحوال الشخصية الإسلامية، وبإجبارية التعليم باللغتين العربية والفرنسية.[4]

كما ركّز على الإسلام والكفاح البطولي للأمير عبد القادر متّهما ابن تامي ومن معه بالردة، وكان جمهور الجزائريين يرهفون السمع لمثل هذه المواضيع التي تخاطب ذاكرتهم الجماعية وتحيي فيهم آمالا عريضة،[5] بينما أُعتبر في نظر خصومه من الجزائريين والمستوطنين محرِّضا خطيرا ومتحدثا باسم الوطنية الإسلامية الوليدة[6] وبالمعاداة لفرنسا فقد اتّهمه بن تامي قائد الشبان الجزائريين الذي لم يحصل إلا على (332) صوت بالتآمر على السلطات الفرنسية وباستعمال التأثير المرابطي كما اتّهمه بالتعصب الإسلامي،[7] ولكن رغم هذا فالجزائريون التفّوا حول برنامجه لأنهم رأوا فيه استمرارا للمقاومة وأحقّية في تمثيله لهم، فانتخبوا بقوة لصالحه وهم من طالب به، وكانت نجاحاته مدويّة فاقت التخيّل، وأعطته شهرة في العمالات الثلاث.[8] وبفوز مجموعة الأمير الأمير خالد[9] الذي عُدَّ فوزا لأنصار الشخصية الإسلامية، وجعل الأمير خالد على رأس حركة

1- ضمت حاج موسى، الأمير خالد، قراد خليفة، حاج عمار حمو، قايد حمود، سيدي بومدين بشير، الدكتور بن العربي، بن رضوان براهيم، سيدي مبارك الحلوي، بن سمان إلياس، بن مرابط احميدة، محمد بن يحي. أنظر: .(1919-11-27) ,**l'Ikdam**, n 34

2- ضمت بلقاسم بن تامي، بوضربة عمر، Ladmiral Maurice، وليد عيسى مصطفى، بوليفة بن عمار، براهم موهوب، صادق دندان، جعفر ساطور، قلاتي محمد، حسان حفيظ، صوالح محمد، تامزالي عبد النور. أنظر:.(1919-11-20) ,**l'Ikdam**, n 33

3- بن عدة: «**من أعلام الوطنية والإصلاح في الجزائر**، ص 158.

4- **l'Ikdam**, n 15, (21-28/06/1919).

5- مهساس: **المرجع السابق**، ص 44.

6 - Kaddach: **op-cit**, p 99.

7 - Ageron: «**Enquête sur les origines**», p 21.

8 - Kaddach: op-cit, p 100.

9- حاج موسى 940، الأمير خالد 925،،الدكتور بن العربي 901، قايد حمود 873 ، حاج عمار حمو 867، قراد خليفة 824، سيدي مبارك الحلوي 784، بن رضوان براهيم 753، سيدي بومدين بشير 747، محمد بن يحي 720، بن مرابط احميدة 714، بن سمان إلياس653. بينما لم يحصل بن تامي إلا على 332 صوت وبوضربة 128. أنظر:.(11-18 décembre1919) ,**l'Ikdam**, n 35

الشبان الجديدة[1] ازداد تخوف الإدارة الاستعمارية من ظهور فكر المحافظين الأهالي، وتصاعد ما وصفته بالتعصب الإسلامي،[2] لذلك وعلى الرغم من فوز قائمته بالعاصمة فقد ألغى مجلس العمالة العمالة انتخابه شخصيا بدعوى أنه من مواليد دمشق وبالتالي لم يكن من الرعايا الفرنسيين فضلا عن مساهمته في إيقاظ التعصب الإسلامي بدعايته المناهضة لفرنسا.[3] لكن هذه الانتقادات لم تزد الأمير خالد إلا شعبية وانتصارا، وأكّدت صحّة نهجه السياسي الذي استجاب لتطلّعات الجماهير الجزائرية فتعاطت معه بإيجابية، وأيّدته في كل المناسبات الانتخابية مما أدى لظهور جزائر جديدة بدأت تتحدى الإدارة الاستعمارية وأعوانها.

لقد استحضر الجزائريون خلال هذه الانتخابات مآثر الأمير عبد القادر فالهزيمة الساحقة التي تكبدها المثقفون المتشبعون بالحضارة الفرنسية سجلت إفلاس هذا الحزب أمام المحافظين المسلمين بقيادة النقيب خالد وفي المقابل بيّنت بقاء الأهالي الجزائريين مرتبطين بأحوالهم الشخصية وإيمانهم الإسلامي المتصلب،[4] كما كانت هذه الانتخابات البلدية نقطة انطلاق جديدة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، فقد أدت من ناحية إلى تقسيم النخبة إلى اندماجيين ومعادين للاندماج وأدت من ناحية أخرى إلى ظهور زعيم جديد هو الأمير خالد، كما كشفت عن حقيقة الرأي العام الجزائري الذي كان ضد الاندماج،[5] ودخل في مقاطعة شبه تامة لكل ما له علاقة بالإدارة الفرنسية.[6]

وفي انتخابات 1920 تعزّزت مكانة الأمير خالد في الساحة السياسية الجزائرية بفضل اتساع دائرة ثقة الجماهير فيه وفي برنامجه، فقد كانت لها مدلولات سياسية تجلّت في الإقبال الكبير عليها على المستوى البلدي والولائي والمالي حتى وصفت أنها ثورة انتخابية[7] عبّرت عن جزائر جديدة رفضت الإدماج وطالبت بالحرية بأوسع معانيها بواسطة منتخبين جدد،[8] فقد أسفرت

1- بن العقون: **المرجع السابق**، 101.

2 - Ageron: «**Une politique Algérienne libérale**», op-cit, p147.

3- مهساس: **المرجع السابق**، ص 45.

4 - Kaddach: **op-cit**, p 101.

5- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص290.

6- بن العقون: **المرجع السابق**، 101.

7- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 160.

8 - Kaddach: **op-cit**, p 104.

الانتخابات عن نجاح تسعة مستشارين عامين من بين تسعة وعشرين، وستة نواب ماليين من بين ثمانية عشر كلهم ينتمون سياسيا إلى كتلة الأمير خالد،[1] ففي العاصمة سحق ابن التهامي الذي شكل قائمة بالمثقفين المتجنسين أمام قائمة الأمير خالد الرافضة للتجنس ونال صاحبها مقعدين من عشرة مقاعد في المجلس العام، ومقعدين اثنين من تسعة في المجلس المالي،[2] ومما يعكس شعبية الأمير الأمير خالد وقائمته وتراجع خصومه الاندماجيين الفرق الشاسع في الأصوات فقد فاز في المجلس المالي بــ (7000) صوت ضد (2500) صوت لصالح زروق محي الدين وفاز في المجلس العام بـــ (2505) صوت ضد (256) صوت لصالح الدكتور تامزالي.[3]

وأصبح نجما في نظر المسلمين الجزائريين وقَبلته كخصم منتصر على الإدارة،[4] فتعززت زعامته، وانتشرت سمعته فعُدَّ رئيسا حقيقيا للسان الجزائريين المعارضين للسياسة الفرنسية، وكانت جماعته يطلق عليها أحيانا الحزب المارابوتيكي، وحينا آخر بالحزب الوطني الإسلامي، وهذا ما يفيد المعارض لفرنسا وغير الوفي لها والراغب في الانفصال عنها،[5] فتأسّست في الجزائر نزعة سياسية جديدة عُرفت بالخالدية تصب في معنى تحرير الشعوب[6] انطلاقا من الحصول على حق الانتخاب والتمثيل النيابي. وكان رفض قوائم أنصار الإدارة الاستعمارية على الأسس الدينية والثقافية دليلا على رفض أوسع[7] ببعد سياسي يرفض الوجود الاستعماري.

كان الأمير خالد يعلم خطورة اتهامات خصومه لذلك حاول الحافظ على وجوده السياسي في الجزائر وعلى ما حقّقه من مكاسب بخطاب ليّن تجاه السلطات الفرنسية حيث كتب في 24 فيفري 1920 رسالة إلى الحاكم العام: "حاول خصومي تمثيلي كمسلم معادٍ لفرنسا، يمكن القول أن هذا الهجوم صبياني لأن كل حياتي العسكرية تبيّن إخلاصي الحار."[8] وفي المقابل كثّف جهوده جهوده السياسية ضد النظام الاستعماري والصحافة الأوربية فتحوّل إلى خطيب سياسي وصحفي،

1- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 165.

2- **نفسه**، ص 166-167.

3 - Ageron: «**Enquête sur les origines**», p 21.

4 - **ibid**, p 24.

5- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 168.

6- ثنيو: **إشكالية الدولة**، ص 149.

7 - Meynier: **op-cit**, p 722.

8 - Kaddach: **op-cit**, marge11 du p100.

وكانت جريدة الإقدام l'Ikdam[1] وجمعية الأخوة الإسلامية[2] وسيلتان لتبليغ أفكاره ومواجهة خصومه الذين قاد ضدهم حملة في مختلف المجالس، فبصفته مستشارا عاما عبر عن رغبته في إلغاء كل القوانين والمحاكم الاستثنائية، وكنائب مالي احتج ضد إيداع مشروع قانون لإعادة السلطات العقابية،[3] لكنه فشل أمام معارضة أتباع الإدارة لذلك اقتنع بأن العاصمة بيد الأوربيين، ولا شيء شيء يرجى منهم فلجأ إلى باريس وكرّس وقته للمطالبة بدون جدوى من أعضاء مجلس الشيوخ عدم التصويت على إعادة قانون الأهالي.[4]

واصل الأمير خالد معركته ضد الإدارة بالاعتماد على شرعية الصناديق وثقة الجماهير فيه التي ما انفكت تنادي به زعيما وطنيا حيث شارك في انتخابات 09 جانفي 1921 ونجحت قائمته[5] كلها، وتمكّن من الحصول على ثقة الهيئة الناخبة للمرة الرابعة،[6] وخسرت قائمة ابن تامي ونجد أن هذه الانتخابات أكدت تعلّق الجزائريين بأحوالهم الشخصية الإسلامية، وأن الأهالي والأوربيين يجب عليهم التركيز على ازدهار الجزائر الذي يكون بالمشاركة الصادقة بين كل أبنائه،[7] ولم يعد للإدارة الاستعمارية أدنى شك في أن خميرة الوطنية الإسلامية قد نبتت في الجزائر،[8] أمام تصاعد شعبية الأمير خالد. وفي انتخابات 25 جوان 1921 للمجلس العمومي بالعاصمة نجح الأمير خالد على مرشح الإدارة محي الدين زروق رغم مضايقات رؤساء البلديات

1- نتجت عن دمج جريدتي الإسلام l'Islam والرشيدي le Rachidi تدافع عن المصالح السياسية والاقتصادية لمسلمي شمال إفريقيا بدأت في الصدور سنة 1919 للتعبير عن الجزائر السياسية الجديدة وبعد نفي الأمير خالد أصبحت في يد نجم شمال إفريقيا.

2- تأسست بالعاصمة في 1922/01/23 برئاسة الأمير خالد هدفها البحث عن الوسائل للدفاع عن السكان المسلمين الجزائريين، وتحسين الوضع المادي والمعنوي والثقافي والاقتصادي والسياسي لهم لذلك ركّزت في برنامجها على إظهار تضحيات المسلمين الجزائريين في الحرب العالمية الأولى، ومحاربة الظلم والتعسف وعدم المساواة، ومحاربة أعداء اللغة العربية، والمطالبة بإلغاء الإجراءات الاستثنائية، والتطبيق التام لقانون فبراير 1919. للمزيد أنظر:

L'emir Khaled: **«Appel de la fraternité Algérienne»,** l'Ikdam, n 91 ,(11-08-1922).

3 - Ageron: **«Enquête sur les origines»**, p 27.

4 - Mahfoudh: **op-cit**, p 106.

5- كانت النتائج كالآتي: الأمير خالد 720 صوت، قايد حمود 703، تامزالي 699، الحاج عمار 674، سيدي بومدين 667، باروكان Barrucand 655، محمد بن يحي 649، شكيكن حمود 631، مرابط أحمد 610، ساطور رشيد 607، بن سمان إلياس 578، كاكاشي محمد 471، الحكيم بن العربي 263، ابن التهامي 258، مصطفى ولد عيسى 257، قراد خليفة 132، حاج دريس 84، علي شريف الطاهر 27، الحاج حمادو 14. أنظر: **l'Ikdam**, n 19, (14-01-1921)

6 - **ibidem.**

7 - **l'Ikdam**, n 20, (21-01-1921).

8 -Ageron: **«Enquête sur les origines»**, p 29.

والمساعدين الأهالي والقياد والمفتين، ولم يحصل محي الدين زروق إلا على (173) صوتا من (714) صوتا، وعلّقت جريدة الإقدام أن هذه «النتائج برهنت على حياة شعور الأمة الجزائرية»[1] لأن الجماهير الجزائرية أصبحت تميّز بين البرامج، وتمنح أصواتها لمن يخدم مصالحها، خاصة وأن الأمير خالد قاد حملة توعية في أوساط الجماهير ضد مرشحي الإدارة الذين اعتادوا على أكل حقوق الأهالي مؤكدا: «نحن فرنسيون في إطار أحوالنا الشخصية، وأفضليتنا تذهب للمترشح الشجاع الذي يعتبر الأهلي مثل كل الرجال ومثل كل الفرنسيين، سياسة التقسيم لن تستمر طويلا فنحن كلنا جزائريون بدون تمييز عرقي أو ديني، نمشي اليد في اليد لرفع الحالة الاقتصادية لبلادنا» [2] وبفضل هذه الانتصارات أصبح الأمير خالد يشغل مقدمة المشهد السياسي، وتمكّن من من جمع البرجوازية والشعب وراءه، وقال مصالي الحاج في هذا: «كنا نحس أن توجّها سياسيا ما بدأ يتشكل شيئا فشيئا»،[3] وأضاف بشأن زيارة الأمير خالد لتلمسان في صيف 1922 وحديثه عن قانون الأهالي، والفقر المدقع، والظلم والجهل، وعن ضرورة الاتحاد: «عند سماعه كانت الثقة تتسرب إلى أعماقنا فيما يخص المستقبل»[4]

– التمثيل النيابي:

كان دخول الأمير خالد السياسة ليحصل لأبناء وطنه على عهدات انتخابية سمح بها قانون الرابع فبراير 1919 تُدخلهم للمجالس البلدية والعامة والنيابات المالية، وتُعطيهم كسكان أصليين جميع حقوق الفرنسيين[5] حيث طالب بالاستفادة من الحد الأدنى من محاسن القانون المذكور الذي الذي ينتظر تطبيقه كاملا إيفاءً لحق المسلمين الجزائريين الذين برهنوا خلال الحرب على إخلاصهم وتعلّقهم بفرنسا مما يستوجب إلغاء كل القوانين الاستثنائية،[6] ورفع نسبة تمثيلهم في المجالس الجزائرية، ومنحهم تمثيلا في باريس بما يسمح لهم بتقديم وضعيتهم إلى الميتروبول في وقتها[7] فهم

1- الإقدام: ع 36، (22-07-1921).

2 - L’emir Khaled: «**Politique Française et politique Algérienne**», l'Ikdam, n 47, (07-10-1921).

3- مصالي الحاج: **المرجع السابق**، ص 106.

4- **نفسه**، ص 111.

5 - Ernest Mallebay: «**L’émir khaled**», Annales Africaines, n 4, (26-01-1922), p 602-603.

6 - **l'Ikdam**, n 41 ,(26-08-1921).

7 - l’émir Khaled: «**le problème indigène**», l'Ikdam, n 91, (11/08/1922).

يتحملون كل الواجبات التي على الفرنسيين، وليس لهم إلا القليل من حقوقهم، «فنأمل من فرنسا أن تقوم على تحسين حالنا، وتمنعنا من الموت المعنوي كما قمنا بالأمس في وجوه أعدائها سدّا على مرحلتين من باريس، وإذا فعلت فإنها تكون قد أحسنت لنفسها، وعملت لترقية الجزائر الفرنسوية ليس إلا.»[1] فهو يرى أن ازدهار فرنسا في كل الميادين مقترن بحسن سياستها في الجزائر مؤكّدا «أن مستقبل فرنسا مع الإسلام، فمن الواجب عليها أن تحسن سياستها مع العالم الإسلامي وخصوصا مع مسلمي القطر الجزائري الذين كانوا أعظم معضديها في الحرب العالمية الأولى»،[2] فكيف تستجدي عطفهم ساعة الخطر وتتجاهلهم ساعة السلم؟، وكان دائما يردد خطاب المساواة وتطبيق أفكار النظام الجمهوري في الجزائر: «إن الحرب –العالمية الأولى– قلبت العالم كلّية، بينما توجد شعوب تطالب بالاستقلال فإن الجزائر الأهلية تطلب ربط عمالاتها الثلاث بفرنسا»[3] محاولا استعطاف الحكومة الفرنسية أن تنصف المسلمين الجزائريين لأنهم لا يطمحون إلا للمساواة في الحقوق.

وانتقد الإدارة الاستعمارية المحلية التي تعمل على إقصاء الممثلين الحقيقيين للأهالي والذين يهتمون بمصالحهم الحيوية، وتضع مكانهم من يسايرها في سياستها في تسخير المسلمين الجزائريين لخدمة المعمرين فكتب أن الإدارة المحلية: «استعبدت من الأهالي من لا غيرة لهم ولا عواطف بشرية بمنحهم الرتب والمناصب، ورشّحتهم بالنيابات، واستعملتهم للضغط على الأهالي كي لا يطمعوا في تحسين حالتهم الأدبية والعلمية والسياسية، ويبقوا آلة في أيدي الحاكم والمستعمِر»،[4] وبيّن أنها أنها تساعد الجهلاء ضد العارفين لكي لا يتأتّى لهم المباحثة مع رفقائهم الفرنسيين في مصالح العمالة، ولكونهم عارضوا قانون سنة 1919 فليس مرادهم إلا أن يبرهنوا لفرنسا أن المسلمين ليسوا بأهل للانتخاب حيث لم يختاروا إلا الجاهلين للمجالس الجزائرية، فللوصول إلى غايتهم يختارون من ليس فيه الأهلية، ويبرهنون للحكومة على خطئها بمنحها حقوق الانتخاب للأهالي،[5]

1- **كتاب مفتوح إلى وزير الحربية**: الإقدام، ع 29، (29-04-1921).

2- الأمير خالد: «**الحقيقة**»، الإقدام، ع 120، (1923/03/02).

3 - l'émir Khaled: «**le problème indigène**», l'Ikdam, n 91, (11/08/1922).

4- الأمير خالد: «**الحقيقة**»، الإقدام، ع 120، (1923/03/02).

للأهالي،[1] لذلك اشترط في نيابة الأمة معرفة مقتضيات دينها القويم، واحترام شعائر نبيّها الكريم صلى الله عليه وسلم، واحترام عوائدها المقدسة.[2]

وفي باريس حاول الضغط على الحكومة الفرنسية في إطار مغاربي موحد للدفاع عن حقوق المسلمين الجزائريين من خلال مشاركته مع التونسيين في مؤتمر رابطة حقوق الإنسان سنة 1917 فطالب بتمثيل للمسلمين للجزائريين في البرلمان الفرنسي وفي مجلس الشيوخ مع الاحتفاظ بالهوية العربية الإسلامية[3] الشيء الذي سيُميّزه عن بقية الشبان الجزائريين، ويعطيه شرعية أكثر في تمثيل الجماهير، كما كان يشارك في الجمعيات التي تهتم بشؤون أهالي شمال إفريقيا، فقد حضر اجتماع الجمعية العامة للجنة العمل الفرنسي الإسلامي لإفريقيا الشمالية في 18 ماي 1919 رفقة قايد حمود.[4]

كما استغل زيارة الرئيس الفرنسي ميليران (Millerand) إلى الجزائر في ربيع سنة 1922 وقدّم أمامه خطابا في 20 أفريل 1922 طالب فيه فرنسا بمواصلة رعايتها من أجل تطوير الجزائر، وتحرير الجزائريين ليأخذا مكانتهم في العائلة الفرنسية الكبيرة، وطالب بتمثيل المسلمين الجزائريين في البرلمان الفرنسي لأنه الوسيلة الوحيدة التي تسمح لهم بالتعبير عن تعلّقهم (بالوطن الأم) فرنسا، وتربط مستقبلهم بأثرها الأمجد في العالم المتحضر، وختم خطابه برجائه بعدم رفض المطالب المقدمة، وأن يكون الرئيس الفرنسي هو الضامن لحقوق الجزائريين،[5] نظرا لاستبداد المعمرين والحكومة العامة بالجزائر مبيّنا أن التمثيل في الصالح الوطني لأن فرنسا ستربط قلوب الجزائريين المسلمين الذين أظهروا جدارتهم، وأدّوا واجباتهم نحو الوطن، ومات منهم نحو (100) ألف تحت اللواء المثلث دفاعا عن الحق والحرية، وليس من المعقول أن يبقى أربعة ملايين وخمسمائة ألف نسمة تحت سلطة القوانين الشاذة الظالمة والمخالفة للفكر الجمهوري.[6] وقال بأن الجزائريين

1- «**تحريف قانون 04 فيفري 1919**»، الإقدام، ع 50، (28-10-1921).

2- «**حال نواب الأمة**»، الإقدام، ع 4، (01-10-1920).

3- أحمد سعيود: «**مساعي الحركة الوطنية الجزائرية في إعطاء البعد الدولي للقضية الجزائرية بعد الحرب العالمية الأولى**»، مجلة المصادر، ع 9، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، (السداسي الأول 2004)، ص 155.

4 -«**Comité d'action franco-musulman de l'Afrique du nord**», l'Ikdam, n 14, (07/14 juin 1922).

5 - «**Discours de l'Emir khaled**», l'Ikdam, n 76, (28-04-1922).

6- الأمير خالد: **النيابة الأهلية بمجلس الشورى الفرنسوي**، الإقدام، ع 110، (1922/12/22).

يطالبون في الحال بالحريات المدنية، والترخيص لهم بتقلُّد جميع المراتب في العائلة الفرنسية بدون شرط،[1] وطالب بصوت عالٍ «أن سكان الجزائر هم أبناء فرنسا بدون تمييز طائفي أو عرقي، ولهم نفس الحقوق».[2] واعتبر الأمير خالد ذلك حقا للجزائريين الذين ضحّوا من أجل حرية فرنسا،[3] وواجب عليها[4] فالأمير خالد استعمل تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي وتضحياتهم كورقة ضغط للحصول على حق التمثيل البرلماني بحكم أن القيام بالواجبات يحتّم الحصول على الحقوق، وقال بأن «الحق عادة ما يكون نتيجة الواجب المفروض، وأننا أدّينا الواجب المفروض بالتمام، وإننا ننتظر من فرنسا إدارة رحيمة تبرهن لنا على أن صداقتنا وخضوعنا لها لم يذهبا سدى».[5] فالجزائريون أيقنوا أنهم فرنسيون حين يستدعي الأمر قيامهم بالواجبات، ولكنهم محرومون من الحقوق باعتبارهم مجرد أهالي ورعايا صالحين للاستغلال لا أكثر.[6]

وأكّد أن الأهلي الجزائري مثل الفرنسي مُتيّم بالحرية والعدالة والمساواة، وفي نفس الوقت متعلّق بوطنه الذي يرغب في ازدهاره فيجب مكافأته وليس إقصاءه لأنه يطلب عطف أمه، ويريد اهتمامها،[7] وبلغةٍ مفعمة بالترغيب والترهيب قال الأمير خالد أن الجزائريين يمدون بإخلاص أيديهم وقلوبهم نحو فرنسا، ويطلبون ألا تُرَدَّ خائبة،[8] وأنه يأمل ألا تُدفع إلى اتجاه آخر[9] في إشارة منه بأن الجزائريين لم يعودوا قادرين على تحمّل الضغط أكثر خاصة بعد التضحيات التي قدّموها لصالح فرنسا، وحذّر فرنسا من استمرار ضغطها على المسلمين الجزائريين وتجاهلها لتطلّعاتهم مطالباً بالتعجيل بمنحهم حقوقهم بقوله: «نرى شعبنا متشوّقا إلى الحرية والتوصّل إلى

1- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 263.

2 - Ernest Mallebay: «**Deux discours**», Annales Africaines, n 17, (27-04-1922), p 780.

3- مناصرية: **المرجع السابق**، ص 56.

4 - «**Discours de l'Emir khaled**», l'Ikdam, n 76, (28-04-1922).

5- الأمير خالد: **النيابة الأهلية بمجلس الشورى الفرنسوي**، الإقدام، ع 110، (1922/12/22).

6- بن يوسف بن خدة: **جذور أول نوفمبر 1954**، تر: مسعود حاج مسعود، ط 2، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 62.

7 - **l'Ikdam**, n 85, (30-06-1922).

8 -«**Le voyage du président de la république dans l'Afrique du nord**», A. F, supplément n 5, bulletin mensuel du comité de l'Afrique Française et du comité du Maroc, Paris, mai 1922, p 131.

9- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 263.

حقوقه. هيهات أن تدوم الحالة الحاضرة على ما هي عليه لأن روح النهضة قد انغرست في عقول الأهالي، والله متمٌّ نوره، وإن كانت الأمة جاهلة فإنها عارفة بقدر الحرية.»[1] كما رفض فكرة اعتبار الفرنسيين أن تمسّك الجزائريين بأحوالهم الشخصية يُشكل عائقا أمام حصولهم على الحقوق السياسية، وطالب بوضعية كريمة للجزائريين داخل فرنسا، فهم يستحقون شرف تبني فرنسا لهم، وليس لهم هدف إلا تمتين علاقتهم وتعلّقهم بفرنسا.[2]

واستخدم كل الوسائل للحصول على التمثيل البرلماني للمسلمين الجزائريين الذي يراه الرابطة المتينة بين الجزائريين وبين عاصمة فرنسا، وإذا فتحت فرنسا هذا الباب فإنها تمتلك قلوب مسلمي الجزائر الذين قدّموا لها مرارا البراهين المؤكدة التي لا تقبل المعارضة في تعلّقهم بها،[3] وسعى لتحقيق مساواتهم في الحقوق والواجبات مع الفرنسيين بتجسيد المساواة النظرية في الميدان[4] الميدان[4] من خلال تطبيق شعارات الثورة الفرنسية، وبيّن أنه من غير العادل بأن الجزائر التي تمثل عنصرا مهما في القوة العسكرية لفرنسا لا تُمثل إلا بشكل قليل في المجالس الجزائرية وزيادة على ذلك غائبة تماما في البرلمان الذي يقرر مصير هذا البلد،[5] وأشار في استغراب إلى أن الأوربيين وهم أقلية (800000 نسمة) صوتهم مسموع بينما المسلمون الجزائريون يفوق عددهم الخمسة ملايين ليس لهم صوت مبيّنا أن الغائب لا حق له، فالجزائر أكثر المستعمرات التي قدمت رجالا وأموالا خلال الحرب العالمية الأولى تشُذّ عن كافة المستعمرات بعدم وجود ممثلين لها في البرلمان، فالمسلمون الجزائريون لا منفعة لهم إلا تأدية الواجبات نحو فرنسا فقط، وليس لهم من الحقوق إلا الاعتراف لهم بفضل إبقائهم على قيد الحياة.[6] ووصفت جريدة الإقدام مطالب الأمير خالد الموجّهة للرئيس ميليران بالمطالب الأكثر استعجالا لأنها تخدم المصالح الحيوية للجماهير الجزائرية وتمثّلت في:[7]

1- الأمير خالد: «**الحقيقة**»، الإقدام، ع 120، (1923/03/02).

2 - «**Discours de l'Emir khaled**», l'Ikdam, n 76, (28-04-1922).

3- الأمير خالد: **هلا نستطيع إسماع صوتنا بالمجلس**، الإقدام، ع 63، (1922/01/27).

4 - L'emir Khaled: «**Appel de la fraternité Algérienne**», l'Ikdam, n 91, (11-08-1922).

5-**Annales Africaines**, n 20, (18-05-1922), p 834

6- الأمير خالد: **هلا نستطيع إسماع صوتنا بالمجلس**، الإقدام، ع 63، (1922/01/27).

7 -«**L'ère nouvelle**», l'Ikdam, n 90, (04-08-1922).

- تمثيل الأهالي الجزائريين غير المتجنسين بالجنسية الفرنسية في البرلمان الفرنسي.

- تمثيل المسلمين في مختلف المجالس الجزائرية بنسبة الخمسبن.

- الإلغاء الكامل والنهائي للقوانين الاستثنائية، الأهالي والمحاكم الخاصة.

- نشر التعليم.

- إعداد ميزانية القبيلة بواسطة الجماعة بدون ضغط خارجي.

- إشراك الأهالي وبصفة فعالة وعادلة في الأراضي المعدة للاستثمار.

- مد الطرقات والسكك الحديدية في المناطق الأهلية.

- اختيار القياد بواسطة الانتخاب أو المسابقة.

- احترام تطبيق قانون الرابع فبراير 1919.

في سنة 1924 نقل نشاطه ونضاله من منفاه في مصر إلى فرنسا في أوساط المهاجرين الأفارقة، وذلك بعد نجاح اليسار في انتخابات ماي 1924 ومجيء هيريو[1] Herriot المتعاطف مع الجزائريين،[2] فبعث له الأمير خالد في 14 جوان 1924 رسالة من منفاه مستبشرا بحكمه،[3] وبعد شهر بعث له برقية نشرتها جريدة ليمانيتي (L'humanité) في 03 جويلية 1924 بيّن فيها أنه أحد المدافعين عن القضية الجزائرية، وأنه نُفي لدفاعه الصريح عن مصالح وحقوق أهالي شمال إفريقيا، وعلّق آمالا على مجيء هيريو الذي سيُدخل الجزائريين في طريق التحرير من خلال التمثيل البرلماني الذي رآه الأمير خالد الكفيل بإسماع صوت المسلمين الجزائريين في باريس، وختم برقيته

1- ادوارد هيريو Edouard Herriot (1872-1957) زعيم الحزب الراديكالي الفرنسي، رئيس الوزراء (1924-1925)، اعتقل من طرف حكومة فيشي سنة 1942 حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، من آثاره: الولايات المتحدة الأوربية. للمزيد أنظر: البعلبكي: المرجع السابق، ص 473.

2 - Ageron: «**Enquête sur les origines**», p 41.

3- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، ص365-366.

بتقديم برنامج إلى حكومة هيريو قال عنه: «أنه لا يتناقض مع البرنامج الليبرالي لحزبكم»[1] تمثل في مايلي:[2]

- تمثيل المسلمين الجزائريين في البرلمان بالمساواة مع المعمرين في الجزائر.
- إلغاء القوانين الاستثنائية والمحاكم الرادعة.
- المساواة في المسؤوليات والحقوق مع الفرنسيين في الخدمة العسكرية.
- دخول الأهالي كل الوظائف المدنية والعسكرية حسب الاستحقاق والكفاءة وبدون تمييز.
- حرية التعليم.
- حرية الصحافة.
- فصل الدين عن الدولة.
- العفو العام.
- تطبيق القوانين الاجتماعية والعمالية على الأهالي الجزائريين.
- الحرية المطلقة للعمال الأهالي للهجرة إلى فرنسا.

وقد اعتبر علي كافي[3] مطالب الأمير خالد الموجّهة إلى هيريو أنها تتعدى مفهوم البرنامج إلى أبعاد محاور ميثاق حقيقي إذا وُضعت في الجو السياسي إذاك والمحيط الجهوي والدولي،[4] فقد شملت كل المجالات الحيوية للمجتمع الجزائري التي من شأنها أن ترفع من مكانة الجزائريين.

وفي جويلية 1924 اتّجه الأمير خالد إلى باريس ليكون المدافع عن القضية الأهلية، فقد كان حسن الظن بالحكومة الفرنسية، وظن أنها لم تُعط الجزائريين حقوقهم لأنها لم تتطّلع على

---

1 - l'Emir khaled: « **les revendications des musulmans d'Algérie**», l'humanité, n 7492, (03-07-1924).
2- ibidem.

. أنظر:

l'Emir khaled: «**les revendications des musulmans d'Algérie**», **l'humanité**, n 7492, (03-07-1924).

3- ولد في 7 أكتوبر 1928 قرب الحروش بعمالة قسنطينة، بعد إتمام حفظ القرآن الكريم توجه لجامع الزيتونة سنة 1950، التحق بجيش التحرير الوطني سنة 1955، شارك في مؤتمر الصومام وعيّن قائدا للولاية الثانية وعضوا في مكتب المجلس الوطني للثورة ثم ممثلا لجبهة التحرير الوطني في مصر سنة 1961، رئيس المجلس الأعلى للدولة بين 1992-1994، توفي في 16 أفريل 2013. للمزيد أنظر: علي كافي: **مذكرات الرئيس علي كافي، من المناضل السياسي إلى القائد لعسكري 1946-1962**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 1999، ص ص 15-17.

4- نفسه، ص 43.

حقيقة رغباتهم، فاتّجه إلى الرأي العام الفرنسي لتنويره بالعرائض والصحافة[1] فقدّم محاضرات لمهاجري شمال إفريقيا وباقي المستعمرات في شكل مرافعات رائعة،[2] كانت الأولى[3] في 12 جويلية والثانية في 19 من نفس الشهر برعاية الاتحاد العالمي الشيوعية حيث تطرق فيها ولمدة ساعتين لوضع الأهالي الجزائريين فجذب إليه الجماهير العمالية من كل الجنسيات بانتقاده الشديد للنظام الاستعماري أين وضع لائحة اتّهام موثقة عن الممارسات اللاإنسانية للاستعمار والفساد الإداري، وغِش الامبرياليين الذين رموا الأهالي في الجحيم مما أثار الحضور فهتف بسقوط الاستغلال،[4] وفي نفس المحاضرة وضّح علاقته بالشيوعيين الذين اعتبرهم من يهتم بتحرير الشعوب المستعمرة، ودعا مستمعيه إلى الانخراط في الطريق الفعّال للمطالب، والابتعاد عن تشكيل التنظيمات المنفصلة، والدخول مع الفرنسيين في النقابات والأحزاب التي تدافع عن قضيتهم[5] محاولا إيجاد تحالف من فرنسيي فرنسا[6] ضد فرنسيي الجزائر الذين يرفضون أي إصلاح لصالح المسلمين الجزائريين.

وعزّز نشاطه بفرنسا بالاتصال بالوطنيين المغاربة لغرس فكرة العمل المشترك، واشترك في أول مؤتمر مغربي بباريس في 07 ديسمبر 1924 للنظر في أحوال المغرب السياسية والاقتصادية والثقافية حضره (150) مفوضا، وعيّن مكتبا من (15) عضوا صادق على مطالب الأمير خالد وطالب بتنفيذها،[7] وتجسيدا لروح التضامن والمصير المشترك صادق المؤتمر لائحتين إحداهما موجّهة إلى الشعب المغربي وعبد الكريم الخطابي[8] والثانية إلى الشعب المصري والتونسي.[9] وعبثا وعبثا حاول الأمير خالد إقناع الفرنسيين بضرورة منح الجزائريين حق التمثيل البرلماني فقد تصاممت

1- ابن العقون: **المرجع السابق**، ص 77.

2 - Ageron: **«Enquête sur les origines»**, op-cit, p 42.

3- كانت بعنوان«وضعية المسلمين في الجزائر»، وأعادها في 19 جويلية. أنظر: مصالي الحاج: **المرجع السابق**، هامش ص 123.

4 - **«Un imposant meeting colonial»**, l'humanité, n 7512, (23-07-1924).

5 - **ibidem**.

6 - Meynier: **op-cit**, p 723.

7- ابن العقون: **المرجع السابق**، ص 83-84.

8- عبد الكريم الخطابي (1882-1966) زعيم مغربي، أعلن الثورة ضد الاحتلال الإسباني وأسس جمهورية الريف، أدت انتصاراته إلى تخوف الفرنسيين فتعاونوا مع الإسبان فهزموا الخطابي سنة 1926 الذي نفي إلى جزيرة ريونيون Réunion في المحيط الهندي، وفي سنة 1948 لجأ إلى القاهرة وأقام فيها حتى وفاته. أنظر: البعلبكي: **المرجع السابق**، ص 282.

9- كافي: **المرجع السابق**، ص 43.

آذانهم عن سماع صوته، بل إنه ألّب ضده حملات الصحافة الاستعمارية في الجزائر وفرنسا التي اضطرته إلى مغادرة المشهد السياسي في الجزائر.

2-3- الطرح الاستقلالي في نضال الأمير خالد:

إن القراءة المتأنية لمطالب الأمير خالد الإصلاحية التي تضمنها برنامجه السياسي في إطارها الزماني الذي طرحت فيه، وبالنظر إلى التوسع الاستعماري في كل المجالات مع مطلع القرن العشرين يجعلنا نصنفها كثورة مطلبية على الإدارة الاستعمارية التي أَلِفت المطالب الإدماجية لجماعة "بني وي وي" البعيدة عن تطلّعات الجماهير الشعبية، فكان نضاله يكتسي مغزىً وطنيا حقيقيا فهو ما انفك يندد باللامساواة في مختلف مظاهرها ويحثّ المجتمع الجزائري على التعلّق بإسلامه وقيمه مطالباً بتعليم اللغة العربية، منتقدا بشدة المتجنسين من الجزائريين، وأصبح من كبار رجالات البلد بفضل مساهمته في الكشف بوضوح عن الشعور الوطني بمضمونه العصري، ولم يكن ذلك بخافٍ على إدارة الاحتلال التي سارعت بطرده من الجزائر سنة 1923.[1] وقد تمكن من عقد صلة مباشرة هي الأولى من نوعها مع الجماهير الشعبية كممثل لجماعة سياسية جزائرية، فقد تجاوز هذا المغزى مجرد الاهتمام بلائحة مطالب معتدلة في حقيقتها ليبعث من جديد صلات الشعب الجزائري العاطفية نحو حبّه لوطنه وتعلّقه بتاريخه،[2] فكان أول مُوحد روحي للجزائريين[3] للجزائريين[3] لبّى مطامحهم وأحيا فيهم الأمل بالتغيير، وكان هذا البعث ثورة على الإرث الثقيل للسياسة الاستعمارية التي راهنت على قطع صلة الجزائريين بماضيهم وأمجادهم.

وقد أشار الأمير خالد إلى أنه لم يكن زعيما دينيا، وأن حركته ليست دينية ولكنها أساسا حركة سياسية لأن القضية هي قضية استقلال جميع أقطار العالم الإسلامي[4] وبما أن الجزائر تدخل تدخل في هذا الإطار فإن استعمال كلمة "الاستقلال" قد ذكرت لأول مرة،[5] ومطلب المساواة دون الاستقلال لم يكن حبا في الحكم الفرنسي، لقد كان وضعا ضروريا، فالجزائر لم تكن محمية

1- مهساس: **المرجع السابق**، ص 49.

2- **نفسه**، ص45.

3- ثنيو: **إشكالية الدولة**، ص 148.

4- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص369.

5- **نفسه**، ص 370.

ولا مستعمرة بل أُعلنت مقاطعة فرنسية، وفي وقائع التطور الإنساني يصبح طلب المساواة من رعايا في مقاطعة مساويا لطلب الاستقلال من مواطنين في محمية،[1] فمطلب المساواة يعتبر ثورة مطلبية في ذلك الوقت بالنسبة لوضع الجزائر، وحسب مصالي الحاج فإن المطالب الأكثر تهوّرا حينئذ كانت تطالب أن تتم معاملتنا على قدم المساواة مع الفرنسيين.[2] والملاحظ أن تركيز الأمير خالد على مطلب المساواة في هذه الفترة لم يكن هدفا، وإنما كان وسيلة ومرحلة من المراحل، والأرض الخصبة التي ساعدت على نمو وتطور أفكار تحررية تبنّتها أحزاب منظمة فيما بعد طالبت بالاستقلال،[3] وهذا أمر طبيعي بالنسبة لتطور الحركات السياسية والاجتماعية التي تبدأ على مستوى الأفكار ثم المطالب عبر الجمعيات والنوادي والصحافة ثم تتبلور في شكل برامج حزبية بأهداف كبرى. فمطالبه وإن كانت إصلاحية فإنها تفضي إلى الانفصال الذي تفطنت له إدارة الاحتلال فشنت ضده حملات إعلامية انتهت بطرده من الجزائر، مدّعية أنه يشكل اضطرابا ضد فرنسا ويحرض على حرب أهلية وعلى الانفصال.[4]

– رسالته إلى ولسن[5]:

لقد كان لنشاط الأمير خالد دور كبير في تغيير الطرح السياسي للقضية الجزائرية محليا وخارجيا مستغلا المناخ الدولي كورقة ضغط على فرنسا الاستعمارية بحكم التغيرات التي طرأت على العلاقات الدولية عقب الحرب العالمية الأولى وبروز الدور الأمريكي، فما إن انتهت الحرب حتى شكل وفدا من الجزائريين، وتقدم إلى الرئيس الأمريكي ولسن Wilson وهو في فرنسا يطالبه بتطبيق المبادئ الولسنية على الأمة الجزائرية[6] في عريضة تصف الظروف الصعبة للمجتمع،

1- **نفسه**، ص 295-296.

2-مصالي الحاج: **المرجع السابق**، ص 124.

3- فتيحة سيفو: «**الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وظروف ميلاد حركة الشبان الجزائريين**»، عصور الجديدة، ع 23، جامعة وهران، (أوت 2016)، ص 175.

4 - Ageron: «**Enquête sur les origines**», p 37.

5- وودرو ولسن (1856-1924) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بين (1913-1921)، في عهده دخلت بلاده الحرب العالمية الأولى، اقترح المبادئ الأربع عشرة للسلام على الأوربيين، مُنح جائزة نوبل للسلام سنة 1919. أنظر: البعلبكي: المرجع السابق، ص 496.

6- علال الفاسي: **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، ط 6، مؤسسة علال الفاسي، الدار البيضاء، 2003، ص11.

وتطالب بتقرير مصير الجزائر،[1] فكانت هذه العريضة هي التي جعلت حركته سياسية انفصالية استقلالية، فعبارة تقرير المصير مرادفة لنيل الاستقلال،[2] وتبرز لنا حقيقة البعد الاستقلالي في كفاحه[3] رغم أن مطالبه كانت إصلاحية لا تخرج عن إطار المساواة.[4]

فقد طمع الأمير خالد وكل زعماء الحركات التحررية في مساندة الرئيس الأمريكي لمطالبهم المشروعة،[5] حيث اعتبر الرئيس ولسن ممثل القوة العالمية الجديدة، وعرض عليه قضية الجزائر ككيان يعاني الاحتلال بالمعنى الذي تشير إلية النقاط الأربعة عشر المتضمنة إمكانية تجاوز العصر الاستعماري عبر مبدأ تقرير المصير ملتمسا طرفا آخر يتجاوب مع مطلب الجزائريين بعد فشل مساعيه لدى الإدارة الاستعمارية،[6] ورأى أن يرمي بدلو الجزائر بين الدلاء ويعرض قضيتها أثناء انعقاد مؤتمر الصلح حتى إذا نجحت حركة تحرير الشعوب كان الشعب الجزائري من جملة من يشملهم ذلك التحرير.[7] وهذا يدل على وعيه بمواطن القوة التي تساعده على تحقيق مشروع الانفصال عن فرنسا التي أخضعها للواقعية حيث كان خطابه يدل على استطاعة الجزائريين إخراج فرنسا بواسطة الدعم.[8]

ففي 23 ماي 1919 قصد الأمير خالد على رأس وفد جزائري[9] باريس، واتصل باللجنة الأمريكية للمفاوضة على السلام، وتقدّم بالعريضة إلى الملازم (جورج ب نوبل) ضابط المشاة باللجنة، وقد امتنع أعضاء الوفد من توقيعها، ومن ذكر أسمائهم خوفا من متابعة السلطات الفرنسية لهم، إلا الأمير خالد فإنه أعلن اسمه للضابط الأمريكي، وطلب منه توصيل العريضة إلى

1 - Yahiaoui: **op-cit**, p 54.

2- مناصرية: **المرجع السابق**، ص 46.

3- بن عدة: **«من أعلام الوطنية والإصلاح في الجزائر**، ص 156.

4- مناصرية: **المرجع السابق**، ص 46.

5- مولود عويمر: «**الأمير خالد الجزائري من خلال مجلة الشهاب وجريدة البصائر**»، البصائر، ع 788، (2015/12/28-2016/01/03)، ص15 .

6- ثنيو: **إشكالية الدولة**، ص 155.

7- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 213.

8 - Meynier**: op-cit**, p 723.

9- كان من خمسة أعضاء الأمير خالد وقايد حمود بالإضافة إلى ثلاثة آخرين، وهو الوحيد الذي صرح باسمه للضابط الأمريكي (جورج ب نوبل).

الرئيس ولسن ومنحه وصلا يثبت اتصال الرئيس بها،[1] فأصبح بهذه الحركة الجريئة ممثلا رسميا للشعب الجزائري، وناطقا باسمه داخل الجزائر وخارجها. وقد تطرقت العريضة إلى شرح أوضاع الجزائر المزرية طيلة الـــ 89 سنة من التسلط الفرنسي عبر تسلسل كرونولوجي منظم يعكس دراية واسعة بواقع المستعمرة وإظهار سلبيات السياسة الاستعمارية على الشعب الجزائري في جميع المجالات مستجدية في الأخير الرئيس الأمريكي المساعدة: **"ورغم هذا فإننا جئنا باسم مواطنينا نستنجد بالمشاعر النبيلة لسيادة رئيس أمريكا الحرة، إننا نطالب بإرسال نواب مختارين بحرية من طرفنا لتقرير مصير مستقبلنا تحت إشراف عصبة الأمم،"**[2] وذكّر الرئيس ولسن بمقولته: «لا «لا يُجبر شعب من الشعوب على العيش تحت سيادة لا يرضى بها»، وهي ما يعني تحقيق استقلال الجزائر أي فصلها عن فرنسا سياسيا وعسكريا وثقافيا واجتماعيا، وهو ما يمثل موقفا صريحا تضمن شروط الثورية.[3] بالإضافة إلى رفض التجنيس والادماج وكل ما من شأنه أن يُدعم فكرة الارتباط بفرنسا.

فالأمير خالد كان مقتنعا بفكرة تقرير المصير ومبدأ الديمقراطية الولسنية لتحقيق تعويض سياسي من فرنسا لبلاده،[4] فهو كغيره من زعماء الحركات التحررية أراد حمل القضية الجزائرية إلى عصبة الأمم الناشئة فطالب في اجتماع سنة 1919 من المشاركين إمضاء اقتراح يُرسل إلى الرئيس ولسن وإلى مؤتمر السلام ضد الإدارة الاستعمارية الفرنسية لأجل استقلال الجزائر، وكانت حركة جريئة بالضغط عبر وساطة أمريكية على فرنسا لوضع انتداب دولي على الجزائر.[5] فالقصد فالقصد من التعريف بالقضية الجزائرية هو فك الحصار المضروب على الشعب الجزائري من طرف المحتل من جهة، وإعطاء البعد الدولي للقضية الجزائرية من جهة أخرى.[6]

1- سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 2، ص50.

2- سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 2، ص 58.

3- مناصرية: **المرجع السابق**، ص 49.

4- أبو القاسم سعد الله **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص370.

5 - Kaddach: **op-cit**, p 111.

6- سعيود: **المرجع السابق**، ص 155.

وقد كانت عريضة الأمير خالد وجماعته إدانة للاحتلال الفرنسي، وربطاً لحاضر المقاومة بماضيها وفتحا في تطور الشعور الوطني،[1] كما أبانت عن مقاصدهم الوطنية بمطالبتهم فيها إدخال القطر الجزائري تحت رعاية جمعية الأمم، وتحت إشراف دولة تختارها تلك الجمعية،[2] الشيء الذي جعلها تساهم في تعزيز فكرة الانفصال من خلال بحثه عن دعم خارجي جديد يضغط به على النظام الاستعماري للاستفادة من حق تقرير المصير، مما جعل الفرنسيين يحسّون بتصاعد تهديد الأهالي الدولي الذي كانت "الخالدية" هي المتحدث الرسمي له.[3] وهذه المقاصد الوطنية استغلها خصومه للنيل منه وإثارة الرأي العام الفرنسي ضده فاتّهمه ابن تامي وصوالح والدكتور موسى بالتآمر والتعصب وعدم الإخلاص لفرنسا، بينما وجّهت له الصحافة الفرنسية تهمة "الوطنية" التي تعد من الكبائر لما تعنيه من انفصال عن فرنسا وما قد يترتب عنها من عواقب خطيرة، وعليه فقد سارع الأمير خالد إلى إنكار تلك التهمة.[4] خاصة بعد انقطاع الأمل من الموقف الأمريكي والمجتمع الدولي في إطار عصبة الأمم التي ولدت ميتة، فمؤتمر الصلح خيّب أمال الأمير خالد وباقي زعماء الحركات التحررية نظرا لسيطرة الدول الاستعمارية الكبرى، فكان الرئيس الأمريكي ولسن يحاول عبثا فرض بنوده التي نادى بها زمن الحرب ومنها حرية سائر الأمم في تقرير مصيرها. [5]

وكان التخوف الكبير للسلطات الاستعمارية من نشاطاته وقدرته الخطابية على تعبئة الجماهير الشعبية قد وضّح أكثر ثورية مطالبه -رغم كونها إصلاحية- على الوجود الفرنسي بالجزائر، فوصفت الصحافة الاستعمارية نجاحاته بموجة التعصب الديني التي تُغرس في الجزائر ومنشؤها خالد الذي فُتن بالمبادئ الولسنية، وأدخل المسلمين (الجاهلين) في حركة خطيرة على الاستقرار الشعبي والسيطرة الفرنسية،[6] كما أن الحاكم العام ستيغ (Steeg) أقر بأن الأمير خالد خالد هو القائد الوحيد الذي يمثل الحزب العربي المعادي لفرنسا الذي يُشخّص الاستقلال

1- سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 2، ص52.

2- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 169.

3 - Koulakssis: **op-cit**, p 183.

4- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 158.

5- المدني: **هذه هي الجزائر**، ص 163.

6 - Kaddach: **op-cit**, p 115.

الإسلامي للجزائر،[1] وفي تقرير للحكومة العامة إلى وزارة الداخلية ورد فيه أن الجزائر لم تعرف أي كتلة إسلامية أكّدت إرادها على التحرر من السيطرة الاستعمارية، والحركة الأولى في هذا الصدد هي التي نفّذها الأمير خالد بن الهاشمي، شخص طموح مبالِغ في أهميته، ظن أن الوقت قد حان كي يلعب دورا تاريخيا.[2]

فقد استطاع أن يشد الانتباه إلى حركته في وقت كان الكلام ممنوعا، وتسلم زمام الكفاح السياسي في وقت كانت فيه السياسة الاستعمارية لا ستمح بأي نشاط لا يكون في صالحها.[3] لذلك فإن نشاطه الوطني جعل الشعب الجزائري يعيش سنوات ما بعد الحرب كتحرير مسبق حيث مجّد الإسلام، نصح بالوحدة، نادى بالكفاح السياسي، عبّر بإيجاز عن دلائل الجزائر المتفتّحة، وكان جرس الإنذار للبرجوازية الكولونيالية التي كانت تصرخ بقوة ضد الوطنية العربية،[4] حيث عمل على توضيح هوية الأمة واستعادة زمام أمورها فأخذ وصف الوطني الرائد،[5] لذلك فهو يعتبر في نظر العديد من المؤرخين أول زعيم سياسي جزائري في القرن العشرين ناضل سياسيا لاسترجاع كرامة الجزائريين، ونقل مطالبهم المشروعة إلى كل المؤسسات المسؤولة في الجزائر وفرنسا والهيئات الدولية، وأصر على الاستجابة لها.[6]

وهو بهذا أحدث حركة قوية كانت هي الحركة الأولى لما تطورت إليه الحركة السياسية الوطنية في الجزائر، وكان أول سياسي اصطنع جريدة لخدمة سياسته ونقد الإدارة الاستعمارية ورجالها، وتنبيه الأذهان، والتخطيط الأول لمنهاج التربية السياسية،[7] كما أعطى للجزائر قيادة جديدة وفعّالة خلال العشرينيات من القرن العشرين رغم أنه فشل في تحقيق أهدافه، وحركته لم

---

1 - **ibid**, p 119.

2 - Koulakssis: **op-cit**, p 167.

3- سعيود: **المرجع السابق**، ص 154.

4 - Meynier: **op-cit**, p 737.

5- ثنيو: **إشكالية الدولة**، ص 146.

6- عويمر: **الأمير خالد الجزائري من خلال مجلة الشهاب**، ص15

7- الابراهيمي: **آثار..**، ص 128-129.

تمت بنفيه وعزل حزبه فقد استمر في باريس والشرق في إيقاد شعلة نار الحركة الوطنية، والوحي إلى أتباعه بحملها فكان ظهور نجم شمال إفريقيا سنة 1926 كحزب ثوري انفصالي،[1] استلهم مطالبه[2] من مطالب الأمير خالد،[3] فكان المُلهم بالعمل السياسي في مرحلة طوره الإيجابي،[4] وخروجه من فترة النشوء والتكوين والمبادرة. كما أن بروز الأحزاب في الجزائر ناتج عن حركته التي حاول فيها توحيد المثقفين الجزائريين لتكوين قوة وطنية فاعلة،[5] قادرة على مواجهة النظام الاستعماري سواءً في باريس أو في الجزائر للحد من تسلّط المعمرين والحكومة العامة، وهو ما يجعل حركته تندرج في محاولة احتراف السياسة كأسلوب للمطالبة بالتغيير والحصول على الحقوق، وهي التجربة الفاصلة بين مرحلة العمل السياسي النخبوي ومرحلة العمل السياسي الجماهيري في الحركة الوطنية الجزائرية.[6]

ويُدرج الباحث حباسي شاوش نشاط الأمير خالد في مفهوم الحركة الوطنية التي تتميز ببعدين: الحركة وهي العمل العلني أو السري المنظم والحامل لبرنامج سياسي أو إصلاحي، والوطنية التي لا يمكن أن يكون معناها إلا سياسيا في وضع استعماري، وهو العمل على استرداد

1- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 370-371.

2- تمثلت في: - إلغاء قانون الأنديجينا وجميع توابعه.

- حق الانتخاب والترشيح في جميع المجالس ومن بينها البرلمان الفرنسي بنفس الحق الذي يتمتع به المواطن الفرنسي.
- إلغاء تام وعام لجميع القوانين الاستثنائية والمحاكم الزجرية والمجالس الجنائية والمراقبة الإدارية.
- نفس التكاليف ونفس الحقوق كالفرنسيين فيما يخص التجنيد.
- إدراك المسلمين الجزائريين لجميع الرتب المدنية والعسكرية من دون تمييز ما عدا الكفاءة والمهارة الشعبية.
- التطبيق التام لقانون التعليم الإجباري مع حرية التعليم لجميع الأهالي. — حرية الصحافة والجمعيات.
- تطبيق قانون فصل الدين عن الحكومة فيما يخص الدين الإسلامي.
- تطبيق القوانين الاجتماعية والعمالية على الأهالي الجزائريين.
- الحرية التامة للعمال الأهالي بالسفر إلى فرنسا أو إلى الخارج من غير إجراءات استثنائية.
- تطبيق جميع قوانين العفو الماضية والآتية على الأهالي كغيرهم من المواطنين. للمزيد أنظر: قنانش: **الحركة الاستقلالية في الجزائر**، ص 37-38.

3- **نفسه**، ص 37.

4- الأشرف: **المرجع السابق**، ص 79.

5- محمد لحسن زغيدي: **«التجربة الجزائرية في المقاومة السلمية والمسلحة أو كيف تطورت الحركة الوطنية إلى ثورة مسلحة»**، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 24، جامعة الجزائر 2، د ت، ص 315.

6- خيثر: **المرجع السابق**، ص 245.

حقوق الأمة المغتصبة تدريجيا حتى تسترجع استقلالها، وقد يكون مطلب الاستقلال واردا صريحا أو ضمنيا عاجلا أو آجلا في برنامج الحركة،[1] ومن خلال مطالب الأمير خالد المرفوعة للمؤسسات الاستعمارية في الجزائر وباريس نجد أنه كان المدافع عن الاستقلال الجزائري،[2] وكان نشاطه الوحيد تقريبا الرامي إلى الاستقلال قبل سنة 1926[3] وهو ما جعل الباحث عبد الحميد زوزو يصفه رفقة قايد حمود والحاج عمار المستشار البلدي عن جيجل وصاحب جريدة الرشيدي بالشبان الوطنيين.[4]

كانت حركته في بدايتها ثورية استقلالية ولكنه لم يجد من يسانده فيها فعمد بعد كفاح مرير متبوع بخيبة أمل إلى سياسة أكثر لينا يمكن للاستعمار أن يقبلها، وهي المطالبة بالمساواة أمام القانون الفرنسي غير أن الإدارة رأت في ذلك تطرفا فواجهته بشدة.[5]

3- الإدارة الاستعمارية ونضال الأمير خالد:

لقد بينت انتخابات 1920 كيف فاز فيها من كانوا مع الهوية الإسلامية وضد الإدارة على من كانوا ضد الهوية ومع الإدارة الفرنسية[6] التي دقت ناقوس خطر الوطنية الجارفة لأتباعها ولسياستها، فقد كانت الانتصارات ربيعا جزائريا، وهجوما ضد التعسف الاستعماري والنواب المعمرون بُهتوا وهم يسمعون لصوت الجزائر الجديدة،[7] لذلك صعّدوا من احتجاجاتهم ضد قانون قانون 1919 الذي منح الحقوق الانتخابية للأهالي الجزائريين حيث قام النائب البرلماني ورئيس فيدرالية رؤساء البلديات بالقطر الجزائري غابريال أبو (Gabriel Abbo) بتنظيم مؤتمر لرؤساء البلديات الجزائرية في ماي 1920 واحتج بعنف ضد البرلمان الفرنسي الذي منح للجماهير الأهلية

1- حباسي شاوش: **«مصطلحات في الحركة الوطنية الجزائرية»**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 01، جامعة الوادي، (جوان 2010)، ص 187.

2 - Ageron:« **Le mouvement jeune Algérien**», p 9.

3- ثنيو: **إشكالية الدولة**، ص 154.

4- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 155.

5- مناصرية: **المرجع السابق**، ص 11.

6- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 156.

7 - Djeghloul: **op-cit**, p 212.

حقوقا انتخابية مخالفة لحالتهم الاجتماعية، وتعهّد بالثورة على هذه القوانين التي وضعت خارج الجزائر.[1]

كما سخّرت الإدارة الاستعمارية صحافتها لإثارة الرأي العام في الجزائر وفرنسا ضد هذه الإصلاحات داعية إلى إلغاء نتائج الانتخابات لأن "الجزائر أصبحت في خطر" ومُطالبةً بحجز المحرّضين من جماعة خالد،[2] كما شنّ والي ولاية الجزائر لوفبير (Le Febure) حملة على الفائزين، واتّهمهم بالتشدد الإسلامي والتعصب الديني ومضادتهم للإدماج، وتحاملهم على الاندماجيين بوصفهم كفرة وحملة شابوهات معتبرا الأمير خالد زعيما لحزب سياسي.[3] ففوزه في في الانتخابات جعل فرنسا تهاجمه بقوة وعنف لأنه تيار وطني يهدد الوجود الفرنسي في الجزائر مشيرة إلى خطر مطالبه السياسية المطروحة، فلو أعطت فرنسا كما يطالب بذلك لست ملايين من الأهالي حقوقا مساوية لمواطنيها مع احتفاظ هؤلاء الستة ملايين بقوانينهم الخاصة فسيكون ذلك ببساطة إقامة دولة في دولة معادية لفرنسا.[4] كما لم يسلم من انتقادات المنتخبين الإداريين والأعيان الذين هددهم شعبيته إلى حد أن ابن تامي ندّد بالعصبية الإسلامية التي لا تنتظر إلا مفجّرا لتُشعل حربا واستجابت فرنسا لذلك فألغت انتخابات سنة 1919 بحجة الشغب والطموح والعصبية،[5] وطالب بإجراءات صارمة ضده لأنه محرض وعدو لفرنسا، وأشار النائب زروق محي الدين إلى التحريض الخطير والنظام الرهباني الذي يحدث في الجزائر بواسطة حفيد الأمير عبد القادر وأصدقائه.[6]

اعتبرته الإدارة الاستعمارية في الجزائر رئيسا لأصحاب العمائم وزعيما للمحافظين المسلمين، ورأت في انتصاراته منبِّهاً مباغتا وعنيفا للتعصب الإسلامي، وكتبت مصالح الشؤون الأهلية أن يجسّد الجامعة الإسلامية والوطنية الإسلامية منذ سنة 1914[7] كما وُصف بالمغامر

1 - Ageron: «**Enquête sur les origines**», p 22.

2 - Ageron: «**Enquête sur les origines**», p 22.

3- زوزو: **الفكر السياسي**، ص 167.

4- بن عدة: **«من أعلام الوطنية والإصلاح في الجزائر»**، ص 160.

5- مناصرية: **المرجع السابق**، ص 54.

6 - Kaddach: **op-cit**, p 106.

7 - Ageron: «**Enquête sur les origines**», p 24 .

المخيف للبلشفية والمعادي لفرنسا،[1] وكان يُنظر إليه كممثل وحيد للفكر الإسلامي وحارس ملاك للشعب الجزائري، طالب في محاضراته بتمثيل برلماني بنسبة عادلة للأوربيين الجزائريين أي ستة نواب في البرلمان وثلاثة في مجلس الشيوخ بالنسبة لخمسة ملايين ساكن،[2]

رغم أن برنامجه اندماجيا إلا أن الإدارة الجزائرية قاومته كوطني أهلي،[3] ونظرت إليه كداعية للاستقلال والانفصال، وزعيم وطني متطرف ناكر للجميل الفرنسي[4] حاول إعادة مجد جده الأمير عبد القادر، ووُصف بالإقطاعي الذي لم يُدرك بأن زمن الإقطاع العربي قد انتهى، وورّط نفسه في طريق مسدود يصيبه بخيبة الأمل.[5]

وفي انتخابات سنة 1921 سخّرت الإدارة منافسي الأمير خالد بكتابة تقارير مناوئة تُظهره كمحرض ومتعصب ضد فرنسا للحد من انتصاراته في معاركه الانتخابية مما جعله يتوجّه بالشكوى إلى سلطات باريس.[6] وفي انتخابات سنة 1922 تم التعاون بين المتجنسين بالجنسية الفرنسية وفرنسا، وممارسة الغش في الانتخابات وتشويه صورة الأمير خالد فلم ينجح أحد من أنصاره، واتّهم بالتحريض على الثورة ضد الوجود الفرنسي بالجزائر والعمالة للشيوعية،[7] فحاربته فحاربته فرنسا عند صناديق الانتخابات ثم نفته، مما جعل حركته سياسية وطنية وليست دينية حيث رفض الجنسية الفرنسية بالتخلي عن الحالة الشخصية الإسلامية.[8]

كتب الحاكم العام تقريرا في 04 ماي 1920 طالب فيه بعودة السلطة نظرا لفشل الشبان في انتخابات ديسمبر 1919 وتصاعد التعصب الإسلامي: «الأهالي أطفال كبار في حاجة إلى حماية من تحركهم، يجب تقليص مساحة الحقوق الممنوحة لهم، نحن نرى يوميا أهمية إعادة

1 - Koulakssis: **op-cit**, p 121.

2 - Ageron: «**Enquête sur les origines**», p 43.

3- أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ص 118.

4- ثنيو: **إشكالية الدولة**، ص 156.

5 - Ernest Mallebay: «**La semaine Algérienne**», A. A, n 20, (18-05-1922), p 822.

6 - L'emir Khaled: «**dépêche de lettre adressées a m le ministre de l'intérieur**» , l'Ikdam, n 41, (26-08-1921).

7- بوحوش: **المرجع السابق**، ص 224.

8- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص360-361.

السلطات التأديبية القديمة للإداريين»،[1] وللحد من نشاط الأمير خالد أُتّهم بمناهضة الوجود الفرنسي، وببغضه له دون التصريح بذلك.[2]

– نفي الأمير خالد:

إن انتصارات الأمير خالد المتتالية في الانتخابات واتصالاته بممثلي الحكومة الفرنسية حول التمثيل البرلماني أدت إلى المزيد من التخوف من تحركاته، والعمل على ضرورة إيقافها، فاتفقت مجهودات المسؤولين الأوربيين في باريس والجزائر لتُضيّق الخناق حول الأمير خالد الذي وجد نفسه وحيدا أمام أمة منقادة طائعة قصارى ما تستطيع عمله هو أنها توصله إلى كرسي النيابة، وأصبح من الصعب عليه أن يواجه بمفرده قوة استعمارية آلت على نفسها أن تمحو اسمه من الوجود في الجزائر فاضطر إلى الانسحاب من الميدان السياسي سنة 1923.[3]

وكان رئيس الجمهورية ميليران (Millerand) والحاكم العام ستيغ Steeg قد لمسا خطورة مطالب الأمير خالد سنة 1922 الذي أشار إلى أن أيدي وقلوب الجزائريين متجهة نحو فرنسا وأنه يأمل ألا تُدفع إلى اتجاه آخر، فأصبحت السلطات قلقة من نشاطاته الوطنية فقرّرت سنة 1923 نفيه من الجزائر بتوصية من فيدرالية رؤساء البلديات التي اتّهمته بنشاط معادٍ لفرنسا،[4] في حين أن الصحافة الاستعمارية قد هاجمت الأمير خالد بصفته شيوعيا اتفق مع البلاشفة، وشنّت حملة اتّهامات ضده في فيفري ومارس 1923: «إن هذا الأمير الذي يتقاضى تقاعده من فرنسا يتّفق مع البلاشفة في موسكو على حملة تمرد أو طرد أو مذبحة ضد الفرنسيين. هذا السيد المسلم يسير جنبًا إلى جنب مع الحزب الشيوعي الجزائري المليء بحثالة اليهود والموظفين المدنيين الساخطين»[5] وهي تهمة تهدف من ورائها إلى دفعه للانسحاب وإجهاض الثورة التي بدأها في الجزائر ضد الإدارة الاستعمارية.

---

1 - Ageron: «**Une politique libérale**», p147 .

2 - Ernest Mallebay: «**L'émir khaled**», A. A, n 4, (26-01-1922), p 602.

3- بوحوش: **المرجع السابق**، ص 225.

4- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص 363-364.

5 - Ageron: «**Enquête sur les origines**», p 38.

وجاء قرار النفي قبيل إجراء انتخابات تجديد النيابات المالية المقررة في 18 أفريل 1923 حيث كان الأمير خالد غادر العاصمة إلى عين البيضاء على أن يعود في الرابع من أفريل لتحديد قائمة المترشحين ولكن المفاجأة أن الصحافة نقلت رسالة الأمير خالد إلى الحاكم العام تتضمن اعتزاله من كل المناصب والعهدات والانسحاب نهائيا من السياسة،[1] وهذا ما أحدث صدمة في نفوس أصدقائه الذين خسروا الانتخابات، وأعلنت الصحافة الاستعمارية عن فشل الحزب المتطرف في الجزائر.[2]

وقد لعبت الحكومة العامة دورا في عزل خالد عن محيطه للضغط عليه قبل نفيه حيث استخدمت الرشوة لدى بعض أتباعه واستدعاه الحاكم العام وخيّره بين تقاعد جيد أو عقوبات صارمة ولأجل التأثير عليه أظهر له عريضة ممضاة من بعض الأعيان طالبوا بتوقيفه وكان تحت الرقابة فاختار المنفى.[3]

وكانت السلطة الاستعمارية مدفوعة بخوفها من يقظة جزائرية وسلطة مضادة للأهالي في المستعمرة قد انتصرت مؤقتا بإبعاد الأمير خالد،[4] واستمر ذلك الخوف بعد النفي فزادت من اضطهادها له في منفاه فحوكم في الإسكندرية في أوت 1925 بحجة حمله لجواز سفر مزوّر رغم صحته، وكان هناك من وقف ضد نفي الأمير خالد ليس إنصافا له وإنما خوفا من خطورة نشاطه في الخارج وهو بعيد عن المراقبة مثل إرنيست ماليباي (Ernest Mallebay) مدير مجلة أنال أفريكان (Annales Afrcaines) الذي اعتبر نفيه خطأً لأنه يزيد من تحريضه ضد فرنسا خاصة وأنه: «حمل معه كل ضغينة ضد سيطرتنا، فنفيه لم يفقده سمعته كحفيد للأمير عبد القادر»[5] فهو قادر على تعبئة الرأي العام في المنفى ضد السياسة الفرنسية، وحذّر إرنيست من نشاطه في باريس حيث جذب إليه جماهير واسعة من المستعمرات الفرنسية في محاضرته يوم 23 جويلية 1924،

1 - Annales Africaines, n 35, (29-08-1924), p 551.

2- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص364.

3 - Kaddach: **op-cit**, p 117.

4 - Koulakssis: **op-cit**, p 195.

5 - Mallebay: «**Une faute**», Annales Africaines, n 35, (29-08-1924), p 549.

وقال بأن الأمير خالد رمى بذورا حيوية لن تتأخر في النمو، وستكون حصادا لن نستطيع ردّه.[1]

وفي مقال بعنوان آلاف المنبوذين يسارعون لسماع الأمير خالد (Des milliers de parias accourent entendre l'émir khaled) لام إرنيست الحكومة العامة بالجزائر على نفيها للأمير خالد، وتساءل «إذا لم تنفِ الحكومة العامة الأمير خالد هل كان سيُحدث في قلب باريس هذه التظاهرة المدوية، ويجعل لأفكاره هذه الدعاية العظيمة؟»[2] وادّعى في نفس المقال أن التسامح الفرنسي هو الذي أدي لظهور التعصب لدى المسلمين الذي يرون في الفرنسين مستغلين ومتسلّلين على الأرض الإفريقية، وأن المسلمين لم يفقدوا الأمل في طردهم،[3] وخوفا من ميلاد حركة وطنية في باريس قامت الحكومة بإرساله إلى سوريا، وذلك بعد مشاركته في المؤتمر المغربي المنعقد في 07 ديسمبر 1924، وإرسال برقيات التأييد للخطابي والشعب المصري والتونسي أين اتّهمته فرنسا بالتعاون مع الخطابي أثناء عودته إلى مصر حيث سلّمته الحكومة المصرية إلى قنصلية فرنسا التي اعتقلته في سوريا،[4] ولم يُسمح له بدخول الجزائر من جديد حتى توفي بالمنفى بدمشق في 09 جانفي 1936.[5]

إن حركة الأمير خالد لم تمت بنفيه وعزل حزبه فقد استمر سواءً في باريس أو الشرق الأدنى في إيقاد شعلة نار الحركة الوطنية والوحي إلى أتباعه بحملها إلى الأمام، ولم ينتظر أتباعه طويلا، ففي ربيع 1926 أنشأوا حزبا ثوريا انفصاليا هو نجم شمال إفريقيا، فقد كان حزب الأمير خالد الإصلاحي ومؤتمر العمال الأفارقة في ديسمبر 1924 أعطى النجم نموذجا وقاعدة، ولما تأسس النجم أُعلن عن الأمير خالد رئيسا شرفيا له.[6]

---

1 -**ibidem**.

2 - Mallebay: «**Des milliers de parias accourent entendre l'émir khaled**», A. A, n 35, (29-08-1924), p 549.

3 - **ibid**, p 550.

4- بن العقون: **المرجع السابق**، ص 83.

5- سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، ص368.

6- **نفسه**، ص 372.

الخاتمة

إن موضوع الفكر السياسي في الجزائر على قدر كبير من الأهمية لأنه يؤصل للنضال الجزائري الثقافي والفكري السلمي، ويعطي الفضل لأهل القلم والفكر من النخبة الجزائرية على اختلاف مشاربها الإيديولوجية، وعلى طول مراحل المقاومة في قيادة الأمة، والتعبير عن مطالبها وانشغالاتها المختلفة، وفي محاولة تمثيلها أمام المؤسسات الاستعمارية في الجزائر وفي باريس. فقد كان المثقفون في مجابهة دائمة مع القوانين الاستعمارية على الصعيد الفكري والديني والثقافي صونا لحقوق الجزائريين، ومحاولة منهم تخفيف الضغوط الاستعمارية.

وقد توصلت في ختام هذه الدراسة إلى استخلاص نتائج هامة يمكن إيجازها في:

1- إن توقف العمل المسلح في نهاية القرن التاسع عشر لم يعن توقف العمل الوطني ضد الاستعمار بل استمرت عمليات الرفض للوجود الاستعماري وسياسته بآليات جديدة تبناها سكان المدن من خلال بروز نشاط المثقفين والعلماء بالعرائض والوفود والاحتجاجات وحتى المظاهرات ضد الإجراءات التعسفية كقانون التجنيد الإجباري.

2- رغم السيطرة الاستعمارية والعزلة التي فرضتها على الجزائر إلا أن الجزائريين تحدّوا ذلك بالصمود والتعليم سواءً العربي أو الفرنسي، والاتصال بالخارج وأخذ ما يفيدهم في نضالهم كالعمل الصحفي والتنظيم الجمعوي، وهو الذي ترجمته حركة النهضة في مطلع القرن العشرين.

3- تعتبر الفترة الزمنية (1900-1925) من أخصب فترات تبلور الفكر السياسي الجزائري بعد تراجع دور السلاح كوسيلة في مجابهة النظام الاستعماري حيث تعتمد فيها النخبة الجزائرية على ثقافتها سواءً العربية الإسلامية أو الفرنسية أو المزدوجة في محاورة السلطات الاستعمارية حول أوضاع الجزائريين، ومطالبتها بتحسينها، واعتراضها على بعض القوانين التي لا تخدم المجتمع الجزائري مما يخلق بوادر لفكر سياسي جزائري يتفاعل مع القضايا المطروحة، ويؤسس لأرضية مطالب متنوعة تترجم تحمّل المثقفين الجزائريين لمسؤوليتهم التاريخية، وحملهم لهموم مجتمعهم، وسعيهم لإيجاد حلول لها.

3- أظهر المثقفون الجزائريون مقدرة كبيرة في محاورة النظام الاستعماري بالاستناد إلى الشريعة الإسلامية والتقاليد الجزائرية والمواثيق الفرنسية في رفضهم للقوانين الاستعمارية بالنسبة للمحافظين، والاستناد لقوانين الجمهورية الفرنسية ومبادئ ثورتها بالنسبة لليبراليين الاندماجيين، والاستناد إلى المواثيق الدولية واستعطاف الرأي العام العالمي لإنصاف الجزائريين كالأمير خالد.

4- أدرك المثقفون الجزائريون لدور بعض الوسائط العصرية كالصحافة في التعبير عن مبادئهم ومطالبهم، ونشر أفكارهم فأسسوا في مطلع القرن العشرين صحافة جزائرية باللغتين العربية والفرنسية عملت على كسر احتكار المعمرين لهذه الوسيلة الهامة، واستطاعوا أن يساهموا في تحريك المجتمع الجزائري، وتنويره بما يخدم قضاياه، كما أفرز هذا النشاط الصحفي للنخبة تعددية إعلامية أفضت إلى تعددية سياسية مبكرة عكست تكوينها الإيديولوجي مما جعلها قاعدة للتعددية الحزبية التي ستظهر فيما بعد.

5- جسّدت هذه الفترة بحراكها الفكري والثقافي وتراكماته، ومطالبها السياسية منبت الإرهاصات الأولى للعمل السياسي الجزائري الذي ستتضح معالمه تدريجيا، ويتطور إلى تنظيم حزبي متعدد في الفترة اللاحقة (1925-1950) من خلال تكتل الليبراليين الاندماجيين في فيدرالية النواب المنتخبين المسلمين الجزائريين، وتجمع الإصلاحيين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بروز نجم شمال إفريقيا كتيار استقلالي.

6- كانت المطالب التي رفعتها النخبة الجزائرية في هذه الفترة تبطن ممارسة سياسية تحاول الحصول على الحقوق نظير الواجبات المفروضة.

7- خلال هذه الفترة بدأ الاختلاف بالبروز في طرح المطالب بين مكونات النخبة الجزائرية على أساس اللغة حيث نادى المحافظون بالتمسك بقيم الشخصية الجزائرية بمقوماتها المتمثلة في اللغة العربية والإسلام كنوع من المقاومة لحماية الهوية من الذوبان مع المطالبة بالحقوق الأساسية، بينما طالب الليبراليون بالحقوق السياسية في الإطار الفرنسي عن طريق الاندماج والتجنّس ولو بالتخلي عن الأحول الشخصية الإسلامية، وسيتبادل الطرفان الانتقادات بناء على مواقفهما، ويستمر ذلك إلى الفترة اللاحقة للدراسة ليتجذّر كثنائية فكرية في الجزائر بعد الاستقلال.

الملاحق

فهرس الملاحق

الملحق 01: عريضة أرسلها الشبان الجزائريون للحاكم العام في 31 جانفي 1908 تعبّر عن قبولهم لمشروع التجنيد.

Monsieur le Gouverneur,

Lorsque la France, dans l'intérêt supérieur de la défense nationale, crut devoir envoyer en Algérie une commission pour y étudier un mode de recrutement obligatoire des indigènes, quelques voix discordantes s'élevèrent parmi nos coreligionnaires. Il ne nous appartient pas de manifester ici la réprobation que ces protestations nous inspirent. Nous voulons uniquement, M. le Gouverneur général, vous faire part de notre confiance absolue en la métropole et en son éminent représentant.

Nous sommes persuadés que l'intérêt indigène trouvera son relèvement dans l'intérêt français. Le service militaire obligatoire sera volontairement accepté par nous, car nous y voyons une preuve de confiance que nous tenons à justifier. Si la France a besoin de ses enfants adoptifs, ils ont encore plus besoin d'elle et ils s'en remettent à sa générosité.

Puisse le sacrifice de notre sang être la preuve du rapprochement de nos cœurs.

المصدر:

Millet Philippe: «**Les Jeunes Algériens**», la revue de Paris, t6, (novembre-décembre 1913), Paris, 1913, 168.

نص عريضة الشبان الجزائريون للحاكم العام في 31 جانفي 1908 باللغة العربية.

عندما رأت فرنسا أنه من المستحسن إرسال لجنة إلى الجزائر لدراسة طريقة التجنيد الإجباري للأهالي من أجل مصلحة الدفاع الوطني، قامت بعض الأصوات المعارضة بين أتباع ديننا. إننا نستنكر هذه الاحتجاجات. نريد فقط أن نعرب لكم سيادة الحاكم العام عن ثقتنا المطلقة في الميتروبول وممثلها السامي.

نحن مقتنعون بأن مصلحة الأهالي متعلقة بالمصلحة الفرنسية. سيتم قبول الخدمة العسكرية الإجبارية طواعية من قبلنا لأننا نرى فيها دليلا على الثقة التي نريد تبريرها. إذا كانت فرنسا في حاجة إلى أبنائها بالتبني، فإنهم بحاجة إليها أكثر، ويعتمدون على كرمها، فربما تكون التضحية بدمنا دليلاً على تقارب قلوبنا.

الملحق 02: مطلب حقوق المواطنة الفرنسية عند بن علي فخار

Cette élite espère beaucoup de la France, grande dispensatrice des idées de liberté et de justice dans le monde musulman. Il appartient donc à celle-ci de ne pas se montrer moins généreuse à l'égard de ses nombreux sujets dont elle a assumé la charge. L'avenir de sa domination dans le Nord Africain est à ce prix et le loyalisme éprouvé des Musulmans algériens doit par elle devenir de l'attachement.

Les indigènes algériens sont soumis à toutes les obligations fiscales, auxquelles, sont astreints les nationaux français.

En outre, ils versent aux caisses de l'État, bon an mal an, sous forme d'impôts arabes, de nombreux millions. Ils constituent enfin la base des ressources vitales du pays dans toutes les manifestations de l'autorité sociale, agriculture, commerce, etc.

Avec le service militaire dont l'application n'est plus qu'une question de temps, ils supporteront toutes les charges qui pèsent sur leurs compatriotes européens. Il est de toute équité de mettre fin à la capitis deminutio dont ils sont frappés et d'octroyer des droits égaux à ceux du citoyen français, à un grand nombre d'entre eux, qui se trouvent dans les conditions voulues. Il faut multiplier les liens d'intérêts, car tout est là, dans les sociétés humaines, qui unissent leur sort à celui de la population européenne.

On répond à cela, généralement, en engageant les Musulmans à demander la naturalisation. Il faut noter cependant que, quand bien même il s'agirait de leur donner tous les droits politiques dont jouit le citoyen français, tout en conservant leur statut personnel, aucun texte législatif ne s'y opposerait.

المصدر:

Ben Ali Fekar : «**La représentation des musulmans Algériens**», revue du monde musulman, n 1-2, (janvier-fevrier 1909), Paris, p 21-22.

ملخص مطلب حقوق المواطنة الفرنسية عند بن علي فخار

هذه النخبة تأمل الكثير من فرنسا ، الموزع الكبير لأفكار الحرية والعدالة في العالم الإسلامي. لذلك فإن الأمر متروك لها ألا تكون أقل سخاء فيما يتعلق بالكثير من رعاياها الذين تفرض عليهم الأعباء. إن مستقبل هيمنتها في شمال إفريقيا هذا هو ثمنه، ويجب أن يصبح الولاء الذي تم اختباره للمسلمين الجزائريين ملحقًا.

يخضع المواطنون الجزائريون لجميع الالتزامات المالية التي يخضع لها المواطنون الفرنسيون. بالإضافة إلى ذلك فإنهم يدفعون لخزائن الدولة ولسنوات عديدة الملايين في شكل ضرائب عربية. وهم يشكلون أساس للموارد الحيوية للبلد في جميع المجالات.

مع الخدمة العسكرية التي سيكون تطبيقها مسألة وقت فقط، سيتحملون جميع الأعباء التي على مواطنيهم الأوروبيين. إنه من الإنصاف تمامًا منح حقوق مساوية لحقوق المواطنين الفرنسيين لعدد كبير منهم. من الضروري مضاعفة روابط المصالح التي توحد مصيرها بمصير السكان الأوروبيين.

هذا يقوم على دفع المسلمين لتقديم طلب التجنس ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أنه حتى لو كان منحهم جميع الحقوق السياسية التي يتمتع بها المواطن الفرنسي، مع الحفاظ على وضعهم الشخصي، فهذا لن يعارضه أي نص تشريعي.

الملحق 03: مطالب الجزائريين من فرنسا سنة 1912

بعنوان: حول التدابير التي يطالب بها المسلمون الفرنسيون في الجزائر كتعويض عن التجنيد العسكري

إن الظروف التي تم فيها التجنيد العسكري بتاريخ 3 فيفري 1912 قد ولّدت شعورا بالاستياء لدى كل الجزائريين، وهو شعور من شأنه أن يتطور إلى ما هو أخطر إن لم يتم توضيح الأمور جليا.

إزاء هذا الوضع رأى الأعيان الممضون أسفله، والذين هم الممثلون الأفاضل لجماهير من الأهالي، أن يتوجهوا إلى حكومة العاصمة لتوضح الوضع المتمثل في شعور الأهالي بأن هذا الحمل الذي جاء يعضد أحمالا ثقيلة سابقة، لا بد أن يوازيه شيء من التخفيف عن كاهلهم.

هؤلاء الممثلون، والذين استوحوا آرائهم من الطلبات الكتابية الكثيرة الصادرة من المقاطعات الثلاث للجزائر، والمقتنعون بأنه على أبناء فرنسا أن يجيبوا ندائها دائما، هؤلاء السادة يعلنون أن أهالي الجزائر مستعدون تمام الاستعداد لأداء كل واجباتهم إزاء الوطن الأم.

إلا أنهم يرون ضرورة مايلي:

أ- تقليص مدة الخدمة العسكرية إلى سنتين مثلما هي حال المجندين الفرنسيين.

ب- الاستدعاء في سن 21 بدلا من 18 سنة، لعدم استعداد الشباب البدني في ذلك السن.

ج- إلغاء المنحة لأن العائلات ستكون فخورة بأبنائها وهم يخدمون في صفوف الجيش الفرنسي دون تعويض مالي.

ويطالبون بالموازاة بالتعويضات الفعلية التالية:

1- إصلاح نظام العقوبات.

2- تمثيل جاد وكافٍ في المجالس هنا في الجزائر وفي العاصمة.

3- المساواة في نظام الجباية والضرائب.

4- التوزيع العادل للمواد بين مختلف عناصر الشعب الجزائري.

أولا: نظام العقوبات

الأهالي يخضعون في حالات الجنحات والجنايات لقانون استثنائي يبتعد كثيرا عن القانون العام، من ذلك أن وضعية الأهلية تستحدث قوانين خاصة وعقوبات خاصة لا يتم تطبيقها في المحاكم بل من قبل أعوان الإدارة فقط، وهذا خرق صريح لمبدأ التفريق بين السلطات.

من جهة أخرى يتم الاحتكام لمجالس الردع-كما تسمى- التي لا تحترم أية قاعدة من الإجراءات القانونية المعروفة.

لنذكر بأن هذه القوانين لا تعود إلى مرحلة الاجتياح وإنما تعود إلى تواريخ قريبة هي 1881 ثم 1903.

أحد أغرب الأشياء هو ما يسمى الحبس الإداري، وهو حبس لا يخضع لأي نص ولا يرتكز على أية قاعدة قانونية رغم تطبيقه الشائع جدا، إذ يكفي أمر من الحاكم لكي يجتث الشخص من وسط عائلته وأعماله ليحبس دون شرح ولا دفاع ولا تفسير، فيوضع في حبس خاص لمدة غير محددة، وربما يتم ترحيله إل مكان بعيد جدا عن بيت عمله وإخضاعه لإقامة جبرية.

إن أهالي الجزائر يطالبون بتغيير جذري لهذا الوضع.

ثانيا: تمثيل الأهالي

هناك هياكل في الجزائر يفترض للأهالي أن يكونوا ممثلين في صلبها ، يمكن في المجالس البلدية مثلا أن يكون لهم ربع المقاعد دون أن يتجاوز الحد الأقصى ستة مقاعد.

في المجالس العامة، عدد المقاعد لا يتغير أبدا ستة مقاعد.

في المندوبيات المالية، أين يكون العدد الإجمالي 69 عضوا يشمل الأهالي 21 مقعدا، 15 منتخبين، و6 يعينهم الحاكم العام من العساكر.

في المجلس العام وأعضاؤه 59 عضوا يوجد 7 أهالي، 4 من صلب المندوبيات المالية و3 يعينهم الحاكم العام من العساكر.

واضح جدا أنه لا تمثيل جاد أو مجدٍ للأهالي في المجالس المحلية، عددهم المحدود يجعلهم في كل مكان دون فائدة وعاجزين عن لعب دور التمثيل الحقيقي.

ثم إنهم لا ينتخبون لا شيخ بلدية ولا نائب له، ولا يلعبون في النهاية أي دور في التوجيه الإداري للبلدية.

أما تعيينهم فيخضع لهيئة محدودة جدا تمنع كل هامش للحرية، إن الهيئة الانتخابية تحوي:

1- بالنسية للمجالس المحلية: الموظفين، المتقاعدين، الملاك، المزارعين، حاملي الوسام الشرفي، أو الميدالية التذكارية. ويستبعد التجار، الصناع والذين يشغلون المهن الحرة: المحامون، الأطباء وأرباب التجارة ليسوا ناخبين.

2- بالنسبة للمجالس العامة لا تشكل الهيئة من: المنتمون إلى المجالس المحلية من الأهالي والأعوان الأهالي، وبسبب تبعيتهم للإدارة «الولاية» وبسبب كونهم يشكلون الأغلبية دائما، فإن المنتخب هو دائما منتخب الإدارة، وهذا ما يجعل تمثيلهم صوريا لا معنى له، فهم لا يمثلون إلا الإدارة التي يشتغلون تحت إمرتها، تلك هي حال تمثيل الأهالي.

لهذا فالأهالي يطالبون بمايلي:

1- توسيع الهيئة الانتخابية لضمان تمثيل فعلي ونزيه أثناء الانتخاب.

2- رفع عدد الممثلين الأهالي في كل المجالس إلى خمسي المقاعد على الأقل.

3- توحيد تشكيل الهيئة الانتخابية بالشكل نفسه في الجزائر كلها، فإذا لم يتم اللجوء إلى دورة انتخابية ثانية لتعيين أعضاء المجالس العامة والمندوبين الماليين، يجب ألا يكون الحق في الانتخاب متاحا سوى للمنتخبين المحليين باستثناء الأعوان الأهالي.

4- أن يحق للمنتخبين المحليين أن يشاركوا في انتخاب شيخ البلدية ونوابه.

5- إبعاد إمكانية الانتخاب عن وظائف مثل القايد والعون الأهلي.

6- تمثيل الأهالي في البرلمان الفرنسي، أو استحداث هيئة عليا في باريس يتم تمثيل مسلمي الجزائر فيها من قبل الأهالي أنفسهم.

7- أن يسمح لمن أدى الخدمة الوطنية أن يحصل على درجة مواطن فرنسي بطلب بسيط ودون إخضاعه للشكليات المعقدة المنتشرة حاليا.

ثالثا: توزيع الضرائب

لا بد من تصحيح المنظومة كليا مع الارتكاز على مبدأ المساواة في توزيع الأتعاب.

رابعا: توزيع الموارد المالية

إن المستعمرة الفرنسية هي الوحيدة المستولية على الموارد المالية بفضل التمثيل الحقيقي الذي تحظى به، وفي حين يتمتع العنصر الأوربي بخيرات هذه الأرض، تجد الحاجات الأكثر إلحاحا للأهالي عسرا كبيرا لكي تُقضى.

ونرى جليا كيف أنه يتم تبديد أموال كبيرة في بلديات كثيرة على أمور ومشاريع لا فائدة ترجى منها، في حين لا يحظى الجزائري سوى بالأعمال الشاقة.

إنه لوضع مغيظ إذا ما فكرنا جيدا فرأينا أن أغلب الموارد مصدرها الضرائب التي يدفعها الأهالي، ولهذا يوضع أمل كبير على خلق تمثيل حقيقي للأهالي في أجهزة الدولة للعمل على تصحيح الوضعيات.

__المصدر:__ شريف بن حبيلس: **الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي**، تر: عبد الله حمادي، بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2009، ص ص 100-104.

الملحق 04: مساندة الشبان الجزائريين لفرنسا خلال الحرب العالمية الأولى

Aux Musulmans Algériens !

En face des terribles dangers qui menacent la France notre Chère Patrie adoptive, berceau de toutes les libertés, notre devoir de Musulmans loyalistes, profondément attachés aux institutions républicaines, est tout tracé : tous, comme un seul homme, nous devons faire face à l'ennemi Teuton et seconder de toute la force de notre âme les trois couleurs à triompher du soudard allemand.

Pour Dieu ! pour nos foyers, pour nos biens, pour notre Patrie enfin ! oublions nos mesquines querelles d'hier, trève à nos zizanies pour ne former avec nos Frères Français qu'un faisceau puissant et indissoluble, capable de mener nos troupes, fraternellement unies dans un seul et héroïque élan à la Victoire finale.

La Cause à laquelle nous attacherons immortellement notre nom est cette cause du triomphe du Droit sur cette Force brutale que Bismarck, de triste et sinistre mémoire, mettait en pratique pour assouvir sa mentalité de brute prussienne.

Allons, Frères ! la généreuse France, la vaillante France de 89 et de 93 fait appel à ses enfants Algériens pour la défense de notre patrimoine commun. Pas de défaillance ! Que dans les circonstances horriblement critiques que traverse la Nation française, il n'y ait pas un seul Arabe, un seul Kabyle dont le cœur ne batte à l'unisson du cœur français et montrons-nous les dignes cadets des héros du Wissembourg et de Frœschwiller.

L'Allemagne dans ses conceptions chimériques rêve de faire de l'Algérie une colonie allemande, mais il y a loin, dit la sagesse des peuples, de la coupe aux lèvres **et c'est à nous, Musulmans Algériens, par notre courage, par notre esprit d'abnégation, à démontrer aux assassins de Samain qu'ils se sont trompés d'adresse et qu'aussi bien Français qu'indigènes défendront leur sol jusqu'à la dernière goutte de leur sang.**

Mais le sort des armes, c'est à l'Est, parmi cette superbe et patriote population, qu'il doit se jouer et c'est là aux côtés de ces phalanges de braves que nous devons accourir sans retard et donner à la France et au monde le spectacle d'un peuple qui sait mourir pour la défense du Sol Natal.

Sadek DENDEN.

المصدر:(l'Islam, n 203, (08/08/1914

ملخص نص مساندة الشبان الجزائريين لفرنسا خلال الحرب العالمية الأولى

إلى المسلمين الجزائريين

أما الأخطار التي تهدد فرنسا وطننا العزيز بالتبني، واجبنا كمسلمين مخلصين متعلقين بالمؤسسات الجمهورية أن نقف كرجل واحد في وجه العدو الألماني لحماية العلم الثلاثي الألوان.

لننسى خلافاتنا في سبيل وطننا وأملاكنا، إن قضيتنا هي قضية انتصار الحق ضد القوات الوحشية، إخواني فرنسا الثورة 1789 و1793 تنادي أبناءها الجزائريين للدفاع عن التراث المشترك.

إن ألمانيا تحلم أن تجعل من الجزائر مستعمرة ألمانية. بشجاعتنا وبروح تضحيتنا لنبيّن للقتلة بأنهم أخطأوا العنوان، وبأن الفرنسيين والأهالي سيدافعون عن أرضهم لآخر قطرة من دمائهم.

الملحق 05: النيابة الأهلية بقلم الأمير خالد.



العــدد ٦٨ — ثمن النسخة ٢٠ صانتيما — السنة الثانية

مكاتبات الاقدام
يجب أن تكون خالصة اجرة البريد
بعنوان الادارة نهج لالير عدد ١٢
بالجزائر
المدير السياسي ورئيس التحرير
الامير خالد

الإقدام

اشتراكات الاقدام
في فرنسا والجزائر وتونس
والمغرب الاقصى ٢٠ فرنكا
في الاقطار الاجنبية ٢٥ فرنكا
والدفع يكون سلفا

جريدة الاتحاد الفرنسوي العربي علمية سياسية اقتصادية تصدر يوم الجمعة من كل اسبوع

الجزائر في يوم الجمعة ٤ رجب الاصب سنة ١٣٤٠ — ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب — الموافق ٣ مارس سنة ١٩٢٢

النيابة الاهلية في مجلس الشورى (البرلمان) ورأي جريدة «النصيح»

كنا ادرجنا في جريدتنا الاقوال المتعلقة بهذه المسالة المهمة التي متى لم نتوصل اليها يبقى صدى ندائنا غير مسموع وحقوقنا مهضومة اذ كل امورنا يقع عليها البحث في فرنسا حيث لا مدافع بوجه رسمي عنا فيها و معارض لمبعوثي الجزائر الفرنسويين وبهذا يفوزون علينا في جميع المطالب ونحن نبقى في زوايا الاهمال

وقد سطرنا ايضاً في اعمدة جريدتنا هذه باللغتين ما قد اجراه اصدقاؤنا وخطبة رئيس تحرير «الاقدام» السيد احمد بهلول امام لجنة الشيوخ الخارجية وما لاقت تلك الخطبة من القبول لديها وتاسيس جمعية لمعاضدتنا في الوصول الى تحقيق هذه الغاية اي النيابة الاهلية بمجلس الشورى الفرنسوي . واذا بجريدة «النصيح» السوداء التي اسست لمعارضة وعرقلة اماني الشعب الجزائري وتمدح من يودها من بعض الموظفين من الاهالي والاوروباويين وشكر الجاهلين والمتزلفين من نواب الاهالي في المجالس الجزائرية وتفضيلهم على اهل الافكار الحرة وذوي الكفاءة والوجاهة اللائقة قد ادرجت مقالة بالقلم الفرنسوي في شان النيابة المذكورة ولما فيها من معارضة مرغوب مسلمي القطر الجزائري اقدمنا على تعريبها باختصار لتنبيه الراي العام الى دسائس المغرضين وازالة الشك والريب عن افكار بعض الغافلين.

بعد ان ارعدت جريدة «النصيح» وابرقت وامطرت علينا ما في قلبها من الحسد والبغض والاكاذيب الفادحة من فوزنا الباهر في ميدان الانتخاب وتعلق الاهالي بمنتخبيهم الاحرار المضحين ارواحهم في سبيل الوصول الى امانيهم من دولتهم بعد ان ادوا نحوها جميع الواجبات بصدق واخلاص قالت

«... فنتيجة انتخابات سنة ١٩١٩ المؤلمة ومآلها الوخيم اريتك اهل العدل الحقيقيين بتيقنوا ان مبادي الاصلاحات الممنوحة لم تجد نفعا بل اضرت بالعرب والقبائل و بالاتحاد الفرنسوي الاهلي، واليوم قد تجددت المذاكرة في مسئلة النيابة الاهلية في مجلس الشورى ونحن نود قبل ذلك ولكن هل حان اوانها وهل هي ممكنة ؟؟ . فها نحن قد القينا هذين السؤالين ونجيب عليهما بسرعة واخلاص.

«هل آن اوان النيابة ؟ لا . حيث انها في الحالة الحاضرة ترجع بالكساد على طالبيها لكون المشخصين لا غرض لهم الا اختلاس اموال الاهالي بوجه الدفاع عنهم وتعيين محامين للوقوف في مصالحهم امام الشرع فيتقاسمون الاموال مع من كان لهم واسطة في ذلك ولا يشتغلون بالمدعى عليه ولا بغيره و بما ان لهم فائدة عظيمة في منصب النيابة لاختلاس اموال الناس فهم ساعون للوصول الى نيابة الاهالي في مجلس الشورى . ونضرب صفحا عن المساعي الوخيمة الضارة بالقطر الجزائري الصادرة من اناس يظهرون الوطنية الكاذبة لينالوا مناهم من الاهالي بهذا السعي المتلاعب ينخص من الان فقاعدا الدولة التي هي مسؤولة عن الامن والمستقبل بمسئلة النيابة لا يحين اوانها الا بعد الوصول الى اخذ وجه احتياطي لا بسلب اموال الاهالي.

«هل النيابة ممكنة ؟ بحسب الفصل الثالث من القانون الدستوري بتاريخ ٢٤ و ٢٨ فيفري سنة ١٨٧٥ لا يسوغ لاحد ان يكون نائبا في مجلس الشيوخ ما لم يكن فرنسويا حائزا على الحقوق الوطنية والسياسية فبهذا القانون يخرج اذن من الانتخاب المسلمين الجزائريين الغير المتجنسين ولكي يصل هؤلاء الى المجلس الشوري يجب تبديل القوانين مع انها لم تبدل لامور مهمة كمسالة سلطة رئيس الجمهورية وعلائقه مع الوزير الاعظم فكيف تبدل بسبب مسالة لم تزل حتى الان تحت الفحص . فنرغب من ابناء جنسنا المتبصرين ان لا يعتنوا لكلام المتفاخرين بمنزلة حالتنا امام المسائل العالمية والوطنية الفرنسوية هي في الدرجة الثانوية (اي لا اعتبار لها) ومسالة النيابة تتعلق ايضا بمسائل دقيقة كتعديد الزوجات والميراث المسنون في القرآن . فنواب مسلمون جزائريون يؤثرون على مستقبل فرنسا مع ان الجمهورية اعلنت بصوت واحد ولقد احتجوا بنواب السنغال ولكن هنالك بعض دوائر من المنتخبين بها مسلمون فرنساويون ينتخبون فرنسويين . ومن المعلوم ايضا ان اهل الحل والعقد ليسوا بمسرورين من التظاهرات الصادرة من الانتخابات في بعض المستعمرات القديمة حتى في جزيرة الكورس ونحن على يقين من انه يقع الخوف من نشر هذا الضرر في القطر الجزائري الذي يوجد فيه نحو المليون من الاوروباويين وبسبب ذلك توقف راي ذوي الافكار الراقية عن مسالة النيابة .

«فحل هذه المسالة لا يكون من الممكن الا في تشخيص الاهالي بواسطة فرنسويين . ففي الحالة الحاضرة لا يتاتى انتخاب فرنسويين الا تحت سلطة المستفيدين المنوه عنهم اعلاه واي خطر اكبر من خطر سلب اموال الجهال تحت ستار سياسيين مستعبدين!

واي نزاع بين الناس اقوى منه ؟ وبالاختصار ان النيابة مرغوبة ولكن اذا كان القصد الوصول فعلا الى هذه النتيجة يلزم اولا انتخاب وتجريب نوابا قادرين . فالان ان حوانيا جزائريا ينتخب عضو المجلس العمومي والمجلس المالي بالجزائر (دائرة بلدية) واما في ميشلي فان محاميا مستخرجا من مدرسة الحقوق واستاذا لا ينتخبان (دائرة مركزية) بالنظر لسوء الحالة الحاضرة التي تساعد المتسخرين . ومن الواجب قبل كل شيء على الدولة الفرنسوية ان تدافع عن اولادها المقربين الذين لم يتادبوا بالادب الوطني وذلك ضد الاعمال المخطرة لمستقبل فرنسا الفتاة »

الاقدام — هذا ما اذاعته جريدة النصيح من البهتان ونحن نقول انه لا لزوم لتذييل هذه المقالة اذ كل من يقرأها يفهم قصد كاتبها حسدا وبغضا في الاهالي لتفضيلهم لنا على أمثاله وكيف ناشدتك الله ترجو الامة الخير ممن عق والدته مع انه في ارغد عيش حتى اضطرها الى تمليس الطواجين لاكتساب معيشتها ؟ هل يعتمد مسلمو الجزائر على رجل تباهت زوجته امام جملة اشخاص بانها تستحسن زوجها في خصلتين أولا لنزع الايمان من قلبه (نعوذ بالله من السلب بعد العطاء) وثانيا لكون العواطف العربية انمحت منه بالمرة ولو اعتبره هو وأمثاله الراي العام لخجلوا من سيرتهم الخبيثة ولكن من قلع ثوب الحياء يفعل ما يشاء ومن خدع جنسه وتبرأ منه فهو مخادع لغيره وانا لم نشاهد والله من بعض المعمرين وبعض المستبدين من الحكام ما شاهدناه من عداوة هذا الوسواس الخناس خيب الله سعيه وجعل كيده في نحره

وليعلم بان سعيه مع غيره لا يفشل عزيمتنا ولا يردنا عن قصدنا وهم يعلمون بان ارادة الشعب لا راد لها وقوة دولتنا الجمهورية مأخوذة من الشعب وفي الحرب الاخيرة قمنا بجميع الواجبات الوطنية فنتجت لنا بذلك حقوق مقدسة لا يجحدها الا المستبد والناكر للجميل . فهل قانون فيفري اتانا بحقوق جديدة؟ كلا اما تعلم ايها المتجاهل المتملق انه كان يسمح قبل سنة ١٨٨٤ لاعضاء المجلس البلدي من المسلمين بانتخاب رئيس البلدية ونوابه ولم يأتنا قانون ٤ فيفري سنة ١٩١٩ الا بتوسيع نطاق الانتخاب فقط واما باقي ما منحه فانه لم ينفذ منه شيء حتى الان فما هو يا ترى التحسين الحقيقي الذي اتانا به هذا القانون؟ انك اليوم بمثابة مستعمر يرى المسلم بعين الاحتقار وينزله منزلة السائل الذي يعطيه صدقة ما فيلزمه قبولها وشكر فضل الواهب فيا اعمى القلب! اعلم باننا من الرجال الذين كابدوا الاهوال في الدفاع عن الحق والحرية واليوم لسنا بطالبين صدقة ما بل طالبين حقا مقدسا والحق يعلو ولا يعلى عليه ولا غرابة في قولك وفعلك بعد ان تبرأت من قومك وجنسك فنحن كذلك نتبرأ منك وقد اصبحت اليوم لا من هؤلاء

المصدر: الإقدام: ع 68، (1922/06/02)

الملحق 06: مقتطف من عريضة الأمير خالد إلى الرئيس الأمريكي ولسن سنة 1919.

ان التصريح الرسمي التالي والقائل بأنه « لا يجبر شعب من الشعوب على العيش تحت سيادة لا يرضى بها » والذي صرحتم به أنتم فى مايو 1917 ، فى كلمتكم الموجهة الى روسيا ، يجعلنا نأمل بأن هذه الأيام قد أقبلت فى النهاية

ولكن الأهالي ، تحت الوصاية الجائرة للادارة الجزائرية قد أصبحوا على حالة من الاذلال بحيث أصبحوا عاجزين عن المطالبة ... ان الخوف من القهر الذي لا يرحم يكم كل الأفواه .

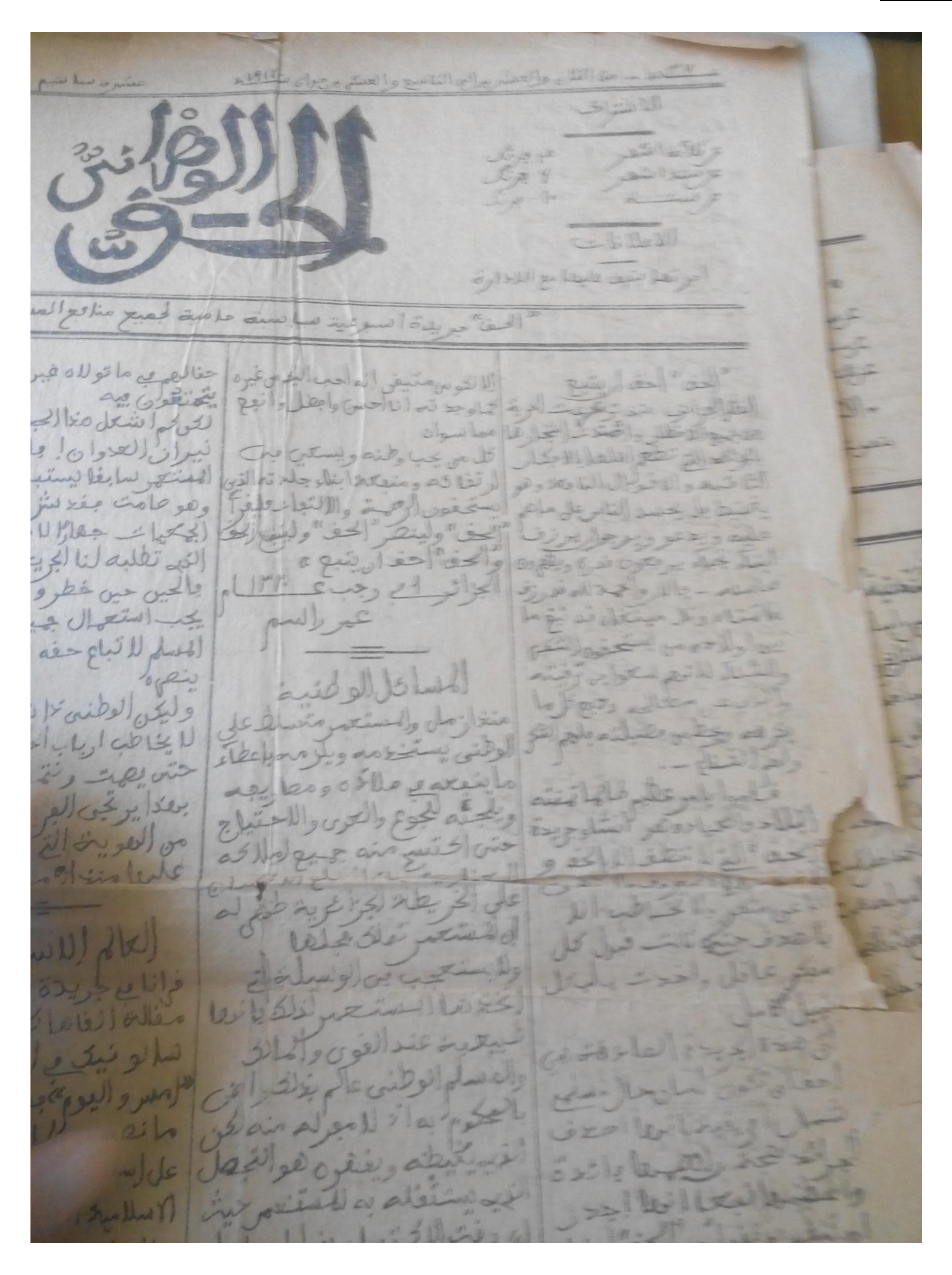
ورغم هذا فاننا جئنا باسم مواطنينا نستنجد بالمشاعر النبيلة لسيادة رئيس أمريكا الحرة ، اننا نطالب بارسال نواب مختارين بحرية من طرفنا لتقرير مصير مستقبلنا تحت اشراف عصبة الأمم .

يا سيادة الرئيس : ان نقاطكم الأربع عشرة للسلام العالمي المقبولة من طرف الحلفاء والقوات المركزية يجب أن تؤخذ كقاعـدة لتحرير الشعوب المستضعفة المقهورة دون تمييز عرقي أو ديني .

انكم تمثلون فى نظر العالم بأكمله الانسان الشريف الحامل للواء الحق والعدالة ، فأنتم لم تدخلوا هذه الحرب الضخمة الا لتعمم تلك المباديء على جميع الشعوب . ولنا ايمان عميق فى كلمتكم المقدسة . ان هذه العريضة قد كتبت لتنوير عقيدتكم والفات نظركم الكريم الى وضعنا الشـاذ .

المصدر: أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 2، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 58.

الملحق 07: من مواضيع جريدة الحق الوهراني.



الحق الوطائش

"الحق" جريدة اسبوعية سياسية حامية لجميع منافع

الاشتراك

الاعلانات

الا الكونس متيقن انه احب اليه من غيره مما وجد ثم انا احسن واجمل وانبع مما سواه

كل من يحب وطنه ويسعى في ارتقائه ومنفعة ابنائه جملة ثم الذين يستحقون الرحمة والالتفات فليقرأ "الحق" ولينصر "الحق" وليتبع الحق والحق احق ان يتبع

الجزائر في رجب عام ١٣٣٠

عمر راسم

المسائل الوطنية

متغازمان والمستعمر متسلط على الوطني يستخدمه ويلزمه باعطاء ما يشبعه من ملاذه ومطايبه ويلجئه للجوع والعرى والاحتياج حتى اختنس منه جميع املاكه

على الخريطة الجزائرية طوعي له ان المستعمر تملك مجملها ولا يستعجب من الوسيلة التي اتخذها المستعمر لذلك يا نورها شيعة عند القوي والمالك والا سالم الوطني عالم بذلك راض بالمحكوم به اذ لا مفر له منه لكن الذي يحيطه ويقهره هو التحصل الذي يستغله به المستعمر حيث

المصدر: الحق: ع 38، (22/29 جوان 1912)

فهرس الأعلام

(أ)

فهرس الأماكن

البيبليوغرافيا

أولا/المصادر:

أ- باللغة العربية:

- الكتب:

1- الحاج مصالي: **مذكرات (1898-1938)**، تر: محمد المعراجي، منشورات anep، الجزائر، 2007.

2-الجاوي عبد القادر: **المرصاد في مسائل الاقتصاد**، منشورات خمسينية جامعة الجزائر، 2012.

3- بن العقون عبد الرحمان: **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1920-1936**، ج **1**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

4- بن حبيلس شريف: **الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي**، تر: عبد الله حمادي، وسيلة بوسيس، فيصل الأحمر، ط1، بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2009.

5- بن رحال امحمد: **مستقبل الإسلام وكتابات أخرى**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.

6- بن سليمان يحي شريف أحمد: **جواب من القايد يحي شريف أحمد بن سليمان**، مطبعة روكة، سطيف، 1891.

7- خوجة حمدان بن عثمان: **المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، منشورات anep، الجزائر، 2005.

8- روش ليون: **اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام**، تر: محمد خير محمود البقاعي، ط**1**، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2011.

9- عباس فرحات: **الشاب الجزائري**، تر: أحمد منور، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

10- ولد قاضي أحمد: **الرحلة القادية في مدح فرنسا وتبصير أهل البادية**، 1878.

- الصحف:

- الحق الوهراني: ع، (19/11 أوت 1911).

- الحق الوهراني: ع، (1912/5/4).

- الحق الوهراني: ع **37** (**29/22** جوان **1912**).

- الحق الوهراني: ع 38 (29 جوان/ 6 جويلية 1912).

- الحق الوهراني: ع 39، (1912/7/13).

- الحق الوهراني: ع 44 (11/ 18 أوت 1912).

- الفاروق: ع 3، (1913/03/14).

- الفاروق: ع 10، (1913/05/02).

- الفاروق: ع 15، (1913/06/06).

- البريد الجزائري: ع 1، (1913/08/28)

- المبشر: ع1، (1847/09/15)

- المنار: مج 14، ج 5، (1911/05/28)، ص 352.

- «**حال نواب الأمة**» الإقدام، ع 4، (01-10-1920).

- «**كتاب مفتوح إلى وزير الحربية**» الإقدام، ع 29، (29-04-1921).

- الأمير خالد: «**استعفاء الأمير خالد**»، الإقدام، ع 31، (1921/05/13).

- الأمير خالد: «**هلا نستطيع إسماع صوتنا بالمجلس**»، الإقدام، ع 63، (1922/01/27).

- الأمير خالد: «**النيابة الأهلية بمجلس الشورى الفرنسوي**»، الإقدام، ع 110، (1922/12/22).

- «**تحريف قانون 04 فيفري 1919**» الإقدام، ع 50، (28-10-1921).

- الأمير خالد: «**الحقيقة**»، الإقدام، ع 120، (1923/03/02).

ب- باللغة الأجنبية:

- الكتب:

1-Delassus Achille: **Metropoles et colonies**, **la conquête morale des indigènes**, Alger, 1913.

2-Depont Octave, Xavier Coppolani: **Les confréries religieuses musulmanes**, typographie et Lithographie Adolphe Jourdan, imprimeur-libraire-éditeur, Alger, 1897.

3-Edmond Doutté: **l'Islam Algérien en l'an 1900,** Alger-mustapha, giralt imprimeur-photograveur, 1900.

4- Espé de Metz: **Par les colons**. **L'Algérie aux Algériens et par les Algériens,** Emile larose libraire-éditeur, Paris, s d.

5- Hamet Ismael: **Les Musulmans Français du nord de l'Afrique**, librairie Armand colin, Paris, 1906.

6- Khaled (l'Emir): **Reflexions sur le rapprochement Franco-Arabe en Algérie**, imprimerie gojusso, Alger, décembre 1913.

7-Khoja Hamdan Ben Othman: **Aperçu historique et statistique sur la régence d'Alger,** t1, imprimerie Geoetschy fils et compagnie, Paris, 1833.

8-Lavion. H: **L'Algérie musulmane dans le passé**, **le présent et l'avenir,** Augustin challamel éditeur, paris, 1914.

9-Mélia Jean: **l'Algérie et la guerre** (**1914-1918**), 4e édition, Paris, 1918.

10-Messimy André: **le statut des indigènes Algériens,** Henri charles-Lavauzelle, Paris, 1913.

11- Passols (Capitaine): **L'Algérie et l'assimilation des indigènes musulmans étude sur l'utilisation des ressources militaires de l'Algérie,** Henri Charles-Lavauzelle, Paris, 1903.

12-Pellissier de Reynaud**: Annales Algériennes,** t 1, Librairie militaire, Paris, 1854.

13-Pellissier de Reynaud: **annales Algériennes**, t 3, Librairie militaire, Paris, 1854.

- المجلات:

1-Ben Rahal M'hamed:«**l'avenir de l'islam**»,questions diplomatiques et coloniales, n 113, t XII, 01/11/1901.

2-Bouvat. L: «**La presse musulmane**», revue du monde musulman, Ernest Leroux édition, Paris, n 5, (mars 1907).

3-De la Martinière: «**Avant le voyage du président**, **la question indigène en Algérie au lendemain de la guerre**», revue des deux mondes, t8, Paris, 1922.

4-Devoulx Albert: «**Les Edifices religieux de l'ancien Alger**», revue africaine, n 37-38, (janvier- mars 1863),

5-Devoulx Albert: «**Les Edifices religieux de l'ancien Alger**», revue africaine, n 59, (septembre 1866),

6-Fekar Ben Ali: «**La représentation des musulmans Algériens**», revue du monde musulman, n 1-2, (janvier-fevrier 1909), Paris.

7- Feraud Charles: «Les Ben-Djellab, sultans de Tougourt », revue africaine, n 170, (1er trimestre 1885),

8-Feraud Charles: «**note sur Bougie**», revue Africaine, n 48, aout 1859.

9-Fevret : «**Le XIV congrès international des orientalistes**» ,revue du monde musulman , t3, (aout-septembre 1907), Paris,

10-Gennet Arnauld Van: «**La mentalité indigène en Algérie**», Mercure de France, n 396, (16 décembre 1913), Paris.

11-Jonnart: «**Pour l'Algérie**», l'Afrique Française, bulletin mensuel du comité de l'Afrique Française et du comité du Maroc, Paris, 1915.

12-Mallebay Ernest: «**L'émir khaled**», Annales Africaines, n 4, (26-01-1922).

13-Mallebay Ernest: «**Deux discours**», Annales Africaines, n 17, (27-04-1922).

14-Mallebay Ernest: «**La semaine Algérienne**», Annales Africaines, n 20, (18-05-1922).

15-Mallebay Ernest: «**Une faute**», Annales Africaines, n 35, (29-08-1924).

16-Mallebay Ernest: «**Des milliers de parias accourent entendre l'émir khaled**», Annales Africaines, n 35, (29-08-1924).

17-Millet Philippe: «**Les Jeunes Algériens**», la revue de Paris, t6, (novembre-décembre 1913), Paris, 1913.

Soualah Mohamed: «**le jeûne chez les musulmans malékites**», revue africaine, n 250, (1er trimestre 1906).

18-Yver Georges: «**Si Hamdan Ben Othman khodja**», revue africaine, n 288, (1er trimestre 1913), imprimeur-libraire de l'université, Alger.

19-Yver Georges: «**Mémoire de Bouderbah**», revue africaine, n 288, (1er trimestre 1913), imprimeur-libraire de l'université, Alger.

20-«Algérie», l'Afrique Française, bulletin mensuel du comité de l'Afrique Française et du comité du Maroc, Paris, 1916.

21- Annales Africaines, n 20, (18-05-1922).

22-Bulletin de la société de géographie d'Alger: n1, juillet 1896, Alger.

23-Bulletin municipal officiel de la ville d'Alger, n 485, (5/20 janvier 1920).

24-«**Etudes Algérienne**», revue du monde musulman, n 7, (mai 1909).

25-«**Le Cercle Salah Bey**», revue du monde musulman, t 7,(janvier-février 1909), Paris, 1909.

26-«**Le congrès d'avril 1905 à Alger et la visite du ministre de l'instruction publique**», revue Africaine, n 258-259, Alger, 1905.

27-«Le voyage du président de la république dans l'Afrique du nord», l'Afrique Française, supplément n 5, bulletin mensuel du comité de l'Afrique Française et du comité du Maroc, Paris, mai 1922.

28-«**Pétition faite par un groupe de conseillers municipaux indigènes des communes de Oued-Seguin**, **Guettar el Aiech**, **Ain Smara**», Question Algérienne, imprimerie Georges Heim, Constantine, 1891.

29-«**Politiques musulmanes coloniales**, **l'Algérie**», revue du monde musulman, n 9, (septembre 1910), Paris.

Revue Africaine, n 236, (1er trimestre 1900).

- الصحف:

*** EL-Hack** : (**Bone**)

- «**l'instruction des indigènes**», El-Hack, n 6, (03/09/1893).

- «**l’Alarm**e», El-Hack, n 8, (17/09/1893).

- Abdallah: **«aux renégats»,** El-Hack, n 8, (17/09/1893).

* **l’Islam**:

- Sadk Denden: «**Notre action**», l’Islam, n 100, (07/01/1912).

- Sadek denden: «**Les libertés Algériennes**», l’Islam, n 101, (14/01/1912).

- Sadek denden: «**Politique indigène**», l’Islam, n 104, (04/02/1912).

- «**Les indigènes Algériens devant le service militaire**», l’Islam, n 109, (10/03/1912).

- Sadk Denden: «**La Conscription des indigènes**», l’Islam, n 119, (26/05/1912).

- «**La Conscription des indigènes**», l’Islam, n 120, (02/06/1912).

- l’Islam, n 122, (23/07/1912)

- l’Islam, n 123, (30/07/1912).

- Numa Lual: «**L’Alliance Franco-Arabe**», l’Islam, n 125, (13/08/1912).

- «**Première satisfaction**», l’Islam, n 131, (24/09/1912).

- «**Justice**», l’Islam, n 133, (08/10/1912).

- «**Un parlement indigène**», l’Islam, n 152, (04/03/1913).

- «**Mr Moret en Algérie**», l'Islam, n 172, (11/11/1913)

- l'Islam, n 174, (28/11/1913).

-«**L'incident cuttoli et Abbès ben Hammana**», L'Islam, n 187, (19/03/1914).

- «**Lettre Algérienne**», l'Islam, n 187, (19/03/1914).

- «**La représentation des indigènes en Algérie**», l'Islam, n 198, (20/06/1914).

- «**Lettre Algérienne**, **le loyalisme des jeunes Algériens**», l'Islam, n 199, (27/06/1914)

- «**La représentation des indigènes un vœu de l'alliance Franco-indigène**», l'Islam, n 199, (27/06/1914).

- Sadek Denden: «**Aux musulmans Algériens**», l'Islam, n 203, (08/08/1914).

- «**Enrôlement des indigènes résidant en France**», l'Islam, n 203, (08/08/1914).

- Sadek denden: «**Notre action dans la bataille**», l'Islam, n 204, (22/08/1914).

* **la voix des humbles**:

- **«Notre credo»**, la voix des humbles, n 1, (mai 1922).

- «Politique indigène», la voix des humbles, n 1, (mai 1922).

- **«Représentation indigène»**, la voix des humbles, n 2, (juin 1922).

- Faci: **«lettre ouverte à mer Mallebay»**, la voix des humbles, n 4-5, (aout- septembre 1922).

- **«loin des partie**, **loin des dogmes»**, la voix des humbles, n 7, (novembre 1922),

- «**le service militaire des indigènes**, **deux poids et deux mesures**», la voix des humbles, n 10-11, (février-mai 1923).

- Zenati: **«Pour l'instruction et l'éducation des filles indigènes»**, la voix des humbles, n 14-15, (juillet-aout 1923).

* **l'Ikdam**:

- «**Les élections municipales d'Alger»**, l'Ikdam, n19,(14-01-1919).

- Sadek denden: «**les prochaines élections»**, l'Ikdam, n 32, (13-11-1919).

- Sadek denden: «**les prochaines élections»**, l'Ikdam, n 33, (20-11-1919).

- l'Ikdam, n 15, (21-28 juin 1919).

- l'Ikdam, n 5, 05-04-1919.

- «**Comité d'action franco-musulman de l'Afrique du nord**», l'Ikdam, n 14, (07/14 juin 1922).

- l'Ikdam, n 15, (21-28/06/1919).

- l'Ikdam, n 33, (20-11-1919)

- l'Ikdam, n 34, (27-11-1919).
- «**Les élections à Alger**», l'Ikdam, n 35, (11-18 décembre 1919).

- l'Ikdam, n 19,(14-01-1921).

- l'Ikdam, n 20, (21-01-1921).

- L'emir Khaled: «**dépêche de lettre adressées a m le ministre de l'intérieur**», l'Ikdam, n 41, (26-08-1921).

- L'emir Khaled: «**Politique Française et politique Algérienne**», l'Ikdam, n 47, (07-10-1921).

- «**Discours de l'Emir khaled**», l'Ikdam, n 76, (28-04-1922).

- l'Ikdam, n 85, (30-06-1922).

- l'Ikdam, n 89, (28/07/1922).

- l'Ikdam, n 12, (23-12-1922).

- L'emir Khaled: **«Appel de la fraternité Algérienne»**, l'Ikdam, n 91,(11-08-1922).

- l'émir Khaled: **«le problème indigène»**, l'Ikdam, n 91, (11/08/1922).

- l'Ikdam, n 12, (23-12-1922).

* **l'écho d'Alger**:

- Mheni Zaid: **«La Turquie et l'Islamisme»**, l'écho d'Alger, n 928, (29/09/1914).

* **l'humanité**

- l'Emir khaled:**« les revendications des musulmans d'Algérie»**, l'humanité, n 7492,(03-07-1924).

– **«Un imposant meeting colonial»**, l'humanité, n 7512, (23-07-1924).

* **l'écho de Tlemcen**:

- l'Echo de Tlemcen: n 5576,(09 octobre 1928).

* **l'écho de la presse musulmane**

- **«L'émir Khaled est mort»**, l'écho de la presse musulmane, n 12, (24/01/1936).

- **«Le dernier appel de l'émir Khaled au peuple de France»**, l'écho de la presse musulmane, n 12, (24/01/1936).

- **«La vie de l'émir Khaled»**, l'écho de la presse musulmane, n 16, (28/02/1936).

ثانيا/ المراجع:

أ– باللغة العربية:

– الكتب:

1- الإبراهيمي محمد البشير: **آثار محمد البشير الإبراهيمي**، ط 1، ج 5، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

2- الإبراهيمي محمد البشير: **سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، دار المعرفة، الجزائر، 2009.

3- أجيرون شارل روبير: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، تر: عيسى عصفور، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1982

4- أجيرون شارل روبير: **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير**، ج **2**، تر: محمد حمداوي وإبراهيم صحراوي، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

5- الأشرف مصطفى: **الجزائر الأمة والمجتمع**، تر: حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

6- الأفغاني جمال الدين ومحمد عبده: **العروة الوثقى،** مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014.

7- البدوي عبد الرحمان: **موسوعة المستشرقين**، ط 3، دار العلم للملايين، بيروت، 1993.

8- برفيلي غي: **الطلبة الجزائريون في الجامعة الفرنسية 1880-1962**، تر: حاج مسعود، بكلي، بلعريبي، ط خ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

9- بريون فوزية: **مالك بن نبي، عصره وحياته ونظريته في الحضارة**، دار الفكر، دمشق، 2010.

10- بلاسي نبيل أحمد: **الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990.

11- بلغيث محمد الأمين: **تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق جديدة وصور نادرة تنشر لأول مرة**، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

12- بن بكار بلهاشمي: **كتاب مجموع النسب والحسب الفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب**، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1961.

13- بن خدة بن يوسف: **جذور أول نوفمبر 1954**، تر: مسعود حاج مسعود، ط 2، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

14- بن الخوجة محمد: **صفحات من تاريخ تونس**، تحقيق حمادي الساحلي، الجيلاني بن الحاج يحي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

15- بن سمينة محمد: **من إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة**، دار مدني، الجزائر، 2004.

16- بن قينة عمر: **أعلام وأعمال في الفكر والثقافة والأدب**، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2000.

17- بن نبي مالك: **مذكرات شاهد للقرن**، دار الفكر للطباعة والتوزيع، ط 2، دمشق، 1984.

18- بوحوش عمار: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**،ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

19- بوعزيز يحي: **الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه** (1912-1948)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1991.

20- بوعزيز يحي: **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954**، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.

21- تابليت علي: **خمس رحلات جزائرية إلى باريز**، منشورات خمسينية جامعة الجزائر (1962-2012)، ثالة، الجزائر، 2012.

22- تابليت علي: **فرحات عباس رجل دولة**، ط 2، ثالة Thala édition، الجزائر، 2009.

23- تيران ايفون: **المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، المدارس والممارسات الطبية والدين 1830-1880**، تر: محمد عبد الكريم أزوغلة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2005،

24- تيرنس بول، ريتشارد بيللامي: **الفكر السياسي في القرن العشرين،** تر: مي مقلد، مراجعة وتحرير: طلعت الشايب، ط **1**، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010.

25- ثنيو نور الدين: **إشكالية الدولة في الحركة الوطنية الجزائرية**، ط **1**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2015.

26- الجابري محمد عابد: **إشكاليات الفكر العربي المعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1990.

27- جوليان شارل أوندري: **افريقيا الشمالية تسير**، تع: المنجي سليم، والطيب المهيري، والصادق المقدم، وفتحي زهير، والحبيب الشطي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، 1976.

28- الحسني عبد المنعم القاسمي: **أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.

29- حلوش عبد القادر: **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، ط1، دار الأمة، الجزائر، 1999.

30- حمادي عبد الله: **الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962**، **مشارب ثقافية وإيديولوجية**، ط **2**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995.

31- الخالدي سهيل: **الإشعاع المغربي في المشرق، دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام**، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.

32- خليفي عبد القادر: **دور الأدب الشعبي في المقاومة الوطنية**، سلسلة منشورات الجيب، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2005.

33- خيثر عبد النور، سعيدي مزيان، بوقجاني أحمد: **منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية** (1830-1954)، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007.

34- دبوز محمد علي: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج 2، ط 1، المطبعة العربية، الجزائر، 1971.

35- دويب عبد الرحمان: **الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي**(1907-1992)،قسم التراجم، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

36- الرافعي عبد الرحمان: **جمال الدين الأفغاني باعث نهضة الشرق** 1838-1897، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، بـــ تـــ.

37- رضا محمد رشيد: **تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده** 1849-1905، ج 3، ط 2، دار الفضيلة ، 2006.

38- روش ليون: **اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام**، تر: محمد خير محمود البقاعي، ط **1**، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2011.

39- زوزو عبد الحميد: **الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي، التطورات السياسية الاقتصادية والاجتماعية 1837–1939**، ج 1، دار هومة، الجزائر، 2009.

40- زوزو عبد الحميد: **الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية**، ج 1، دار هوما، الجزائر، 2012.

41- زوزو عبد الحميد: **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830–1900**، موفم للنشر، الجزائر، 2009.

42- سعد الله أبو القاسم: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج **1**، ط خ، دار البصائر، الجزائر، 2007.

43- سعد الله أبو القاسم: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج **2**، دار البصائر، الجزائر، 2007.

44- سعد الله أبو القاسم: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج **3**، ط خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

45- سعد الله أبو القاسم: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج **4**، ط **1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996.

46- سعد الله أبو القاسم: **أفكار جامحة**، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1988.

47- سعد الله أبو القاسم: **الحركة الوطنية الجزائرية** (1830-1900)، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

48- سعد الله أبو القاسم: **الحركة الوطنية الجزائرية** (1900-1930)، ج 2، ط 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

49- سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 3، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

50- سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 4، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

51- سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 5، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

52- سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 6، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **1998**.

53- سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 7، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

54- سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج 8، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

55- سعد الله أبو القاسم: **خلاصة تاريخ الجزائر، المقاومة والتحرير 1830-1962**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2007.

56- سعد الله أبو القاسم: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال**، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

57- سعد الله أبو القاسم: **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي المتوفى 1850**، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

58- سعيد ادوارد: **المثقف والسلطة**، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، 2006.

59- سماتي محفوظ: **الشبان الجزائريون، الجزائر الفتاة مراسلات وتقارير 1837-1918**، تر: محمد المعراجي وعمر المعراجي، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2013.

60- سيف الإسلام الزبير: **تاريخ الصحافة في الجزائر**، ط 1، مطبعة دار الشعب، القاهرة، 1981.

61- العسلي بسام: **المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي** (1830-1838)، دار النفائس، بيروت، د ت.

62- العسلي بسام: **المارشال بيجو 1784-1849**، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982.

63- عقاب محمد الطيب: **حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

64- العقبي صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها**، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002.

65- العلوي محمد الطيب: **مظاهر المقامة الجزائرية 1830-1954**، ط 3، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2000.

66- عمورة عمار: **موجز تاريخ الجزائر**، ط 1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

67- عميراوي احميدة: **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث**، ط 2، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.

68- عميراوي احميدة: **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2005.

69- عوض صالح: **معركة الإسلام والصليبية في الجزائر**، الزيتونة للإعلام والنشر، بــ تــ.

70- عويمر مولود: **أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر**، ط 1، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

71- الفاسي علال: **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، ط 6، مؤسسة علال الفاسي، الدار البيضاء، 2003.

72- قنان جمال: **التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار 1830-1944**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،الجزائر، 2007.

73- قنان جمال: **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.

74- قنان جمال: **نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914**، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.

75- قنانش محمد: **الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

76- قنانش محمد، قداش محفوظ: **نجم الشمال الإفريقي 1926-1937**، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

77- كوران أرجمنت: **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**، تر: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، 1970.

78- الكيالي عبد الوهاب: **موسوعة السياسة**،ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، بــ تــ،، لبنان، 1990.

79- مالكي امحمد: **الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي**، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994.

80- المدني أحمد توفيق: **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، د ت.

81- المدني أحمد توفيق: **كتاب الجزائر**، المطبعة العربية، بــ تــ.

82- مناصرية يوسف: **الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين 1919-1939**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

83- مناصرية يوسف: **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

84- مهديد ابراهيم: **المثقفون الجزائريون في عمالة وهران خلال الحقبة الكولونيالية الأولى** (1850-1912)، منشورات دار الأديب، وهران، 2006.

85- مهديد ابراهيم: **القطاع الوهراني ما بين 1850-1919، دراسة حول المجتمع الجزائري الثقافة والهوية الوطنية**، منشورات دار الأديب، وهران، 2006.

86- مهساس أحمد: **الحركة الثورية في الجزائر 1914-1954**، ط خ، دار المعرفة، الجزائر، 2007.

87- ناصر محمد: **الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

88- ناصر محمد: **المقالة الصحفية في الجزائر**، ج 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص 41-42.

89- ناصر محمد: **عمر راسم المصلح الثائر**، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1984.

90- هلال عمار: **الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847-1918**، دار هومه، الجزائر، 2007.

- المعاجم والموسوعات:

1- أبو عمران الشيخ ومجموعة أساتذة: **معجم مشاهير المغاربة**، منشورات دحلب، الجزائر، 2000.

2- البعلبكي منير: **معجم أعلام المورد**، ط **1**، دار العلم للملايين، بيروت، **1992**.

3- عبد الكافي اسماعيل عبد الفتاح: **الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية**،بــ تــ.

4- نويهض عادل: **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط2، بيروت ، لبنان، 1980.

الأطروحات:

1- بالحاج ناصر: **مواقف الجزائريين من التجنيد الإجباري 1912-1916**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، (2004-2005).

2- بن جلول هزرشي: **الجزائريون والتضامن العربي الإسلامي 1911-1954**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، (2012-2013).

3- تلمساني بن يوسف: **التوسع الفرنسي في الجزائر 1830-1870**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر،(2004-2005).

4- جبلي الطاهر: **شبكة الدعم اللوجيستيكي للثورة التحريرية 1954-1962**، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة تلمسان، (2009/2008).

5- دراوي امحمد: **الجزائر والجامعة الإسلامية 1876-1924**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر 2، (2007-2008).

6- دويدة نفيسة: **تطور فكرة الوطنية الجزائرية عند فرحات عباس 1927**-1955، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2005.

7- صافر فتيحة: **حركة الشبان الجزائريين، ظهورها وتطورها فيما بين 1900 و1930**، أطروحة دكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة وهران، (2015-2016).

8- عمري الطاهر: **النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع 1900**-1940، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، (2003-2004).

9- فشار عطاء الله: **النخبة الجزائرية جذورها، تطورها، اتجاهاتها 1914**-1954، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، (2008-2009).

10- محمد الصغير عباس: **فرحات عباس من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية** (1927-1963)، مذكرة ماجستير في تاريخ الحركة الوطنية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-2007.

المنشورات الجامعية:

1- «**أعمال محمد بن مصطفى بن الخوجة 1865-1915**»، منشورات خمسينية جامعة الجزائر، 2012.

- المجلات:

1- أوفة سليم: «**الشيخ عبد القادر المجاوي وإسهاماته في نهضة الجزائر الحديثة (1848-1914م**»، قضايا تاريخية، ع1، المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة، الجزائر، (أفريل 2016).

2- أوفة سليم: «**من أقطاب النهضة الثقافية في مدينة الجزائر مطلع القرن العشرين (1900-1914)، الشيخ مصطفى بن الخوجة أنموذجا**»، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع3، جامعة الوادي، (نوفمبر2015).

3- أوهايبية فتيحة: **«الصحافة المكتوبة في الجزائر، قراءة تاريخية»،** مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 16، جامعة باجي مختار، عنابة، (سبتمبر 2014).

4- بليل حسني: **«الشيخ عبد القادر المجاوي التلمساني 1848-1914»**، عصور الجديدة، ع 2، جامعة وهران، (2011).

5- بليل محمد: **«قانون التجنيد الإجباري لسنة 1912 وانعكاساته على الجزائريين، القطاع الوهراني نموذجا»**، عصور، ع 20، جامعة وهران 1، (جانفي-جوان 2013).

6- بن حسين كريمة: **«المتجنّسون، مواقفهم أفكارهم وطموحاتهم»**، مجلة العلوم الإنسانية، ع 30، جامعة منتوري قسنطينة، (ديسمبر 2008).

7- بن زواو فتح الدين: «**جذور الفكر الإصلاحي في الجزائر ومؤثراته 1830-1931**»، المجلة التاريخية الجزائرية، ع 4، جامعة المسيلة، (سبتمبر 2017).

8- بن عدة عبد المجيد:**«رائد المقاومة السياسية الحديثة في الجزائر السيد حمدان خوجة (1773-1845)**»، حوليات التاريخ والجغرافيا، ع 3، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، (ماي 2011).

9- بن عدة عبد المجيد:**«من أعلام الوطنية والإصلاح في الجزائر، الأمير خالد 1875-1936»**، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 24، جامعة الجزائر 2، د ت.

10- بن مشيش حسين: «**موقف علماء الإصلاح في الجزائر من وحدة الأمة**»، مجلة العلوم الإنسانية، ع 31/30، جامعة باتنة، ماي 2013.

11- بودن غانم: **«سي امحمد بن رحال ودوره في الدفاع عن قضايا الجزائريين»**، عصور الجديدة، ع 24-25، جامعة أحمد بن بلة، وهران، (أكتوبر 2016).

12- بوسعيد سمية: «**الأحزاب الجزائرية والتجربة الإنتخابية** (1919-1954)»، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، ع 2، جامعة سيدي بلعباس، (جوان 2010).

13- بوضرساية بوعزة: **«بعض جوانب الحركة الوطنية من منظور ديبارمي »**، مجلة تاريخ المغرب العربي، ع 3، جامعة الجزائر-2، (جوان 2015).

14- بوضياف سميرة: «**ملمح تكوين المعلمين والأساتذة في الفترة الاستعمارية**»، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، ع 8، جامعة سكيكدة، (جويلية 2014).

15- البوعبدلي المهدي: **«الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي»**، الأصالة، ع 8، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، (ماي/جوان 1972).

16- جياب فاروق: «**نشاط النخبة الجزائرية في تونس ودورها في بناء الحركة الوطنية الجزائرية**»، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع 8، جامعة تلمسان، (سبتمبر 2016).

17- الجيلالي عبد الرحمان: «**جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية السياسي والثقافي** (1866-1933م/1283-1353 هـ)»، الأصالة، ع 13، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، (مارس-أفريل 1973)

18- حاجيات عبد الحميد: «**قراءة لوثيقة محمد بن رحال حول المطالبة بالاصطلاحات 1891**»، آفاق وأفكار، ع 3، جامعة الجزائر 2، (جانفي-جوان 2012).

19- خلوفي بغداد: «**التعليم العالي بالجزائر أثناء الحقبة الاستعمارية**»، المواقف، ع 10، جامعة معسكر، ديسمبر 2015.

20- خليفي عبد القادر:«**نشاط الحركة الوطنية الجزائرية في مواجهة السياسة الفرنسية، تجربة المظاهرات الجماهيرية خلال النصف الأول من القرن 20م أنموذجا**»، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع 8، جامعة الوادي، (نوفمبر 2016)،

21- رياض عمر: «**علاقة مجلة المنار الإصلاحية بمفكري الجزائر 1898-1935**»، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع 7، جامعة معسكر، (ديسمبر 2012).

22- الزبيري محمد العربي: «**المقاومة الجزائرية 1830-1848**»، الأصالة، ع29-30، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، (جانفي-فيفري 1976).

23- زغيدي محمد لحسن:«**التجربة الجزائرية في المقاومة السلمية والمسلحة أو كيف تطورت الحركة الوطنية إلى ثورة مسلحة**»، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 24، د ت، جامعة الجزائر 2.

24- زمولي يسمينة: «**الفكر التنويري العربي في القرن 19م. حمدان بن عثمان خوجة ورافع رفاعة الطهطاوي نموذجا**»، مجلة العلوم الإنسانية، ع 41، مجلد ب، جامعة قسنطينة 1، (جوان 2014).

25- زوزو عبد الحميد:«**حمدان خوجة ومنهجه في كتابة التاريخ**»، الأصالة، ع 4، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، (أكتوبر 1971)،

26- سعد الله أبو القاسم: «**المفتي الجزائري المصري ابن العنابي وكتابه السعي المحمود في نظام الجنود**»، الأصالة، ع 31، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، (مارس 1976).

27- سعيدي مزيان:«**من مظالم السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر 1830-1870**»، حوليات التاريخ والجغرافيا، ع 3، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، (ماي 2011).

28- سعيود أحمد: «**مساعي الحركة الوطنية الجزائرية في إعطاء البعد الدولي للقضية الجزائرية بعد الحرب العالمية الأولى**»، مجلة المصادر، ع 9، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، (السداسي الأول 2004).

29- سيفو فتيحة: «**الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وظروف ميلاد حركة الشبان الجزائريين**»، عصور الجديدة، ع 23، جامعة وهران، (أوت 2016).

30- شاوش حباسي: **«مصطلحات في الحركة الوطنية الجزائرية»**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 01، جامعة الوادي، (جوان 2010).

31- شترة خير الدين: «**المنهج التربوي والإصلاحي في فكر الشيخ عبد القادر المجاوي**»، المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع 10، جامعة معسكر، (ديسمبر 2015).

32- شترة خير الدين: «**نشاط الحركة الإصلاحية والتعليمية بمدينة ندرومة وضواحيها خلال الفترة** (1900-1956)»، عصور الجديدة، ع 13، جامعة وهران، (أفريل 2014).

33- صافر فتيحة: «**مواقف النخبة الجزائرية من سياسة فرنسا الاندماجية**»، عصور الجديدة، ع 16-17، جامعة وهران، (2014-2015).

34- طرشون نادية: **«هجرة أهالي تلمسان 1911 من خلال الصحافة ولجان التحقيق الفرنسية»**، مجلة الدراسات التاريخية، ع 13، جامعة الجزائر2، (2011).

35- العربي اسماعيل: **«مقاومة أحمد بن سالم خليفة الأمير عبد القادر في بلاد القبائل»**، الأصالة، ع 82/81/80/79، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، (مارس/أفريل/ماي/جوان 1980).

36- قرين مولود: **«البعد القومي في فكر النخبة الجزائرية في مطلع القرن العشرين، عمر بن قدور الجزائري نموذجا»**، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، ع 6، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، (2012).

37- قنان جمال: **«مشاغل المجتمع الجزائري من خلال الصحافة 1882-1914»**، مجلة المصادر، ع 9، (السداسي الأول 2004)، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر.

38- كركيل عبد القادر: **«نشأة الصحافة في الجزائر»**، المصادر، ع 11، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، (2015).

39- كمال خليل: « **الفكر الإصلاحي عند عمر بن قدور (1886-1932**»، ع 2، مجلة البحوث التاريخية، جامعة المسيلة، (جوان 2017).

40- مريوش أحمد: **«بوادر الانشطار في فكر النخبة الليبرالية الجزائرية وانعكاساتها على القضية الوطنية ما بين 1919-1943»**، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، ع **2**، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، (جوان 2008).

41- مريوش أحمد: **«ثقافة المقاومة ونماذج من عرائض الأهالي الجزائريين إلى فرنسا خلال القرن 19م»**، حوليات التاريخ والجغرافيا، ع 6، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، (ديسمبر 2012).

42- مزيان عبد المجيد:**«مظاهر المقاومة في الثقافة الجزائرية»،** الأصالة، ع 8، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، (ماي 1972).

43- مهديد ابراهيم: «**الصراع حول الهوية والانتماء العربي الإسلامي من خلال الصحافة الجزائرية-جريدة الحق الوهراني أنموذجا** (1911-1912)»، عصور، ع 6-7، جامعة وهران، (جوان-ديسمبر 2005).

44- مهديد ابراهيم: **الطرح الوطني في الفكر السياسي عند محمد بن رحال الندرومي نهاية القرن** 19 **وبداية القرن** 20، التراث العلمي والثقافي لمدينة ندرومة ونواحيها، الجمعية الموحدية المحافظة على التراث التاريخي والثقافي، ندرومة، دار السبيل للنشر والتوزيع، د ت.

45- مهديد ابراهيم: «**النخبة التلمسانية ودورها الثقافي والسياسي والاجتماعي من نهاية القرن التاسع عشر إلى نهاية الحرب العالمية الأولى**»، أفاق وأفكار، ع3، جامعة الجزائر-2، (جانفي-جوان 2012).

46- مياد رشيد: «**مجالات الإصلاح عند الشيخ عبد القادر المجاوي** (1848-1914)»، حوليات التاريخ والجغرافيا، ع 8، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، (ديسمبر 2014).

- الملتقيات:

1- ثنيو نور الدين: **هجرة الجزائريين إلى المشرق العربي بين السياسة والدين 1848-1912**، الملتقى العلمي الأول سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر، جامعة منتوري، قسنطينة، (ماي 2011).

الجرائد:

- «**جمال الدين الأفغاني**»، المنار، ع 19،(1953/03/14)،ص 2.

- «**موقف الإمام محمد عبده من تعاليم جمال الدين الأفغاني**»، المنار: ع 4، (1953/04/21)، ص4.

- « **محمد عبده والشمال الإفريقي**»، المنار: ع 43 (1953/06/05)، ص3.

- «**الصحافة العربية في الجزائر**»، الشعب، ع 534، (1965/08/11)، ص 4.

- عويمر مولود: «**الأمير خالد الجزائري من خلال مجلة الشهاب وجريدة البصائر، البصائر**»، ع 788، (2015/12/28- 2016/01/03).

ب- باللغة الأجنبية:

- الكتب:

1-Ageron Charles robert:**Les Algériens musulmans et la France 1871-1919**, t 2, edif, Alger ,2000.

2-collot Claude, Jean robert henry: **le mouvement national Algérien**, **textes 1912-1954**, 1ere édition, a p u, Alger et l'Harmattan, Paris, 1981.

3-Djeghloul Abdelkader: **éléments d'histoire culturelle Algérienne**, enal, Algér, 1984.

4-Ihdaden Zouhir: **Histoire de la presse indigène en Algérie**, **des origines jusqu'en 1930**, enal, Alger, 1983.

5-kaddache Mahfoud: **Histoire du nationalisme Algérien**, **question nationale et politique Algérienne 1919-1951**, t 1, 2eme édition, société nationale d'édition et de diffusion, Alger, 1981.

6-Koulakssis Ahmed, Gilbert Meynier: **l'Emir khaled premier zaim! identité Algérienne et colonialisme Français**, édition l'Harmattan, Paris, 1987.

7-Merad Ali: **Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940**, 2 eme édition, les éditions El-Hikma, Alger, 1999.

8-Mercier Ernest: **l'Algérie en 1880**, Paris, 1880.

9-Meynier Gilbert: **l'Algérie révélée. la guerre de 1914-1918 et le premier quart du xx siècle**, édition EL Maarifa, 2010.

10-Nouschi André: **La naissance du nationalisme Algérien 1914-1954**, les éditions de minuit, Paris, 1962.

11-Roy. J: **Histoire de l'Algérie**, Tours, s d.

12-Stora Benjamin: **Messali Hadj (1898-1974) pionnier du nationalisme Algérien**, Edition l'Harmattan, Paris, s d.

- المجلات:

1-Ageron Charles -robert: «**Enquête sur les origines du nationalisme Algérien, l'Emir khaled petit fils d'Abdelkader fut-il le premier nationaliste Algérien?**», revue de l'occident musulman et de la Méditerranée, n 2, 1966.

2-Ageron Charles-robert: «**Jules Ferry et la question Algérienne en 1892**», revue d'histoire moderne et contemporaine, t x, (avril-jui 1963).

3-Ageron Charles- robert:« **Le mouvement jeune Algérien de 1900 à 1923**», bulletin de la société d'histoire moderne, n2, 1962, Paris.

4-Ageron Charles-robert: «**une politique Algérienne libérale sous la troisième république** (**1912-1919**)», revue d'histoire moderne et contemporaine, société d'histoire moderne, t 6,Paris, (avril-juin 1959).

5-Delattre André: «**Aurélie Picard**», bulletin de la société historique et archéologique de Langres, n361, (4eme trimestre 2005).

Desparmet: «Les chansons de geste de 1830 à 1914 dans la Mitidja », revue africaine, n 378, (1er trimestre 1939).

6-Desparmet: «**Les réactions nationalitaires en Algérie**», Bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique du nord, n 132, 1932.

7-Gautier Emile:« **Menaces sur l'Afrique**», la revue de Paris, t 5, (septembre-octobre 1934), Paris.

8-Marcel Emerit: «**L'état intellectuel et moral de l'Algérie en 1830**», revue d'histoire moderne et contemporaine, t1, société d'histoire moderne, Paris, (juillet-septembre 1954).

9-Pervillé Guy:«**le rôle des intellectuels musulmans de formation Française dans l'évolution politique de l'Algérie** (**1908-1962**)», bulletins de la société d'histoire moderne, n 3, 1983, Paris.

10-Sari Djilali: «**le patrimoine architectural et culturel de Nedroma**», revue références, n 1 ,décembre 2013.

11-Yahiaoui Messaouda: «**islam et identité nationale pendant l'entre deux guerres 1919-1936 en Algérie**, "**El-nahda et réactions coloniales**», El-mawaqif , université de Mascara, numéro spécial, avril 2008.